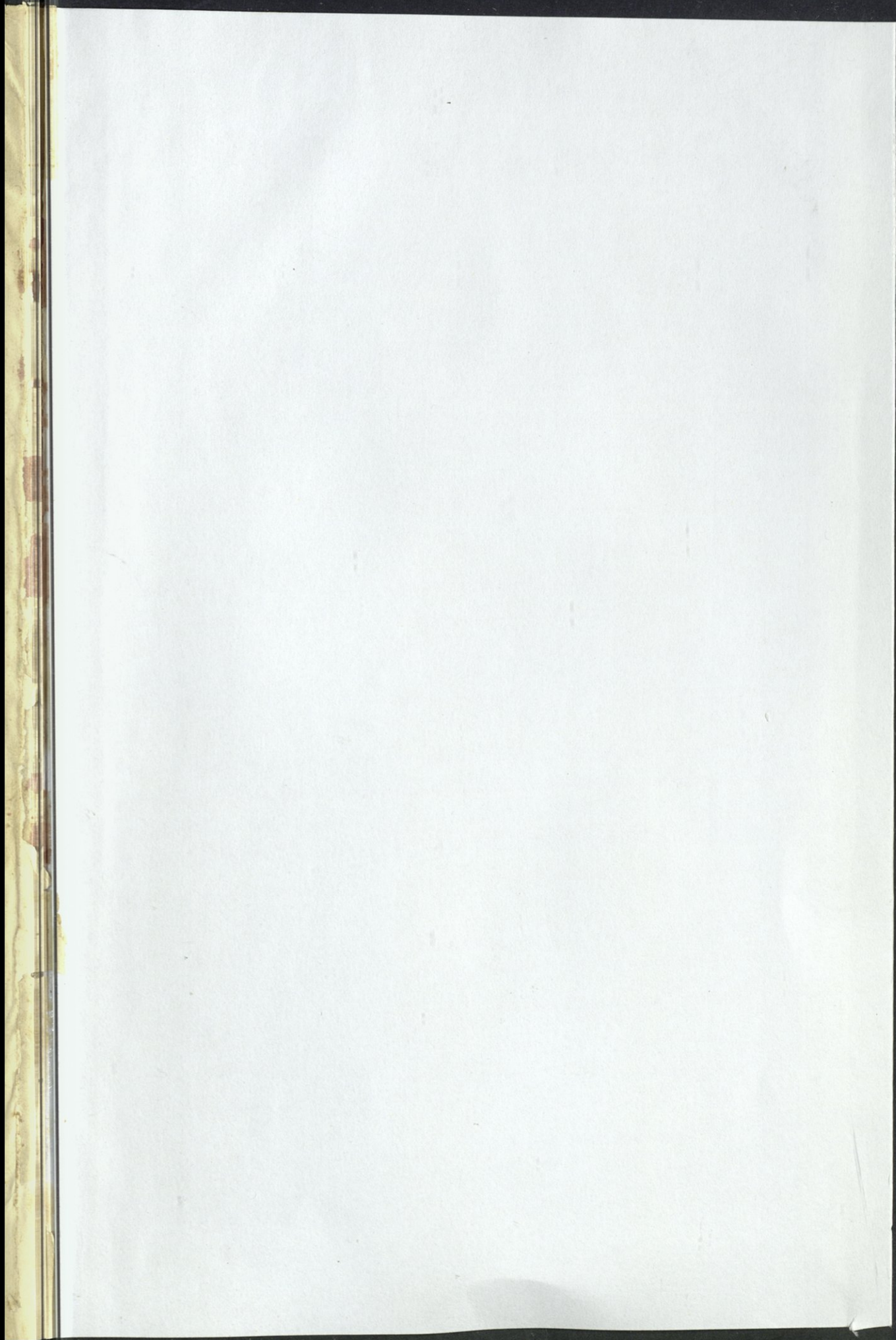


AUB. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



AUB. LIBRARY



A. S.

965.03

A14tuA

V. 1

كتاب

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الاول

سيرته السيفية

قال ابو تمام

مِنَ النَّاسِ مَيِّتٌ وَهُوَ حَيٌّ بِذِكْرِهِ * وَحَيٌّ سَلِيمٌ وَهُوَ فِي النَّاسِ مَيِّتٌ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

78546

بالمطبعة التجارية - غرزوزي وجاويش - بالاسكندرية

سنة ١٩٠٣

cat. Mar 52



Handwritten text, possibly a signature or name, is visible in the center of the page. The text is extremely faint and difficult to decipher, but appears to be written in a cursive or semi-cursive style.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي احاط بكل شيء علما . وانفذ في كل مخلوق قضاء ازليا وحكما .
 له الملك الذي ليس له ابتداء . ولا ملدده وأمدده انقطاع وانتهاء . وله الخلق والامر
 وييده النفع والضر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناضض باعباء الرسالة .
 ومالك ازمة المجد والجلالة قائد جيوش النبوة . وعاقده لواء البسالة والفتوة . وعلى
 آله واصحابه الذين اتبعوه فيما شرعه وسنه . وناضلوا من حاد عن سنته بالسيوف
 والاسنة . وبدلوا نفيس الاتس في تحبته . ومن اقتني آثارهم في نصرة دينه من
 امته . الى يوم الدين آمين . (اما بعد) فيقول النقيب الى مولاه الغني ❖ محمد ابن
 الامير عبد القادر الحسيني ❖ . سدد الله عمله . وبلغه ما رامه وامله . بينا شمس سماء
 سيادتنا في افق المغرب الأوسط طالعة . واشعة انوارها على رياض اقطاره ساطعة .
 وربوعنا باهل الفضل معمورة . وقصادنا بانواع المواهب معمورة . اذ فاجأنا طوارق
 الدهر . وجاءتنا جنود فرانس من البحر كالدر . فطنقنا ندافع عن الوطن بكل حمية .
 ونبدل النفوس في حماية سكانه من كل بلية . واتصلت بيننا حروب للظهور قاصمة .
 ولعري الحزم والعزم فاصمة . ثم كاثرونا باخيل والرجل . وساورونا في الحزن
 والسهل . فقابلنا اعمالهم بالمثل . حتى استولى على قلوب الرعية الاضطراب . واستحكم
 الوهن فيها يتمكن الاسباب . ولقي ريجنا اعصارا . واشرب صفونا اكدارا .
 وثم امور تشيب الوليد * وترجع بالاشيب القهقرا
 ومع ذلك لم نترك المدافعة الى انقضاء المدة . واستكمال الامارة من ايامها العدة . فاحاطت بنا
 جيوش تعدوا وتناوش . من دولتي فرانس ومراكش . والله في خلقه علم الغيب . وليس في الغلب
 بعد بذل الوسع عيب . ومن شان الدوائر ان تدور . ولا بد من اعتراء الخسف للبدور .
 وفي السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر
 وبلا اراد الله تعالى ان لا تثبت في وجوههم . ولا تقوم بدفع صدماتهم وهجومهم . راينا التسليم

للاقدار اولى . وان النصر ليس الا بيد المولى . فالقينا السلاح للفرنساوين بشروط
مقررة . وعهود بيننا محررة . وبالقدر فارقتنا البلاد . وارتحلنا عن محل الطارف
والتلاد . فعبثت بها ايدي النواب . ورشقتها المحر . بالسهم الصواب . وغودرت
منازلها صماء عمياء . وصودرت معاقلها بداهية دهماء . وامست من كرام اهلها خالية .
واصبحت عاطلة بعد ان كانت حالية . وانمحت رسوم ذلك القطر العزيز واندرت .
وانقصمت عقود ايامه وانتثرت . ولا غرو فان الدهر ذو غير . وكل شيء بقضاء وقدر .
هذا الذي سبق القضاء به * والدهر بين الناس ذو دول
فلبننا في فرانس خمسة اعوام . صابرين على القدر صبرا الكرام . نستنجز من الحكومة سالف عهدنا .
وتترقب منها وفاء وعدنا . الى ان سلك الله بنا للنجاة منهجا . وجعل لنا من امرنا فرجا وتخرجا .
ومن علينا بالانطلاق من ذلك الاعتقال . والانتقال على مطايا الراحة مع الصبح والال .
لا تياسن من انفراج شديدة * قد تبجلي الغمرات وهي شدائد

ثم خرجنا من فرانس ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلامبول المحمية . دار السعادة
ومقر الخلافة الاسلامية . فمكثنا بها سبعة ايام . لازالت منها للخاص والعام . وتشرف
سيدي الوالد بتقبلة حضرة ساكن اجنان . مولانا (السلطان الغازي عبد المجيد خان) . فخلع
عليه خلع اللطف والاحسان . ثم توجهنا الى بروسة بقصد الاقامة . فاقمنا بها عامين وستة اشهر
في عز وكرامة . وكان سبب خروجنا منها زلزلة عظيمة . مست اهلها بمصائب جسيمة . فيممننا
البلاد الشامية . ونزلنا بالديار المشقية . والقينا فيها عصا الترحال . وحللنا عقدة
الرحال . فائزين بكمال التبجيل والاحترام . حائزين اعلا منزلة وارقي مقام . ملحوظين
بانظار الدولة العلية . مشمولين بصنوف مواهبها السنية . لا يتقدم علينا احد في المحافل .
ولا يرد وارد قبلنا للناهل . منزلنا ملجأ للعموم . ومنجأ لكل مظلوم . فيه الري لكل
صاى . سواء العاكف فيه والبادي . ومع ما انا فيه من السرور . وكال العز والحبور .
كان يغلب علي في اغلب الاحيان . تذكر الأهل والاطوان . فتتحرك مني السواكن .
وتنبعث منها الاشواق الكوامن . سينا اذا مررت بنظر يروق . واومضت من ناحية المغرب بروق
ذاك الزمان هو الزمان وغيره * لافرق بين فنائه ووجوده
وما عسى ان اذكر في اقليم وقع علي فضله الاتفاق . وحاز قصب السبق على غيرد
بالاستحقاق . فهيات ان تنقطع له مني المدائح . ولو قطعت تغريدها الحمام الصواح .
فان شوقي اليه شوق الليل الى الورد . وامرؤ القيس الى الابلق الفرد .

لا الجزع يسليني ولا وادي الغضا * عنها ولا نجد ولا الدهناء
لا رامة رومي ولا حزو ولا * وادي النقا والخيف والخلصاء
كيف لا وهي كما قيل .

بلاد بها ميّطت على تمائي * واول ارض مس جلدي ترابها
وعن سيد ولد عدنان . حب الوطن من الايمان . وقالوا يحن الليث الى وطنه .
كما يحن النجيب الى عطنه . وقيل لبعض الحكماء بم يعرف وفاء الرجل وزمام عهده
قال بجنينه الى اوطانه . وتشوقه الى اخوانه . وكانت ترد علينا بعض الوفود .
فيذكروننا بسالف اليهود . ثم نتجاذب أعنة الحديث . وناخذ في القديم منها والحديث .
فتوءدينا المناسبة الى ذكر احوال سيدي الوالد . الصافية موارد بزه للصادر والوارد .
ناصر الدين . امير الغزاة والمجاهدين

اذا قيل سميه اقول مكنيا * هو الغاية القصوى هو الاية الكبرى
فكنت اخبرهم عما وقع له من الوقائع الجسيمة . والحروب الهائلة العظيمة . التي
عرف بين الناس قدرها . واشتهر على الالسنه ذكرها .

وسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت هبوب الريح في البر والبحر
وكثيراً ما كنت احدهم عنها بما يستغرب ويستبدع . ويحفظ في خزانه النفوس
ويستودع . مما يرقص الجماد منه طرباً . ويقضي السامع من غرائبه عجباً . فيشنفون
بذلك مسامعهم . ويعطرون به محافلهم ومجامعهم . يرتاحون اليه ارتياح الكريم الى
الوفود . ويتعطشون اليه تعطش الصادي الى الورود . ويودون تدوينه في كتاب .
ليبقى ثابتاً مدى الازمان والاحقاب . يبالغه الشاهد للغائب . ويسير ذكره في المشارق
والمغارب . فيتلقاه بحسن القبول من كان الادب مطمح نظره . ويرويهِ رواية الحديث
الصحيح من رام ان يقبض قبضة من اثره . فيجعله لصحائف الشمائل عنواناً . ويرتب
له في عجائب المآثر ديواناً . لانه من اهم ما تتعلق الهمم العلية بجمعه وتاليه .
وانفس ما نتعشق النفوس الزكية حسن تدوينه وتصنيفه . فخرضوني على القيام بهذا
المندوب . والتصدي لامعان النظر فيه حسب المطلوب . وقالوا لا يخفى ان تحرير
احوال الاكابر . وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر . لمن سنة الكرام التي مضى عليها
عمالهم . وطريقة اهل العرفان التي نيط بها امالمهم . لاسينا هذا الامير الشهير . والسيد
الجليل الخطير . من نحت بثنائه العاطر . السنة اعظم الاكابر . وتشتفت اسماع الوري

في سائر الاطراف . بحسن سيرته وما حازه من بديع الاوصاف . وتمهات اخباره
 كافة الدول . تهادي لذيد الكرى للمقل . حيث اشبه من السلف عمر بن
 عبدالعزيز في زهده ورشاده . ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته
 وجهاده . وحكي الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر . بل الاخرى ان يقال . كان
 لجدته الكرار مثال . في الجمع بين الاضداد . واحرز مناقب العلماء والامراء والابطال
 والعباد . وهو الجدير بان تنشر احاديثه وتححر . وتنتلي آياته مدى الدهر وتكرر . بل
 حري بان ترقم بالتبر جميع احواله واموره . وتضبط وقائع ايامه واعوامه وشهوره .
 فقلت لعمرى قد اصبت فيما ذكرتم . وحق ان تجابوا الى ما به اشرت . ولكن اين
 الطرق والاسباب . الموصلة لفتح هذا الباب . فلم يقبلوا مني عذراً . بل كرروا ذلك
 على المرة بعد الاخرى . وقالوا لا يعزب عنك شيء من ظاهر حاله وخافيه . فانك ابنه
 ومحل سره ورب البيت ادرى بما فيه . فقلت لقد حملتموني شيئاً ادّاً . وكفتموني
 احصاء نجوم السماء عدّاً . فان حال هذا الامير لا تنفي به عبارتي . ولا تحيط ببعض
 معانيه اشارتي .

وماذا عسى بالوصف يبلغ مقولي * ولو مدت الاقلام من مدد البحر
 ويكفيه ان الخضم الالد . تكلم فيه بلسان اخل الأود . بل صار كالمثل
 السائر . وخذ في بطون الصحف والدفاتر * حكي مسيو اسكندر بالمار في تاريخه عن
 المارشال سوليت الفرنساوي انه قال لبعض اصحابه سنة الف وثمانمائة واربعين
 لا يوجد الآن احد في العالم يستحق ان يلقب بالاكبر الا ثلاثة اشخاص كلهم
 مسلمون وهم الامير عبد القادر ومحمد علي باشا والشيخ شامل .

ومليحة شهدت لها ضرائها * والفضل ما شهدت به الاعداء
 وحيث لم اجد بدءاً عن اجابتهم . ولا مندوحة عن اطاعتهم . استخرت الله تعالى
 وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد . لجمع ما استعين به من المواد . فجلبت تواريخ
 وقائعه المدونة باللغة الافرنجية . وتكلفت ترجمتها الى العربية . وبعد مطالعتها وامعان
 النظر فيها وجدت بعض موءلفيها قد اصاب . والبعض اخطاء جادة الصواب . وحافظ
 فريق على انتصارات قومه . ونسي الاخر احوال امسه وذكر وقائع يومه . قال لوليس
 فاليوت كاتب اسرار المارشال بيجو في تاريخه المسمى الفرنساويين في الجزائر كانت قواد
 الجيش تححر لوزارتها . خلاف ما كانت تحمره كتاب الجرائد لادارتها . فلذا

وضعت الاخبار في ميزان واحد . وجعلت الحكم العدل فيها شهادة سيدي الوالد .
 فانه رب تلك المشاهد . ولا يستوي الغائب والشاهد . وقد استخرجت من آثار
 مولاي خبراً يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى . ويتعطر بعبير نشره العاطر كل مغني .
 ولما رايت افاضل الوقت متشوقين الى اخبار بلاد الجزائر وما فيها . متشوفين الى من
 يدلهم على جلي احوالها وخافئها . ظهر لي ان اذكر في المقدمة جملة كافية من جغرافية
 المغرب لاسيما المغرب الاوسط الذي هو موطن اسلافي . ومألف آلافي . وابين ما
 اشتهر فيه من المدن والامصار . والجبال والانهار . ثم اذكر طرفاً من اخبار المبدأ اساساً
 لما اثبتته . وتمهيداً لتفصيل ما اجملته . واذكر ما سلف في اقسامه الثلاثة من الدول .
 ومن عمرها من الامم الاول . وما جرى فيها من عظام الحروب . وتعاورها من
 غرائب النواب والخطوب . واختصر ذلك على وجه يستحسنه السامع . ويبتهج به المطالع .
 ولما فرغت من ترتيبه . وامعنت النظر في تحريره وتهذيبه . حصرته في قسمين الاول
 في سيرته السيفية . والثاني في سيرته العلمية وسميته * تحفة الزائر في مآثر الامير عبد
 القادر واخبار الجزائر * فسقط عليه يد من لا بارك الله باصله ونسله . وسرقته عمداً
 من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده . في نفسه وماله وولده . ثم شممت
 عن ساعد الاجتهاد . لجمع ما تفرق من المواد . بعد ان فقد منها الاكثر . وبقي
 من المسودة ما لا يذكر . فجاء مطابقاً للاصل . وخاب من الحاسد والمنة لله الامل

* المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب *

قد تقرر عند علماء هذا الفن ان حدود قارة افريقية غرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً
 بحر الهند وبرزخ باب المندب والبحر الاحمر وبرزخ السويس وشمالاً البحر الابيض
 واما حدود افريقية الشمالية مع المغرب فغرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً ارض النوبة وبلاد
 مصر ومن الجنوب صحراء نيسروهي متصلة من المغرب الى المشرق ذات مفاوز يسلكها تجار
 المغرب الى السودان الغربي وفيها مجالات لقبائل الملثمين وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً
 ارض فازان ويلي صحراء نيسر الى جهة الشمال منها العرق الممتد من اولها الى آخرها
 وفي جهة المشرق منه بلاد السودان الشرقي ويمجدها شمالاً البحر الابيض وفي الجزء من
 حدها الغربي الى جهة الجنوب جبل درن معترضاً في المغرب كله من غربيه عند البحر
 المحيط الى انتهائه شرقاً وفي القطعة الغربية التي بالقرب منه وعلى البحر المحيط رباط
 ماسا ويتصل به بلاد سوس وعلى سمتها شرقاً لجهة الجنوب بلاد درعة ثم بلاد سجلماسا ثم

قطعة من صحراء نيسر وفي آخرها مواطن زناتة ثم ان جبل درن من جهة الغرب مطل
 على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش واغمت وتادلا
 وعلى البحر المحيط منها مدينة الرباط وسلا والعرايش وفي الجوف من بلاد مراکش
 بلاد فاس ومكناس وتازا وقصر كتامة وقد كانت في عرف اهلها تسمى بالمغرب
 الاقصى وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وتسمى الواسطة وتعرف
 الآن ببلاد الجزائر وقاعدتها قديماً مدينة تلمسان واما الآن فمدينة الجزائر وفي سواحل
 هذه البلاد على البحر الرومي مدينة وهران ومستغانم وتنس وشرشال والشوبك والجزائر
 وفي شرقي بلاد الجزائر مدينة بجاية ثم قسنطينة في الشرق منها وفي الجنوب منها بلد
 مسيلة ثم بلاد الزاب وقاعدتها قديماً بسكرة وهي تحت جبل آوراس المتصل بجبل درن
 الذاهب في افريقية الشمالية غرباً وشرقاً. وينقسم الى قطعتين جنوبية وجنوبية فالقطعة
 الجنوبية غربها كله مفاوز وفي الشرق منها بلاد غدامس وفي سمتها شرقاً بلاد فازان
 واما القطعة الجوفية في غربها تبسه وعلى ساحل البحر بونته وهي عنابه وفي سمت
 هذه البلاد شرقاً بلاد افريقية في عرف مؤرخي الاسلام فعلى الساحل مدينة تونس
 ثم سوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن من جهة الشرق بلاد
 الجريد وتوزر وقفصه ونقزاه وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وعلى سمت
 هذه البلاد كلها بلاد طرابلس على البحر وبارائها في الجنوب جبل دمر ومنازل قبائل
 هواره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس في القطعة الجنوبية بلدة صغيرة تعرف
 بسويقة ابن مشكور وفي جنوبها ارض فازان ثم رمال وقفار وبين الجبل والبحر
 في الجهة الغربية بلاد جدابية ثم برقة ثم منعطف الجبل ثم طلسا وهي بلدة صغيرة
 على البحر واعلم ان المغرب في عرف قدماء الجغرافيين قطر واحد يحده غرباً البحر
 المحيط وبسميه المتأخرون الاقيانيوس الاتلانتيكي وشمالاً البحر الرومي يخرج من
 خليج متضايق بين طنجة وطريف من بلاد الاندلس وجنوباً جبال هائلة حاجزة
 بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند اهل البادية بالعرق وهو سياج على المغرب
 من جهة الجنوب مبتدئاً من البحر المحيط ذاهباً الى جهة الشرق على سمت واحد
 الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى ارض مصر وبه ينقطع والمغرب ايضاً سياج
 آخر من الجبال مما يلي التلول تعرف بالاطلس وهي تخوم تلك التلول ممتدة من لدن
 البحر المحيط في المغرب الى بلاد برقة شرقاً وهنالك ينقطع ويسمى مبدؤها من المغرب

جبال درن وفي غيره من المواطن تسمى باسماء متعددة عند ساكنيها وما بين هذه الجبال المحيطة بالنول وبين العرق المذكور بسائط وقفار واما من جهة الشرق فالبحر الاحمر الى بلد السويس فيدخل اقليم مصر واطليم برقة في الحد وعليه فالغرب جزيرة احاطت بها البحار من الجهات الثلاث . واما على اصطلاح المتأخرين الذين قسموا الارض الى قارات احداها قارة افريقية فجميعها جزيرة وقد تم ذلك باتصال البحرين بفتح خليج السويس وهذا آخر المغرب عندهم شرقاً والمعول عليه في هذا الزمان والعرف الجاري بين سكان اقسام المغرب الثلاثة لا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة وانما يختص بطرابلس وما وراها الى جهة المغرب اما المغرب الاقصى فهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق الى مدينة آسفي حاضرة البحر المحيط من سوس الاقصى غرباً ويحيط به البحر المحيط من غربيه والرومي من شماليه والجبال المتصاعدة المتكاثفة مثل درن من جهة الجنوب وجبال تازا من جهة الشرق وقاعدته لهذا العهد مدينة فاس واما المغرب الاوسط فهو ما بين وادي ملوية غرباً الى مدينة بجاية شرقاً وقاعدته تلمسان واما المغرب الادنى ويعرف بافريقية فهو من بجاية الى طرابلس شرقاً وكانت قاعدته الى اواسط المائة الخامسة من الهجرة مدينة القيروان ولما تغابت العرب على افريقية احاط بها الخراب فصارت قاعدتها ودار ملكها الى هذا العهد بلدة تونس واما برقة فقد انقضت امرها ودرست امصارها وغدت منازل للعرب بعد ان كانت دار ملك لوائته وهو اورد وغيرهم من البربر وكانت بها الامصار الواسعة مثل لبدو وزويله وبرقه وقصر حسان وسرت واجدايه وغيرها فعادت خالية بعد ان كانت آهلة والى الله ترجع الامور . واعلم ان عدد سكان المغرب باقسامه الثلاثة مجهول لعدم اعتناء ملوكه بضبط النفوس وقد ذكر بعض المؤرخين من اهل العصر ان المغرب يشتمل على عشرين مليوناً من النفوس وجل سكانه باقسامه لهذا العهد اسلام وقليل من الموسو بين ولم يكن للمسيحيين والموسو بين فيه قديماً يعدد يعتبر اما الآن فقد كثر عدد الافرنج منهم في المغرب الاوسط بعد استيلاء الفرنسيس عليه في مراسي المغرب الاقصى وافريقية ودخلوه الموسويون لما اخرجتهم اسبانيا والبورغال من مملكتيهما فقصدهم نحو مائة الف تنس الى المغرب الاقصى وخمسين الفاً لبقية بلاد المغرب ولذا يوجد عددهم في المغرب الاقصى اكثر منه في الاوسط والادنى * ذكر حدود بلاد الجزائر ومساحتها وما اشتهر فيها من المدن والجبال والانهار ونباتاتها وثمارها وصناعاتها وما يوجد فيها من الحيوانات والمعادن *

اعلم ان حدود داخلية المغرب وبسيطة لم تنضبط في القديم ولم تثبت زماناً يعتد به لتوالي الفتن فيها بين ملوكه فتارة تدخل كلها تحت سلطة دولة واحدة وتارة تنقسم الى دوائر وايات متعددة فتتداخل مرة وتتميز اخرى ولم يزل الامر على ذلك قبل الاسلام وبعده الى ان استولى العلويون على المغرب الاقصى واستقرت دولتهم فيه الى هذا العهد واستولت الدولة العلية على الاوسط والادنى فاحدثوا حينئذ حدوداً اصطليحاً عليها واستمرت معتبرة ثابتة الى الآن فاما حدود المغرب الاوسط والادنى من جهة الغرب فمن وادي عطية آخر بلاد مسيرده الحاجزين ارضهم وارض بني خالد بطن من بني يزناسن ثم يميل الى جهة الشرق على مناصب كيس في اطراف ارض انكاد الى آخر جبل مديونه قبلة وجده ويحدها شرقاً ارض برقة كما تقدم ثم لما انفصلت مملكة الجزائر من مملكة تونس في هذين الغريين صار جبل القالة ونهر صراط بفتح الصاد وتشديد الراء تخوماً للمكتين وبهذا الاعتبار نقص من المغرب الاوسط من جهة الغرب من تخوم وجده الى وادي ملويه ومن بجاية الى جبل القالة واضيف ما نقص من الادنى الى ما بقي من المغرب الاوسط فصار مملكة مستقلة متميزة بحدود ثابتة معتبرة الى هذا العهد وسميت بالجزائر التي هي قاعدتها ومركزها كما العمام الذي بيده زمام امورها ويحدها هذه البلاد كلها من جهة الشمال ببحر الروم المحيط بشطوطها من مصب وادي عجرود فيه من وراء بلاد مسيرده غرباً الى القالة شرقاً عند انتهائه في البحر ومن جهة الجنوب العرق المحيط بالتلول المنقدم ذكره وفيما بينه وبين التلول قصور كثيرة ومجالات لطواعن العرب والبربر الخاضعين لاحكام الدولة الدائنين بطاعتها من قرب قصورتوات غرباً الى بلاد الجريد شرقاً ولم تنزل هذه الحدود مقررة على هذا الوجه الى الآن واما مساحتها فقد ذكر بعض المؤرخين ممن ينتحل علم الجغرافية ان وضع بلاد الجزائر محصور بين ثمان درجات وثلاثين دقيقة طولاً شرقياً ودرجة واحدة وثلاثين دقيقة طولاً غربياً من معدل النهار على اصطلاحهم وقال بعض مؤرخي فرنسا وبين ان وضعها محصور بين ثلاثة ونصف وسبعة وثلاثين للطول وستة للعرض الشرقي واربعة للعرض الغربي قياساً على دائرة نصف النهار في باريس ثم قال فمن ثم تكون بلاد الجزائر مشتملة على خمس درجات من الشمال الى الجنوب وعلى عشر درجات من الشرق الى الغرب وقال غيره من الافرنج طولها من الغرب الى الشرق الفان وستائة ميل وعرضها في بعض الاماكن

خمسمائة وخمسون ميلاً وفي بعضها مائة واربعون ميلاً وذكر بعضهم ان سطح
 ارضها بمقدار تسعة وثلاثين مليوناً وتسعين الف هكتار كل هكتار مائة متر مربع
 وقال آخر ثلاثمائة الف وتسعون الف كيلو متر كل كيلو متر الف ذراع وكل ما
 ذكر على سبيل التقريب والا فبلاد الجزائر واسعة . واقطارها شاسعة ومن مدنها
 الشبيبة الجزائر وهي مدينة على ساحل البحر اختطها بلكين بضم الباء الموحدة واللام
 وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة التحتية بعدها نون ابن زيري الصنهاجي بكسر
 الزاي وسكون الياء المثناة التحتية وكسر الراء بعدها ياء تحتية وكان يتردد اليها من منازل
 بالمسيلة ونزلها بنوه من بعده ثم اختصت ببني مزغنان بطن من صنهاجة وبهم اشتهرت
 وفي القاموس جزائر بني مزغنان بلدة بالغرب ثم اطلق اسم الجزائر على سائر بلاد
 المغرب الاوسط ولما عقد اسماعيل المنصور العبيدي لزييري ابن مناد الصنهاجي سنة
 خمس وثلاثين وثلاثمائة على بلاد تاهرت وبلاد شلب عين ولده بلكين لولاية الجزائر
 وغيرها فاستوطنها واهتم بشأنها واجتهد في عمرانها فاخذت في الحضارة والتمدن
 حتى اشتهرت وطار ذكرها في الآفاق وتناغى الملوك بالاستيلاء عليها جيلاً بعد
 جيل الى ان صارت قاعدة ملك البلاد وتنوسى امر تلمسان وبنو زيان واستولى عليها
 الموحدون سنة ثمانين واربعائة وفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة دخلت في حوزة
 بني حنص ملوك افريقية ثم صارت لبني زيان ولم تزل وطناً لبني مزغنان خلفا
 عن سلف الى ان استولى عليها الاسبانيول سنة ست عشرة وتسعمائة واشتدّت
 وطائهُ على المسلمين وكان عروج المعروف بيارب روس الاول قد استنفل امره
 واخذ جيغل احدى مراسي تونس من يداهل جنيوا من ايتاليا فبعث اليه سالم
 ابن تومي الصنهاجي امير بني مزغنان صريحاً في كشف بلواه فلباه ودخل الجزائر
 من جهة البحر والنحجر الاسبانيول في حصنهم المعروف ببرج النار وضيق عليهم
 ثم اقتحم الحصن بجيوشه واستلحدهم عن اخرهم وتم استيلاؤه على الجزائر وقام فيها
 يخنبر احوالها ويتفرى مسالكها وظهر منه لسالم بن تومي وقومه ما لم يكن في حسابهم
 فلحقهم الندم واظلم الجو بينهم وبين عروج فقبض على سالم وقتله وتم له الامر وكان
 هذا اول قدم للدولة العلية في المغرب الاوسط وتونس وسيأتي بيان ذلك ان
 شاء الله تعالى ولسيدي الجد لوالدي سيدي علي ابي طالب رحمه الله في وصفها
 لما مر عليها قاصداً الحجاز قوله

عليك الجزائر عج نحوها * وداوي بطيب شذاها العلل
 وشاهد قصوراً شيدت بها * وامكنة نزهة للقلل
 فكم من علوم منوعة * يضع نشرها بالدروس فسل
 وكم مشكلات ازال الغطا * فحول بهم سار ضرب المثل
 وكم فاضل قد حوته وكم * همام يصول وفرد وصل
 وكم بددوا شمل جمع كفو * ربييض المواضي وسمر الاسل
 وجيش كمي وصخب الجيا * د وحزم وعزم يقدر القلل
 اضاقوا البلاد بجلب العدا * اسارے وغص الفضا والجبل
 وكم من حصون اعدت بها * لدفع عدو دغى فانجدل
 فسرقاصداً بلدة قد ثوى * بها الفضل حقاً ونيل الامل
 تفاخر مصر وفاسا بها * وتونس ذات البها والحلل
 فيارب صنفا من المزعجات * ومن كل شر وضر نزل
 وابق علوماً وثقوى بها * لجبل فجبل الى المنقل
 يجاه النبي الرسول الى * الخلائق حتي الهداة الاول
 عليه صلاة من الله ما * تألق برق وودق هطل

ومنها تلسان وهي مدينة قديمة اختطها ملوك بني يفرن من زناته واتخذوها دار
 ملكهم عند ما عمرووا المغرب الاوسط واستولوا عليه ثم جاء الاسلام وهي دار ملكهم
 وهم الذين سموها تلسان وهي بلغتهم مركبة من كلمتين تلم وسان ومعناها ما تجتمع
 اثنين اي البر والبحر ولم تنزل على ما كانت عليه الى ان نازلها عبد المؤمن بن
 علي امير الموحدين سنة اربعين وستمائة فخر بها بعد ان قتل جيشه عامة اهلها ثم
 نذب الناس الى عمرانها واصلاح ما انظم من اسوارها ثم جعل ولايتها لاولاده فصرفوا
 همتهم في اعمارها واتخذوا الصروح والقصور بها واحتفلوا في مقاصد الملك ولوازمه
 وكان من اشد هم اهتماماً بذلك واوسعهم فيه نظراً ابو عمران موسى بن يوسف بن
 عبد المؤمن وامتدت ايام ولايته فيها فشيده ببناءها ووسع خطتها ثم وليها من بعده
 ابن عمه ابو الحسن ابن ابي حفص ابن عبد المؤمن ولم يزل عمرانها يتزايد وخطتها
 تتسع الى ان نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملكهم فاخذوا بها الربوع البديعة
 والقصور المشيدة الرفيعة . وغرسوا فيها الرياض الموثقة . واجروا خلالها الانهار المتدفقة .

فاصبحت من اعظم امصار المغرب الاوسط ورحلت اليها الناس من القاصية ونفقت
فيها اسواق العلوم والبضائع ونشأ بها العلماء العظام . واشتهر فيها الافاضل الاعلام .
وضاقت امصار الدول الاسلامية . والقواعد الملكية . ومدحها الشعراء . وافاضل
العلماء ويغني عن الاسهاب في وصفها ما ذكره المقرئ في نفع الطيب والله در عالمها
الجليل الامام ابن مرزوق حيث يقول فيها .

بلد الجداو ما امر نواها * كلف الفؤاد بحبها وهوها
ياعاذلي كن عاذري في حبها * يكفيك منها ماؤها وهوها

ومرَّ ابن مرزوق على مصر في سفره الى الحج فسأله بعض من اجتمع عليه من علماءها
عن بلده قال له تلمسان فقال عجبت قال ابن مرزوق والله ما اكلته قط فتعجب
العالم من علمه وذكائه وسرعة جوابه لان تلمسان مشهورة بكثرة الزيتون وجودته
وهو يورث البلادة ومن مدنها القديمة وهران بفتح الواو وسكون الهاء وراء نهج
بعدها الف ونون وهي على ساحل البحر اختطها ملوك مغراوه قبل الاسلام وامتد
بها العمران ولم تنزل على ذلك الى ان ظهرت الشيعة وملك عبد الله الملقب بالمهدي
مدينة تاهرت وولي عليها دؤاس بن صولان الكشامي فاوعز الى البربر بحصارها
فدخلوا اهلها من بني مسكين في ذلك فاجابوهم ونازلوها وفرَّ صاحبها من قبل
بني أمية ملوك الاندلس محمد بن عون الى دؤاس صاحب تاهرت فدخل
البربر وهران واستباحوها ثم اضرموها نارا وفي السنة السابعة والتسعين اعاد
بناءها دؤاس احسن ما كان واعاد اليها محمد بن عون وكانت امراء تلمسان
لذلك العهد بنوا احمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل الادريسي
رضي الله عنه وانتدب الناس الى سكنى وهران فاتسعت خطتها وامتد عمرانها وصارت
وار علم وتجارة ونشأ فيها العلماء والادباء والتجار وقصدها الناس من الجهات
الثمانية وفي القرن الرابع بنى جامعها الكبير ابو بلكين ابن زيري من ملوك صنهاجة ولم
تنزل على ذلك الى ان استولى عليها الاسبانيول سنة خمس عشرة وتسعمائة وانتزعوها
من يد قلموس آخر بني زيان وسياتي بيان ذلك في محله ان شاء الله ومنها مدينة
مستغانم وهي بلدة عظيمة على البحر بينها وبين وهران يوم للمجدد ومنها لمدينة
بفتح اللام وسكون الميم وتعرف الآن بالمدينة بزيادة همزة الوصل وسكون اللام اصلها
لقبيلة من صنهاجة لمدينة اختطها ابو بلكين ابن زيري في القرن الرابع من الهجرة

وهي مدينة عظيمة مشهورة ومنها بجايه وهي لبني حماد اصحاب القلعة المعروفة بهم في جبل كتامه وهم من صنهجة اختطها الناصر بن علناس بن حماد سنة احدى وستين واربعائة وسماها الناصرية ولم تشتهر بين الناس الا باسم بجايه وبعد ان اتم عمارتها واحتفل في لوازم الملك فيها انتقل اليها من القلعة دار ملك اسلافه وسكنها ونقل الناس اليها وبني بها قصر اللؤلؤة ذكر المؤرخون انه كان من اعجب قصور الدنيا وفي ايامه استفحل ملك بني حماد وشفوفه على ملك بني باديس اخوانهم بالمهدية فبني المباني الوسيمة وشيد المدائن العظيمة ثم توفي سنة ثلاث وستين واربعائة وكانت ولايته في سنة اربع وخمسين واربعائة وتعرف قلعته لهذا العهد بقلعة بني عباس ومنها قسنطينة بضم القاف وفتح السين وسكون النون وكسر الطاء بعدها ياء ساكنة ونون مفتوحة واخرها تاء التانيث اصلها لقبائل كتامة وقد دخلها الفتيقيون ملوك الشام من كولونيه لما خرجوا الى افريقية من صور سنة ثمانمائة وست وثمانين قبل المسيح عليه السلام واسمها في القديم سبرتا وكانت عاصمة ادربال النويدي سنة اربعائة وثمان وعشرين بعد المسيح عليه السلام واستولى عليها وعلى تلك النواحي الوندالي من اسبانيا ولم يزل ملكهم فيها الى ان استولى عليها المسلمون ومنها شرشال وهي على ساحل البحر بناها جو با الروماني وسماها سيزاره قيصرية وكانت عاصمته وبني بها القصور الجميلة واثارها تدل على انها كانت مدينة عظيمة الشأن ومنها مديانه اختطها ابو بلكين بن زيري في القرن الرابع من الهجرة وكانت لملوك مغراوه من بطون زناته وبنو منديل منهم من الطبقة الثانية هم الذين اختطوا قرية مازونه وذنت مراسي تلك الناحية اعني شرشال وبرشك ونس تابعة لهم بعد ان كانت لملوك صنهجة وكانت دار ملكهم مدينة اشير في سفح جبل تيطرى المشهور وهي قاعدة بلاد شب اختطها زيري بن مناد من الطبقة الاولى من البربر في حدود الاربعين وثلاثمائة بامر المنصور اسماعيل العبيدي واتسعت بعد ذلك خطتها وتتابع عمرانها ورحل اليها العلماء والتجار من القاصية ثم خربت ودرست ولم يبق لهذا العهد الا طول ديارها ورسوم اثارها والبقاء لله تعالى ومنها تاهرت وهي في سفح جبل كزول على وادي مينا اختطها عبدالرحمن بن رستم الفارسي الاباضي سنة اربع واربعين ومائة واصله من ولد رستم امير الفرس بالقادسية وكان من مسلمة الفتح قدم مع طلائع المسلمين ودان بدين الخارجية والاباضية منهم ثم لما بلغ المنصور العباسي خبر فتنه البربر واضطراب الخوارج منهم

بافريقية والمغرب سرح محمد بن الاشعث الخزاعي في العساكر الى افريقية فقدمها سنة اربع واربعين ومائة واثخن في الخوارج وقتل رئيسهم ابا الخطاب وطار الخبر الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته في القيروان فاحتمل اهله ولحق باباضية المغرب الاوسط ونزل على لمايه من بطون البربر البتر لخلق قديم بينه وبينهم فبايعوه على الخلافة وشرعوا في بناء تاهرت فاسسها عبد الرحمن المذكور وتمدنت واتسعت خطتها الى ان هلك وولي ابنه عبد الوهاب من بعده ولم يزل الملك في بني رستم بتاهرت الى ان استولى عبدالله الشيعي على افريقية والمغرب سنة ست وسبعين ومائتين فغلبهم عليها وتنابت عليها ولاة الشيعة فمن بعدهم ولم تنزل آهلة معمورة بقبيلة قلماية الى ان غلبهم عليها ابن غانية المتونى المرابطي وخربها في آخر سنة عشرين وستمائة وعنا رسمها وانقرض اهلها وبقيت فرق منهم متشتتين في القبائل ومنهم جربة وسميت بهم الجزيرة المشهورة تجاه ساحل قابس من اعمال تونس ولم يزالوا على الخارجية لهذا العهد ولم تنزل تاهرت على خرابها الى ان بنى الفرنسيس محلها او قريبا منها بلدة سناها تيارت ومنها معسكر اصلها لبني زيان ملوك تلمسان اتخذوها لاقامة عسكرهم في تخوم بلادهم لوقايتها من اجلاب بني توجين ومغراوه اعداؤهم خلفا عن سلف وكان بناؤها من اخصاص الى ان استولت الدولة العلية على مدينة الجزائر وتقدمت حكامها في داخلية البلاد غربا وشرقا حتى وصلوا الى هذه البلدة الاخصافية واعجبهم محلهم شرعوا في بنائها بالحجارة ووسعوا خطتها وتائقوا في تشييد دورها على نحو دور الجزائر واطلقوا عليها اسمها القديم الذي كانت تعرف به قبلهم وجعلوها مركزا لحاكم تلك النواحي وكانوا يواصلون الغارات منها على سائر الجهات وينتخون البلاد الى ان وصلوا الى بسيط انكاد قرب مدينة وجده ووضعوا الحدود هناك بينهم وبين ملوك المغرب الاقصى كما تقدم واعظمهم اهمتاما بعمران مدينة معسكر الباي محمد بن عثمان الكردي الايوبي وكانت ولايته على اياتها عام ثلاث وتسعين ومائة والفي فيها من المساجد والحمامات والآثار العظيمة واجرى اليها المياه وادار عليها السور المشهور بالانقان والاحكام وقد خرب هذا السور الفرنسي في ايام الباي المذكور اشتهرت هذه المدينة وارتحل اليها التجار والعلماء ونشأ بها طائفة من الافاضل ومن اشهر علمائها من اسلافنا الجد الرابع سيدي السيد احمد المختار وابن ابنه الجد الثاني سيدي السيد مصطفى ومن علمائها السيد محمد بن عبدالله الجلالى والسيد طاهر بن حوا الكبير وولده السيد محمد والعلامة الشيخ المشرفي

وغيرهم وقد اتخذ سيدي الوالد هذه المدينة اولاً دار امارته ثم انتقل الى مليانه
 ثم اختط تاكدت واصلها قرية لبني توجين قريبة من تاهرت قد خربت فبني
 فيها دوراً ومعامل للمسكوكات والسلاح وحشد الناس الى عمارتها ولم يلتفت الى
 تشييد القصور وتوسيع المنازل والدور لصفه الهمة الى المدافعة عن وطنه وملته
 وتقويم الزائعين من رعيته واصطناع الابطال واصطفاء الرجال واتخاذ معامل السلاح
 ولوازم القراع والكفاح لالذة له الا في التحام الكتائب واقتحام الملاحم بالقواضب
 ومنها بونه على ساحل البحر وتعرف لهذا العهد بعناية لكثرة شجر العناب فيها وهي
 مدينة صغيرة مما اختطه البربر من المدن وكانت قديماً من اعمال افريقية وفي ايام
 خير الدين بارب روس ضمت الى اعمال الجزائر ولم تنزل تابعة لقسنطينة من ابتداء
 دخول الدولة العلية الى هذا العهد ومنها بسكرة وتعرف بسكرة النخيل فيها وتبسه
 والمسيلة بناها المهدي بن تومرت وسماها بالمحمديه ولم تنزل معمورة الى الآن غير
 انها عارية عن احوال الحضارة والتمدن وكلها داخلية في حكم قسنطينة وقد احدث
 الفرنسيين في داخلية البلاد واطرفها وسواحلها مدناً وقرى كثيرة واما جبالها ففي الخط
 الجنوبي منها مما يلي الصحراء سلسلة وتعرف لهذا العهد بالاطلس وهي آخذة في
 طول البلاد من المغرب الى المشرق وابتدأؤها من آخر بلاد سوس الاقصى عند
 البحر المحيط فانقسمت بها البلاد الى منطقتين شمالية وتسمى التل وجنوبية وتسمى
 الصحراء وزاد بعض الجغرافيين ثالثة سماها المنطقة البحرية يعني السواحل وعلى
 خطها جبال كثيرة متكاثفة لما اقتضاه التكوين من ممانعة البحار بها وفي وسط
 التل جبال كثيرة يطول ذكرها اشهرها جبل بني سنوس غربي تلسان لجهة الجنوب
 منها وجبال زيدون وتاساله في وطن بني عامر وجبل تنيرد مما يلي الصحراء وجبل
 اكهر شرقي وهران وجبل كرسوط غربي غريس وجبل اوسيلاس فوق مدينة
 افكان شمالي غريس وهي خراب الآن وجبل المناور في شرقيه ونسقط ولاسلافنا فيه
 مزارع كثيرة وفي الجهة القبيلية من البلاد جبل كزول وجبل وانشريس وجبال
 الجهة الشرقية منها جبل العطاف وجبل مليانه وجبل تيطري وجبال زواوه واعلاه جبل
 جرجره وهذه الجبال تتصل عند انتهائها شرقاً وتصير سلسلة فتمر مشرقة على سيف
 البحر في سواحلها اساكل دلس وبيجل والنقل وجبل ويشاوه شرقي سكيكده وتعرف
 عند الافرنج بنليل ثم جبل اودغ وهو شانخيطل من جهة الغرب على عنابه وجبل

بني صالح وفي الجنوب من هذه الجبال جبل اوراس وكل هذه الجبال منبثة تحتوي على احراش من الاشجار مختلفة الانواع والاجناس واما انهارها وجداولها فكثيرة لا يأتي عليها الحصر ومن اشهرها واكبرها في الجهة الغربية نهر تافتنا يمر في شمال بلاد الغسل وفيما بين تراه وولهاصه ويصب في البحر الرومي في ساحلهم ونهر المقطع ونهر سيك في بلاد الغرابه ويصب قرب قرية بطيوه ونهر مكره وعليه مدينة بلعباس التي احدها الفرنسيس ونهر وادي الحمام وعليه بلدتنا التي اختطها اسلافنا ولم تنزل معمورة الى ان اضرها الفرنسيس نارا وخرب رسومها وفي الجهة الشرقية من البلاد السيبوس ينتهي الى البحر الرومي قرب عنابه ونهر بوجيمه ونهر بني ملكي ومصبها في البحر ايضا قرب سكيكده ونهر بوبرك ونهر الهرش ونهر تطرغان ونهر شلف وهو نهر كبير يمر في معظم ارض المغرب الاوسط منبعه من بلاد بني راشد في جنوبي وادي مزاب من الصحراء ويدخل الى الممتل ثم يمر مغربا ويجتمع فيه اودية كثيرة كوادي مينه ووادي ارهيو ووادي يبل بتشديد اللام الى ان ينصب في البحر بين كلمه ومستغانم واما بحيراتها فاشهرها بحيرة الحوت في ولاية قسنطينه وبحيرة الوطا في ولاية الجزائر وبحيرة السبخه في ولاية وهران ينعقد ماؤها ملحا واغلبه يستهلك بتلك الولاية منها واشهر بحيرات الصحرا بحيرة زاعق في ارض اولاد نائل وبحيرة شوط وبحيرة شكا واما اشجارها وانواع فواكها وحبوبها ونباتاتها فكثيرة جدا وبالجملة فبلاد الجزائر كريمة البقعة طيبة التربة نخبة الجبال والبسائط منبجسة العيون والانهار متصلة مادة الخيرات وفيها من انواع الفواكه البورثقال والتفاح واللوز والجوز والموز والعنب والشمس والانجاص والليمون بانواعه والزنبوع وهو الفرسكين والاترج والفسقى والزيتون والعناب والخرنوب والبلوط الحلو المعروف بابي فروه والصنوبر البري الا انه صغير اسود يعرف في بلاد المغرب بالزنين بتفخيم الزاي وتشديدها والمزاح وهو المشمله والتوت المعروف بالشامي وقصب السكر واللنج وحب الملوك وهو الكرز ويخرج في جبل هواره المعروف بجبل بني شقران التين الشقراني وقل ان يوجد له نظير يجلب منه كثير الى اقطار المغرب ونوع منه يسمى الباكور ينضج في آخر الربيع وفيها شجر البطم وهو شجر ضخم كبير وسمغه كحصى اللبان رائحة وطعمها وفيها الشجر الذي يستعمل منه الفلين وشجر الزرو وسمغه يشبه المصطكي لونا وطعمها وريحا وينزل المن من السماء على شجر البلوط فيجدهه الناس بعد انجماده ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الثابت الذي لا تفوقه حمرة ولا يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من ادوات الصبغ ويسمونه القرمز ويعرف في بلاد المشرق بالدوده

يجلبه اليها التجار من بلاد المغرب والاندلس وفي صحرائها انواع اثمار النخل فمنها الحر الذي لا يوجد لثمره نظير الا في بلاد الجريد من بلاد تونس وذلك لقوة حلاوته وحسن لونه وضحامته ومنها ما يقال له تينهود وعزته لا يجلب الا لبلاد فاس وبلاد المغرب الاوسط اخبرني والذي انه لم ير مثله في الحجاز ولا في العراق ولم يذق لذة فاكهة تشبهه طعماً ونكهة منذ فارق الوطن ومن زروعها الخنطة والشعير والحمص والعدس والفول والارز والذره والدخن وانواع البقول والنباتات ذات الخواص لكثير من الامراض وعلى الاجمال محاسنها لا تستوفى بعبارة . فمأرا كمن سمعا . واما معادنها فالذهب والفضة والاماس والحديد والنحاس والرصاص والزرنيخ والخليدون وهو نوع من العقيق الجيد وتجر البلور هذا ما اكتشفه اصحاب الصنائع والاستخراجات من الافرنج واما صنائعها فاجود ما يتنافس فيه اهلها ويفتخرون به صناعة السلاح بانواعه على الشكل القديم ولهم اعتناء كبير باستخراج جوهر الحديد والفولاذ ومن نفيس مصنوعاتهم نسج اقمشة الحرير ومنسوجات الصوف كالبرانس والاكسية وغيرها من انواع الملبوسات والبسط والسجادات وغيرها من المفروشات ويساعدون على ذلك نعومة الصوف ولطافته ولهم براءة في طرز المناطق والسروج المذهبة والمفضضة على وجه لا يهتدي اليه غيرهم وكذلك في صناعة الخزف الملون بانواع الادهان وفي صناعة السفن الصغيرة التي يستعملونها للتجارة والصيد والغزو واخشابها من احراش بلادهم ودباغة الجلد وقد برع اهل المسيله من اعمال الزاب في اتقان صنعة الدباغة على وجه اتعب غيرهم تقليده في حسن نعومة الجلد وجودة اتقانه وبالجملة فمنوعات بلاد الجزائر ومنسوجاتها بلغت في الحسن والاحكام ما يبهر الرائي ويستحسنه السامع وناهيك بها ان تجارتها منحصرة في نائج اراضيها وصنائعها فلا يحتاج الى جلب البضائع من الخارج الا ما قل وربما يستغنى عنه وفيها من جياذ الخيل ما يروق منظرأ ويبره خصالاً وكثير من اهل البادية معرفة تامة بشيائها وعيوبها وامراضها وعلاجاتها ويوجد عندهم من هذا العلم ما لا يوجد عند احدق البياطرة في الحاضرة وفيها البغال الفارهة واغلب مشايخ البلاد وعلمائها واهل وظائفها الدينية يركبونها دون الخيل لسرعة مشيها ولين ظهورها وفيها انواع الانعام والمجن المشهورة بسرعة السير والقوة وفيها من صنوف الصيد الغزال والارنب والكنينة وهو نوع اصغر من الارنب وفي صحرائها النعام والحمار والبقر وفيها من صنوف الحيوان المفترس الاسد والتمر والفهد والخنزير والذئب والضبع وفيها من الطيور الجوارح وغيرها ما يطول شرحه واهل الصحراء ومن قاربهم يعتنون كثيراً باقتناص الجوارح وتعليقها واستعمالها

واما اعتدال هوائها وحسن مزاجها فقد ذكر علماء الجغرافية قديماً وحديثاً ان هذه البلاد معتدلة الهواء لا يزيد حرّها ولا بردها زيادة مضرّة وفصولها في جميع السنين تأتي على قدر من الاعتدال ووسطة من الحال وعلى حسب اعتدالها اعتدلت امزجة اهلها وقلت امراضهم وداآتهم ولذا لم يعتنوا بتحصيل علم الطب ولا باهله وقصارى امرهم فيما يعرض لهم من الامراض انهم يتطبيون بادوية يستعملها غالباً عجائزهم من الحشائش وغيرها ويسكن هذه البلاد قبائل كثيرة وشعوب وافرة من العرب والبربر ولاختلاطهم في الصبر والسكن عسر تمييزهم ويوجد بينهم في المدن وبعض القرى اترك واولاد الممالك من بنات الوطن وبسمنهم كوراوغلان والسبب في ذلك ان السلطان يقول لاهل كل اوجاق من العسكر قولهم يعني ممالكي فخرها اهل الجزائر وقالوا كوراوغلان

❖ ذكر ابتداء عمران المغرب ❖

« وحوادث دول الاشراف والعرب والبربر فيه »

اعلم ان هذا الاقليم منذ دخل في حيز العمران ماوى الفن . وعش الاهوال والمحن . ومنتزى الملوك والثوار . ومطبخ نظر الكبار منهم والصغار . فما هدأت لاهله روعة ولا طابت لهم فيه هجعة . ولا خيم بساحته امن . ولا فارقه الروع والوهن . ولا خلا منه زمان من قراع الكتائب . ومفاجاة المصائب والنوائب . ومع هذا ترى مساجده ومدارسه بالعباد والعلماء عامرة . وتجالسه بالاذكر وانواع العلوم زاهرة . ذلك تقدير العزيز العليم وتديبر العلي العظيم . وقد اختلفت اقوال المؤرخين من الاسلام وغيرهم في اول من سكن المغرب وعمره من هذا النوع البشري لكنني اقتصرته على ما نقله العلامة ابن خلدون الحضرمي في تاريخه وذو الوزارتين ابن الخطيب في شرح منظومته المسماة رقم الحلل في نظم الدول لتقدمها في مغاز هذا الفن واحرازها قصب السبق فيه وسلوكها مسلك التحقيق في النقل وملخصه ان الله سبحانه وتعالى لما اهبط آدم الى الارض عمرها به وبسله فهو الاول للخلقة على الاطلاق وانبت بنوه في نواحي الارض وتناسلوا فيها جيلاً بعد جيل الى زمن نوح عليه السلام وكانت ولادته سنة اثنين واربعين وستائة والالف من هبوط آدم وكان في تلك الاجيال ملوك ودول كثيرة وممل ونحل متعددة وكان فيهم انبياء ورسول آخرهم نوح عليه السلام ارسله الله تعالى الى قومه وكانوا عبدة اوثان فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى عبادة الله كما اخبرنا الله تعالى ولما اعياه تعنتهم وتماديهم على

الكنعانيون اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فقال رب لا تذر على الارض
 من الكافرين دياراً فاستجاب الله دعاءه لما سبق في علمه انه ليس فيهم ولا في اولادهم
 من يؤمن فارسل عليهم الطوفان فاخذهم وذهب بعمران الارض اجمع بحيث لم ينج من
 بني آدم ومن كافة انواع المخلوقات الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وكان ذلك
 بعد مضي الفين ومائتين واثنين واربعين سنة للهبوط باتفاق المفسرين والمؤرخين ثم
 مات المؤمنون الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة ولم يعقبوا فصار جميع اهل
 الارض من نسل نوح . قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فكان عليه السلام اباً ثانياً
 للخليقة واتفق المفسرون والنسابون على اولاد نوح الذين تفرعت منهم الامم ثلاثة . سام
 وحام . ويافت . وقد وقع ذكرهم في التوراة وروى الطبري في ذلك احاديث
 مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم . وعن ابن المسيب ووهب بن منبه . مثل ذلك واتفقوا
 على ان ساماً ابو العرب والفرس والروم . وحاماً ابو القبط والبربر والسودان . ويافتاً ابو
 الترك والصقالبة وياجوج وماجوج . ولما افترق بنو نوح عليه السلام صار لولد حام الجنوب
 مما يلي مصر على النيل . وصار لولد سام السجاز والعراق الى حدود الهند . وصار لولد يافت
 نواحي بحر الخزر الى الصين . وكانت شعوب هؤلاء الثلاثة عند تبايل الالسنة اثنين
 وسبعين شعباً . واتفقوا على ان اول عمران المغرب كان بالجيل المعروف بالبربر اخوان
 السودان والقبط فهم الذين عمروه من البشر واستوطنوه . قال الطبري وزعم هشام بن
 الكلبي ان الغل من الكنعانيين من اولاد عيصو بن اسحاق عليه السلام . وبعد يوشع
 عليه السلام احتملهم افريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام في غزاته الى المغرب
 وتركهم بافريقية . فمنهم البربر وترك معهم صنهجة وكتامة من قبائل حمير . وقيل انه
 وجدهم فيها . وانه لما سمع رطانتهم سماهم البربر . وفي التوراة من ذرية حام احدى
 عشر ولداً منهم صيدون . ولهم ناحية صيدا . وكانوا بالشام وانتقلوا لما غلبهم يوشع الى
 افريقية والمغرب واقاموا بهما . وقد مرّ أنّاً ان اولاد حام صار لهم الجنوب ولم تزل
 السودان منهم في اقطار الجنوب من مبدا بحر الهند شرقاً الى اقصى المغرب الى هذا
 العهد . واخوانهم القبط في مصر وجهاتها الى الآن . وهؤلاء البربر يجاورونهم ويقابلون
 السودان في ارياف المغرب وتلوله من حدود مصر مما يلي برقه الى اقصى المغرب حيث
 البحر المحيط فلا يبعد عنهم كانوا مع السودان والقبط في مواطنهم الاولى ثم افترقوا فتوغل
 السودان في الجنوب وانحدر البربر الى برقه ونواحيها ثم توغلوا في بلاد المغرب الى اقصاه

وبقي القبط في منازلهم القديمة من مصر وبهذا تشهد القرائن والمواطن وذكر ابن سعيدي في اخبار القبط ان شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب القبط وغلب على اسافل مصر حيث الاسكندرية وبنى بها مدينة مذكورة في التوراة يقال لها ارن ثم هلك في حروبهم وجمع القبط اخوانهم من البربر والسودان واخرجوا العرب من ملك مصر ولما استولى افريقش على المغرب بنى فيه مدينة فسميت افريقية ثم غلب هذا الاسم على ذلك القطر بحدوده المعروفة قديماً وحديثاً

❁ ذكر البربر وشعائرهم ❁

اعلم ان النسابين قد اختلفوا في نسب البربر واطالوا البحث فيه والذي ذهب اليه المحققون كابن حزم وابن خلدون وغيرهما انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام واتفقوا على ان شعوبهم وبطونهم يجدهم اصلان عظيمان وهما برنس وماد غيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس وهما على الاصح اخوان لاب وهو بربر بن تملان بن مازيغ بن كنعان بن حام وشعوب البرانس يجدهم سبعة اصول وهي ازداجه ومحموده واوربه وغجيسه وكتامه وصنهاجه وريغه ويجمع شعوب البتر اربعة اصول وهم اداسه ونفوسه وضريره ولواء الاكبر والكلام على هذه الشعوب وماتناسل منها من الامم طويل الذيل قد افردته علماء هذا الفن بالتأليف وجميع ما ذكره غاية ما وصل اليه علمهم واطلاعهم واحصاء امم البربر واجيالهم غير ممكن لتطاول الاحقاب وتداول الازمنة ولم تنزل بلاد المغرب من اقصى سوس الى الاسكندرية وما بين بحر الروم والسودان عامرة بهم منذ قرون لا يعلمها الا الله تعالى واعلم ان دين البربر في القديم الجوسية وفي بعض الاحيان يدينون بدين من تغلب عليهم كالرومان واليونان وغيرهما وقد يجهم الاسلام وهم على دين النصرانية وبعضهم في افريقية على دين اليهودية عند استفحال ملك بني اسرائيل وقربهم منهم واما شعائرهم فالاكثر منهم آخذون بشعائر العرب يسكنون الخيام ويتنازلون حلالاً ودوائر متفرقة ويظعنون لانتجاع المرعى ويتخذون الخيل للركوب والنتاج ويعتنون بالانعام للكسب يقومون عليها ويقتاتون من لبنها ويتخذون البستهم واثاثهم وخيامهم من اصوافها واوارها وشعورها ومنهم من يبتغي الرزق من الاقتناص والنهب والاختطاف من السابلة ومنهم اهل مدائن وقرى وامصار شانهم الفلاحة واغتراس الجنات المتنوعة والتجارة والحرف النافعة الى غير ذلك من الامور التي يتوقف عليها العمران

ولا يتم الا بها واكثر لباسهم من الصوف بانواعه وفي الغالب يكشفون رؤسهم ويحلقونها ولغتهم
 اعجمية متميزة بنوعها عن سائر رطانة العجم ثم اختصت شعوب زناته وبطونها برطانة تحالف
 رطانة اخوانهم كما اختصوا بالعلماء ومن شاهد آثارهم وما شيدوه من الحصون والمعقل
 والامصار وطالع اخبارهم وحروبهم وسيرهم علم انهم قوم لا يرامون بذل ولا ينالهم
 من استطال عليهم بسوء وقد اعتنى الفحول من العلماء والمؤرخين بذكر سيرهم وتدوين
 اخبارهم فملاوا كتبهم بنقل ما كانوا عليه من الاخلاق الحميدة كعز الجوار وحماية النزول
 ورعاية الذمة والوفاء بالعهد وصدق القول والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وجودة
 الملكة والاعضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المساكين وتوقير اهل العلم وحمل
 الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلو العزم واباءة الضيم والشقاق
 مع الدول ومقارعة الخطوب والتغلب على الملك وغيرها من الخلال التي اكسبتهم الثناء من
 اخلق وبعده الصيت ومن مشاهيرهم بعد تمسكهم بالاسلام من الطبقة الاولى بلكين بالباء
 الموحد التختية ابن زيري الصنهاجي عامل افريقية للعبيد بن محمد بن خزر وعروبه بن
 يوسف الكتامي القائم بدعوة عبدالله الشيعي ويوسف بن تاشفين اللمتوني وعبد المؤمن
 ابن علي امير الموحد من الطبقة الثانية يعقوب بن عبد الحق المريني ويعمراسن سلطان
 بني زيان ومحمد بن عبد القوي صاحب تاهرت ووزمار امير بني توجين وثابت بن
 منديل امير مغراوه وزمار بن ابراهيم زعيم بني راشد فهؤلاء كانوا من ارسخهم في الخلال
 الحميدة قدماً واطولهم فيها يداً واكثرهم لها جمعاً وسنداً كطرفاً من اخبارهم على وجه الايجاز
 ان شاء الله تعالى

❖ ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر ❖

اعلم ان قبائل البربر بافريقية والمغرب كانت قبل الاسلام تحت سلطة الروم وعلى دين
 النصرانية ولم تنزل على ذلك الى ان فتحت مصر في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه وسار عمرو بن العاص رضي الله عنه منها الى برقة سنة اثنتين وعشرين
 فصالحه اهلها على الجزية ثم سار منها الى طرابلس فحاصرها وفتحها عنوة وولى عليها وعلى برقة
 حكاماً من قبلة ورجع الى مصر وفي خلافة عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص
 وتولى عبدالله بن سعيد بن ابي سرح العامري عليها فامر عثمان رضي الله عنه بالتوجه
 الى افريقية فزحف اليها سنة تسع وعشرين فجمع لهم جرجير ملك افريقية وبلاد المغرب

من بامصارها من الروم وبضواحيها وقراها من البربر وملوكهم وكان ملكه ما بين طرابلس
وطنجة ودار ملكه سيبطله ولقي بهم المسلمين فوعدت الهزيمة في جيشه وشد عليه عبدالله
ابن الزبير رضي الله عنه فقتله واتبعهم المسلمون يقتلون ويسبون الى ان وصلوا الى سيبطله
ففتحوها ثم خربوها ولم تزل خراباً وهي في تخوم تونس مما يلي ارض الجزائر معروفة لهذا
العهد ونقل الله المسلمين اموال جرجير وجموعه وبناتهم واخذت ابنة جرجير بقاتله عبدالله
ابن الزبير وكان هو الرسول بخبر النخ الى الخليفة ثم انساح المسلمون في البسائط والضواحي
بالغارات ووقع بينهم وبين البربر حروب انتصر المسلمون في جميعها واسروا من ملوكهم
وژمار بن صقلاب جد بني خزرة وهو يومئذ امير مغراوه وسائر زناته ورفعوه الى عثمان
رضي الله عنه فاسلم على يده ومن عليه واطلقه وعقد له على قومه وقيل انما وصله وافداً
ثم لاذ الروم بالسلم وشرطوا لابن ابي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم
فجعل ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية ولما آل الامر الى
معاوية بن ابي سفيان بعث ابن خديج الشكوني من مصر لافتح افرريقية سنة خمس واربعين
فسار اليها وكان في جيشه عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم
وعبد الملك بن مروان فلما وصل الى افرريقية ارسل عبد الملك بن مروان الى جلولة
ففتحها وارسل جيشاً في البحر في مائتي مركب الى جزيرة صقلية ففتحها وغنموا وارسل
رويع بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الى جربة ففتحها وارسل ملك الروم اثناء ذلك
من القسطنطينية عساكره لمدافعتهم فلققتهم المسلمون وردوهم على اعقابهم ثم قفل ابن خديج
راجعاً الى مصر وتولى بعده عقبة بن نافع رضي الله عنه سنة سبع واربعين فاختمت
القيروان وافترق امر الروم فصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم وفي سنة احدى
وخمسين استعمل معاوية علي مصر وافرريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن افرريقية وولى
مولاه ابا المهاجر ديناراً وفي ايامه فتحت جزيرة شريك على يد حنش بن عبدالله الصاغاني
وكانت رئاسة البربر يومئذ في اوربه لكسيلة بن كزيم رئيس البرانس ومرادفه سكرديد
ابن رومي من اوربه وكانا على دين النصرانية فاسلما لاوّل دخول الاسلام الى المغرب ثم
ارتداً قبل ولاية ابي المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم ابو المهاجر حتى نزل عيون
تلسان فهزمهم وظفر بكسيلة فاسلم واستبقاه عنده واحسن اليه ثم جاء عقبة بن نافع في
الولاية الثانية ايام يزيد بن معاوية سنة اثنين وستين فنكب كسيلة واعتقله وتقدم اليه
ابو المهاجر في اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي

فدوّخه واستفتح حصون الروم وبقية ملوك البربر بالزّاب وتاهرت بجموعهم ففضهم جمعاً
بعد جمع ودخل المغرب الاقصى واطاعته غماره ثم نازل المصادمه في جبل درن فقوى امرهم
فنهضت اليهم جموع زناتة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوه فاعتز بهم عقبه وقوى
امره عليهم فاتخن فيهم وحمهم على الطاعة والاسلام ثم اجاز الى السوس الاقصى لقتال
من بها من صنهاجة وكانوا على دين المجوسية فاتخن فيهم وقفل ظافراً وكسيه اثناء ذلك
في اعتقاله ثم سرح عقبه العساكر الى القيروان وبقي في شردمة منهم وتراسل كسيه
وقومه فاجتمعوا اليه وانتهبوا الفرصة في عقبه رضى الله عنه فقتلوه ومن معه وكانوا زهاء
ثلاثمائة من كبار الصحابة رضى الله عنهم واستشهد في مصرع واحد جم غفير من
التابعين فيهم ابو المهاجر وقد ابلى عقبه رضى الله عنه في ذلك اليوم بلائاً حسناً
واشتهر قبره وعليه مسجد معروف باسمه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الانصاري
ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهم ففداهم صاحب قفصه وكان زهير بن قيس قد
رجع من المغرب الى القيروان فلما بلغه الخبر خرج هارباً وارتحل المسلمون معه ونزلوا
برقة واقام بها ينتظر امر الخليفة فكارن ذلك اضطراب الخلاف بحروب ابن الزبير
والضحاك بن قيس مع المروانيين واضطرم المغرب ناراً وفتت الردة في البربر واجتمعت
كلمة البربر والروم على كسيه فنزل القيروان واعطى الامان لمن بقي بها من العرب
وعظم سلطانه على البربر ومن معهم من الروم فملكهم خمس سنين ولما استقل عبد الملك
ابن مروان بامر الخلافة بعث الى زهير بن قيس بالمدد وولاه حرب البرابرة والاخذ بثار
عقبه رضى الله عنه فرحف في آلاف من العرب سنة سبع وستين وجمع كسيه سائر
البربر ولقيه في نواحي القيروان فاشتد القتال بينهم وانهزم البربر وقتل كسيه واتبع
جيشه المسلمون الى نهر ملوية وتلاشى امر البربر وفنيت فرسانهم واضمحلت حال الروم
وضعفوا عن اغاثتهم واضطربت افريقية والمغرب ناراً وامتألت قلوب البربر من زهير
رعباً فلجئوا الى الحصون ثم قفل زهير الى المشرق فاعترضه اسطول صاحب القسطنطينية
في سواحل برقة فقاتل الروم حتى استشهد هناك وبعث عبد الملك بن مروان الى
حسان بن النعمان عامله على مصر ان يخرج الى افريقية وبعث اليه بالمدد فرحف اليها
سنة تسع وسبعين ودخل افريقية واسترجع قرطاجنه من يد الروم والبربر ثم خربها
فذهب من بقي بها من الروم والافرنج الى صقلية والاندلس والذي انشأ قرطاجنه
ديدون ابن البشار من نسل عيصوبن اسحق عليه السلام ثم صار ملك افريقية الى

ملغار انيبال من ملوكهم فهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين واهل الاندلس ثم ولى
 بقرطاجنة فاجاز البحر الى بلاد الفرنجة وهم الجلالقة وزحف اليه قواد رومة فوالى عليهم
 الهزائم وبعث اخاه اسد ربال الى الاندلس فملكها وخالفه قواد الرومانيين الى افريقية
 فملكوها وقتلوا غنول خليفة انيبال فيها وخرج قواد آخرون من رومة الى الاندلس
 فملكوها وقتلوا اسد ربال وفر اخوه انيبال وتبعه قواد رومة الذين اجازوا الى افريقية
 فحاصروه بقرطاجنة حتى صار الصلح بينهم ثم ظاهر بعد ذلك انيبال صاحب افريقية ملوك
 السريانيين على حرب رومه وبعد ان تخلص اهل رومه من ذلك رجعوا الى الاندلس ثم
 اجازوا البحر الى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملكها انيبال وذلك لتسعائة سنة من بناءها
 وسبعائة من بناء رومه ثم بعد ذلك اجتمع قواد رومه على بناء قرطاجنة وتجديدها لاثنتين
 وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها لأهل رومه ملك والذان اختطأ مدينة
 رومه روماش وراماش وذلك لعهد اربعة آلاف وخمسمائة سنة من مبدا الخليفة ثم توجه
 حسان بجيوشه الى الكهنة دهيا بت ماريه ملكة البربر بعقلها من جبل اوراس وقد
 انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من زناتة وسائر البتر فلقيتهم بالسهل امام جبالها
 فانهمز المسلمون واسر خالد بن يزيد انقيسي واتبع آثار حسان وجيوشه بجذوعها حتى اخرجتهم
 من افريقية وانتهى حسان الى اعمال طرابلس فاقام بها وبني قصوره ولم تزل اطلاله موجودة
 لذا العهد مشهورة به ثم رجعت الكهنة الى مكنتها بن اوراس واستنحل ملكها في
 افريقية واستمرت ملكة على البربر خمس سنين ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد وامره
 بالرجوع الى افريقية فزحف اليها سنة اربع وثمانين وكنت الكهنة عنت واشتد ظلمها
 وامرت بتخريب جميع المدن والضياع وقطع الاشجار بعد ان كان الراكب يسير من
 طرابلس الى نجة في عمارة متصلة وظل يمدود فشق ذلك على البربر وحصلت الوحشة
 بينهم وبين ملكتهم فلما وصل حسان الى افريقية زحفت اليه بجذوعهم فخذلوا واختل
 نظامهم وشد معها قواها جراوه من البتر ففض جيوشهم وقتل الكهنة ثم ان البربر
 استامنوا اليه فامنهم على الاسلام والطاعة فاجابوا واسلدوا وعقد الاكبر من اولاد
 الكهنة على قومه جراوه وانصرف حسان الى اقيروان ثم في سنة ثمان وثمانين في خلافة
 الوليد بن عبد الملك قدم موسى بن نصير والياً على افريقية فدوخ المغرب واتخن في
 البربر حتى ادت اليه الطاعة وولى على طنجة مولاة طارق بن زياد وانزل معه سبعة
 وعشرين الفا من مسلي العرب الاولين واثنى عشر الفا من البربر وامرهم ان يعلموا

البربر انقرآن وامور الدين وسرت كلمة الاسلام في جميع احياء البربر وبطونهم ومن بقي منهم اسلم على يد اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر سنة احدى ومائة ونقل ابن خلدون عن ابي محمد بن زيد الامام المشهور ان البربر ارتدوا اثني عشر مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى اجاز موسى بن نصير الى الاندلس واجاز معه كثيرين من رجالات البربر برسم الجهاد ووقع فتح الاندلس فحينئذ استقر الاسلام في المغرب وازعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة واستوثقت الامور لموسى بن نصير في المغرب والاندلس وبلغ فيها ما لم يبلغه غيره وحصل في يده من الغنم والسبي ما لم يحصل في يد سواه من الملوك قال الصفدي في تاريخه لم يسمع بتل سبايا موسى بن نصير وغنائمه فانه استحب عند قدومه الى الوليد بن عبد الملك ثمانية وسبعين تاجاً مكملاً بالدر والياقوت وكلها تيجان ملوك الاندلس من اليونان ومائة وثلاثين عجلة مشحونة بالذهب والفضة واللؤلؤ ومن ابنا الملوك وغيرهم من الاسرى ما يقرب من ثمانين الف اسير ومن الرقيق ثلاثون الف شخص واتخلف ولديه عبدالله على افريقية والمغرب وعبد العزيز على الاندلس وفي خلافة سليمان بن عبد الملك عزل عبدالله بن موسى بن نصير عن افريقية والمغرب وتولى محمد بن يزيد مولى قريش وذلك سنة ست وثمانين وفي خلافة عمر بن عبد العزيز عزل عبدالله وتولى مكانه اسماعيل بن عبدالله ابن ابي المهاجر سنة سبع وثمانين ثم نبضت عروق الخارجية في رؤس كثير من البربر وسارت اليهم من سواد العراق فدانوا لها وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها فيهم من الاباضية والصغرية وفشت هذه البدعة في المغرب فوقع الاختلال في كل جهة منه وفي خلافة يزيد بن عبد الملك تولى يزيد بن ابي مسلم قتله الخوارج لشهر من ولايته فتولى بعده بشر بن صفوان الكلابي فقدمها سنة ثلاث ومائة وغزى جزيرة صقلية سنة تسع ومائة ومات في مرجعه عنها وتولى عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي سنة عشر ومائة وعزل في خلافة هشام وتولى مكانه عبيدالله بن الحجاب مولى ابن سلول سنة اربع عشرة ومائة وبني جامعاً بتونس ويعرف لهذا العهد بجامع الزيتونة واتخذ فيها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية ووطئ بعسكره بلاد سوس واتخن في البربر فجمعوا امرهم وانقضوا عليه وثار ميسرة المظفري بطنجة على عمرو بن عبدالله المرادي وكان والياً عليها لابن الحجاب فقتله

وبابع لعبد الاعلى بن جريج الافريقي الرومي الاصل ثم خلعه وبابع لنفسه ثم ساءت
 سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به وقتلوه وقدموا على انفسهم خالد بن حميد الزناتي
 فقام بامرهم وجمع كلمتهم وزحف بجموعه الى العرب وسرح اليهم عبدالله بن
 الحجاب العساكر في مقدمته ومعهم خالد بن حبيب الفهري فالتقوا بوادي شلف
 فانهمز العرب وقتل خالد بن حبيب ومن معه وتسمى هذه الواقعة بواقعة الاشراف
 لكثرة من حضرها من وجوه قريش والانصار وانقضت البلاد ومرج امر الناس
 وانتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك فعزل ابن الحجاب وولى كاثوم بن عياض
 القشيري سنة ثلاث وعشرين ومائة فخرج الى افريقية حتى بلغ وادي طنجة فرحف
 اليه خالد بن حميد الزناتي بن معه من البربر ولقوا كاثوم بن عياض بعد ان
 هزموا مقدمته وعليها بلخ بن بشير القشيري فاشتد القتال بينهم وقتل كاثوم وانهمز
 جيشه وتحيز اهل الشام الى سبته مع بلخ بن بشير ومضى اهل مصر وافريقية الى
 القيروان وطار الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلابي
 فقدم القيروان سنة اربع وعشرين ومائة وهوارة يومئذ خارجون عن طاعة الدولة
 ومنهم عكاشة بن ايوب وعبد الواحد بن يزيد فنارت هواره ومن تبعهم من البربر
 فهزمهم حنظلة في ظاهر القيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد واخذ عكاشة
 اسيراً وكتب حنظلة بذلك الى هشام ولما سمعها الليث بن سعيد رضى الله عنه
 قال ما غروة كنت احب ان اشهدا بعد غروة بدر احب الي من هذه
 الغروة واجاز عبد الرحمن بن عقبة بن نافع لما مات ابوه الى الاندلس يحاول ملكها
 ولما يئس منها رجع الى تونس ودعا لنفسه سنة سبع وعشرين واستقل بملك افريقية
 واقره مروان بن محمد عليها لما تولى الخلافة ولما آلت الخلافة الى بني العباس
 بعث عبد الرحمن بطاعته الى السفاح ثم الى ابي جعفر المنصور من بعده ولم يزل
 عبد الرحمن والياً على افريقية الى ان قتله اخوته سنة سبع وثلاثين لعشر سنين
 من امارته وانتهى خبر افريقية الى ابي جعفر المنصور فارسل محمد بن الاشعث
 الخزاعي والياً عليها سنة اربع واربعين ومائة فلقبه ابو الخطاب الخارجي بجموعه
 بسرت فهزمه ابن الاشعث وقتل عامة اصحابه وافتتح طرابلس وقام بامر افريقية
 وضبطها ثم قفل الى المشرق فوليا بعده الاعلب بن سالم التيمي فخرج عليه ابوقرة
 اليعرقي في جموع البربر فهرب ونقم عليه الجند وخالعوه ولحقوا بالحسن بن حرب

الكندي بكابس واقبل بهم الى القيروان فملكها ولحق الاغلب بكابس واستعدت
 لقتال الحسن سنة خمسين فهزمه الى القيروان فكر عليه الحسن دونها واقتتلوا فقتل
 الاغلب ثم رجعت اصحاب الاغلب على الحسن فقتلوه في الموقف الذي قتل فيه
 الاغلب ولما بلغ المنصور قتل الاغلب بعث الى افريقية عمر بن حنص اخا المهلب
 ابن ابي صفرة فقدمها سنة احدى وخمسين ومائة فاستقام امره ثلاث سنين ثم
 ثار البربر عليه وحاصروه بغنجة فدافعهم وفرق كلتهم بالمال ثم انتقضوا عليه وحاصروه
 بالقيروان ولما اجهدته الحصار خرج مستميتاً الى قتالهم فقتل آخر سنة اربع وخمسين
 ومائة ثم تولى مكانه ابن عمه يزيد بن ابي حاتم بعثه المنصور في ستين الف
 مقاتل فهزم جموع البربر وقتل ابو حاتم احد رؤسائهم في ثلاثين الفاً من اصحابه
 وثنيع يزيد جموع البربر بالقتل بثار ابن عمه عمر بن حنص ثم دخل القيروان
 سنة خمس وخمسين ومائة ولم يزل والياً على افريقية والمغرب الى ان توفى سنة
 سبعين ومائة وكان روح بن ابي حاتم اخو يزيد على فلسطين فاستقدمه الخليفة
 هارون الرشيد وولاه على افريقية فقدمها ثم توفى سنة اربع وسبعين ومائة وولى
 مكانه ابنه الفضل فخرج عليه عبدالله بن الجارود واقتحم عليه القيروان واعقله
 ووكل به وباهله من يوصلهم الى كابس ثم رده من الطريق وقتله فتولى بعده
 هرثة بن اعين سنة سبع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وبني القصر
 الكبير بالمنستير وبني السور على طرابلس ولما رأى كثرة الثوار بافريقية استعفى
 الرشيد من ولايتها فاعناه وولى محمد بن مقاتل الكعبي من صنائعه فقدمها سنة
 احدى وثمانين ومائة وكان سيء السيرة فخلعه الجند وقدموا مخلد بن مرة الأسدى
 وبعد ان قتل مخلد ثار تمام بن تميم التميمي على محمد بن مقاتل واخرجه من
 القيروان فلحق بطرابلس وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتصر
 لمحمد وسار يجموعه الى القيروان وهرب تميم بين يديه الى تونس ومالك افريقية
 واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس واعاده الى امارته ولما استقر الامر لمحمد
 ابن مقاتل كره اهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في ان يطلب من
 الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد بذلك فكتب له بالعيد سنة اربع
 وثمانين ومائة فقام بامر الولاية وابتنى مدينة العباسية قرب انقيروان وانتقل اليها
 وتوارثها بنوه خلفاً عن سلف الى سنة ست وتسعين ومائتين ثم خرج اهل افريقية

عن طاعتهم وقاموا بدعوة الشيعة وفر آخرهم واسمه زيادة الله قاتل ابيه الى المشرق
وفي هذه المدة كلها لم يتجاوز ملكهم افريقية لمكان الدولة الادريسية في المغرب
وباتقراض دولة بني الأغلّب من افريقية انقطعت دعوة بني العباس منها ومن
المغرب . ولتذكر دول المغرب على الترتيب ووقائعها وما آل اليه امرها مبتدئين
بدولة الادارسة لانها اول دولة ظهرت فيه حتى نتوصل الى ذكر ما كان في ايام
سيدي الوالد من الوقائع الهائلة والايام المشهورة مع دولة فرانسا وما جرى بينه
وبين دولة مراکش بوجه الاختصار على حسب الامكان وبالله المستعان

❖ ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى ❖

لما آلت الخلافة العباسية للهادي خرج الحسين بن علي بن حسن المثلث بن
الحسن المثني بن الحسن السبط عليهم السلام الى المدينة المنورة وبويع في ذي
القعدة سنة تسع وستين ومائة ثم سار منها الى مكة المكرمة وكتب الهادي الى
محمد بن سليمان بن علي العباسي حين قدم حاجاً من البصرة فولاه حربه فاستعد
محمد بن سليمان لقتاله وانضم اليه من حضر من شيعتهم ومواليهم وخرج لقتال
الحسين فالقى الفريقان بوجّ موضع على ثلاثة اميال من مكة الى جهة الطائف
واقتلوا فوقت الهزيمة في جيش الحسين وقتل هو في جماعة من اهل البيت واقترب
الباقون وكان فيهم عمه ادريس بن عبدالله الكامل فافلت مع من افلت منهم
ولحق بمصر نازعاً الى المغرب وعلى بريد مصر يومئذٍ واضح مولى صالح بن المنصور
وكان يتشيع فعلم بشان ادريس وحمله على البريد الى المغرب ومعه راشد مولاه
فنزّل بوليلي بجانب جبل زرهون سنة اثنين وسبعين وبها وقتئذٍ اسحاق بن
محمد بن عبد الحميد امير اوربة من قبائل البربر فاجاره وجمع البربر على ادريس
وبايعوه وقاموا بامرّه وخطب الناس يوم بويع فقال ايها الناس لا تمدنّ الاعناق
الى غيرنا فان الذي تجدونّه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ولما استوثق
له الامر زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب واكثرهم على دين اليهودية والنصرانية
فاسلموا على يده وخرّب حمونهم وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلاً ثم زحف الى
تلمسان سنة ثلاث وسبعين وامن اميرها محمد بن خزر المغراوي واقراه على امارته
كما امن سائر زناته وبني مسجد تلمسان وكتب اسمه على منبرها ثم رجع الى مدينة

وكيلي وقد طبق الآفاق ذكره واهتز له الرشيد ببغداد واهمه شأنه واطاع علي ما كان من واضح مولاهم من دسيمة التشيع واعمال الحيلة في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ومن ذلك العهد وقع الفشل لبني العباس بالمغرب وقصرت قوتهم عن ان تسمو اليه وقد استعمل الرشيد الحيلة على قتل ادريس فهدس اليه الشماخ من مواليهم للتخيل على قتله فلحق به واظهر النور من بني العباس مواليه فصدقه ادريس وقربه منه ثم انتهر الفرصة فيه في بعض خلواته فناوله سماً فقتله به سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بوكيلي وفر الشماخ ولحقه راشد مولى ادريس بوادي ملويه فاختلفا بضربتين فقطع راشد يد الشماخ واجاز الوادي فاعجزه ونما خبر ادريس الي بني العباس ببغداد فوقع ذلك احسن موقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة الادريسية من المغرب وكانت ايام خلافة ادريس خمس سنين وستة اشهر وخلف جاريته كنزة حبل فقام بامر الملك مولا راشد بالاتفاق وبعد ستة اشهر من موته وضعت جاريته كنزة ولداً فاجتمع البربر وعرضه راشد عليهم فراه شبيهاً بابيه ففرحوا به وسموه ادريس الأصغر وكفله راشد الى ان قتله بعض البربر باغراء بني الاغلب امراء افريقية سنة ست وثمانين ومائة ثم قام بكفالة ادريس من بعده ابو خالد بن يزيد بن الياس العبدي الى ان بايعوه بجماع وابل سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشر سنة وقاموا بامره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وكان ادريس الاصغر اجمل الناس خلقاً وخلقاً قال داوود بن القاسم البربري خرجت مع ادريس الاصغر الى قتال الخوارج من البربر فلقبهم وكنوا اكثر منا عدداً فاخذني العجب يومئذ من ثبات جاشه وشدة اقدامه على العدو مع صغر سنه فجعلت اطيل النظر فيه نكديني في ذلك فقلت انما اطلت النظر اليك لخصال رايتها فيك منها انك تبصق بصاقاً مجتمعاً وانا اطلب قليلاً منه ابل به حلقي فلا اجده ومنها حركتك في سرجك فقال اما اجتماع بصاقي فلا اجتماع قايي واما ذهاب بصاقي فذهاب قلبك واما حركتي فلا استشرافي الى القتال ثم قال

أليس ابونا هاشم شد ازره * واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فقلت بلى انتم اهل لذلك . ولما استوثق له الملك استوزر مصعب بن عيسى الازدي ونزع اليه كثير من قبائل العرب والاندلس واجتمع اليه منهم عدد كثير

فاختمهم وكانوا له حاشية وبطانة وعظم سلطانه بهم وقوي ملكه واختمت مدينة
 فاس سنة اثنين وتسعين ومائة وبني فيها مساكنه وانتقل اليها من وليلى واسس
 جامع الشرفا واستقام له الامر وتوطد له الملك ثم خرج غازياً العامد سنة سبع
 وتسعين ومائة فافتتح بلادهم ودانوا بدعوته ثم غزى تلمسان وجدد بناء مسجدتها
 واقام فيها ثلاث سنين وانتظمت كلمة البرابرة وزناتة ونحو دعوة الخوارج منهم
 واستولى على المغربين من سوس الاقصى الى وادي شلف وضايق ابراهيم بن الاغلب
 بافريقية ثم استراب ادريس بالبرابرة فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه ثم
 عجزت الاغالبة عن مدافعة الادارسة ودافعوا خلفاء بني العباس فتارة باحنقار
 المغرب واهله وتارة بالارهاب بشان ادريس ثم رجع ادريس من تلمسان الى
 عاصمة ملكه فاس وعزم على الجواز الى الاندلس فادركه الاجل وتوفي سنة ثلاث
 عشرة ومائتين عن ثمان وثلاثين سنة وخلف اثني عشر ولداً ذكراً اكبرهم جدنا
 محمد وهو ولي عهده فاشرك اخوته في ملكه باشارة جدته كنزة فقسم المغرب
 بين الكبار منهم وابقى الباقيين في كنفاته وكفالة جدتهم كنزة لغمرهم ولم يزل
 امره جارياً على احسن الوجوه واعدها الى ان توفي في ربيع الاول سنة احدى
 وعشرين ومائتين بعد ان عهد لابنه علي وهو ابن تسع سنين فقام بامر الحاشية
 من العرب واوربة وسائر البربر وبايعوه غلاماً مترعراً وقاموا بامرهم وطاعته فكانت
 ايامه خير ايام وتوفي في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين لثلاث عشرة سنة من
 ولايته وعهد لاخيه يحيى بن محمد فقام بالامر واشتد سلطانه وحسنت سيرته واستجدت
 فاس في العمران وبنيت الحمامات والفنادق للتجار ورحل اليها الناس من الآفاق
 والقاصية وبني في ايامه جامع القرويين اختطته امراة من القيروان من مالها
 سنة خمس واربعين ومائتين وانتقلت اليه الخطبة من جامع الشرفا المعروف بجامع
 مولاي ادريس ثم اوسع في خطة المنصور بن ابي عامر وبنومرين ثم توفي يحيى
 وبويع ولده يحيى بن يحيى فساءت سيرته وكثر عبثه وثار به العامة فاخرجوه
 من عدوة القرويين الى عدوة الاندلسيين فتواري ليليتين ومات اسفاً وبلغ الخبر
 الى ابن عمه علي بن عمر صاحب الريف فاستدعاه اهل الدولة من العرب والبربر
 فجاء الى فاس وبايعوه واستولى على اعمال المغرب فثار عليه عبد الرزاق الخارجي
 وزحف على فاس وغلب على عدوة الاندلس منها وامتنعت عليه عدوة القرويين

وفرّ علي الى اعماله من الريف فاستخضر اهل فاس يحيى بن قاسم بن ادريس
فخضر اليها بجنوده وقتل عبد الرزاق وتم له الامر واستقل به الى ان اغتاله الربيع
ابن سليمان سنة اثنين وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده احسن قيام يحيى بن
ادريس بن عمر بن ادريس صاحب الريف فملك جميع اعمال الادارسة وخطب
له على سائر منابر المغرب وكان اعلا بني ادريس مكاناً واعظمهم سلطاناً واكثرهم
عدلاً وكرماً ذا علمٍ وصلاح ولم يزل على ذلك الى ان عقد الشيعة اصحاب افريقية
لمصالة بن حبوس صاحب تاهرت على تحاربة ملوك المغرب فرحف الى فاس في عساكر
مكناسة وكتامة وبرزاليه يحيى بن ادريس بجموعه والتقوا على مكناسة فكانت
الدائرة على يحيى ورجع الى فاس فحاصره بها ثم صالحه على مال يدفعه اليه وان
يباع لعبدالله المهدي فقبل وخلع نفسه وانفذ بيعته الى عبدالله المهدي وعقد له
مصالة على فاس وعمها خاصة وعقد لموسى بن ابي العافية المكناسي على جميع
المغرب ورجع الى افريقية وفي سنة تسع وثلاثمائة عاد مصالة الى المغرب فدرس
اليه ابن ابي العافية في يحيى فقبض عليه واستصفي امواله وغرّ به الى الريف وولى
على فاس ريجان الكتامي فثار عليه الحسن بن انقاسم بن ادريس الملقب بالحجام
سنة عشرة وثلاثمائة واخرج ريجان منها وملكها عامين ثم زحف للقاء موسى بن
ابي العافية وكانت بينهما حروب شديدة قتل فيها ابنه موسى وانجلت المعركة على
اكثر من الف قتيل وخلص الحسن الى فاس منهزماً فغدر به حامد بن حمدان
البربري الاوربي واعنقله وبعث به الى موسى فوصل موسى الى فاس فملكها وطالب
حمدان باحضار الحسن فدفعه واطاق الحسن فخرج من معنقله متنكراً وتدلّى من
السور فسقط ومات وفرّ حامد بن حمدان الى المهديّة بافريقية وتولى ابن ابي
العافية على جميع المغرب واجلى من بقي من الادارسة في فاس الى الريف واجتمعوا
الى اكبرهم ابراهيم بن محمد بن القاسم اخي الحسن المذكور وولوه عليهم واختط
لهم الحصن المعروف بحجرة النسر ثم اظلم الجو بين الشيعة واميرهم موسى بن ابي
العافية فمال ابن ابي العافية الى المروانيين اصحاب الاندلس وخطب موسى لهم
على منابر سائر اعماله وقطع خطبة العبد بين فطار الخبر اليهم فجهزوا له جيشاً تحت
قيادة مولاهم ميسور النقي وكتبوا الى الادارسة بالريف ان يكونوا في نصرته
حتى اذا فرغوا من موسى بن ابي العافية يرجع ميسور ويترك لهم ولاية المغرب

فكان من الادارسة في محاربة ابن ابي العافية عجائب ثم انجاز الى ملوية فلقوا به وقتلوه بعد ان ملك المغرب ثمانية وعشرين سنة ورجع بنو ادريس الى بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا بدعوة الشيعة وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون ثم توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وتولى مكانه ولده احمد بن القاسم وكان عالماً فقيهاً يميل الى بني مروان فقطع دعوة الشيعة ودخل الاندلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وخلفه اخوه الحسن بن كنون الى دخول جوهر الشيعي المغرب فبايع الحسن الشيعة ولما رجع جوهر نكث ورجع للمروانيين الى ايام بلكين قائد الشيعة وقوي امرهم وضاق النطاق على الحسن حتى مات شريداً ثم تغلب المروانيون على بلاد الريف واجازوا اكثر الادارسة المترشحين للملك الى الاندلس ثم اجازوهم الى الاسكندرية وبعث العزيز العبيدي صاحب مصر وافريقية من اختاره من بني كنون لطلب ملكهم بالمغرب فغلبهم عليه المنصور بن ابي عامر وقتلهم وكان اقراض دولة الادارسة من المغرب بعد ان ملكوه نحو مائتي سنة ثم تمكن بنو يفرن وزناتة وخطبوا فيها للمروانيين وبقيت في ايديهم يتوارثونها الى ان غلبهم عليها المرابطون والبقاء لله تعالى *الحمام المصطفى*

❖ ذكر بني الاغلب امراء تونس ❖

وهم من اولاد الاغلب بن سالم قدم مع محمد بن الاشعث الخزاعي حين تولى على مصر وتونس سنة اربع واربعين ومائة فولاه على الزاب ولما رجع ابن الاشعث الى بغداد بعث الخليفة ابو جعفر المنصور الاغلب بن سالم والياً على تونس فقدمها وسكن القيروان ثم خرج عليه ابومرة اليفرني في جموع من البربر وقتل الاغلب في حروبه وفي ايام هارون الرشيد عيّد بالولاية لابراهيم بن الاغلب وكان الرشيد يعض بمكانة ادريس في المغرب فاحتمل عليه ابراهيم حتى قتله و اشار لذلك ابن الخطيب بقوله .

- واستوثق الملك لآل الاغلب * بعد رجال من بني المهلب
- فاول الاقوام ابراهيم * وهو الهمام الملك العظيم
- قلده هارون امر المغرب * وهولطيف الخدماضي المضرب
- فلم يدع في ارضه رئيسا * واعمل الخيلة في ادريسا

ودام ابراهيم في الولاية الى ان توفي . فوليها بعده ابنه العباس واستعمل الجور في رعيته فانتدب جماعة من الصالحين الى وعظه فلم يقبل واستمر على حاله فتوجهوا الى الله بان يريهم منه فمات خمسة ايام مطعوناً بعد ان اسودّ لونه وتغير جماله وحسنه فوليها اخوه زيادة الله المشهور بابن شكلة وكان اميراً جليلاً وفيّ في امارته للمؤمن وابراهيم من المهدي ومات سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتولى مكانه اخوه عقال وسار سيرته في الخير الى ان مات فولى بعده ابو العباس بن محمد ابن الاغلب وكان جاهلاً وولي بعد وفاته ابن اخيه احمد بن العباس وكان حسن الاخلاق متجنباً الظلم والاعتساف بنى المساجد في تونس والمآجل ببابها وتوفي سنة تسع واربعين ومائتين فوليها اخوه ابو محمد زيادة الله بن محمد بن الاغلب وكان عاقلاً حسن السيرة وكانت ولايته ستة اشهر ثم وليها ابن اخيه محمد بن احمد ابن محمد الملقب بابي الغرائق لشغفه بصيدها وكان غايةً في الجود وايامه في اليمن يضرب بها المثل توفي سنة احدى وستين ومائتين وولى بعده اخوه ابو اسحاق ابراهيم ابن احمد وهو الذي نقل القصور الى ركادة وكان في ابتداء امره حسن السيرة ثم غلب عليه خلط سوداوي فتغير حاله واسرف في القتل وقتل اصحابه وحجابه وثمانية من اخوته صبراً بين يديه وقتل بناته ثم اظهر النسك مات سنة تسع وثمانين ومائتين وولى بعده ابنه ابو العباس عبدالله على عهد المعتصم بالله فرد المظالم وتنسك ولبس الصوف وقتل بتدبير ابنه زيادة الله وكان في سجنه وبادر بقتل من شارك في دمه واظهر التبري من ذلك وفي ايام زيادة الله ظهر امر بني عبيد ولقيت جيوشه جيوش الشيعة فلم تقم لهم قائمة ففر الى المشرق وترك البلاد

❖ ذكر دولة الادارسة بالاندلس ❖

هنا

كان لبني محمد وبني عمر من ولد ادريس رئاسة على البربر في بلاد غمارة من الريف فلما قام سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين علي المهدي محمد بن هشام في جنود البربر وزناته كان علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيدالله بن عمر بن ادريس واخوه انقاسم في جملتهم واشتد امر البربر وزناته انصار المستعين على اهل الاندلس وحاصروا المهدي في قرطبة فحشي اهلها على انفسهم من اقتحام البربر عليهم فقتلوا المهدي بن هشام واجتمعوا على تجديد البيعة لهشام المؤيد واستمر

البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم الى ان دخلوها عنوة سنة ثلاث واربعمائة
وفتكوا بهشام المؤيد ثم لما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البربر على الامر قام
علي بن حمود واخوه القاسم ودعوا لانفسهم وتعصب لهم الكثير من البربر وملكوا
قرطبة سنة سبع واربعمائة وقتلوا المستعين وتم الامر لعلي وتمكن سلطانه واتصلت
دولته عامين وتلقب بالمامون ثم قتله صقالبته في الحمام سنة ثمان واربعمائة فولي
مكانه اخوه القاسم والى ذلك يشير ابن الخطيب في منظومته بقوله

ثم سليمان الى الملك رجع * نبيه الدهر وما كان هجع
وكان شاعراً ومن اهل اللسن * وقيض الله له ابالحسن
وهو ابن حمود اتى من سبته * وسبب العز له قيد ثبته
صال عليه طالبا دم هشام * وقل من وني عن الثارونام
فخذل الابن وثني بالاب * بيده ميينسا للسبب
واستوثق الامر قليلا وانتقم * وانتصر الدهر به ممن ظلم
واغلظ الاحكام في بربره * وغالب الناس على سيره
واغتاله الصقاب في حمامه * فجرعوه الصرف من حمامه
وقام بالامر اخوه القاسم * فوضعت في ملكه المراسم

ثم بعد اربع سنين من سلطنة القاسم نازع ابن اخيه يحيى بن علي بسبته
وكان اميراً على تلك النواحي وولى عهد ابيه فزحف الى قرطبة فملكها سنة ثنتي
عشرة واربعمائة وتلقب بالمعتلى وفر عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له قاضيها ابن
عباد واستجاش بعض البربر ورجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة ولحق المعتلى بمالقة
وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة ولم يزل امر المعتلى
ينمو وسلطانه يعلو الى ان قتله محمد بن عبدالله البرزالي البربري بمداخلة ابن عباد
ثم استدعي اهل مالقة اخاه ادريس بن علي من طنجة وبايعوه فتم امره واتسعت
دولته ومات سنة احدى وثلاثين واربعمائة وبويع بعده لابن اخيه حسن بن يحيى
المعتلى ولقب المستنصر ثم مات مسموماً سنة ثمان وثلاثين وبويع لاختيه ادريس
ابن يحيى ولقب العالي ثم ثار السودان عليه بدعوة ابن عمه محمد بن ادريس بن
علي وتلقب المهدي واقام في ملكه بمالقة واطاعته غرناطة وجيان واعمالها الى ان
مات سنة اربع واربعمين ورجع العالي فبويع بمكانه بغارة وكان فر اليها لما ثار

عيله السودان ثم مات سنة سبع واربعين وبويع محمد الاصغر ابن ادريس بن علي وتلقب المستعلي ثم قام عليه باديس فتغلب على مالقة وسار محمد المستعلي منها الى المرية مخلوعاً ثم استدعاه اهل مليلية وكعمية من وراء البحر وبايعوه سنة تسع وخمسين واربعائة وهو آخر من ملك في الاندلس من الادارسة ثم اقتسمت ملوك الطوائف جزيرة الاندلس الي ان تغلب عليهم المرابطون بعد تغلبهم على المغرب كله والبقاء لله وحده . واعلم ان هذا القطر الاندلسي تسميه الافرنج اندلس بالشين المعجمة وكان يسكنه ام من افرنجة المغرب واكثرهم الجلائقة وكان الغوط قد تملكوه المئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب موصوفة مع السريانيين وذلك لعهد ابراهيم الخليل عليه السلام وحاربوا الاتيين وحاصروا رومة ثم عقدوا معهم السلم على ان ينصرف الغوط الى الاندلس فساروا اليها وملكوها وهؤلاء الغوط من الامم العظيمة وكانوا يعرفون في الزمن القديم باسميين نسبة الى الارض التي كانوا يعمرنها بالمشرق فيما بين الفرس واليونان ولما اخذ الروم واليونان بالملة النصرانية حملوا عليها من ورائهم من المغرب من ام الفرنجة والغوط فدانوا بها وكانت دار ملوك الغوط طليطلة وملكهم لذلك العهد يسمى لزريف وهو ممة لموكمهم وكان ملك البرابرة بجبال غمارة يسمى بليان يدين بطاعتهم وملتهم وموسى بن نصير امير المغرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك واستنزل بليان بطاعة الاسلام وكان بليان ينقم على لزريف ملك الغوط فلحق بطارق بن زياد الليثي وهو يومئذ والي طنجة فانتهمز طارق الفرصة واجاز البحر باذن اميره موسى بن نصير بثلاثمائة من العرب واحتشد معهم البربر وصيرهم عسكرين احدهما على نفسه ونزل بهم جبل الفتح فسمى جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به وحصل لهما التوحات العظيمة

❖ ذكر دولة العبيديين وهم الفاطميون ❖

واصلهم من الشيعة المعروفين بالامامية وكان محمد بن حبيب والد عبيد الله المهدي منهم وهو من ولد اسماعيل الامام ومنازله بالسليمية من ارض حمص في الشام وكانت شيعتهم يتعهدونه بالزيارة فجاء محمد بن الفضل الشيعي العدني من اليمن لزيارته فبعث معه رستم بن الحسن بن الحوشب لاقامة دعوته باليمن فساروا واظهروا الدعوة واستولى

محمد بن الفضل الداعية على اكثر اليمن وفرَّق الدعوة في اليمامة والبحرين والسند والهند
ومصر والمغرب وكان ابو عبدالله المعروف بالحنسب الشيعي من اهل صنعاء وقيل من
الكوفة سمع بقدم ابن حوشب وانه يدعو الناس الى المهدي فسار اليه واتصل به وكان
ابن حوشب ارسل دعاة الى المغرب واجابتهم كتامة من البربر . فلما راي علم ابي عبدالله
ودهاء ارسله اليهم ثم جاء ابو عبدالله مكة واجتمع بجماعة منهم قدموا حجاجاً فرآهم مجيبين
الى مطلوبه فسار معهم الى بلادهم من افريقية سنة ثمانين ومائتين وانثال البربر عليه من
كل جهة وعظم شأنه وبلغ الامر الى بني الاغلب امراء افريقية فاستصغروه ثم مضى الى
تاهرت واتنه قبائل المغرب الاوسط واستمر يطاول بني الاغلب على مملكتهم الى ان تولى
زيادة الله قاتل ابيه وكان منهمكاً في لذاته فضعف امره وانتقضت عليه كافة افريقية
فهرب الى المشرق ونهب البربر قصوره واحتل ابو عبدالله ركادة ومنها ذهب الى القيروان
فدخلها ولما رأى ابو عبدالله امره في الزيادة وامر بني الاغلب في النقصان بعث جماعة
من كتابه الى عبيدالله المهدي بعد موت والده محمد الحبيب فوصلوا اليه وهو في السليمية
واخبروه بما فتح الله عليهم وان الناس في انتظاره وشاع خبر عبيدالله المهدي في الشام
والعراق ومصر واتصل الخبر بالخليفة المكتفي بالله العباسي فطلبه ففرَّ الى العراق ثم لحق
بمصر ومعه ابنة وخاصته فبلغه ما احدث بها محمد بن الفضل من بعد ابن حوشب وانه اساء
السيرة فخرج من مصر بمن معه في زبيّ التجار وسار حتى وصل قسنطينة ثم عدل الى طريق
الصحراء الى سجلماسا وبها اليسع بن مدرار فآكرمه ثم حبسه وبقي في محبسه الى ان فرغ
ابو عبدالله من امر افريقية واستمر على سيره حتى اتى سجلماسا فخرج اليسع لقتاله فانقض
معسكره وفرَّ هو وخاصته ومن الغد خرج اهل البلد الى الشيعي وذهبوا معه الى مجلس المهدي
وابنه فاخرجهما وباع للمهدي ومشي مع روءساء القبائل بين يديه حتى انزلهم بالمخيم وبعث
في طلب اليسع فادركوه وقتلوه ثم ارتحلوا الى افريقية ونزلوا بركادة سنة سبع وتسعين
فحضر اهل القيروان وبويع المهدي البيعة العامة واستقام امره وقسم الاموال في رجال
كتامة واقطعهم الاعمال ودوّن الدواوين وجبى الاموال واستبدَّ بامرهم والى ذلك اشار
ابن الخطيب بقوله

وظهر الشيعي في كتامة * فاختر فيهم كونه واعتماده
وغرهم في رايه ومذهبه * ووعدهم ملك الوري بسببه
وصير الدعوة بعض قصصي * الى عبيدالله من آل الوصي

وهو الذي لقب بالمهدي * أي همام حازم ابي

واخر المهدي ابا عبد الله واخاه ابا العباس عن مباشرة الاحكام فاضلم الجو
بينهما واظهر ابو عبد الله واخوه الطعن فيه وقالوا لهم ليس هذا هو المهدي
الذي دعونا اليه فاسترابت كتمانة وانتفخوا على قتله ونفى الخبر الى المهدي فتلطف
في امرهم وولى روءساء كتمانة على البلاد وفرق كلمتهم ثم امر عروبة بن
يوسف بقتل ابي عبد الله واخيه فحمل على ابي عبد الله عند باب القصر فقال
له لا تفعل فقال الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك ثم اجهز عليه وعلى اخيه
ابي العباس وخلا الجو للمهدي فبني المهديا وانتقل اليها من ركادة وزال بملكه
ملك بني الاغلب وملك بني مدرار اصحاب سجلماسا . وياهمم فيها مائة
وثلاثون سنة وزال ملك بني رستم اصحاب تاهرت وياهمم فيها مائة وستون
سنة ثم توفي المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهديا لاربع وعشرين سنة
من ولايته وولى بعده ابنه ابو القاسم محمد ويقال له نزار ولقب بالقائم بامر
الله فخرج عليه ابو يزيد الاعور ولم يزل مشتغلاً بحروبه مدة امارته وتوفي
انقائم تحصوراً في سوسة بعد ان عهد لولده اسماعيل ولقبه المنصور سنة اربع
وثلاثين وثلاثمائة فكتم المنصور موت ابيه القائم حذراً ان يطاع عليه ابو يزيد
وهو بمكانه من حصار سوسة فلم يسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا
البنود الى ان مات ابو يزيد مأسوراً عنده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة
فحينئذ اظهر موت ابيه وبويع بالخلافة وضبط الملك والبلاد ثم توفي سنة احدى
واربعين وثلاثمائة لسبع سنين من خلافته وعهد الى ابنه معد ولقب بالمعز لدين
الله فاستقام امره وعظم ملكه ولما بلغه اختلال احوال مصر بعد موت كافور
الاخشيدى جهز اليها جوهرًا في جيوش البربر والعرب فهربت العساكر الاخشيدية
قبل وصوله ودخل مصر في سابع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
واقامت دعوة الفاطميين فيها وخطب باسم المعز ابو محمد عبد الله الشمشاطي في
الجامع العتيق في شوال وفي جمادى الاولى دخل جوهر جامع ابن طولون وامر
بزيادة حي على خير العمل في الاذان وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم
وبعث الهدايا والاموال الى افريقية صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها
وانقرضت دولة الاخشيدية من بني طنج . ولما استقر جوهر بمصر شرع في

بناء القاهرة وسير جيشاً الى الشام مع جعفر بن فلاج . فجاز الى دمشق
 وافتتحها بعد قتال شديد ونهب بعضها وكف عن بعض واقام الخطبة فيها يوم
 الجمعة للمعز الفاطمي في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ولما توالى البشائر على
 المعز بفتح مصر والشام عزم على المسير الى مصر وبدأ في تمهيد المغرب وقطع
 شواعله ثم استدعى بلكين بن زيري واستخلفه على افريقية والمغرب وانزله
 القيروان وسماه يوسف وكناه ابا الفتوح ثم سار باهله وعساكره الى مصر
 فتلقنه اعيانها بالاسكندرية فاكرمهم وساروا معه الى مصر فدخلها خامس شهر
 رمضان سنة اثنيتين وستين وثلاثمائة وكانت منزله ومنزل الخلفاء من بنيه بعده
 الى انقراض دولتهم بموت العاضد ابي محمد عبد الله وكانت وفاته يوم عاشوراء
 سنة سبع وستين وخمسمائة وعلى وزارته يوسف صلاح الدين نقلها بعد موت
 عمه شيركوه فتمكن صلاح الدين في مصر وحكم على القصر وكان قبل موت
 العاضد بايام وهو في شدة المرض قطع خطبته وخطب لبني العباس بامر
 نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام وهو الذي بعث شيركوه وابن
 اخيه صلاح الدين الى مصر باستدعاء من العاضد وكانت ايام ملك
 الفاطميين مائتين وثمان سنين بمصر واثنين وخمسين بالمغرب وافريقية وعدة
 خلفائهم اربعة عشر اولهم عبيد الله المهدي واخرهم العاضد محمد بن عبد الله
 وبانقراض دولتهم انقضت دولة العرب من مصر ومن المغرب وافريقية وانتقل ملك مصر
 الى يوسف صلاح الدين واهل بيته ثم الى الجراكسة ثم الى الدولة العلية وانتقل ملك
 افريقية والمغرب الى البربر يتداولونه طائفة بعد طائفة وجيلاً بعد جيل تارة يدعون لبني
 امية بالاندلس وتارة لبني العباس واخرى لبني ادريس ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم فقامت
 دولة صنهاجة بافريقية واولهم ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي استخلفه المعز
 على افريقية والمغرب عند مسيره الى مصر واستمرت امارة افريقية في ولده يتوارثونها خلفاً
 عن سلف الى ان انقضت باستيلاء الافرنج على المهديّة سنة ثلاث واربعين وخمسمائة
 وفرّ الحسن بن يحيى بن تميم آخر امراء افريقية الى بجاية فاجاره صاحبها يحيى بن العزيز
 من بني حماد ثم لحق بالجزائر ونزل على سبع بن العزيز اخي يحيى فاكرم نزله وجاوره الى
 ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع واربعين وخمسمائة بعد استيلائهم على المغرب والاندلس
 ففرج الحسن الى عبد المؤمن امير الموحدين فاكرمه ولحق به وصحبه الى افريقية في غزواته

الاولى والثانية فنازل المهدي فافتتحها سنة خمس وخمسين واسكنها الحسن وعين له اقطاعاً في خارجها ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن في ولايته بعد ابيه عبد المؤمن فاحل باهله قاصداً مراکش فمات بتامساً والبقاء لله تعالى وحده

ذكر دولة المرابطين

وهم من الطبقة الثانية من صنهاجة ويقال لهم الملتمون وقد استوطنوا القفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب منذ دهور لا يعرف اولها ايثاراً للانفراد والبعد عن غلبة الملوك وتناسلوا في تلك البلاد فكثروا وتعددت قبائلهم. ذكر غير واحد من المؤرخين انهم كانوا لاول الاسلام سبعين قبيلة منها لمتونة ودكالة ومسوقة وملطة ومزيلة. ومواطنهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من جنوب طرابلس وبرقه الى ريف الحبشة واتخذوا اللثام شعاراً ليلاً ونهاراً والسبب في ذلك ان طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلشن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو راى جمعاً عظيماً فقال هو لاء عند حرهم يقتلون عنهن قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان لحقونا قاتلناهم خارجاً عن حرهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فاكثروا القتل من العدو وكان ممن قتله النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلزامونه ومما قيل فيهم

قوم لهم درك اعالي في الحمى * وان اتموا صنهاجة فيهم هم

لما حووا ادراك كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتاثموا

وكانوا على دين المجوسية ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم في المائة الثالثة وكانت الرئاسة فيهم للمتونة ولهم ملك ضخيم في تلك الصحارى وجاهدوا جيرانهم من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به اكثرهم ومن بقي منهم على المجوسية اعطى الجزية ولم تنزل كلمتهم مجموعة الى ان قتل صنهاجة اميرهم تميم بن بلنان فتفرق امرهم وصارت رئاسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رئاسة لمتونة في بني ورتاطق ولما افضت رئاستهم الى يحيى بن ابراهيم خرج في جماعة الى الحج سنة اربعين واربعائة فلقوا في

منصرفهم الامام ابا عمر الفاسي المالكى فطلبوا منه ان يرسل معهم من يعلمهم امر دينهم فبعث معهم النقيه عبد الله بن يس الجزولي ولما مات الامير يحيى افترق امرهم وتركوا الاخذ عن عبد الله بن يس فاعرض عنهم وتنسك معه يحيى بن عمر واخوه ابو بكر بن عمر رؤساء لمتونة وانتبذوا عن الناس في جزيرة يحيط بها بحر النيل ولحق بهم من كان في قلبه ميل الى الاسلام ولما كمل معه الف رجل قال لهم عبد الله قد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه ولن يغلب الف من قلة فخرجوا من الجزيرة وقتلوا من استعصى عليهم حتى انابوا ورجعوا الى الحق وسامهم المرابطين وامر عليهم يحيى بن عمر فخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد درعة وسجلماسا فأدوا لهم الزكاة الشرعية ورجعوا ثم بلغهم ما نال المسلمين من ظلم بني وانودين امراء سجلماسا من مغراوة فخرجوا اليهم سنة خمس واربعين واربعائة في عدد كبير من الفرسان وعمدوا الى درعة فنهض اليهم امير مغراوة وصاحب سجلماسا ودرعة فانهمزت جيوش مغراوة وقتل اميرهم واستلم عسكره ودخلوا سجلماسا وقتلوا من كان بها من مغراوة وبعد اصلاح احوالها استعملوا عليها بعض رؤسائهم ورجعوا الى مواطنهم ثم مات يحيى بن عمر سنة ثمان واربعين واربعائة وولى اخوه ابو بكر بن عمر فغزى بلاد سوس ومات النقيه عبد الله بن يس في بعض حروبهم مع برغوة واستمر ابو بكر في جهادهم حتى استأصل شافتهم ثم بلغه ما وقع بين قومه من الخلاف فحشى افتراق الكلمة وارتحل راجعاً الى قومه بعد ان استعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ورفع ما كان بينهم من الخلاف وشغلهم في جهاد السودان فاستولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم واقبل يوسف على شأنه فدوخ اقطار المغرب واختط مدينة مراکش سنة اربع وخمسين واربعائة ثم انتقضت عليه فاس وقبائل زناتة فنهض اليهم سنة اثنتين وستين ونازل فاس فافتتحها عنوة واصلح شأنها وارتحل منها الى ملوية فافتتح حصونها وحصون غمارة وتازة وبلاد غياثة وفي سنة ثلاث وسبعين نهض الى الريف فافتتح سائر بلادها وافتتح مدينة تلمسان واستلم من كان بها من مغراوة وقتل اميرها العباس بن يحيى واختط بها تاكروات وهو اسم للمحلة بالبربرية ثم افتتح وهران وتنس ومليانه وملديه وغيرها وانتهى الى الجزائر ثم رجع الى مراکش سنة خمس وسبعين واربعائة وعظم امره واستفحل ملكه وتلقب امير المسلمين وكاتبه اهل الاندلس كافة من العماء والخاصة وملوك الطوائف

مستنجزين وعده في صريح الاسلام فاهتز للجهاد ثم اجاز البحر بعساكر المرابطين
وقبائل المغرب ونزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين واربعمائة وجمع ملك الجلالقة
اماً لقتاله ولقيه بالزلاقة من نواحي بطليوس وكان للمسلمين عليه اليوم المشهور
سنة احدى وثمانين ثم رجع الى مراکش واجاز ثانية سنة ست وثمانين فلقه ابن عباد
بجيوشه فبطش بهم ورجع الى مراکش واجاز ثالثة سنة تسعين فزحف اليه ملك
الجلالقة فانزمت جيوشه ثم رجع الى مراکش واجاز ابن ابنه الامير يحيى بن
ابي بكر بن يوسف سنة ثلاث وتسعين واربعمائة وانضمت اليه جيوش المرابطين
بالاندلس فتقوى بهم واخذ عامة الاندلس من يد ملوك الطوائف واستولى على
العدوتين ولم يبق منها الا سرقسطة في يد صاحبها ابن هود معصماً بالافرنج وخاطب
المستنصر العباسي الخليفة ببغداد وجاءه التقليد منه على ما لديه من الاقاليم وخاطبه
الامام الغزالي يحضه على العدل والتمسك بالشرعية ثم اجاز رابعة سنة سبع وتسعين
واربعمائة وتوات غرواته في بلاد الافرنج الى ان مات على رأس المائة الخامسة
فقام بالامر بعده ابنه علي واجاز الى الاندلس فاتخن فيها قتلاً وسياً ثم اجاز
ثانية سنة ثلاث وخمسمائة ونازل طليطلة فعظم شأنه وقسم شرقي الاندلس على اعيان
المرابطين وعقد لابنه تاشفين على غربية سنة ست وعشرين وخمسمائة ورجع الى
مراكش ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الموحدين ثم مات سنة سبع وثلاثين
وخمسمائة وقام بالامر ابنه تاشفين حين عظم امر الموحدين ثم اخذ امر المرابطين الضعف
وغزى عبد المؤمن بن علي في جموع الموحدين غرواته الكبرى الى جبال المغرب
فخرج تاشفين بعساكر المرابطين لمقابلته وبعث البعوث الى الجهات فرجعوا منهزمين
وتوات الوقائع عليه فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه وولي عهده ابراهيم الى
مراكش وزحف عبد المؤمن الى وهران في جيوش الموحدين وضابقوا تاشفين
في داخلها فخرج الى الجبل المطل عليها فتردى به فرسه في بعض شعابه فات سنة
احدى واربعين وخمسمائة ثم بويع لابنه ابراهيم بن تاشفين وخاع فبويع عمه اسحاق
ابن علي بن يوسف ثم زحف الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب الاقصى
والاوسط فخرج اليهم عسكر اسحاق فقتلهم الموحدون وفر اسحاق وخاصته الى القصبه
ثم نزلوا على حكم الموحدين فاحضر اسحاق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون
وقتلوا خاصته ودخلوا مراكش وانقرضت دولة المرابطين بعد ان ملكوا المغرب الاقصى

والاوسط وعدوة الاندلس ثمانين سنة وخطب لهم على ازيد من الفتي منبر وكانوا
اهل ديانة وصيانة لم يجروا في اعمالهم مكساً ولا خراجاً ولا ما يخالف الشريعة
المطهرة قال ابن الخطيب

قد طالعت بتغرب لمتونه * دولتها عزيزة ميمونه
تجمع ديناً وعفافاً وكرم * لم يدر قدر فضلها حتى انصرم
فاذعنت لحرهبها الطوائف * وظهرت من قوتها خلائف
والملك لله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

❖ ذكر دولة الموحدين ❖

كان القائم بامر هذه الدولة محمد بن عبدالله تومرت الشهير بالمهدي واختلف
النسابون فيه ف قيل انه ينتمي الى الحسن السبط رضي الله عنه وانكر ابن مطروح
ذلك في تاريخه وقال انما هو من هرغة من بطون المصامدة من البربر ارتحل
في اول الخمسة الى المشرق لطلب العلم ولقى جماعة من مشاهير العلماء فاستفاد
علماً واسعاً ثم انطلق راجعاً الى المغرب سنة خمس عشرة وخمسة وواخذ بالانكار
على الناس والزهم اقامة الصلوات واجتناب المنكرات وكان على مذهب الاشعري
في تاويل المتشابه من الآيات والاحاديث وانكر على اهل المغرب اخذهم بذهب
السلف في اقرار المتشابه كما جاء وكفرهم بذلك وكان يقول بعصمة الامام
وينتحل القضايا الاستقبالية ويشير الى الحوادث الآتية وفي ايام اقامته بنراحي
بجاية اتصل به عبد المؤمن الكومي الترابي فاستحبه الى المغرب الاقصى
واستمر على ما هو عليه في زعمه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل
مراكش فكثرت اتباعه ولما اشتتر امره استخضره امير المسلمين علي بن يوسف
ابن تاشفين الى مجلسه وناظره الفقهاء بين يديه فغلبهم فاخرجه من مراكش
فلحق بجهال المصامدة ونزل على هرغة وبنى رباطاً للعبادة واجتمع عليه خلق كثير
فجعل يعلمهم التوحيد بلسانهم على مذهب الاشعري ثم دعاهم الى بيعته على التوحيد
وقتل المرابطين وانه المهدي المنتظر فبايعوه على ذلك ثم كثرت جيوشه فارسل
امير المسلمين علي بن يوسف جيشاً لقتاله فهزمهم وقويت نفوس اتباعه ووفدت
اليه قبائل المصامدة وغيرهم من البربر يباعونه وعظم امره وترددت اليه عساكر

المرابطين مرات ففضهم ثم ارتحل الى جبل تينملل واستوطنه وبني فيه داراً
ومسجداً وسمى عامة اصحابه الموحدين ولم يزل امره يعلو فلم تهزم له راية الى
سنة اربع وعشرين وخمسة مائة فجهز جيشاً لنظر صاحبيه الوانثريسي وعبد المؤمن
وسيرهم الى مراكش فحصرها امير المسلمين فيها عشرين يوماً ثم خرج اليهم
واقبلوا فقتل الوانثريسي وانهزم عبد المؤمن بيمشه الى الجبل . ولما بلغ المهدي
خبر هزيمة عساكره وكان مريضاً اوصى اصحابه باتباع عبد المؤمن وعرفهم انه هو
الذي يفتح البلاد وسماه امير المؤمنين ولما توفي دفنه اصحابه في داخل مسجده
وكنموا موته وعهده بالخلافة الى عبد المؤمن خوفاً من تفريق الكلمة واقاموا
يديرون الامور ثلاث سنين ثم تقدم الشيخ ابو حفص المنتاقي رئيس قبيلته الى
عبد المؤمن وقال له تقدمك كما كان الامام يقدمك واعلنوا بيعته وامضوا عهد
الامام بخلافته وحملوا القبائل على طاعته فاقام عبد المؤمن في تينملل يؤلف
القلوب ويأخذ في الاستعداد الى ان استكمل امره فخرج الى تاذلة ودرعة
فاستولى عليهما وانتفض البربر وسائر المغرب على المرابطين وفي سنة اربع وثلاثين
غزى ولم يرجع الى تينملل حتى استولى على المغربين الاوسط والاقصى واحتل
مراكش سنة احدى واربعين وفي سنة ثلاث واربعين استولى على قرطبة
وقرطبة وجيان من الاندلس وفي سنة ست واربعين فتح افريقية باسرها وفتح
مدينة المرية ووابرة وياسة من الاندلس وفي سنة خمسين فتح غرناطة وفي سنة
اربع وخمسين رجع الى افريقية واجلى جميع الثوار منها ونازل المدينة وكانت في
يد الافرنج فاخرجهم منها سنة خمس وخمسين ووصلت جيوشه الى سرت وبرقة فيما
وراء طرابلس ثم رجع الى المغرب وفي سنة سبع وخمسين خرج من مراكش الى سلا
قاصداً الجواز الى الاندلس فمرض بها ومات وكانت مدته ثلاثاً وثلاثين سنة
 وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوماً وهو الذي جمع اهل المغرب كافة على مذهب الاشعري
في الاصول وعلى مذهب الامام مالك في الفروع قال ابن الخطيب

ونجح المهدي وهو الداھية * فاصححت تلك المباني واهيه
لم يال فيها ان دعي لنفسه * وكان في الحزم فريد جنسه
وعنده سياسة وعلم * وجراة وكرم وحلم
ووافقت دولته في الناس * لدولة المسترشد العباس

واوصى بالخلافة لولده يوسف فبويغ ولقب بامير المؤمنين واستقامت له الامور
 لحسن تدبيره ومثانة دينه واجاز الى الاندلس مرات وكانت له فيها عدة غزوات
 اسنظهر في جميعها على الافرنج وافتتح امصاراً وحصوناً وفي سنة ثمانين وخمسمائة اجاز
 الى الاندلس اجازته الاخيرة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته فيها
 حشود الاندلس ووصل الى شنترين فحاصرها وخرج النصارى من الحصن فوجدوه
 في غير اهبة فحملوا عليه فابلى هو ومن حضر معه ثم اصابه سهم فحمله ابنه يعقوب
 وانصرف الى اشبيلية فمات في الطريق وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وبويغ
 ولده يعقوب وتلقب بالمنصور ثم اجاز الى مراكش وباشرا الاحكام واقام راية الجهاد
 وحصن الثغور والبلاد واحسن بالمرتبات علي العلماء وبنى المساجد والمدارس في
 جميع ايلات المغرب وافريقية والاندلس وانشأ بها عدة مارستانات وواقع بالافرنج
 عدة وقعت منها وقعة الأرك في نواحي بطليوس وبالجملة فقد كان اجل ملوك
 الموحدين وابعدهم صيتاً واعلام همة وكانت ايامه ايام خير وامن توفي سنة خمس
 وتسعين ودفن بداره في مراكش وقد كذب من قال انه ولع وساح ومات بالبقياع
 العزيز من اعمال دمشق الشام ودفن بقرية في راس الجبل وقد سميت القرية باسمه
 واكثر اهالي تلك البلاد يعتقدون بذلك ولذا اكثر حجاجهم يقصدون زيارته
 عند مرورهم على الشام وكانت مدته اربع عشرة سنة واحد عشر شهراً وولى بعده
 ابنه محمد ولي عهده وتلقب بالناصر لدين الله وفي ايامه قوى امر ابن غانية المتوفي
 في افريقية وتغلب على جميع اعمالها وخطب للخليفة العباسي فاتصل خبره بالناصر
 فنهض من مراكش سنة احدى وستائة فشتت شمل ابن غانية واقام بافريقية الى سنة
 ثلاث وستائة فاستناب ابا محمد ابن الشيخ ابي حفص المنتنابي عليها ورجع الى مراكش
 ثم اجاز الى الاندلس فكانت وقعة العقاب المشهورة التي كانت الدبرة فيها على
 المسلمين ثم رجع الى مراكش ومات سنة عشر وستائة وبويغ لولده يوسف وتلقب
 بالمستنصر فتغلب عليه ابن جامع وزير ابيه اصغر سنه وفي ايامه دخل الوهن على دولة
 الموحدين واثالت الامور وظهر امر بني مرين وكان المستنصر مولعاً بالخيول والبقر
 فخرج في سنة عشرين وستائة الى بستانه وجعل يمشي بين البقر فطعنته بقرة بقرنها
 فمات وبويغ عم ابيه عبد الواحد عن كره منه في سن الشيخوخة ثم خلع وقتل
 لتسعة اشهر وبويغ ابن اخيه عبد الله وتلقب بالعاقل ثم خلع وقتل ونهب البربر قصره

واستباحو جريمه ثم بويح لاختيه ادريس بن يعقوب وتلقب بالمامون وهو يومئذ
وال على اشبيلية فزاحمه يحيى بن الناصر وكان الموحدون بايعوه في مراکش يوم
قتل العادل ثم اختلفت الكلمة على يحيى فلتحق بالجليل واجاز المامون الى مراکش
فدخلها ثم اشاع النكير على امامهم المهدي في العصمة ووضع العقائد والنداء في
الصلاة بلسان البربر وتغيير رسوم الدعوة واصول الدولة واسقاط اسم المهدي من
الخطبة والسكة واعلان لعنه وقتل من خالفه في ذلك من الموحدين فنكثوا ببعته
وقطعوا خطبته واستبدت الامير ابو زكريا فيها وتلقب بالامير وفي ايام المامون
استولى ابن هود على الاندلس واخرج سائر الموحدين وامر بقتلهم ثم انتقض على
المامون اخوه ابو موسى ودعا لنفسه بسبته فخرج اليه وكان يحيى بن الناصر بالمرصاد
فخالفه الى مراکش فانفتحها بجيوش العرب وعات فيها واقلع المامون عن سبته يريد
مراكش فمات في طريقه سنة ثلاثين وبويح ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد وفي
سنة احدى وثلاثين خرج من مراکش الى الجبل ووقع يحيى بن الناصر وجموعه
ولحق يحيى بسجلماسا وانكف الرشيد راجعاً الى حضرته واستامن له كثير من
الموحدين فامنهم ثم اساء الظن فيهم فقتلهم وبذلك فسدت قلوب الرعايا عليه واخذ
اكثرهم بطاعة يحيى واحضروه من الحراء وزحفوا به لمراكش فخرج الرشيد الى جبال
المصامدة وسار منها الى سجلماسا فمكها ودخل يحيى وجموعه الى مراکش وفي سنة
ثلاث وثلاثين خرج الرشيد من سجلماسا الى مراکش فبرز اليه يحيى بجموعه فانهمزمت
جموع يحيى ودخل الرشيد الى مراکش وانتقض الخلط على يحيى فنكثوا ببعته ولحق
يحيى بعرب العقيل بنواجي تازا فاجاروه ثم غدروا به وفي سنة خمس وثلاثين
بايع اهل اشبيلية الرشيد ونكثوا ببيعة ابن هود وفي سنة ست وثلاثين وصلت اليه
بيعة ابن الاحمر التائر بالاندلس على ابن هود وفي سنة سبع وثلاثين اشتدت الفتنة
بالمغرب وانتشر بنومرين في بساطه وزحف اليهم الرشيد فهزموه ثلاث مرات ثم
رجع الى مراکش واشتد عدوانهم في نواحي مكناسه وفي سنة اربعين توفي الرشيد
بمراكش غريباً في بعض صهاريج القصر وقام بالامر بعده اخوه ابو الحسن السعيد
واستخلص نفسه رؤساء العرب وانتقض عليه اهل سبتة واشبيلية وسجلماسا وعقد
المهادنة مع بني مرين وفي سنة خمس واربعين خرج من مراکش قاصداً تلمسان
فتعرض ابو مرين لجموعه في طريقهم فامتلات ايديهم من اموالهم وقتل عبدالله بن

السعيد فمِن قتل منهم ولحق الفل بمراكش فبايعوا ابا حفص عمر بن اسحاق اخا المنصور
وتلقب بالمرتضى وفي سنة سبع واربعين استولى ابو يحيى بن عبد الحق وقومه بنو
مرين على تازة وفاس وسياتي تفصيل اخبارهم انشاء الله تعالى وسار في سبته ابو القاسم
العزفي وفي سوس علي بن يدر وتفاقم امر بني مرين وتلاشى امر الموحدين وضعف
المرتضى عن الدفاع وفي سنة اثنين وستين اقبل يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين
فنازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين اياماً وقتل فيها عبد الله بن
يعقوب بن عبد الحق فبعث المرتضى الى ابيه يعزبه ويلاطفه وارتحل عنهم ثم فرّ
ادريس ابودبوس ابن عم المرتضى ولحق يعقوب بن عبد الحق صريحاً به واشترط له
المقاسمة في العمل والذخيرة فامده بالمال واوعز الى الخلط بظاهرتة وزحف ابو دبوس
الى مراكش ووفد عليه جماعة من بني عمه في جيش من الموحدين والنصارى
فدخلها على حين غفلة وفر المرتضى الى جبال هنتاتة فبلغه انهم بعثوا يبعثهم الى
ابن دبوس فعدل عنهم الى ازموور وكان صهره ابن عطوش والياً عليها من قبله فقبض
عليه وطير الخبر الى ابي دبوس فاستلمه منه وقتله وفي سنة خمس وستين بلغ
ابا دبوس خبر انتفاض بني مرين فارسل الى عدوهم يغمراسن صاحب تلمسان يستعين
به عليهم فلما اتصل الخبر يعقوب بن عبد الحق جمع جيوشه ونهض الى تلمسان
فاوقع ببني زيان وقعة تلاح التي قتل فيها يغمراسن وشنت شمله ثم رجع الى فاس
ونهض الى مراكش وخرج اليه ابودبوس فكر عليه يعقوب بجموعه ففرّ فادركوه
وقتلوه فدخل يعقوب مراكش سنة ثمان وستين وستائة وفرّ الموحدون منها الى
جبالهم بعد ان كانوا بايعوا عبد الواحد بن ابي دبوس ولقبوه بالمعتصم مدة خمسة
ايام وخرج في جملتهم وانقرض امر بني عيد المؤمن والموحدين والبقاء لله تعالى وحده

﴿ ذكر دولة بني مرين ﴾

وهم حي من زناتة في اطراف المغربين ينتجعون الصحارى ويعطون الدول
حق الطاعة فلما رأوا اختلال المغرب الاقصى ايام المستنصر بن الناصر خامس
خلفاء الموحدين وعلموا ان الدولة قد تلاشت وخلت النغور من الحامية انتزوا
الفرصة فيه فدخلوه وتفرقوا في جهاته واوجفوا عليه بجيولهم ورجلهم واكتسحوا
سائر بسائطه بالغارة والنهب فلجأ الناس الى الجبال والمعازل واذنوا الدولة بالحرب

وكان رئيسهم عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة ولم يزل على امارته
 ومطاوله الموحدين على الملك الى ان قتله عرب رياح من اولياء الموحدين في
 حرب جرت بينه وبينهم بمداخلة بني عمه اولاد عسكر سنة اربع عشرة وستائة
 وقام بالامر بعده ولده عثمان فالخن في عرب رياح لثار ابيه وتغلب على الضواحي
 ومد يده لاطراف البلاد يتعري مسالكها ويضع المغارم على اهلها حتى دخل اكثر
 القبائل في امره وبايعوه وفرق فيهم العمال ثم فرض على امصار المغرب الاقصى
 ومدنه ضريبة يؤدونها على راس كل سنة ليكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ولم
 يزل على ذلك الى ان اغتاله علجة سنة سبع وثلاثين وستائة فولى اخوه محمد بن
 عبد الحق واخذ الضريبة وجباية المغارم من سائر الرعايا وبقي عبد المؤمن في
 ضعف وقصور الى ان توفي الرشيد بن المأمون امير الموحدين وولى اخوه علي
 الملقب بالسعيد فجمع الجيوش ونهض سنة اثنتين واربعين وستائة من مراکش
 وزحف اليه بنو مرين والنقوا بوادي ماش فقتل الامير محمد بن عبدالحق رئيس
 بني مرين وانكشف قومه ولحقوا بيجال غياثة فاعتصموا بها ثم خرجوا الى القفر
 وولوا عليهم ابا يحيى بن عبد الحق نقام بامرهم ورجع الى المغرب وقسم البلاد بينهم
 وانزل كل بطن منهم في ناحية وبعثوا يبعثهم الى ابن زكريا الحفصي صاحب
 افريقية ثم جنح الامير ابو يحيى ابن عبدالحق الى الاستبداد فاتخذ آلة الحرب
 واستعمل شعائر الملك وبلغ خبره الى الخليفة السعيد فوجم لها وخطب على اعيان
 دولته فقال هذا ابن ابي حفص اقتطع افريقية ويغمراسن امير بني زيان اقتطع
 تلسان والمغرب الاوسط وابن هود اقتطع الجانب الغربي من الاندلس وابن الاحمر
 اقتطع الجانب الشرقي منه وهوؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب الاقصى
 ثم سمو الى تملك امصاره فاغتاظ قومه لذلك فجهز السعيد عسكره واحتشد عرب
 المغرب ونهض من مراکش ولما علم ابو يحيى انه لا طاقة له على محاربتة افرج
 عن البلاد ولحقه بنو مرين واجتمعوا اليه بتاظوطا من بلاد الريف ثم انتقلوا الى
 جبل بني يزناسن ونزلوا بعين الصفا ولم يزل ابو يحيى على شأنه في فتح البلاد الى
 ان توفي بناسن سنة ست وخمسين وستائة وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر
 واهل الحل والعقد مائلة الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان يومئذ في تازة
 فبقي الامر في اضطراب الى ان اجتمعت الكلمة على يعقوب فدخل فاس وماكها

سنة سبع وخمسين واستجمع للاستيلاء على مراكش ولم يزل ينازها الى ان تمكن من دخولها سنة ثمان وستين وستائة واستقام له امر المغرب الاقصى كله وهو اول من تلقب بامير المسلمين من ملوك بني مرين ثم اشتغل بالجهاد فاجاز الى عدوة الاندلس مرات ودار له فيها الظفر العظيم ولما راي ملكه قد اثتوثق اختط المدينة الجديدة لصيق فاس بساحة الوادي المخترق وسطها من اعلاه وشرع في تاسيسها سنة اربع وسبعين وستائة ولما كمل تشييدها نزلها ثم اوعز ببناء قصبة مدينة مكناسة ولم يزل قائماً بامر الجهاد واصلاح امر رعاياه الى ان مات سنة خمس وثمانين وستائة وبويع ولي عهده ابو يعقوب يوسف ففرق الاموال وقبض ايدي العمال عن المظالم ورفع المكوس وصرف اعتناؤه الى اصلاح السابلة واتبع سنن والده في الجهاد وقهر بني زيان وراسلته ملوك المشرق واوفدت عليه اعيانها وامندت مملكته من سوس الاقصى الى بجاية في حدود افريقية من الجهة الغربية ولم يزل في عظمة سلطانه الى ان قتله خصي من خصيائه سنة ست وسبعائة وهو محاصر لتلمسان وبالجملة فهذه الدولة من اعظم دول المغرب واقواها واحسنها سيرة ذكرها ابن الخطيب بقوله

واورث الله بلاد المغرب * للسادة انغر الكرام النجب
اولي الخيول والرماح والهمم * اقوى بني الدنيا واوفى بالذمم
وادرب الخلق بركض الخيل * وخوض احشاء الفلا والليل
قاموا وقد بان اختلال الطاءء * لمذهب السنة والجماعة
واستخلصوا المغرب بالسيوف * في خبز مستظرف معروف
فشمل الاقصى به والادنى * امرهم وقام منه المبني

ولم يزل امرهم منذ دخلوا المغرب مستقيماً وحمائم منيعاً وكلمتهم متحدة الى ان مات سلطانهم ابو سالم ابراهيم بن علي بن عثمان بن عبد الحق سنة اثنتين وستين وسبعائة وتولى تاشفين وتغلب الوزير عمر بن عبد الله على الامر ففتقرت الكلمة وانتزى الثوار من اعيانهم بقاوية الملك وانقسمت الدعوة بينهم في مراكش وسجلماسا وسبته وانحصرت السلطة في فاس واعمالها وفي ايام ابي فاس ابن العباس سنة سبع وتسعين وسبعائة اخذ الفشل يدب في اعضاء الدولة واستمروا على اخذ الناس باللين الى ان قام الامير السيد محمد بن علي بن عمران الادريسي تلى عبد الحق

ابن ابي سعيد بفاس فبايعه اهلها وتم له الامر وبانتهاء ايامه انقرضت دولة بني عبد الحق الاول بن يحيى بن ابي بكر مؤسس دولة بني مرين والله الامر من قبل ومن بعد

* ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرين *

ولما اقسام بنو مرين الاعمال كانت بلاد الريف لبني وطاس وكان بنو الوزير ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي يتشوفون الى الرئاسة والخروج على بني عبد الحق ويرون ان نسبهم دخيل في بني مرين لانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين فلحقوا ببني وطاس وفر ابو عبدالله محمد الشيخ ابن الوزير الى الصحراء خوفاً من السلطان عبدالحق بن ابي سعيد حين قتل جماعة من عشيرته وبقي يتردد في الصحراء الى ان ملك اصيليا واستفحل امره بها فكتبته اعيان فاس ورواؤها يدعونه للقدوم عليهم ويعدونه بالنصرة فنهض من اصيليا الى فاس وحاصرها وفر صاحبها الامير محمد بن علي الادريسي ودخلها محمد الشيخ فبايعه اهلها سنة ست وسبعين وثمانمائة وفي ايامه تم استيلاء الاسبانيول على عدوة الاندلس وغرناطة ولحق سلطانها ابو عبدالله ابن الاحمر بفاس واستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ فبالغ في احترامه وبقي بها الى ان توفي سنة اربعين وتسعمائة في حرب الوطاسيين مع السعديين ثم استولى البرنقال على اكثر سواحل المغرب وفي سنة عشر وتسعمائة توفي محمد الشيخ وبويع لابنه محمد المشهور بالبرنقالي ولما تم له الامر نهض الى مراكش وحاصر بها ابا العباس السعدي ولما بلغه ان بني عمه قد نبذوا طاعته ارتد الى فاس وعهد الى اخيه ابي حسون المعروف بالبادسي نقام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن احمد البرنقالي فخلع سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وبويع ابو العباس احمد وجرت بينه وبين السعدي قرب مراكش حروب عظيمة دامت اياماً ثم تصالحا على ان للسعديين من تادلا الى سوس والوطاسيين من تادلا الى المغرب الاوسط وبعده انعقد الصلح بينه وبين البرنقال وتحسنت الاحوال ثم ان السلطان محمد الشيخ السعدي تقض ما جرى من الصلح بين الوطاسيين والسعديين وقام على اخيه ابي العباس الاعرج واستولى على مراكش ونهض الى فاس وحاصرها سنة ثم استولى عليها سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبض على ابي العباس وارسله مع الوطاسيين مصفدين الى مراكش وفر ابو حسون الوطاسي الى الجزائر

مستصرخاً بالاتراك على من تغلب على ملكه وملك آباءه ووعدهم بالاموال الجزيلة ان نصره عليه فاجابوه لذلك وشيعوا معه جيشاً كثيفاً تحت راية صالح باشا التركني فانقلب بهم الى فاس ودخلها بعد حروب عظيمة وفر محمد الشيخ السعدي الى مراكش ولما استقر ابو حسون دفع للاتراك ما وقع عليه الاتفاق ورجعوا الى الجزائر وتختلف عنده منهم نفر يسير ولما وصل محمد الشيخ الى مراكش صرف عزمه للانتقام من ابي حسون فاستنفر القبائل ونهض بها الى فاس فخرج اليه ابو حسون وكانت الهزيمة عليه فانقلب الى فاس وتحصن بها وحاصره محمد الشيخ الى ان ظفر به وقتله واستولى على فاس سنة احدى وستين وتسعمائة وصناله الامر وبهلاك ابي حسون انقرضت الدولة المرينية من ارض المغرب والملك لله الواحد القهار

ذكر دولة السعديين

واصلهم من اشراف يبيع النخل استوطن اسلافهم درعة ولما نشأ فيهم ابو عبد الله محمد القائم بامر الله على غفاف وصلاح بايعته اهل سوس حين احتاطت بهم جيوش البرنقال من كل جهة فنهض الى تاورنت واستولى عليها ثم زحف الى اكادير وقاتل البرنقال مدة لم ينبجح بها فندب الناس لبيعة ولده الاكبر ابي العباس المعروف بالاعرج فبايعوه سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما تم له الار نذب الناس الى جهاد البرنقال واخراجهم من ثغور المغرب فحصل له النصر والظفر واخرجهم من احواز تلمست واسفي وغيرها فبعد صيته وانتشر ذكره وكتبه امراء دنتاتة ملوك مراكش للدخول في طاعته فاجابهم وانتقل الى مراكش واستقر بها ثم حدثت بينه وبين اخيه ووزيره ابي عبد الله محمد الشيخ نفرة ادت الى حروب استنحل بها امر محمد الشيخ فقبض على اخيه واولاده واودعهم السجن واصبح ملكاً بعد ان كان وزيراً ثم استولى على فاس وغرب الوطاسيين الى مراكش وقتل ابا حسون الوطاسي ولما تم له امر المغرب الاقصى تاقنت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط فنهض من فاس الى تلمسان ودخلها بعد ان حاصرها تسعة اشهر ونفى الاتراك منها واتسعت خطة مملكته ودانت له البلاد ثم كرت الاتراك عليه واخرجوه من تلمسان فعاد الى فاس ثم ارتد الى تلمسان وحاصرها اياماً واقاع عنها وفي سنة خمس وستين وتسعمائة اغتيل وقتل وكان ادبياً مثقفاً عالماً بالتفسير والحديث يخالف القضاة ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه وكان

يحض على المشاورة لاسيما في حق الملوك ويقول ينبغي للملك ان يكون طويل الامل
 ولا يحسن ذلك الا منه لان رعيته تصلح بطول امله ومن ماثره اختطاط مرسى
 اكادير واجلاء البرثقال من نونتي ولما قتل كان ولده عبدالله الغالب بالله بفاس فبايعه
 اهله ووافقهم عليها اهل مراكش وبادر خليفته بمراكش القائد ابو الحسن علي بقتل
 ابي العباس الاعرج المخلوع واولاده ولما استوثق الامر للغالب بالله وتمهد له ملك ابيه نهض
 حسن بن خير الدين باشا صاحب تلمسان في جيش كثيف الى فاس فخرج اليه الغالب
 بجيوشه والتقى بوادي اللبن من احواز فاس فانهم حسن باشا ولما قفل الغالب بالله امر
 بقتل اخيه عثمان لامر نغمه عليه وارسل ابن اخيه الوزير ابا عبد الله محمد بن
 عبد القادر لحصار مدينة شنشاون فاستولى عليها وخرج صاحبها الامير ابو عبد الله فيمن اليه
 من اهله واولاده الى ترعة وركب البحر الى المدينة المنورة واستقام بها الى ان توفي وبه
 انقرض امر بني راشد امراء شنشاون ثم جهز جيشا كثيفا عقد عليه لابنه محمد المعروف
 بالمسلوخ وارسله لحصار البريجية المسماة بالمدينة الجديدة التي بناها البرثقال فحاصرها ستين
 يوما ولم يتيسر له فتحها وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة توفي الغالب بالله بمراكش
 ومن ماثره بناء جامع الاشراف بمراكش والمارستان واقف عليهما اوقافا عظيمة ولما توفي
 كان ولي عهده ولده محمد المتوكل على الله بفاس فارسلت البيعة له من مراكش واستمر
 امره منتظما الى اواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان عمه عبد الملك واخوه احمد
 المنصور في سجلا سائر ايام ابيهما ولما تولى الغالب بالله فرأى الى تلمسان واستنصر اصحابها
 حسن باشا ابن خير الدين وذهبا الى القسطنطينية وتوقعا على حضرة السلطان الغازي
 سلم خان بان ينجدهما بجيش يسترجعان به ما كان بيد ابيهما ثم توجه عبد الملك مع
 عمارة الدولة العلية الى تونس ورجع بعد فتحها الى القسطنطينية وطلب من حضرة
 السلطان سليم خان ما طلبه سابقا فاجاب طلبه وكتب الي والي الجزائر ان يعينه بما يحتاج
 اليه فاصحبه الوالي بجيش من الاتراك ولما وصل لاحواز فاس خرج المتوكل على الله للقائه
 فبلغه وهو في القتال ان بعض جنده قد اصرت على الغدر به فاوقد النار في خزائن
 البارود وفر من المعركة الى مراكش واستولى عبد الملك على فاس وطمحت نفسه الى
 اتباع ابن اخيه الى مراكش ولما عزم على السير طلب الاتراك رجوعهم الى بلادهم
 فاعطاهم ما اتفق معهم عليه من المال وزادهم من التحف واللطيف الغوال وودعهم بنفسه
 الى نهر سيبوا ثم نهض الى مراكش لمنازلة ابن اخيه ولما سمع المتوكل على الله بخروج عمه

اليه تهيأ لملاقاته والتقى الفريقان بخندق الريحان من احواز سلا فانهزم المتوكل وفر
 الى سوس ودخل عبد الملك الى مراكش ولم يزل المتوكل على الله يجهل في جبال سوس
 الى ان اجتمعت عليه طائفة نجاء بها الى مراكش فخرج عبد الملك للقائه وخالفه المتوكل
 في طريقه ودخل مراكش باتفاق اهلها فرجع عبد الملك وحاصره بها وكتب الى اخيه
 احمد الخليفة بفاس ان ياتيه فاتاه بجيشه وفر المتوكل الى سوس فتبعه احمد المنصور
 ووقعت بينهما مواقع توالى الهرايم فيها على المتوكل وفر الى باديس ومنها الى سبتة ثم
 دخل طنجة مستصرخاً بما كلفها فاجابه بشرط ان تكون سائر السواحل للبرنقال وله ما وراء
 ذلك ثم خرج قائد البرنقال بمائة وعشرين الف مقاتل وكان مع المتوكل ثلاثمائة من
 اصحابه ولم يزالوا سائرين الى ان عبروا وادي المخازن فزحف عليهم السلطان عبد الملك
 بجيوش المسلمين وامر بهدم القنطرة ليقطع عليهم خط الرجعة ولما التقى الجيشان واشتد الحرب
 توفي السلطان عبد الملك عند الصدمة الاولى وكان مريضاً يقاد به في تخنة ولم يطلع
 على وفاته الا حاجبه وقائد المحفة فصاروا يقدمون المحفة امام الجيش ويقولون لجنودنا ان
 السلطان يامركم بالنقدم اليهم الى ان منح الله المسلمين النصر وركبوا على اكتاف
 العدو يقتلون ويأسرون وقتل قائد البرنقال غريقاً في الوادي وبجث عن المتوكل فوجد
 غريقاً ايضاً فاخرجوه وسالخ وحشى جلده تبناً وطيف به في مراكش وغيرها وهذه الواقعة
 من اعظم الوقائع دامت خمسة واربعين ساعة وكانت سنة ست وثمانين وتسعمائة ثم بويع
 لاختيه ابي العباس احمد المنصور بالله المعروف بالذهبي ولما تم له الامر كتب البشار
 الى حضرة السلطان مرادخان بما حياهم الله من النصر فوردت عاياه الوفود والهدايا
 من حضرة السلطان مرادخان ومن حاكم الجزائر وملك البرنقال والاسبانول وعقد
 العهد لابنه محمد الشيخ الملقب بالمأمون ثم سار عليه ابن اخيه داود بن عبد المؤمن
 في جبل سكسيوه ودعا لنفسه فبعث اليه المنصور جيشاً فقاتله الى ان فر واستقر عند
 عرب الودايا الى ان مات واستولى المنصور على صحراء توات والسودان وبايعه صاحب
 برنوفتح مدينة كاغو وقتل سلطانها اسحاق ثم سار الناصر بن الغالب بالله ببلاد الريف
 فالتقى المنصور جنده وبعث اليه جيشاً وافراً فهزمه الناصر واستفحل امره فامر المنصور
 ولي عهده المأمون بمنازلته فخرج اليه من فاس وكانت الديرة على الناصر فقبض عليه
 واحتجز راسه وبعث به الى مراكش ثم ثار المأمون على ابيه بفاس فنصحه والده ولما
 اصبر ولم يقبل النصيحة خرج اليه والده من مراكش في اثني عشر الف مقاتل قاصداً

فاس ولما بلغ المأمون ذلك فرأى فشتالة فقبض عليه وارسل الى المنصور فبعثه الى مكناسة
وسجن بها وفي سنة اثنتي عشر والفرغ توفي المنصور بالوباء في فاس ومن مآثره بناء القصر
البديع بمراكش وحصن ثغر العرايش ومعامل السكر واعتنائه بالمولد النبوي والاعیاد وكان
حسن السياسة حازماً مشاوراً في المهمات وكان يكتب اولاده وعمله بكتابة مخصوصة
وتعرف الآن بالسنزهر وكان موادعاً لسلاطين بني عثمان يهاديهم ويهادونه وكتب اليه
حضرة السلطان مراد خان لك على العهد ان لا امد يدي اليك الا للمصاحفة وان خاطري
لا ينوي لك الا الخير والمساحة وبعد دفنه بايع اهل فاس ولده ابا المعالي زيدان وبايع
اهل مراكش اخاه ابا فارس ولما بلغ زيدان ذلك خرج من فاس لقتال اخيه فالتحق له
اخوه مكيدة عادت عليه وهي اطلاق اخيه المأمون من السجن وارساله في جيش كثيف
لملاقته ولما التقى الجيشان بجوانة فر عن زيدان اكثر جيشه فارتد الى فاس وتحصن
بها ولما وصلها المأمون فرح به اهلها وبايعوه وفر زيدان الى تلمسان مستصرخاً بحاكم الجزائر
ولما استنقل المأمون بفاس جهز جيشاً لقتال اخيه ابي فارس تحت راية ولده عبدالله
ووقعت الهزيمة على ابي فارس فنجى بنفسه ودخل عبدالله مراكش وابعثها واستقر بها وساءت
سيرته ولما قطع زيدان الامل من امداد حاكم الجزائر رجع الى سوس فكاتبه اهل
مراكش ولما حضر اليها فرع عبدالله الى ابيه في اسوء حال فجزله ابود جيشاً وارجمه الى
مراكش والتقى الجمعان براس العين وكانت الهزيمة على زيدان ففر ودخل عبدالله مراكش
ثم سار ابو حسون محمد بن عبد المؤمن من اولاد ابي العباس الاعرج وخرج من
جبل جليز قاصداً مراكش فخرج اليه عبدالله وكانت الهزيمة عليه ودخلها ابو حسون
واستولى عليها ثم كتب ادل مراكش الى السلطان زيدان فنزل بميشه خارج المدينة
وخرج ابو حسون الى لقائه فكانت الدبرة عليه واستولى زيدان على مراكش وارسل
قائد جيشه مصطفى باشا الى فاس فدخلت في طاعته وفر عبدالله الى القسطنطينية
مستصرخاً ولما دخل زيدان الى فاس واستقام بها بلغه قيام بعض الثوار في ناحية مراكش
فنهض اليها ثم بلغه قتل مصطفى باشا فرجع الى فاس واستولى الاسبانيول على العرايش
بديسة عبدالله ثم فلك ابو الليف بعبدالله وقتله مع بعض اولاده ثم ثار الفقيه احمد بن
عبدالله السجلماسي المعروف بابي محلي واستولى على سجلماسا ودرعة ومراكش وكثرت
جموعه ولما علم زيدان ضعفه عن مقاومته استنعاث بالفقيه زكريا الحاجي صاحب جبل درن
فلما خرج بجيوشه سنة اثنين وعشرين وانف قاصداً مراكش فبرز اليه ابو محلي ولما

التحم القتال قتل ابو نخل وعلق راسه على سور مراكش ثم اتحل زكريا الى بلاده مظهراً
 العفة عن الملك بعد ان استقر بمراكش اياماً واتصلت بينه وبين زيدان المراسلات الى
 ان مات زيدان بمراكش سنة سبع وثلاثين والفس وبويغ لابنه عبد الملك فثار عليه اخوه
 الوليد واهموا ووقعت بينه وبينهما حروب انتجت هزيمتهما ودخل فاس بسمة السلطان وضرب
 السكة باسمه ثم عدا عليه ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغوده وقتله غدراً وبويغ
 لاختيه الوليد ولم يتجاوز سلطانه مراكش واعمالها على ما كان لاختيه وايه وفي زمنه ظهر
 ابو عبد الله العياشي بسلى واستولى على فاس وسائر ثغور المغرب وظهر ابو حسون السماري الى
 المعروف بابي دميعة بسوس واستولى على درعة وسجلماسا وكان الوليد يتظاهر بالديانة ولين
 الجانب غير انه كان يقتل الاشراف من اخوته وبني عمه وفي سنة خمس واربعين
 والفس عدا عليه بعض جنده وقتله غدراً وبويغ لاختيه محمد الشيخ وكان في سجن الوليد
 فسار سيرة حميدة وثار عليه رجل من هشوكه ولم يزل يناوشه القتال حتى فرق جمعه
 ثم ظهر اهل زاوية الدلاء بجبال تادلا وقويت شوكتهم ولما احسن محمد الشيخ بالضعف
 من مقاومتهم ارسل الي قاضيه النقيه محمد الزوار المراكشي ان يطلب منهم اجتماع الكلمة
 فلم يلتفتوا اليه فصرف عنانه عن مقاومتهم ومال الى مسالمتهم وبقي بمراكش الى ان قتل ثم
 بويغ ابنه ابو العباس احمد فقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده وقويت في ايامه شوكة
 اخواله وهم حي من الشبان فوثبوا عليه وحاصروه بمراكش ولما رات والدته ان الامر لا
 يزداد الا شدة اشارت عليه بالذهاب الى اخواله وازالة ما في نفوسهم ولما وصل اليهم قتله
 غيلة ودخلوا مراكش وبايعوا فيها لاميرهم عبد الكريم بن ابي بكر سنة تسع وستين والفس
 وبابي العباس ختمت دولة السعديين والبقاء لله وحده

✽ ذكر امارة الشبان من عرب المعقل ✽

اولهم الرئيس عبد الكريم المعروف عند العامة بكر وم الحاج ابن القائد ابي بكر
 الشباني بويغ له بعد قتل ابي العباس السعدي وسار في الناس سيرة حميدة فانتظمت مملكة
 مراكش ونواحيها ثم انقضت عليه اسنى واعمالها فغزاهم ورجع مغلولاً الى مراكش فسطا
 عليه بعض جنده وقتله وبويغ لولده ابي بكر واستمر بها الى ان بويغ المولى رشيد
 السجلماسي فاخذ منه مراكش وقبض عليه وتبع عشيرته بالقتل حتى افناها واخرج
 عبد الكريم سنة تسع وسبعين والفس واحرقه وانقضت امارة الشبان والملك لله وحده

❖ ذكر دولة السجلماسيين ❖

اصلهم من ينبع النخل دخل المغرب جدهم الاعلا حسن بن قاسم في القرن السابع واستوطن سجلماسا وتوفي عن ولده محمد وتوفي محمد عن حسن وتوفي حسن عن عبد الرحمن وعلي وتوفي علي عن خمسة اولاد منهم علي وتوفي علي عن ثلاثة اولاد منهم محمد وتوفي محمد عن علي الشريف وفي سنة خمسين والف هجرية بايع اهل سجلماسا محمد ابن علي الشيف المذكور في حياة والده وهو اول من يبيع له منهم ولم يزل ملك المغرب الاقصى بايدي اعقابهم يتوارثونه الى زمننا هذا والسلطان فيه سنة الف وثلاثمائة وخمسة عشر عبد العزيز

❖ ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد ❖

ويجمعهم مع بني مرين اصل واحد ولم تنزل الحرب بينهم قائمة على ساق منذ كانوا في القفر واستمروا على ذلك بعد دخولهم الى تلول المغرب وكان اميرهم لاول خروجهم عن طاعة الموحدين ابا عزه زكرا بن زيان بن ثابت ولما مات تولى بعده اخوه ابو يحيى يغمراسن فاستمر على ما كان عليه اخوه وقومه من الخروج عن الدولة ثم تغلب على تلسان والمغرب الاوسط وانتزعهما من يد بني عبد المؤمن وحسن السيرة واستمال عشيرته واخلافهم عن عرب زغبة بحسن السياسة والاصطناع واتخذ آلة الملك وجند الاجناد ومحي آثار الدولة المؤمنية ولم يترك من رسوبها الا الدعاء على المنبر للسلطان بهراش و تقليد العيد من يده وكانت له مع ملوك الموحدين ومن يليهم من آل حنص ملوك افريقية مواطن في التحرش به ومنازلة بلده وحروب دائنة وبالجملة فقد كان يغمراسن هذا صاحب سياسة عجيبة وقوة دهاء وهو اول ملوك بني زيان قال ابن الخطيب

اول ملاكٍ لهم يغمور * ليث الشرى والبطل المشهور
ثني عليه حومة الميدان * ما لامرءٍ بياسه يدان
لاقى الجيوش من بني مرين * كالليث يحمي جانب العرين

ولما تم له ملك المغرب الاوسط اثار ما كان بين قومه بني زيان وبين بني مرين من العداوة القديمة فاخرم نار الحرب وركب اخطارها واشد ما كان بينهم في ايام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني واشهر وقائعه وقعة وادي تالاغ سنة ست وستين وستمائة ثم وقعة يدلي قرب وجده ثم وقعة خرزوزه ثم وقعة وادي تافناو تاسولت

وكانت الدبرة في جميعها على يغمراسن ونازله يعقوب في دار ملكه تلسان مرات فامتنع عليه بالاسوار ثم قتل يغمراسن سنة احدى وثمانين وستائة وبويع ولده عثمان ولي عهده ثم توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وطالب عثمان بن يغمراسن في ابن عطفو فابى عثمان ان يسلمه فتحركت حفيظة يوسف وعزم على غزوهم فارتحل من مراکش الى فاس ثم نهض منها حتى نزل تلسان فانحصر عثمان وقومه داخلها ولاذوا بالاسوار فاقلع عنها وسار في نواحيها يخرب العمران ثم عاودها سنة سبع وتسعين واحاط بها ثم افرج عنها لثلاثة اشهر ومر في طريقه بوجدة وقد اخربها بنوزيان فامر بتجديد بنائها واستعمل اخاه ابا يحيى بن يعقوب عليها ولحق بالمغرب الاقصى وجمع شأنه ثم عاود منازلة تلسان سنة ثمان وتسعين واحاط بها من جميع جهاتها واختط لنفسه الى جانب الاسوار بلدة سماها المنصورة واقام سنين يغادها ويرأوحها بالقتال وسرح عسكره لافنتاح المغرب الاوسط فملك بلاد مغراوه ونواحي شلف وتاهرت ثم خيم بمكانه محاصراً لتلسان ومات عثمان سلطان بني زيان سنة ثلاث وسبعائة وقام بالامر بعده ابنه ابوزيان محمد وبلغ الخبر الى يوسف ابن يعقوب فتنبع له وعجب من صرامة بني زيان من بعده ومات ابوزيان اثناء الحصار وقام بالامر بعده اخوه ابو حمو موسى بن عثمان واستمر حصاره ايام ثمان سنين وثلاثة اشهر ولحقهم فيها جهد شديد حتى اكلوا اشلاء الموتى وهاكت اموالهم وضائق احوالهم واستنحل ملك يوسف بن يعقوب حتى ادركه اجله على يد خصي من خصيائه وكان قتله فرجاً عظيماً على ابي حمو ووقع الفشل في عسكر بني مرين لما قتل سلطانهم واختلنت كتبهم واتحلوا عن تلسان راجعين الى المغرب الاقصى واقبل ابو حمو على لم شعته وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحفل لما بناه هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة بشوره من تلسان يحضر لما الاشراف والسوقة فما شئت من فمارق مصفوفة وذراي مبهوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب معشاة وشمع كدلاسلطوانات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها الناظر تبراً مذاباً واعيان الحضرة على مراتبهم وقد علت الجميع ابهة الرقار والاجلال تطوف عليهم ولدان قد لبسوا اقبية الخزمالون وبايديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانات بها الساعات ذات تائيل بلين تحكمت الصنعة باعلاها ايكة تحمل طائراً فرخاه تحت جناحيه ويختله فيها ارقم خارج من كوة يجذر الايكة صاعداً وبعدرها ابواب بعدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفها بابان كبيران وفوق جميعها قرب

راس الخزانة قمر تام يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ويسامت اول باب كل
 ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان في يد كل واحد منهما صنجة
 صفريتها الى طست من الصفر تجوف بوسطه ثقب يفضي بها الى داخل الخزانة فيرن
 وينهش الارقم احد الفرخين فيصفر له ابوه وهناك يفتح باب الساعة الذهبية وتبرز منه
 جارية محتزمة كاخرف ما انت راء بيناها ورقة فيها اسم ساعتها منظوماً ويسراها موضوعة
 على فيها والمسمع قائم ينشد امداح سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ثم
 يوتى آخر الليل بموائد كالهالات دوراً والرياض نوراً اشتملت من انواع المطاعم على
 الوان تشبهها الانفس وتشمسها الاعين وتستلذ بسماع اسمائها الاذان ويسر بصورها
 للقرب منها والتناول وان لم يكن جيعان والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتداء جلوسه
 فيه يرى ذلك ويسمعه الى ان يبلي صلاة الصبح هناك وعلى هذا تمضي ليلة المولد
 الشريف في جميع ايام دولته الى ان عدا عليه ابنه تاشفين نقتله واستنقام له الامر وشيد
 القصور والمصانع والمنتزهات وساعده الوقت بمسألة بني مرين ثم طمحت نسه الى تملك
 افريقية فخرج اليها من تلمسان بجيوشه ودخل تونس فاستغاث اهليها بسلطان المغرب
 ابي حسن المريني فراسله في الاقلاع عنها فلم يرجع وتمادي على شأنه فاستشاذ السلطان
 غيظاً وامر بجمع الجيوش وخرج من فاس قاصداً تلمسان فطار الخبر الى تاشفين
 وهو بتونس فاسرع السير الى دار ملكه وسار السلطان بعساكره الى ان وصل اليها
 واحاط بها فركب عليها المنجنيق من كل جهة واقام محاصراً لها ثلاث سنين واثر المنجنيق
 فيما حواه السور من القباب والقصور ثم دخلها عنوة وقتل تاشفين وولده بازاء القصر
 واستولى ابو الحسن على تلمسان بما اشتملت عليه وانتقض امر بني زيان وعقد لابنه
 ابي عنان على تلمسان واقبل على فتح البلاد فدخل افريقية وامعن في نواحيها وحاصره
 العرب في القيروان فلما بلغ ذلك ولده اتحل من تلمسان الى فاس ودعا لنفسه فاستنقام
 له الامر ورجع بنو زيان الى دار ملكهم تلمسان واقرهم السلطان ابو عنان على ذلك
 واتخذهم سداً بينه وبين ابيه ولما تخلص السلطان ابو الحسن ولحق بالجزائر ناهزوه القتال
 ووقعوا به في نواحي مليانه ففر الى جبال المصامدة فقتل ابو عنان عنهم بما دهمه
 من جواز ابيه وبعد ان مات ابوه وخلص له الامر خرج اليهم بجيوشه فوقعوا به
 ثم كانت الكرة عليهم نقتل اميرهم ونثرق عسكرهم واستولى ابو عنان على تلمسان وولى
 بعده ولده السعيد فاضطرب امر بني مرين وتراجع الزيانيون الى وطنهم وقام بامرهم

ابوحمو الثاني موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فتحرّك اليهم
ابوسالم ابراهيم بن علي الذي آل اليه امر بني مرين من فاس بجيوشه فخرجوا من تلمسان
واصحروا ولم يركنوا الى ماركن اليه اسلافهم ومن الانحصار داخل السور فسار
ابوسالم الى ان خيم بساحة تلمسان وعاش في نواحيها ثم انكفأ راجعاً الى المغرب ورجع
ابوحمو بقومه الى كرسي مملكتهم وكفاهم الله امر بني مرين باختلاف الكلمة وانتزاع
الثوار على الاعمال وفي سنة خمس عشرة وتسعمائة استولى الاسبانيول على وهران وعلى
بجاية وذلك في ايام ابي محمد عبدالله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة استولوا على
الجزائر وبنوا فيها حصنهم المشهور ببرج النار وقوى امرهم على المسلمين واشتهر امر
باريروس الاول واسمه عروج باسطوله في سواحل افريقية والجزائر واخذ امر بني زيان
يتلاشى الى ان انقرض دولتهم من المغرب الاوسط واستولت الدولة العثمانية على
الضواحي والاسبانيول على الاساكل ومنفصل ذلك في اخبار الدولة العثمانية انشاء الله
تعالى والى الله عاقبة الامور

﴿ ذكر دولة الحفصيين امراء تونس ﴾

اول من وليها منهم ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص
ابن عمر بن يحيى المنتاني احد اصحاب المهدي بن تومرت رئيس الموحدين ودمتاته
وقد اوصل نسبه ابن نخيل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر ابن سابق
ابن سليمان نسبة البربر انه من ولد صنهاج بن عسال البربري وكنت ولايته على
تونس من قبل محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة ثلاث وستمائة قال ابن الخطيب

اول هذا البيت عبد الواحد * وفضله ليس له من جاحد
قدمه الناصر فيها امراً * ثم علا وصار ملكاً قاهراً
وكان حازماً شديد اليقظه * لا يهمل التافه الا لحظه
ونال ابكار المنى وعونه * لكننه لم يستبد دونه

ومات سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى مكانه العلاء من بني عبد المؤمن وعادت بعد
وفاته الى بني حفص وقويت شوكتهم في ايام ابي زكريا ابن ابي محمد عبد الواحد بن
ابي حفص وهو الذي اسقط اسم عبد المؤمن من الخطبة وابقى اسم المهدي واستبد بملك
افريقية وخطب لنفسه وتلقب بالامير المرتضى واتسع نطاق ملكه فتغلب على تلمسان

وكافة المغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وانشأ في تونس الابنية العظيمة ثم توفي في
 ساحة بونة سنة سبع واربعين وستائة وتولى ابنه ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا نقام
 عليه عمه ابو ابراهيم اسحاق وسعى في خلعه وباع لاخته محمد اللحياني على كره منه فجمع
 ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا اصحابه يوم خلعه وشد على عميه ابي ابراهيم ومحمد اللحياني
 وقتلها واستقر في ملكه وتلقب بالمستنصر بالله امير المؤمنين وخطب لنفسه وفي سنة ثمان
 وستين وستائة رحل الملك افرنيس ملك فرنسا الى افريقية بجذوعه فعاجله الموت وتفرقت
 جيوشه واستمرت دولة الحفصيين مع بني زيان وبني مرين والدولة العلية والافرنج تارة
 لها وتارة عليها ثم انقرضت دولة الحفصيين على عهد ابي محمد الحسن المتولي سنة اثنتين
 وثلاثين وتسعمائة وهو آخر ملوكهم وسياتي الكلام على بعض وقائعهم مع الاسبانيول
 والدولة العلية وما آل اليه امرهم والى الله ترجع الامور

* ذكر الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية *

اول من اسس امر الدولة في الجزائر رجل من قرية آجي آباد انتقل الى جزيرة
 متلين المعروفة لهذا العهد بالمدلى واسمه عروج بن يعقوب ولقبه باربروس الاول اي
 صاحب اللحية الشقراء وبه اشتهر وكان ابوه فاخورياً وفي ايام ساكن الجنان حضرة
 السلطان الغازي محمد خان الثاني صار جندياً فنشأ عروج نوتياً في مراكب الجزيرة ثم
 اتخذ لنفسه قرصاناً واستكمل تعييته واخذ يغزو ثغور الانرنج ويتوغل في سواحلهم ويرصد
 مراكبهم ويرجع بالغنائم فشاع ذكره واشتهر امره وفي بعض غزواته اخذ اسيراً وقتل اخوه
 الياس ثم تفلت من اسره وطلق بيلاده ثم اتصل بخدمة قائد مراكب الدولة الامير
 نور قندا بن السلطان الغازي بايزيد خان فاستعمله مستشاراً له وكان ميمون النقيب لا
 يؤم بلدة من بلاد العدو الا فتحها ولا صادف مركباً الا غنمه او اتلفه ولما مات السلطان
 الغازي بايزيد خان وتولى ولده السلطان الغازي سليم ياووز خان سنة ثمان عشرة
 وتسعمائة سافر باربروس في قرصانه وطلق بجزيرة من اساكل افريقية فخط ائقاله فيها واقلع
 غازياً سواحل الافرنج فغنم ورجع قاصداً تونس وساطانها يومئذ ابو عبد الله محمد بن
 الحسن الحفصي فاهداه باربروس جميع ما غنمه في غزوته واستأذنه في الاقامة ببيلاده
 فاذن له على ان يدفع له خمس ما يقع في يده من الغنائم فقبل ثم توجه الى جربه فوجد
 اخاه خير الدين فيها لاحقاً به فحمل ائقاله وقتل الى تونس واستمر على غزواته فبعد صيته

واشتدت على الافرنج سطوته وكان الاسبانيول مستولياً على بجاية فغزاهم من تونس وغنم
 مركبين فارسلهما مع خير الدين الى تونس ونزل باربروس بجيشه الى البر وزحف بهم
 على المدينة فبرز اهلها لمدافعتة واشتد القتال بينهم فتمت قهر جيش باربروس وقفل الى تونس
 فاقام بها وبعث خير الدين في الاسطول الى الاندلس وكان ملك الاسبانيول قد اذن
 للمسلمين بالهجرة فاقام خير الدين فيها ثلاثة اشهر يحمل المهاجرين الى اساكل المغرب
 ثم انكفأ راجعاً الى تونس وكان عروج قد برىء من جراحه وانشا فيها عدة مراكز حرية
 واستكمل عدتها ثم اقلع من تونس وارسى على جيجل وكان اهل جينوا من ايتاليا قد
 استولوا عليه فاذاقهم نكال الحرب برّاً وبحراً واستولى عليها ثم ان سالم بن تومي رئيس
 بني مرزغنه اهل مدينة الجزائر كتب اليه يستنجده على الاسبانيول الواضعين يدهم على
 قلعة بتيون خارج المدينة فاجابه الى ذلك وجيز جيشاً من الاتراك والبربر واكمل عدتها
 وقبل ان يبارح جيجل ارسل الى اخيه خير الدين بتونس يخبره بعزمه ويامرهم بجمع كافة
 الاتراك المقيمين في تونس ويأخذه بهم الى الجزائر ثم اقلع من جيجل في المراكب وسار
 قاصداً الجزائر فمال في طريقه الى اسكلة شرشال واستولى عليها ثم جاء الى الجزائر
 فتلقاه سالم بن تومي واعيان البلدة واقام نحو العشرين يوماً محاصراً قلعة بتيون وبعد
 وصول خير الدين بجنده استولى على القلعة وتم له فتح الجزائر وبذلك اظلم الجو بينه وبين
 سالم بن تومي فقبض عليه وقتله وطير خبر الفتح الى حضرة السلطان الغازي سليم ياووزخان
 وكان وقتئذ في مصر فسر بذلك وبعث اليه بالخلة ومنشور التولية على الجزائر وبلادها
 والتجا ابوحمو صاحب تلمسان الى اسبانيا فجهزوا الجنود وزحفوا الى عروج والنقى الفريقان
 بحسن داي اسم موضع قريب من الجزائر واشتعلت بينهما نار الحرب وكانت الدبرة
 على جيوش اسبانيا فانهزموا وتركوا في ميدان القتال ثلاثة آلاف قتيل فقوى عزم عروج
 ودانت له قبائل متيجة وجبال البربر القريبة من الجزائر بالطاعة ثم سار بجيشه من
 الجزائر قاصداً تلمسان وفي طريقه استولى على اسكلة تنس وخيم في ساحة تلمسان
 فخرج اليه ابوحمو ودارت بينهما رحى الحرب فانكسر عسكر تلمسان وفر ابوحمو الى
 ملك اسبانيا يستغيث به واما عروج فانه ولى على تلمسان ابازيان مسعودا اخا ابي حمو
 واقام ينقل في نواحي المغرب الاوسط ثم ان ملك اسبانيا انجد ابا حمو بالعساكر والذخائر
 وامر حاكم وهران المركيز غومارس بالمسير الى تلمسان واخراج عروج منها وطار الخبر
 الى عروج فقتل ابا زيان وبني عمه ودخل قلعة المشور وتحصن فيها فحاصره حاكم وهران

ستة وعشرين يوماً ثم تمكن عروج من الخروج من القلعة بأمواله واتباعه فاتبعته الجيوش
 الى الوادي المالح قرب نهر شكف ووقع المصاف بينه وبينهم فقتلوه واستولوا على امواله
 واستأصلوا جميع ما كان معه من جنده ولما بلغ خبر عروج الى اخيه خير الدين في الجزائر
 انخلت عرى عزمه وازمع على ترك الجزائر والرجوع الى الغزو في القرصان وبينما هو يسعد
 لذلك اذ ورد على الجزائر جند من الانكشارية بعثهم السلطان الغازي سليم ياووز خان
 نجدة لعروج فلما رآهم خير الدين رجع عما عزم عليه واسعد الاخذ بثار اخيه من
 اعدائه ولما بلغ ملك اسبانيا انتصار جيشه وقتل عروج ومن معه طمع في الاستيلاء على
 الجزائر فجهز اساطيله وشحنها بالجيوش والذخائر وسيرها للجزائر تحت نظر الجنرال يسوادي
 مونغا وعند وصوله كتب الى خير الدين الملقب ببارباروس الثاني يتهدده ويذكره بما
 وقع باخويه ويدعوه الى تسليم البلد او الحرب فاجابه الى الحرب وبعد ايام نزل بجيوشه
 الى البر وخيم بالقرب من وادي الحراش على مسافة ساعة ونصف من البلد فخرج
 خير الدين بجنوده ووقع به واستولى المسلمون على المعسكر واستلخموه وحدث في
 البحر زوبعة شديدة فشتت شمل المراكب وغرق اكثرها فاخذ خير الدين بثار اخويه
 وشفى نفسه من عدوه وطارت البشائر الى الدولة العلية بهذا الانتصار وجاءت التهابي
 الى خير الدين من لدن السلطان واعيان الدولة مع فرمان امارة الجزائر واستفحل امره
 في المغرب الاوسط واهتزت له اركان دولة بني زيان بتلمسان ودولة بني حنص في
 تونس فاوعز ابو عبدالله الحنصي الى صاحب تلمسان بالنظاير على خير الدين وكان
 خير الدين لما تم له الاستيلاء على جبال زواوه وصنهاجة وسهول متيجه فوض امرها
 الى احمد ابن القاضي الصنهاجي لشهرته وقوة عصيته وسمه خليفة الشرق فرأى صاحب
 تونس انه لا يتم له ما اراده الا بمداخلة ابن القاضي فاتخذ الوسائل في استمالته اليه والخروج
 من طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في الجيش والذخيرة على حربه فارتاح ابن القاضي
 لذلك واسرها في نفسه واقام يترصد الفرصة واقبل صاحب تلمسان بحشوده الى الجزائر
 فتلقاه خير الدين بجنوده واتصلت الحرب بينهما اياماً ثم كانت الدبرة فيها على صاحب
 تلمسان فانهمزمت جموعه وتاخر صاحب وهران عن اغاثة حليفه ثم توغلت جيوش خير
 الدين في الجهة الغربية وزحف اليها ابو محمد الزياتي مرتين فانهمزم واشتدت شوكة خير الدين
 وتلاشى امر بني زيان وكان ابو محمد اشخص اخاه مسعوداً الى المغرب الاقصى ثم بدا له
 في رجوعه واستدعاه نعدل مسعود عن تلمسان ولحق بالجزائر صريحاً بخير الدين واشترط

له الطاعة وما الا يحمله اليه كل سنة والخطبة للسلطان الغازي سليم ياووزخان فاجابه
 الى ذلك وامده بالجيش والذخيرة واوعز الى رؤساء البربر في تلك الجهة بظاهرته فرحف
 مسعود بعساكره الى تلمسان فدخلها وفر اخوه الى وهران واستقر الامر لمسعود في تلمسان
 ورجع جيش خير الدين الى الجزائر ثم ان مسعوداً خرج عن طاعة خير الدين فبعث
 اليه خير الدين يدعوه الى الوفاء فاستنكف واساء الخطاب فتجهز اليه خير الدين براً
 وبحراً وسار في مراكبه الى مستغانم فدخلها من غير مقاومة وجاءه ابو محمد من وهران
 نازعاً اليه معتذراً عما سلف منه في حادثة عروج وجنده فعفا عنه واذن له في الإقامة
 عنده ورحلت العساكر البرية الى قاعة بني راشد وفيها حامية لمسعود ففرت منها ودخلتها
 العساكر الجزائرية ثم ان ابا محمد طلب الرجوع واشترط لخير الدين ما اشترطه مسعود
 فاجابه خير الدين وسيره في العساكر الى تلمسان فلقبهم مسعود بجموعه فوقعت الهزيمة
 في جيشه وسار ابو محمد في اثرهم حتى شارف تلمسان ودس لاشياعه فيها ففتحوا له
 الابواب ودخلها وفر مسعود منها واستقر ابو محمد في دار ملكه وكان ابن القاضي الصنهاجي
 انتهم الفرصة في غيبة خير الدين ودعا الناس لبيعتة فقام بنصرته قومه من صنهاجة وغيرهم
 من البربر وزناته فاطلق فيهم الاموال وخاطب صاحب تونس الحفصي في انجاز وعده
 فامده بالرجال والاموال وقفل خير الدين الى الجزائر وقد قوى امر ابن القاضي فسير
 الجيوش لحربه فانتصر ابن القاضي عليها وردّها على اعقابها ثم آل الامر الى المصالحة
 ورجع ابن القاضي الى ما كان عليه من الطاعة والولاية اربعة اشهر ثم نقض العهد واشهر
 الحرب فعقد خير الدين لقائد جيشه قره حسن على حربه فنهض اليه من الحضرة ووقع
 الرعب في قلوب البربر ولاذوا بالطاعة وانفرد ابن القاضي في قومه ثم خاطب قره حسن
 في الخروج عن طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في العمل والرعية فمال اليه قره حسن
 والتحم معه وعززها الحفصي صاحب تونس بجيشه ودسوا الى اهل الجزائر في القبض على
 خير الدين وضمنوا لهم جميل النظر فاجابوهم الى ذلك واتصل الخبر بخير الدين فوجم لها
 وقبض على الاعيان وقتل من ثبتت مداخلته وثار مسعود على اخيه صاحب تلمسان
 فاستنغاث بخير الدين فامده في الجيش والذخيرة وانجالت الفئدة بالقبض على مسعود ولما
 رأى خير الدين اختلال الاحوال وكثرة الثوار داخل الجزائر وخارجها اجمع على الرحيل
 منها والعود الى الغزو على تغور الافرنج فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر وما يليها
 وفوض اليه امورها ثم سار باهله واتباءه ومن اخناره من الجنود البحرية الى جيجل فانزل

بها اهله واقبل على الغزو فنزلت اقطار الافرنج منه وتناذروا به من عواصمهم وزحف
 ابن القاضي الى الجزائر بمنوده فدخلها وتمكن من الاستيلاء عليها ولحق حسن آغا
 بخير الدين ثم انتقض صاحب تلمسان ونبذ الطاعة وخطب لنفسه واستمر خير الدين
 على غرواته ثلاث سنين واتفق انه اغزى بعض قواده في القرصان الى الثغور الافرنجية
 فالجأته الرياح الى الجزائر فمنعه ابن القاضي من دخول المرفأ فرجع الى خير الدين
 واطلعه على ما كان من ابن القاضي فعظم عليه ذلك وحركه الى العود الى دار امارته
 واستدعى انصاره من كل ناحية وسيرهم في البروسار في مراكبه بجرأ واستعد ابن
 القاضي لحربه واقتتلوا برأ وبجرأ وفي اثناء الحصار عدا على ابن القاضي بعض اتباعه فقتله
 وتقدم خير الدين الى الجزائر فدخلها واعظم النكاية في اتباع ابن القاضي وكان
 قره حسن عندهما استولى ابن القاضي على الجزائر عدل عنه الى شرشال ودعا لنفسه فنهض
 اليه خير الدين بعد فراغه من ابن القاضي ففرق جموعه ثم قبض عليه وقتله وسكنت
 عواصف ابن القاضي وبقي اولاده في الجزائر على اسوء حال وله عقب فيها لهذا العهد
 ولما تمهدت البلاد لخير الدين اقبلت عليه الوفود من آفاق المغرب الاوسط ونواحيه
 يطلبون العفو فعنا عنهم واذعن له صاحب تلمسان فعنا عنه واقره على ما كان
 عليه من المشاركة ثم سار في المغرب الاوسط ينفرى مسالكه وشعوبه ويضع المغارم
 على اهله وفرق فيهم العمال من قومه وشن الغارات على طواعن زناتة والعرب واتخن
 فيهم حتى اذعنوا له وكان لاسبانيول حصن على جزيرة صغيرة تجاه الجزائر فلما
 فرغ من شواغل الداخلية اعتزم على تخريبه واتفق ان بعث ملك اسبانيا ثمانية مراكب
 مشحونة بالبنود والذخيرة مدداً للحامية فلما ادت من الحصن وتراءت لاهل الجزائر
 سار اليها قائد البحر وحال بينها وبين الحصن ثم ذنربها وساقها بنا فيها الى المرفأ وكان
 ذلك اليوم يوماً مشهوراً وبعد ايام نهض خير الدين الى ذلك الحصن واقحمه بجيشه واتخن
 حاميته قتلاً واسراً واستولى على مهايمه وخربه وبني باحجاره جسر باب الجزيرة احد
 ابواب الجزائر واتصل خبر الحصن والمراكب بكارلوس ملك اسبانيا فجهز اساطيله
 وجنوده لنظر القائد اندريه المشهور وامده ملك فرانس باعشرين مركباً وطار الخبر
 الى خير الدين فتجهز لرفقه وسار في البحر مترصداً لاندريه في طريقه فلم يعادفه
 واستمر غازياً على الثغور فاتخن فيها وخرب حصوناً كثيرة وامتلات مراكبه وايدي جنوده
 من المغانم وانقلب راجعاً فبلغه ان اندريه محاصراً لاسكلة شرشال فسار اليه على هيئته

فوجده اقلع عنها وبعد ان اراح بشرشال خرج منها غازياً على ثغور اسبانيا فظنر بعدة
مراكب لهم ولدولة فرنسا وقفل الى الجزائر واستمر يغزو بلاد الافرنج ويعظم النكاية فيها
الى ان استخضره السلطان الغازي سليم خان الى دار الخلافة فاستخلف مستشاره حسن اغا على الجزائر
المرّة الثانية وتوجه في اربعين مركباً ومراً على سواحل ايطاليا وسردينيا وجينوا فعات
فيها واستمر في مروره يخرّب الحصون ويستلب الاموال والانفس الى ان دخل العاصمة
فاكرم السلطان نزله واكبر شانه وقلده وزارة البحر وكان وقتئذ اندريا دوريا الجينوي
رئيساً على عمارة اسبانيا وكثيراً ما يجول في بحر الارخبيل فاخذ خير الدين يترصده
ويذيقه نكل الحرب الى ان اعجزه ولحق بثغور اسبانيا وخلا البحر لخير الدين نقتد
جزائر الموره فتفتحها ورتب امورها ثم سار الى افريقية فارسي على بنزرت واستولى عليها ثم
مد عينه لآخذ تونس فسار منها الى حلق الواد فامتلات قلوب اهل الحضرة رعباً منه
وفر صاحبها ابو محمد الحسن ولحق بالقيروان وندب الناس الى نصرته فخذلوه وبعث
صريحه الى ملك اسبانيا فيادر الملك الى نصرته وجمع قوته وصدرت اوامر البابا من
رويه الى كافة دول الافرنج يحثهم على اعانة ملك اسبانيا على شانه فامدوه بالمراكب
والجنود والمهدات ثم سار الجمع في عمارة اسبانيا الى تونس وحامروها اياماً ثم خرجوا الى
البر وزحفوا اليها فلقيهم خير الدين ببنوده في خربة الكاخ خارج البلد وقتلوا وكان في
قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين الف اسير من الافرنج فانتزوا الفرصة حين القتال
وخرجوا من القلعة وحملوا على خير الدين من خلفه فاقتل مصانه ونهرت جيوشه
ولحق خير الدين ببونه ثم بالجزائر واستولت جيوش الافرنج على تونس بما فيها واستباحوها
ثلاثاً وقتلوا نحو ستين الف نس صبراً وشنوا نهبهم من المسلمين وجاء الخنصي
من القيروان راجعاً الى دار ملكه تحت حماية دولة اسبانيا وفرضت عليه ضرائب
متنوعة يؤديها اليها على رأس كل سنة واشترطت عليه اباحة السكنى للافرنج في
تونس والتملك بها واتخاذ الكنائس والاديرة ثم رجعت الجيوش الى اوطانها وتمكن
ابو محمد الحسن الخنصي من ائمه واقام على ذلك الى ان ثارت العامة ولقموا عليه وطيروا
الخبر الى ولده ابي العباس احمد وكان والياً لايه على بونه فاسرع السير الى تونس وفر
والده الى القيروان فقبض عليه ابو الهول شيخ العرب فسمّل عينيه واشخصه الى القيروان
فاعتقل فيها الى ان مات واستقل ابنه احمد في الملك ولما رجع خير الدين الى الجزائر
عقب الهزامة من تونس اخذ يتاهب لغزو اسبانيا فاعد المراكب واستكمل تعبيتها وانقضى

العساكر وسار غازياً تغور اسبانيا صادف في طريقه عدة مراكب للافرنج فاستولى عليها
 واستاقها الى الجزائر ثم غرى بلد ماهوب من بلاد اسبانيا فدمر اهلها واضرمها ناراً
 وانكفا راجعاً ولم يزل يتابع غزو النغور الافرنجية الى ان استدعاه السلطان الغازي
 سليمان خان الاول فاستخلف على الجزائر مستشاره حسن آغا المرة الثالثة وسار باهله
 الى الاستانة فاکرم السلطان وفادته وقلده وزارة البحر فجرى خير الدين على عادته
 في غزو تغور العدو من الاستانة والرجوع اليها بالغنائم الكثيرة الى ان مات في قصره
 بظاهرها سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقبره قرب مرسى بشكطاش مشهور واقر السلطان
 الغازي سليمان خان حسن آغا مستشار خير الدين على امارة الجزائر وارسل اليه الفرمان
 والخلعة وعلى قيادة البحر في الجزائر حسن بن خير الدين فاقنقى اثر والده في الشدة والحزم
 والاجلاب على النغور الافرنجية وضايقهم حتى استخنوا امر والده وغرا جبل طارق
 واستباحه واستاق امواله ومراكبه ورجع الى الجزائر فتزلزلت بلاد اوروبا وامتلات انقرب
 منه رعباً وايقنوا بخراب تغورهم وجزائرهم فارسلوا صريخهم الى ملك اسبانيا كارلوس
 الخامس وكانت دول اوروبا ترجع اليه في ازماتها فجهز كارلوس نحو خمسمائة مراكب
 وشحنها بالعساكر والمهمات وسار بها الى الجزائر وعدل عن مرفاها الى فرضة وادي الحراش
 وانزل جيوشه الى البر وابقى في المراكب معه من يقوم بها وعسكرت جنوده في القرب
 من محل سيدي يعقوب وكتب الى حسن باشا انا ملك اسبانيا الذي استولى على
 تونس واخرج منها خير الدين باربروس الثاني وتونس اعظم من الجزائر وخير الدين
 اعظم منك فاجابه حسن باشا ان اسبانيا غرت الجزائر في مدة عروج باربروس الاول
 مرة وفي مدة خير الدين مرة ولم تحصل على دائل بل انتبعت اموالها وفنيت عساكرها
 وهذه المرة الثالثة كذلك ان شاء الله وفي اليوم الثاني من هذه المراسلة حدث
 نوء شديد برأً وبجراً فلعبت الرياح بالمراكب والقت منها ما يزيد على مائة مراكب
 الى البر فانقضت عليها حشود العرب والبربر وانتهبوا ما فيها واستاصلوا من لم يدركه
 الغرق وانتهبوا الفرصة والى الجزائر فخرج بجيشه وحمل على المعسكر فانهمز الافرنج وتبعهم
 المسلمون يقاتلون ويأسرون حتى اتوا على آخرهم ولحق كارلوس في عدد قليل من
 مراكبه ببلادهم ورمى بتاجه الى الارض واقسم ان لا يضعه على راسه الا بعد
 استيلائه على الجزائر فلم يساعده القدر الالهي على ذلك وفي اثناء هذه التنازلات انتفض
 اكثر قبائل البربر ونبذوا الطاعة ولما فرغ حسن باشا مما دهمه من امر اسبانيا وانتصر

على جيوشها وجه وجهته الى تدوين البلاد وقطع شافة الثوار منها فتأهب لذلك ولم
يزل يجول في الانحاء ويبت السرايا في الجهات الى ان دان الناس لطاعته واسترد
مستغانم من يد صاحب تلمسان ووصلت جيوشه في الجهة الشرقية الى ما وراء
بسكرة والزيان ثم رجع الى الجزائر وتوفى بها وتولى حسن بك ابن خير الدين وكان
بنو وطاس بطن من بني مرين استولوا على المغرب الاقصى بعد بني عمهم عبد الحق
واستفحل امرهم فيه فدعتهم نفوسهم الى الاستيلاء على تلمسان دار ملك بني زيان
فنهضوا اليها من فاس في جموعهم سنة ثمان وستين وتسعمائة واستولوا عليها في فترة
موت حسن باشا فلما افضى الامر الى حسن باشا ابن خير الدين استفرغ لقتالهم
ونفض من الجزائر واتصل الخبر ببني وطاس فخرجوا من تلمسان وانقلبوا راجعين
الى فاس واستمر حسن باشا سائراً الى ان دخل تلمسان فالح شامها وولى عليها
رجلاً من بني زيان اسمه حسن وقفل الى الجزائر ثم عزل وتولى اخوه صالح باشا ابن
خير الدين فارتاح الناس الى توليته وكانت اسبانيا استولت على يبايه فابتدر صالح
باشا اليها ونازلها براً وبحراً ثم اقتحمها بجيوشه واستأصلها ثم سار الى قسطنطينية فاستولى
عليها واقتطعها ثم انقلب الى تلمسان وطرد منها حسن الزياني مع بقايا بني عمه
ففرقوا اوزاعاً في الجهات والبقاء لله تعالى وانظم المغرب الاوسط كله لصالح باشا
من حدود وبلده من بلاد المغرب الاقصى الى الكف من بلاد افريقية وبعد ان
رجع الى الجزائر توفى وتولى اخوه - سن باشا ابن خير الدين مرة ثانية وفي ايامه خرج حاكم
وهران يجنوده الى مستغانم وكان حسن باشا في تلك النواحي فتعرض له وانتشب الحرب بين الزريقين
فانهزم جيش اسبانيا وقتل حاكمهم ثم ان الدولة العلية حملت اهل الجزائر على العمل بقوانينها ونها
تعين عليها حاكماً من قبلها وتمده بما يلزمه من الجنود والذخائر وعزلت حسن باشا ابن
خير الدين وبعثت محمد باشا كرادونلي ثم عزل محمد باشا وتولى علي باشا وكان اهل
تونس سئموا من ملكهم ابي العباس احمد الحفصي ولحقهم النجر من ظلمه فدس
وزيره ابو الطيب الخضار الى علي باشا في النهوض الى تونس ووعده بتهدد الطرق
الموصلة الى الاستيلاء عليها فجهز علي باشا جيوشه واحتشد قبائل العرب والبربر من
القاصية ونهض من الجزائر سنة سبع وسبعين وتسعمائة فالتقى الجعان بواجه ووفى
الخضار بوعده فخذل صاحبه والتقى الرعب في قلوب عساكره ففرقوا اشتاتاً وفر
ابو العباس الى تونس ثم خرج باهله وامواله ولحق بالقيروان وتقدم علي باشا بجدوعه الى

الحضرة فدخلها وقتل ابن الحضار وولى حيدر باشا على تونس وانقلب واجماً الى الجزائر واستجاش ابو العباس بملك اسبانيا فاجابه واشترط عليه مقاسمة الملك فامتنع ابو العباس من قبول هذا الشرط فركب البحر الى صقلية ولم يزل بها الى ان مات ثم قام اخوه محمد بن الحسن واثار الفتنة على حيدر باشا وبعث الى ملك اسبانيا بقبول ما اشترطه على اخيه فانجده الملك بعساكره وعند وصولها في المراكب الى حلق الواد فرّ حيدر باشا وحاميته من الاتراك ولحقوا بالقيروان ونقدم محمد بن الحسن الى عساكر اسبانيا فدخل بها الى تونس وعاثوا فيها واهانوا المساجد والمدارس واتخذوا جامع الزيتونة اصطفاً لدوابهم وقاسمهم محمد بن الحسن البلاد والجباية وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة تولى رمضان باشا على الجزائر وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة جهزت الدولة الوزير المشهور سنان باشا فسار في جيش كثيف لانتقاد تونس من يد اسبانيا واوعرت الى والي الجزائر ووالي طرابلس انغرب بظاهرته فاستعد كل واحد منهما وسار من ولايته وخرج حيدر باشا من القيروان بجماعته ومن انقاد اليه من العرب والبربر وتكاملت الجيوش في خارج تونس واحاطوا بها من كل جانب فدخلها المسلمون عنوة واستأصلوا عساكر اسبانيا واسروا محمد بن الحسن ثم اشخصه سنان باشا الى الاستانة فاعقل فيها الى ان مات وتم استيلاء الدولة العلية على افريقية وانقضت دولة بني حنص منها بعد ان ملكوها ثلاثمائة ونيفاً واربعين سنة والبقاء لله تعالى وحده وثبتت قدم سنان باشا في تونس واستنحل امره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلم الثوار ومن عهده صارت الولاية تخلف على تونس من قبل السلطنة السنية كاختلافهم على الجزائر ثم وقع النزاع بين حكومة الجزائر وحكومة تونس بعد استيلاء سنان باشا عليها في الحدود واستمر الى ان تولى حسن باشا على الجزائر سنة اثنتين وعشرين والف فاتفق مع يوسف داي والي تونس على تعيين نهر سراط حداً بين الحكومتين وفي سنة ثلاث وثلثين والف تولى خسرو باشا على الجزائر ونازعه يوسف داي في الحدود ثم رجعا لما وقع عليه الاتفاق اولاً بين الامارتين في الاحكام والجباية وفي سنة اربع وخمسين والف انتقضت جزيرة كريت على الدولة واستبدوا بامرهم فاوعدت الى محمد باشا ابي ريشة والي الجزائر بغزوها فسار اليها في اسطولها وفتحها وقفل الى الجزائر وكان الملك فرنسيس الاول عمدة الصلح مع السلطان الغازي سليمان خان سنة اثنتين وثلثين وتسعمائة هجرية وخمس وعشرين وخمسمائة والف ميلادية وابع له السلطان حرية مراكب فرانسوا في البحر الابيض تسافر فيه حيث شاءت

واذن له في تعاطي التجارة في الجزائر وغيرها ثم ان حكومة الجزائر اخذت مراكبها تغزو ثغور
فرانسا وتخرب حصونها الى ان آل امر فرانسوا الى الملك لويس الرابع عشر فجهز نحو ستة
آلاف جندي في ستة عشر مركباً لنظر القائد الدوك دي يوفور فاقلع من طولون في
مراكبه سنة اربع وسبعين والتم من الهجرة مترصداً مراكب الجزائر فلم يصادف نجاحاً وفي
سنة ست وسبعين وقع الصالح ولما تولى بابا حسن علي الجزائر سنة اثنتين وتسعين والتم
اغزى مراكبه الى الثغور الفرنسية وفي سنة اربع وتسعين خرج الاميرال تورفيل من
طولون في عمارة فرنسا وسار الى الجزائر واناخ عليها ثلاثة اشهر يغاديا القتال ويراوحتها ثم
سئم الإقامة من غير طائل واقلع عنها وفي سنة خمس وتسعين عاد اليها في قوة اكثر من
الاولى ولما علم بابا حسن انه عاجز عن مدافعتها مال الى السلم وبعث الى رئيس العمارة في
ذلك فاجابه اليه واشترط عليه اموراً انف اهل الجزائر من قبولها وعارضوا حاكمهم
في اجازتها ثم عدوا عليه فقتلوه وولوا عليهم الحاج حسن آغا من مشاهير القواد
فاشهر الحرب على المراكب الفرنسية وربما بالقنابل فاستشاط تورفيل غضباً وارسل
على البلد صواعق المدافع فعمد اهل الجزائر الى اسارى الافرنج يوثقونهم ويذعونهم
في افواه المدافع ثم يرسلونها فتنطير اشلاوهم مع القنابل في الهواء وارتكبوا في
ذلك ما لا يسوغ شرعاً ولا مروءة ثم لما طال الامر على الاميرال تورفيل اقلع عن
الجزائر الى بلاده وفي سنة ست وتسعين عاد اليها فدعاه اهلها الى الصلح فبادر الى
ذلك وانعقد الصلح الى ان تولى خوجه ابراهيم باشا فاغزى ثغور فرانسوا ورجع بالغنائم
وفي سنة مائة والتم جمعت دولة فرنسا قوتها واكثرت من الحشود الافرنجية وبعثها
لنظر الماريشال دي سنرى فنازل الجزائر والح عليها برمي القنابل واقام على ذلك
خمس عشرة يوماً حتى دكت اطراف البلد ثم جنح خوجه ابراهيم باشا الى السلم فانعقد
الصلح وفي سنة اربع ومائة والتم تولى علي الجزائر خوجه شعبان باشا فنهض الى
تونس بجيوشه فدخلها بمداخلة ابن شكر وزير محمد باي واليه وفر محمد باي الى داخلية
افريقية وتم الامر لشعبان باشا ثم فوض امر تونس الى ابن شكر باي وقفل الى
الجزائر وكان شعبان المذكور يبغض العرب ولما رجع من تونس امر جنده بقتل كافة
العرب القاطنين في مدينة الجزائر فقتلوا خلقاً كثيراً وكثر تعسفه واشتدت وطأته
فقبض عليه الجند وقتلوه خنقاً وتولى المه احمد باشا ثم عزل وتولى عمر باشا وكان
محمد باي انتصر على ابن شكر باي وعاد الى تونس ولحق ابن شكر بالمغرب الاقصى

ثم توفي محمد باي والي تونس وتولى اخوه رمضان باي فنار عليه مراد باي بن علي باي وتناول تونس من يده واستفحل امره فيها واجمع على غزو قسنطينة ثم الجزائر ونهض من تونس على طريق الكاف فلقية علي خوجه باي حاكم قسنطينة بالقرب منها وناجزه الحرب فكانت الدبرة على علي خوجه باي واتصل الخبر بعمر باشا فخرج من الجزائر وزحف الى مراد باي وهو محاصر لقسنطينة وانتشب الحرب بينهما فانهمز مراد باي ولحقه عمر باشا الى الحدود ثم انكفأ راجعاً الى الجزائر وبقي مراد باي في مرض من الايام الى ان ثار الشريف ابراهيم وقتله واستولى على تونس ثم لما تولى مصطفى باشا على الجزائر جهز جيشاً وبعثه لقتال الشريف ابراهيم المتغلب على تونس ونهض الشريف من الحضرة فالتقوا بالقرب من الكاف واقتتلوا اياماً ثم وقع الخلل في عسكر الشريف فانهمز وقبض على الشريف وسارت عساكر الجزائر الى تونس فدخلوها ثم رُفع الى مصطفى باشا في رئيس ديوان التحريات الجزائرية الخوجه محمد بكداشي امر نومه عليه نغزله ونفاه الى قاصية البلاد فاقام بكداشي مكانه يترصده الفرص الى ان تمكن منها فتلطف في رجوعه الى الجزائر ثم دخل على مصطفى باشا في منزله ليلاً وقتله وتولى مكانه سنة ثمان عشرة ومائة والف ثم قبض على الاخوين العالمين السيد احمد والسيد علان ولدى العلامة المؤلف اشهير الشيخ سعيد قدوره وكان الاول مننياً للملكية والثاني قاضياً لم يقتلها في محبسها خنقاً وقد انتقم الله منه بتل فعله فسلط عليه ابراهيم آفة العرب فدخل عليه وخنقه وتولى مكانه ثم تولى بعده علي باشا ثم محمد باشا ثم عبدي باشا وكانت اسبانيا استولت على وهران سنة خمس عشرة وتسعمائة اخذتها من يد ابي كيون آخر ملوك بني زيان ولم ترل حكومة الجزائر تبعث بالجيوش اليها وتنازلها براً وبحراً فلم تات بطائل الى ان تولى محمد بكداشي على الجزائر وكان شديد الرغبة في استرجاعها فجهز جيشاً عظيماً وبعثه اليها واوعز الي حاكم معسكر مصطفى باي ابي الشلاغم بظاهرة الجيش والنظر في امره فنارلوا اول ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائة وضيّقوا على حاميتها واحجروهم في داخلها وفي سادس شوال من تلك السنة فتحوا البلد عنوة وفر اهاليها الى برج المرسي وتحصنوا فيه فحطم المسلمون وفي ثالث عشر المحرم سنة عشرين اتحدوا الحصن واسنصلوا اهله واسنقر ابو الشلاغم والياً عليها ولم يزل يدافع جيوش اسبانيا عنها مرة بعد اخرى الى ان تغلبوا عليها واخذوها من يده سنة ثلاث واربعين ومائة والف وخرج منها

ابو الشلاغم باهله ومن كان فيها من المسلمين الى معسكر ونواحيها وكان الى الجزائر
عبدي باشا فجهز ولده محمدا في عدة مراكب وبعثه الى وهران فمنازلها ثم توفي عبدي
باشا واقام ولده محمد راجعاً الى الجزائر وكان حسن بن علي والي تونس ظاهر جيوش
اسبانيا على اخذ وهران وامدتهم بالذخيرة فحفظها له ابراهيم الخزناجي مستشار عبدي
باشا ولما افضى امر الجزائر اليه اخرج يونس ابن اخي حسين بن علي وكان معتقلاً
في الجزائر وامده بالجيش والمهمات واوعز الى حاكم قسنطينة بمظاهرةه فنهض يونس
من الجزائر واجتمع بحاكم قسنطينة وانضم اليهما ابو عزيز شيخ الحناشنة وابورنان شيخ
عرب البنيان ومحمد ابن ابي الضياف شيخ جبل اوراس بمجموعهم واتصل الخبر الى
حسين بن علي فرحف اليهم والنقى الفريقان على نهر سراط وانتشبت الحرب فكانت
الدبرة على حسين بن علي فانهمزت جيوشه ولحق هو واولاده بالقيروان واستولى
يونس على الحضرة وانقلبت الجيوش راجعة الى مراكزها ثم نهض يونس باي الى قتال
عمه وهو بالقيروان فخام عمه عن اللقاء واقام يونس محاصراً للقيروان احد عشر
شهراً ثم خرج منها حسين بن علي واولاده ولحقوا بقسنطينة منتملين مما وقع منهم
وتوجه محمد بن حسين بن علي الى الجزائر وقدم الطاعة للخزناجي باشا نيابة عن والده
فقبل طاعتهم ووعدهم بالعود الى دار ملكهم ثم بعد وصول محمد الى الجزائر توفي والده
بقسنطينة ولحق محمود وعلي باخيها محمد واقاموا ينتظرون انجاز الوعد الي ان مات
الخزناجي باشا وتولى خوجه ابراهيم باشا وكان الخزناجي عهد اليه عند موته بمساعدتهم
فلما تمكن من امره سيرهم في الجيوش الجزائرية وامر حاكم قسنطينة بمظاهرةهم وقبل
وصولهم الى حدود تونس حصل الخلل في العسكر ونفرت الكلمة بين حاكم قسنطينة
واحمد آغا رئيس العسكر الجزائري فاتقلبوا راجعين الى قسنطينة ثم توفي علي بن حسين
ابن علي واقام انواه محمود ومحمد بقسنطينة وفي سنة ستين ومائة والى توفي الخوجه
ابراهيم باشا وتولى محمد باشا المعروف بالاعور وفي سنة ثمان وستين ومائة والى عدا
عليه جندي فقتله وتولى علي باشا ابوصبع وكان حسن باي المعروف بازرق العينين
ابن اخت علي باشا المذكور والياً على قسنطينة فاتنق رايه مع خاله علي اخذ تونس
من يد يونس باي وردها الى اولاد عمه حسين بن علي ثم ان ازرق العينين عمل الحيلة
على يونس باي واظهر له المودة فركن اليه والى اليه بقايد اموره ولم يزل ينصب
له المكائد الى ان تمكن منه وقبض عليه واستصفي امواله وبني عليه حائطاً من خشب

فبقي في عذابه الى ان مات ورجع امر تونس الى اولاد حسين بن علي يتوارثونه خلفاً عن سلف لهذا العهد وفي سنة تسع وسبعين ومائة والفت توفى علي باشا وتولى محمد باشا المعروف بالمجاهد وكان صالحاً زاهداً حسن السيرة محباً للجهاد منصور الراية شيد عدة ابراج وحصون في الجزائر منها برج سردينيا والبرج الجديد وبرج راس العين واصلح قناة الحامة واجرى ماءها الى سقايات اتخذها على ابواب المساجد والابرار والحصون وخوابي من رخام في شوارع البلد واوقف اوقافاً جارية وانشأ جملة مراكب بحرية للغزو وهو اول من اتخذ النجون في الجزائر وهو مركب صغير وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة والفت انتقض الصلح بين الدولة العلية ودولة روسيا فجهز مراكبه واكمل استعدادها لنظر القبطان ابن يونس وبعثه اجابة لأمر الدولة وتكرر منه هذا عند ما تدعوه الدولة لاعانتها وكان قوم من اليونان يقال لهم الزنبطوط اتخذوا قرصاناً وانقطعوا فيه في البحر يترصدون المراكب فلا يصادفهم مركب الا اخذوه بما فيه وقتلوا اهله وكانت الدولة العلية تامر حكامها في الجزائر بقطع عاديهم فجهز محمد باشا المجاهد القبطان الحاج سليمان وارسله اليهم فاستولى عليهم وساقهم في مراكبهم الى الجزائر وقد قسموا بلاد المغرب الاوسط الى اربع ولايات ولاية الجزائر وولاية تيطرى بكسر التاء وسكون الطاء المهمل وولاية قسنطينة بضم القاف ونجح السين وسكون النون وولاية وهران بفتح فسكون ولكل ولاية حاكم يسمى باي اي بك الا حاكم الجزائر فيسمى باشا وهو لاء البايات متساوون في الرتبة والعمل ويرجعون في امورهم الى والي الجزائر ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبى بان وجود واليين في الجزائر موجب للفساد مسانزم للنزاع تقبل ذلك وامر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى وان يكون التصديق على ذلك من السلطنة وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سائف امرها من سمو المنزلة وباهر السطوة وكانت الدول الافرنجية على كثرتها تدفع لها اموالاً مضروبة عليها كل سنة لدفع عاديتهن عن ثغورهم ما عدا دولة اسبانيا فانها كانت تثلون فتارة تدفع خريبتها وتمتنع اخرى والحكومة الجزائرية تعاملها على حسب تلونها ولما تولى محمد باشا المجاهد اكثر من غزو ثغورها حتى اجأ اهله الى الجلاء عنها والفرار الى الداخلية وقد اجتمع في الجزائر منهم عشرة الآف اسير فجدع ملك اسبانيا قوته واستجاش بقية الدول وجيز خمسمائة مركب مشحونة بالعساكر والذخائر وبعثها الى الجزائر سنة تسع وثمانين ومائة والفت فنزلت

الجيوش الى البر وخيمت بوادي الحراش وكان محمد باشا المجاهد مستعداً لمدافعهم واستمض حاكم قسنطينة وحاكم معسكر يجذوعهم الى حضرته فاجتمعت الجيوش الاسلامية وكانت مراكب اسبانيا سبقتهم الى الجزائر فخيم صاحب قسنطينة في جهة الجنوب من معسكر العدو وخيم صاحب معسكر في الجهة الغربية وخرج محمد باشا بجنوده ودارت الجيوش بالمعسكر ثم هجمت عليه دفعة واحدة فاشتعلت نار الحرب من كل جهة وجاس المسلمون خلال الخيام واستلحدوا المعسكر بتمامه واستولوا على ذخائره ومهماتهما ولما رأى من بقي في المراكب من الجيش ما وقع باخوانهم رفعوا الرايات السود على صواري المركب اعلاناً بالحزن واقاموا على تلك الحال راجعين الى بلادهم وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة والف توفي ابرهم باي حاكم معسكر وتولى مكانه الشهم الهام محمد باي بن عثمان الكردي وفي سنة ثمان وتسعين عادت عمارة اسبانيا لمنازلة الجزائر واناخوا عليها اربعة ايام يرسلون عليها القنابل فرجعوا من غير طائل ثم نازلوها في السنة التي بعدها وانقلبوا خائبين وقد احسوا من انفسهم بالعجز ورأوا ان جنودهم قد فنيت وتغورهم خربت فجنحوا للسلم وضرعوا الى محمد باشا المجاهد في كنف عاديته عنهم ثم اوفدوا عليه رئيس العمارة يطلب الصلح فرده خائباً ثم اعادوه اليه على ان يشترط عليهم ما شاء فاجابهم الى مرغوبهم وانعقد الصلح بينهم على شروط منها ان تدفع دولة اسبانيا لحكومة الجزائر مليوناً ونصف مليون فرنك في كل سنة وان تصير المبادلة في الاسارى رأساً براس والذي يبقى الف ريال شينكو عن كل راس وان وهران خارجة عما انعقد عليه الصلح وتم الامر على هذا سنة مائتين والف

ذكر فتح مدينة وهران

قد امتدت العمارة الاسلامية بمدينة وهران الى سنة خمس عشرة وتسعمائة ثم استولت عليها دولة اسبانيا من يد ابي كلدون الزياني ثم لما تولى محمد باشا المجاهد على الجزائر كان يميل الى محمد باي الكردي حاكم معسكر لمائة دينه واستقامة احواله كتب اليه في الجهاد وحررضه على منازلة وهران فكان محمد باي ينازلها وياخذ بخنقها واستمر على ذلك من سنة ثلاث وتسعين ومائة والف الى سنة خمس ومائتين فجهاد الامر في ملازمتها والاقامة عليها فشمر الباي عن ساعد الجد وجمع الآلة والمهمات الحربية وجمع اوزاعاً من القبائل وانزلهم على السبل المؤدية اليها ليقطعوا مواصلة بني عامر وغيرهم

من المنتصرين للاسبانيول ثم انتقى طلبة العلم من المدارس وانزلهم في جبل المائدة
 المطل على البلد ليمنعوا اهلها من الاعتصام به واخذ في حنرا الخنادق واللغوم وبناء
 الاستحكامات ولما بلغ ملكهم الخبر ارسل المدد الى حاميتها وقد استشهد سيدي الجد
 السيد محمد المجاهد في معركة حرب بساحتها فحمل منها الى غزيس مع بعد المسافة
 ودفن في مقبرة اسلافه ثم وقعت زلزلة عامة في جميع المغرب الاوسط واشتدت في
 وهران فسقط اكثر دورها على اهلها وهلاك الحاكم وعائلته وتوالت المصائب عليها
 فرفعوا امرهم الى ملكهم فبعث الى والي الجزائر في الهدنة مدة شهر لينظر في امره فاجابه
 الوالي الى ذلك وجاء الامر لمحمد باي بتوقيف الحرب فتاخر في معسكر وضرب الاجل
 لحاكم وهران ثلاثين يوماً وقبل تمامها غدروا بالمسلمين ورفعوا رايات الحرب وطار الخبر
 الى محمد باي فسار واناخ على وهران وجاء المدد من الجزائر فاعظم النكابة في
 الاسبانيول واحجرهم في منازلهم وزحف الى السور ووضع المدافع والهواوين في
 الاستحكامات وعكف الرماة يرسلون عليها القنابل حتى اندكت اكثر ابراجها ودورها
 واشتد الامر على اهلها وعجزوا عن الذب عنها ثم توفي محمد باشا المجاهد وتولى مكانه
 مستشاره بابا حسن فطير الخبر الى محمد باي في مكانه من حصار وهران وبعث
 اليه بالامر الموءذن بتجديد امر الولاية له ثم ان ملك اسبانيا لما علم ان محمود باي
 قوي العزيمة عظيم الرغبة في فتح وهران كتب الى بابا حسن باشا والي الجزائر في
 تسليمها واشترط ان يسلمها على ما كانت عليه حين دخلتها جيوشهم وان يخربوا
 جميع ما احدثوه فيها من الابراج والقلاع فاجابه الوالي الى ذلك على ان يدفع مصاريف
 الحرب فقبل الملك وبعث الوالي الى محمد باي يامره بالافراج عن البلد فارتحل الباي
 وجيوشه واخذ الاسبانيول ينتقلون منها الى ان فرغت وخربوا ما وقع الاتفاق على
 تخريبه فنقدم الباي الى ساحتها وارسل في المدائن والضواحي للحضور في دخولها
 فهرع الناس اليه ودخلها واخذ في ترميم ما تثل من سورها واما كنيها وفي اقرب مدة
 عمرت دورها واسواقها ومساجدها وانتقل الباي اليها من معسكر باهله وعيان حكومته
 وأرخ فتحها العلامة السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي بن دح بقوله

بشرى لنا قد بلغنا غاية الارب * بنتح وهران ذات العجب والعجب
 ارخت للقوم ذاك العام مبتدراً * قالوا فما الشهر منه يا اخا العرب
 نقلت في نظم مازاموا او رخره * وهران طار لها الاسلام في رجب

ثم توجه الباى الى الجزائر لتأدية التهنئة للباشا بفتح هذه المدينة التي طالما
اهتمت الحكومة بشانها واجتهدت في فتحها فابى الله الا ان يكون على يديه وفي ايامه
فاكرم الباشا نزله واكبر وفادته ثم قفل من الحضرة شاكياً وبوادي مينة اشتم وجعة
ومات فحمل ودفن بوهران فارتج المغرب الاوسط لنقده وعم الحزن اقطاره وكان
يجب العلماء والعالخين ويعظمهم واخذ الطريقة القادرية عن العلامة الجدى سيدى
السيد مصطفى ولم يزل قائماً بخدمته ساعياً في مرضاته الى ان توفى وتولى على وهران
ابنه عثمان باي

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

وفي سنة سبع ومائتين والف تاخر اداء الضريبة المفروضة على دولة امريكا للحكومة
الجزائرية فغضب الباشا واخرج قناصلها من الجزائر وسائر الولايات وجيز القبطان
الشهير الحاج محمد في اسطوله ليترصدهم فاجابهم فغضب نحو العشرين مركباً واغزاه مرة
اخرى فظفر بغيرها ثم ان دولة امريكا بنحت للسلم فاجابها الباشا على ان تؤدى له
مليونين ونصف مليون من الريال الشينكوفات له ذلك ورجعت قناصلها الى الجزائر
وفي سنة اثنتى عشرة توفى الباشا بابا حسن وتولى مكانه ابن اخته مصطفى الخزناجي
وفي سنة ثلاث عشرة كانت حادثة نابليون الاول في مصر واوعزت الدولة العلية الى
مصطفى باشا باشهار الحرب عليها ليشغلها عن مصر فاحضر الباشا فنصل فرنسا الجنرال
واظهر له شدة حنقه على فرنسا لسوء معاملتها مع الدولة العلية ثم اوثقه في الحديد
واسلمه الى دائرة الاشغال الشاقة ونقل ذلك ببقية قناصل فرانس في الولايات وجهاز
قائد البحر في الاسطول واغزاه الى ثغور فرانس فاثخن فيها قتلاً واسرا وغنم عدة
مراكب لم وفي سنة سبع عشرة عزل عثمان باي ابن محمد باي فاتح وهران عن ولايتها
وتولى مصطفى باي من اخضاء الباشا

﴿ ذكر اخبار محمد ابن الشريف الشائر على ولاية وهران ﴾

اصله من الكسانة قبيلة من البربر بوادي العبد قبلة غريس اخذ العلم في صغره
عن سيدي الجدى السيد يحيى الدين في مدرسة بالقيظنة ثم رحل الى المغرب الاقصى
فاخذ من علماء فاس ولقي الشيخ العربي الدرقاوي وسلك طريقته وقفل الى وطنه
وجاء الى حضرة سيدي الجدى زائراً وفي بعض الايام تكلم بحضرته بما يوجب تاديبه

شرعاً فادبه سيدي الجد بالسياط واستتابه ثم رجع الى وطنه ولحق بقبايل حميان وشافع
 ودعا لنفسه سنة سبع عشرة ومائتين والف وادعى انه المهدي المنتظر فصدقه الناس
 وقاموا بنصرته فاخذ يستلب الانفس والاموال ويحرب العمران واتصل الخبر بباي
 وهران فنهض اليه بجيوشه والنقي الفريقان بغريس فانهمز الباي وتفرقت جيوشه
 ولحقت بوهران واستولى ابن الشريف على اقاله ثم سار في جموعه حتى وقف بساحة
 وهران فاناخ عليها وطار الخبر الى الجزائر فجهز الباشا مستشاره علي آغا وبعثه على
 طريق البرنغال ابن الشريف فتعرض له البربر في نواحي وادي شلف وصدوه عن
 المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشاً فلاذ بشيخ العطف
 واستجار به فمشى له في انقبائل على ان يدفعوا عاديتهم عنه فابوا عليه الا ببال يوديه
 اليهم فادى لهم ما طلبوه وانقلب راجعاً الى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه من
 حمار وهران وضيق على اهلها حتى نفذت اقواتهم وتمشت له الطاعة من تلمسان
 الى المدينة ثم افرج عن وهران وسار ينتقل في النواحي الى سنة ست وعشرين ومائتين
 والف فبعث الباشا من الجزائر معتمده محمد باي المعروف بالمقلس في عسكر وقلده
 ولاية وهران فركب في الاسطول من شرشال وبوصله الى وهران قبض على حاكمها
 مصطفى باي واشخمه الى الجزائر وكتب الى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة
 فاجابه اكثر القبائل وركنوا الى طاعته وامرهم بالمعسكر معه فهرعوا اليه من كل
 جانب وفرق فيهم الاموال ونهض من وهران بجموعه يريد ابن الشريف وتزاحفا في
 غريس ولما تولى النهار انكشف ابن الشريف بجموعه وانتصر الباي عليهم وفر ابن
 الشريف باهله واولاده الى نواحي تلمسان ثم لحق بجبل بني يزناسن من اعمال المغرب
 الاقصى ولا زال مقيماً فيه الى ان مات فرجع اهله واولاده ونزلوا في حمى سيدي الجد
 بالقيطنة لائذين به فعفا عنهم الباي حفظاً لدمته ورعايةً لمقامه واذعن الناس
 للحكومة وتسابقوا للدخول في طاعتها وذهب ابن الشريف ودلوى بساطه ثم خرج الباي
 من معسكر لتمديد البلاد فاخذ ضرائبها وجبى اموالها وقفل الى وهران وثبتت قدمه في
 ولايته سمعت سيدي الوالد يقول انما لم ينجح ابن الشريف في امره لكونه كان بمقوتاً
 عند سيدي الجد ففقته الناس وبعد رجوع الباي الى وهران توجه اليه سيدي الجد
 ليهنئه بانتصاره فاکرم نزله واعظم وفادته ولما انطلق من عنده قال الباي الى جلسائه
 نحن لا نخشى من ابن الشريف واهثاله وانما نخشى من صولة هذا يشير الى سيدي

الجد رحمه الله تعالى .

* ذكر اخبار ابن الاحرش *

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين والف ثار ابن الاحرش في نواحي قسنطينة وهو من عرب المغرب الاقصى رحل من بلاده للحج ولما اجلب نابوليون الاول على مصر جمع ابن الاحرش جيشاً من اعراب المغربين وافريقية وائضم الى الجنود المصرية لقتال نابليون وابلى في تلك الحروب بلاءً حسناً فاكسب الشهرة ولما انقلب نابليون الى فرنسا قتل ابن الاحرش راجعاً الى المغرب واحتل بتونس ولقيه صاحبها حموده باي واكرم نزله وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعد بالظاهرة بالمال والرجال فاستكان لها ابن الاحرش وخرج من تونس الى نواحي قسنطينة ودعا لنفسه واشتدت شوكته في تلك الجهات وزحف الى قسنطينة بجموعه فخرج اليه حاكمها بيميشه ووقعت بينهما حروب انهزم في آخرها حاكم قسنطينة وترك ذخائره فنقوى بها ابن الاحرش وعظم الخوف عند الباي ففر الى تونس باهله واولاده واتصل الخبر بمصطفى باشا والي الجزائر فاحضر عثمان باي ابن محمد باي وبعثه حاكماً على قسنطينة وفوض اليه في مداينة ابن الاحرش وبوصوله اليها كتب الي رؤساء القبائل الدائنين بطاعة ابن الاحرش يهددهم ويخوفهم عاقبة امرهم واخذ يتربص للحرب وخيم خارج البلد في سطح المنصورة واستجاش بمن بقي من القبائل متمسكاً بطاعتهم وارتحل نحو ابن الاحرش وعسكر في سهل وادي الزهور فامر ابن الاحرش بالنهر فسد ثم اطلق على المعسكر اول الليل فما طلع الفجر الا والماء قد عم السهل كله وهجم عليهم ابن الاحرش بجموعه فاستلحمهم وقتل الباي وكان الباي لما خرج من قسنطينة استعجب معه جميع ما في الخزائن من الاموال والذخائر فاستولى عليها ابن الاحرش وامتلات ايدي جيوشه من المغانم ثم ان باشا الجزائر فوض الامر الى قائد الخشنة وولاه على قسنطينة وكان هذا القائد له مصاهرة مع العرب فاستجاش باصهاره وعي كتابه وبرز من قسنطينة لمداينة ابن الاحرش فانهمزمت جيوش ابن الاحرش وتفرقت وفر بنفسه ولحق بابن الشريف في الجهة الغربية وبقي في معيشه الى ان دس له من قتله من اصحابه

* ذكر غير ذلك *

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين دخل يحيى آغا على رئيس اليهود في الجزائر وقتله

في منزله ولما رأى الناس اهل الحكومة للامور وتغافلها تداعوا في ثاني يوم الى استئصال اليهود ونهب اموالهم فاجتمعوا ودخلوا الى محلة اليهود فاختنقوهم قتيلاً واكتسحوا اموالهم وجمعوا اشلاءهم خارج البلد واضرموها ناراً ثم امر الباشا بالقبض على كل من ثبت حضوره في هذه النعلة فامتلأت السجون بهم وامر ان يُصلب منهم كل يوم عشرة انفس فصلبوا عن آخرهم وفي سنة عشرين ومائتين ثار العسكر على الباشا وتقموا عليه سوء معاملته لهم وقتلوه في الزقاق وتولى احمد خوجه فاطلق ايدي العسكر في الرعايا فكثر الفساد وكان في قلبه شيء على عبدالله باي حاكم قسنطينة فقتله واستنصفى امواله ومدّ يده الى الخزينة فباع جميع ما فيها من النفائس وحمله الى دار سكنانة وبعث الى حموده باي حاكم تونس في دفع الضريبة المنروضة على حكومة تونس لحكومة الجزائر فاستنكف ونقض العهد فجهز اليه القبطان حميد وفي الاسطول فغنم ثلاثة مراكب تونسية بما فيها ثم اغزى جيوشه الى تونس على طريق البر فلقبهم حموده باي بجموعه فاقفوا به واسنولوا على معسكره وفي سنة ثلاث وعشرين تزاحف الفريقان واقتتلوا بنهر سراط فكانت الهزيمة على حموده باي ايضاً وبعد رجوع العسكر الى الجزائر اظلم الجو بينهم وبين احمد باشا فثاروا عليه وقتلوه وسحبوه في ازقة الجزائر اهانة له ثم تولى ابو الجوالق فامر بنفي انقبطان حميدو الى الشام وفي سنة اربع وعشرين ومائتين والف تغلب علي باشا على ابي الجوالق وقتله خنقاً وتولى مكانه واعاد القبطان حميدو من الشام فاكرمه ورفع رتبته وفض الى امر البحر ثم اغزاه الى جبل طارق فلقبي مراكب البورتغال فغنم منها مراكباً واغزاه الى صقلية فامتلأت مراكبه بالغنائم وفي سنة خمس وعشرين اغزاه الى جربة من اعمال تونس فاسنولى عليها وطار الخبر الى حموده باي فجهز ثلاثة عشر مراكباً وبعثها الى جربة لقتال حميدو فلقبهم بالقرب من جزيرة قرقنه وانتشبت الحرب بينهم فكانت الدبرة على مراكب تونس وفي سنة ست وعشرين اغزاه الى تونس واحتل بملاق الواد وتاخر حموده باي عن اللقاء وانحجر داخل الحضرة فاقام حميدو اياماً ثم اقلع راجعاً الى الجزائر وفي سنة سبع وعشرين اخذ الباشا يناهب لمنازلة تونس وبعث الى حكام الولايات في جمع الجيوش وانهبوا بها الى حضرته فتغافل حاكم وهران واطهر الاستبداد فوجم لها الباشا وسير عمر آغا في جيش على طريق البحر الى وهران وكان اعيانها قد انحرفوا عن حاكمهم وتقموا

عليه ما اظهره من الاستبداد وكان اعيان الدوائر والزمالة اوقعوه في هذا الامر
 وزينوه له ووعدوه بمظاهرة الرعية وهو يومئذٍ مخيمٌ بهيره فلما انقلب الى وهران قام
 عليه الجند واعيان البلد وقبضوا عليه وبوصول عمر آغا الى وهران سلموه اليه فذبح
 اولاده على صدره وهو ينظر اليهم ثم سلخه وحشى جلده قطعاً وارسله الى الجزائر
 نعلق على باب الحديد منها واسنصفى امواله ثم اخذ يتأهب لحرب حاكم تونس فجمع
 الجيوش وسار بهم وكانت جموع تيطرى وقسنطينة تنتظره بالقرب من التخم لان الباشا
 فوض اليه امر الحرب فنهض بالجموع الى تونس ولما تجاوز حدودها اتصل به ان
 الاسطول الجزائري بعد ان ارسي في حلق الواد اياماً انقلب راجعاً من غير طائل وفي
 سنة ثمان وعشرين خرج القبطان حميدو غازياً على الثغور الافرنجية فصادف في طريقه
 مراكب كثيرة للدانمارك فاستولى عليها وفي هذه السنة انعقدت الهدنة بين حكومة
 الجزائر ودولة البورتغال على ان تؤدى دولة البورتغال لحكومة مليونين ونصف مليون فرنك وان تنقلها
 فدية اسراها وفيها سار انقبطان حميدو غازياً الى ثغور اليونان فاتخن فيها بالقتل والاسر
 وغنم عدة مراكب لهم وانقلب راجعاً فرفع ملك اليونان امره الى السلطنة السنية فبعثت
 الى باشا الجزائر توبخه على ذلك وامرته برد جميع ما اخذه لليونان وفي سنة تسع
 وعشرين اتصل به ان اليهود لبسوا نساءهم الثياب الخضرة فقبض على اعيانهم وقتلهم
 واحرقهم وكان هؤلاء الاعيان اكلوا اموال الناس بانواع الخيل والدعاوي الباطلة
 فالزم الباشا اقرارهم بدنع جميع ما ثبت عليهم وفي سنة ثلاثين ومائتين اتفق عمر آغا
 وكان عزل عن وهران مع عبدالله وكيل الخرج على قتل الباشا فدخلوا عليه وهو في
 الحمام فذبحوه وتولى محمد الخزناجي وهو في سن التسعين وكان محبوباً عند اهل الجزائر
 وفي اليوم السابع عشر من ولايته دخل عليه عمر آغا في محله فقتله وتولى مكانه
 فاغزى القبطان حميدو الى جبل طارق فصادف مراكباً لدولة امريكا فصادقوه القتال
 وكانت الدبرة عليه فقتل هو وجماعته وغنم الامريكيون مراكبه ثم آل الامر بعد ذلك
 الى انعقاد الصلح بين الفريقين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين جهز الانكليز
 وهولانده عمارة مختلطة بينهم لنظر اللورد اكسمون وبعثوه الى الجزائر ولما وصل اليها
 كتب الى عمر باشا انا اللورد اكسمون قائد العمارة الانكليزية الهولاندية اعلن
 لك انني لا ارغب في سفك الدماء ولا ارضى بخراب البلاد ولكن اطلب معاهدة
 مربوطة بشروط اولها اطلاق الاسارى عموماً من غير استثناء ثانيها ارجاع ما دنعته

لكم سردينيا ونابولي في السابق عن اسراهم ثالثها ابطال عادة الاسر بالكلية رابعها ان تكون هذه الشروط بعينها جارية بين حكومة الجزائر وباقي الدول فاجابه عمر باشا بقوله لاجواب عندي الا الضرب بالمدافع وفي الحال امر باطلاق القنابل على العمارة وانتشبت الحرب بين الفريقين الى المساء وفي صبيحة اليوم الذي يليه شبت النار في المراكب الهولندية والاتصال بعضها ببعض مع شدة الهوء احترقت عن آخرها واتصلت النار ببعض مراكب الانكليز وهاج البحر وتلاطمت امواجه فاقطع اكسبون بما سلم من عمارته وتوغل في البحر ولما سكن رجع الى الجزائر وخاطب الباشا بخطابه الاول فقبل شروطهم وانعقد الصلح بين الباشا واكسبون ولما شاع هذا الخبر في الجزائر ثار الجند على عمر باشا وتقموا عليه قبول الشروط الانكليزية فقبضوا عليه وقتلوه خنقاً وولوا مكانه علي خوجه سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والفاشاع النكير على اعيان الحكومة واكثر من قتل الاتراك وجعل بطانته من العرب واخذ الناس بالارهاب والسطوة واظهر الميل الى العمل بالشريعة المطهرة والقيام بوظائفها واعلن بالمحافظة على الصلوات في اوقاتها ومن وجد في دكانه بعد الاذان يجلد واشتدت وطاته على المتحرفين عن الشريعة حتى توفي بالطاعون ثم ولي حسين كاتب الخيل واستقر له الامر وفي سنة اربع وثلاثين وقع الصلح بينه وبين صاحب تونس بامر الدولة العلية وفيها عزل حاكم وهران محمد باي ابن محمد باي ابن عثمان الكردي فاتح وهران وتولى مكانه حسين باي

✽ ذكر قيام السيد محمد التيجيني ✽

اصله من بني توجين امراء تاهرت وكان والده السيد احمد زاهداً عابداً صاحب طريق وله مریدون واتباع ولما شاع امره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة انقل باهله واولاده الى فاس في ايام سلطانها مولاي سليمان العلوي واقام بها الى ان توفي فقام بامر الطريق بعده ابنه السيد محمد ورجع الى بلدهم عين ماذي وهي في الجنوب الشرقي من اعمال وهران وكانت حكومة الجزائر ترهب سطوته وتوقع خروجه عن طاعتها وفي سنة اربعين ومائتين رحل من بلاده للحجاز براً واتصل الخبر بحسين باشا نبعت الى حاكم قسنطينة في القبض عليه فافلت منه وبعد رجوعه الى وطنه دعا الناس الى طاعته والخروج عن دعوة الحكومة فوانقته اهل تلك النواحي ونهض من بلده الى

نواحي معسكر فلاذ الحشم ومن اليم بطاعته وخرج حسين باي حاكم وهران في جيوشه وتزاحف الفريقان خارج معسكر من جهة غريس وعند المصاف نقهقر الحشم ومن وافقهم وانفرد التيجيني في ثلاثمائة مقاتل من قبيلة الارباغ فمقلوا انفسهم كما تعقل الابل وقتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وبعث الباي براس التيجيني الى الجزائر فعلمت على بابها وارسل سيفه الى السلطان الغازي محمود خان وفي هذه السنة عزل حاكم قسنطينة وولى احمد بن احمد الشريف وهو اول من تولى من العرب على ولاية في الجزائر واطلق عليه لقب باي

❖ ذكر ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال ❖

اعلم ان حكومة الجزائر وان كانت قليلة العدد والعدد فقد كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوثها وغوازيها كثيراً ما تسم الثغور الافرنجية بالخسف والدمار ولذا لاذ اكثر ملوكهم بمسالتها واذعنوا لما تفرضه عليهم دفعا لعاديتها فكانت دولة انكترا تؤدي لها ستائة ليرة انكليزية في كل سنة ودولة فرنسا هدايا ثمانية تؤديها عند تغير قناصها ودولة الدانيمرك آلات ومهمات حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وهدايا نيسة ودولة هولندا ستائة ليرة فرناوية ومملكة سيسيليا اربعة وعشرين الف ريال شينكو وهدايا قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو ومملكة سردينيا ستة آلاف ليرة فرناوية والولايات المتحدة بامريكا آلات ومهمات حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وعشرة الاف ريال نقدية وهدايا تحضرها قناصلها معها والبورتغال هدايا بهية واسوج ونروج الات حربية وذخائر بحرية تساوي قيمة وافرة رهنوفر ورام من المانيا ستائة ليرة انكليزية واسبانيا هدايا نيسة وربما حاول بعضهم في بعض الاحيان مقاومتها وتحرك الانتقام منها فلا يصادف نجاحاً فيضطر الى مسالتها

❖ ذكر تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر ❖

ان الفتن في اوروبا منذ زمان لم تحمد لها نار واشدها اضطراراً ما كان منها في ايام نابليون الاول ولما سكنت بانعقاد الصلح بين الملوك وكان الفرنسيين يعضون بهذه الحكومة ويتربصون بها الدوائر حتى اتفق لقونصلهم مع حسين باشا الخصام الذي ادعى لاهانة القونصل حين عقدوا معاهدة تجارية في اصناف الحبوب

مع الحكومة فنقرر لها في ذمتهم اموال طائلة وقارن ذلك حدوث الاضطراب في فرنسا وقيام الامة على ملكهم فتأخر اداء تلك الاموال نحو العشرين سنة ولما خمدت الفتنة جددوا المعاهدة مع الحكومة سنة خمس وثلاثين ومائتين والف هجرية وتسع عشرة وثمانمائة والف ميلادية ومن فصولها ان دولة فرنسا تؤدى للحكومة الجزائرية سبعة ملايين فرنك على يد وكيلها يعقوب كوهين بكري وميخائيل ابي زناك اليهوديين والاداء يكون منجماً اول سنة ست وثلاثين ومائتين والف هجرية وعشرين وثمانمائة والف ميلادية وكان لتجار فرنسا من اهل مرسيليا على تجار الجزائر مليونان وخمسمائة الف فرنك فرفعوا امرهم الى دولتهم وطلبوا منها ان تنقد لهم اموالهم من اصل السبعة ملايين المحكوم بها للحكومة الجزائر فادت دولة فرنسا للحكومة اربعة ملايين ونصف مليون وابت ما ادعى به تجارها في صندوق الامانة وامرت ان تجري دعوى تجارها مع غرمائهم من اهل الجزائر في مجلس التجارة في باريس فغضب الباشا لذلك وطلب اداء الاموال المحكوم له بها كلها وان تكون مرافعة التجار والغرماء في مجلس الجزائر وادعى ان الحق له في ذلك بموجب العهود التجارية بين الحكومة وسائر الدول وطال النزاع واستمرت فرنسا مصرة على امرها والباشا يطلب الجواب من قنصل فرنسا الجنرال دوفال فيحاوله بالمواعيد وفي اول يوم من شوال سنة ثلاث واربعين ومائتين والف دخل القنصل دوفال على الباشا لاداء التهنئة بعيد الفطر فشكا له الباشا عدم رد الجواب من ملك فرنسا على كتاب قدمه له فقال له ليس من العادة ان يجاب الملك من هو دونه بدون واسطة ففهم الباشا من ذلك ان مراد القنصل ان الملك لا يعتني بجوابه مثله فاشتد غضبه ولطم القنصل على وجهه ببروحة كانت في يده فعظم ذلك عند القنصل وطير الخبر الى ملكه فجاءه الامر ببإيادحة الجزائر فبارحها بمن معه من الفرنسيين المقيمين في الجزائر ثم ان الباشا عدا على من تأخر في البلد من ضعفاءهم فاستاصلهم وخرّب قلعة دي لاكار وكل بناء للفرنسيين في الجزائر وبونه وبوصول القنصل الى باريس جيزت دولة فرنسا اساطيلها وبعثتها الى الجزائر لنظر الاميرال كوليت فنازلها يغاديا القتال ويراوحها واستمرّ محاصراً لها نحو ثلاث سنين حتى لانت قوته ونفذت ذخائره وانقرض معظم جيشه وتكسرت اكثر مراكبه وكانت خاتمة امره بقتله ذكر بعض المؤرخين ان النقة على هذه الحملة كانت اكثر من عشرين مليون فرنك واما حكومة الجزائر فلم ينجحها كبير ضرر ولما علم حسين باشا ان دولة فرنسا لا ترفع يدها عن الجزائر وانها تراجع

منزلتها لا محالة اخذ في ثقيف البلد وتحصين حوزتها ثم انتقل باهله وحاشيته الى
القصة وفي سنة خمس واربعين ومائتين والفس هجرية وتسع وعشرين وثمانمائة والفس
ميلادية بعثت دولة فرنسا معتمدها دي لابر الى الجزائر يطالب الترضية من الباشا
فا يلتفت اليه ورده وبعد اقلعه اطلقت عليه القنابل من برج المرسى واتصل الخبر
بلك فرنسا ففاوض اهل دولته فوسطوا محمد علي باشا خديوي مصر ان ينصحه
فارسل له كتاباً ينصحه ويحذره ويعلمه به بان العاقبة وخيمة فلما قرأه حسين باشا
قال الرسول بلغه سلامي وقل له يا كل النول ولما وصل هذا الجواب الى الخديوي
عرف الحكومة الفرنسية بعدم تاثير نصيحته له فاجمعوا على حرب الحكومة الجزائرية
ومناجزتها فجدعوا جنودهم وكنوا اربعة وثلاثين الفا مع مائة واثنى عشر مدافعاً واستاجروا
اربعائة مركب وسيرتها من طولون الى الجزائر لنظر الاميرال دو بري في احدى
وعشرين ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائتين والفس هجرية والتاسع عشر من
يونيه سنة ثلاثين وثمانمائة والفس ميلادية نعدل بها عن مرسى الجزائر الى مرسى
سيدي فرج القرية من الجزائر وكنت خالية من العمران الا شذمة قليلة من
العسكر كانت في برج هناك فلما اطلت عليهم مراكب فرنسا تفرقوا وبوصول العمارة
الى المرسى اخذت الجنود نزل الى البر بهيئاتها ورنعوا رايتهم على البرج واتصل الخبر
بباشا الجزائر فارسل في المدائن والضواحي ينادي بالجهاد وعقد لصره يحيى اغا على
قتال العدو فنهض من الجزائر في الحشود والعساكر والتحم القتال بين الفريقين
فكانت الدبرة على الاغا وجموعه ثم تلاقت الجيوش من وهران وقسنطينة وتيطرى
وزحف بهم الاغا في السابع والعشرين من ذي الحجة على معسكر الفرنسيين
وحملوا عليه حملة رجل واحد واستمروا حتى ادخلوه الخيام ووضعوا راياتهم على الاستحكامات
فبهت الفرنسيين من تلك الحملة وتراجعوا وعززتهم فرقة الطوبجية ورددوا الكرة على
الجيوش الجزائرية فاخرجوهم من المعسكر وهزهوهم وتبعهم العدو الى ان ادخلهم
معسكرهم في استوالي ثم اخرجهم منه واستولى عليه بما فيه من الذخائر والمهمات
وعرف ذلك اليوم بيوم استوالي واجتمع في الجزائر حشود العرب والبربر للنهب
والسلب بدعوى الجهاد وفي الثالث من محرم سنة ست واربعين ومائتين والفس
الموافق الخامس والعشرين من يونيه سنة ثمانمائة وثلاثين نهض يحيى اغا من الجزائر
بتلك الحشود وانتشب الحرب بينه وبين الفرنسيين فانهمز يحيى اغا وحشوده فتعقبهم
العدو الى ان تجاوزوا استحكامات ابي جارية واشتولى عليها بما فيها من المدافع والمهمات

وخيموا عندها وقوى طمعهم في الاستيلاء على الجزائر وفي صبيحة ثامن المحرم ارتحلوا من ابي جارية وضربوا معسكرهم في اطراف البساتين وفي عاشر المحرم اطلوا على البلد وسلطوا عليها المدافع واخذوا يعقرون الاشجار ويعنون الآثار واخذت النار في برج مولاي حسن وكانت فيه خزينة البارود فاحترقت وتطايرت حجارة البرج على البلد فدمرت المنازل ومات خلق كثير تحت الردم وعظم الكرب في مدينة الجزائر واستولى القلق على اهلها وتنبه حاكمها من غفلته ولما علم انه قد فاته التدارك استأمن لنفسه واهله وجميع الاهالي فامنه قائد الجنود الفرنسيات المارشال على شروط وقع الاتفاق عليها

❖ ذكر المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنسيات بورمون ❖

❖ وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ❖

❖ ست واربعين ومائتين والف هجرية والخامس ❖

❖ من يوليه سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية ❖

اولاً كفة القلاع المختصة بمدينة الجزائر وابواب المدينة تسلم للعساكر الفرنسيات في صباح السادس من يوليه الساعة العاشرة ثانياً يتعهد القائد العمومي الفرنسيات ان يترك للباشا امواله المختصة به ثالثاً ان يكون لحضرة الباشا الحرية بان يتوجه مع عائلته واملاله الى المحل الذي يرغبه وفي مدة اقامته في مدينة الجزائر يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العمومي الفرنسيات وان الباشا وعائلته يكونون تحت حرس مخصوص رابعاً ان القائد العمومي يمنح هذه الحماية المعطاة لحضرة الباشا لكافة قواد العساكر الجزائرية خامساً تعطى الحرية للديانة المحمدية وللمكاتب الاهلية ولديانتهم ولا ملاكهم ولتجارهم وامنائعهم وان لا يعارضوا في ذلك وان نساءهم محفوظات معتبرات سادساً ان مبادلة هذه المعاهدة تكون غداً الساعة العاشرة صباحاً وتدخل العساكر قلعة القصبة ويقومون في قلاع المدينة والشطوط البحرية وفي الغد صباح اليوم السادس من يوليه والثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والف في الساعة التي وقع عليها الاتفاق دخلت جنود فرنسا من الباب الجديد في اعلا المدينة وانزلت رايات الدولة العثمانية من القصبة والابراج وارتفعت رايات فرنسا عليها وتفرقت الجنود الفرنسيات في البلد وتم استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر وبلغوا امنيتهم التي

كانوا يبتغون الحصول عليها منذ سنين عديدة غير مبالين بوفاء المعاهدة ولا ملتفتين للقيام باعباء المعاهدة وانقضت الحكومة الجزائرية وانتشر ساكنها وكانت مدتها فيها ثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً تقريباً والله عاقبة الامور وبعد استقرار العساكر الفرنسية في المدينة انتقل الباشاوارباب الحكومة الى خارج البلد وخلصهم فيها زوءساء الجنود الفرنسية وشاع امر الجزائر فاهتزت له المشارق والمغرب وعد عند المسلمين من اعظم النواب ولو كانت حكومة الجزائر مستعدة لحماية حوزة بلادها اخذت بالحذر من مباغته العدو لها وكانت جنودها كاملة الاستعداد متمرنة على الحروب عالمة بطرقها ما وصل عدوها الى مرغوبه منها في اقرب مدة وعلى ايسر وجه ولكن استيلاء الكبر والعجب والتعظيم على رجالها مع ما بلغوه من البذخ والترف اداهم الى اهمال الامور وعدم الاكتراث بها كما وقع بالاندلس ليقضي الله امراً كان منوعاً

✽ ذكر اخبار الفرنسيين بعد استيلائهم على الجزائر ✽

اول ما ابتداء به قائد الجنود الفرنسية في الجزائر رتب مجلساً من رؤساء الجنود لضبط خرائنها من الاموال والجواهر والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من ضبطهم على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ثمانية واربعون مليوناً وستائة الف وثمانون الفاً وخمسمائة وسبعة وعشرون فونكاً ومن الصوف والحنطة والشعير وغيرها ما يبلغ قيمة ثلاثة ملايين من الفرنك ومن المدافع والبنادق والبارود والرصاص والقنابل وغيرها من آلات الحرب مع ثمن الاملاك الاميرية داخل البلد وخارجها ما قيمته خمسون مليوناً من الفرنك ثم حمل الباشا مع اهله واتباعه الى نابولي بطلب منه فاقام فيها مدة ثم انتقل منها الى الكورنر ثم الى الاسكندرية ولما وصلها احتفل به محمد علي باشا واطلمه على المهمات الحربية وغيرها و صنع له مأدبة حضرها الاعيان واكابر البلدة وفي اثناء الطعام اثني حسين باشا على الخديوي ومدح اعماله وهمته في اعمار مصر وترقيتها فاجابه الخديوي بقوله يا حضرة الباشا ان جميع ما رايت واستحسنتمه كان منشؤه من اكل النول وكان ذلك منه تذكراً له فيما سلف من الجواب عند قراءة الكتاب فتعص حسين باشا وتوجه لمحلة متلاماً وبعد ايام قليلة توفي سنة اربع وخمسين ومائتين والف ثمانية وثمانين ولما كثر الهرج بين الانكشارية والجيوش الجزائري جمعهم القائد العمومي وحمل اكثرهم الى نواحي ازهير ورخص الاغنياء منهم في الاقامة بالجزائر ريثا يبيعون

عقاراتهم وامتعتهم وبعد فراغهم من اشغالهم حملهم الى جهات مختلفة ودون الدواوين
 وجند من اهل المدينة جنداً بلدياً وبني قواعد حكومتهم في الجزائر على اظهار
 الهيبة ومراعاة امور الشريعة الاسلامية واحترام المساجد وتعظيم العلماء وحرية
 العوائد وتلطف ما شاء في امالة القلوب اليهم وبذل الاموال ترغيباً حتى يلين
 اليهم القوي ويدخل في طاعتهم الابي وذن ان سياسته هذه كافية في الاستيلاء
 على سائر المغرب الاوسط ولم يعلم ان دون ما اراد خرط القتاد وقد ظهر لهم
 بعد حين ان في عين اليقين حروباً يشيب لما الوليد ويضعف لديها القوي الشديد الي
 ان نالوا غاية مطلوبهم وحصلوا على نهاية مرغوبهم وذلك تقدير العزيز العليم

✽ ذكر خروج الماريشال بورمون الى البليدة ورجوعه مهزوماً ✽

✽ وما جرى بعد ذلك من الحوادث ✽

بعد ان اتم القائد العمومي اشغاله الابتدائية في الجزائر خرج منها ثالث صفر
 سنة ست واربعين ومائتين والثم الموافق للخامس والعشرين من يولييه في طائفة
 من الجند الى البليدة فتلقيه اهله وادوا طاعتهم ودخل البلد وكان ابو مرزاك
 التركي حاكم تيطرى قد دعاه اليها ووعد ببطاعة اهل تلك النواحي ولما شاع الخبر
 تداعى الناس الى الجهاد ونادوا به في جبال متيجة القريبة من البليدة فهرعوا اليها
 وحمدوا للمهاجمة وفي غلس اليوم الثالث من دخول القائد العمومي اقتحموا
 البلد واستاصلوا اكثر الجند الفرنسيين وفر القائد فيمن افلت من الجند الى الجزائر
 فدخلها على اسوأ حال وشاع خبر هذه الواقعة فاكبرها الناس واستخفوا امر الفرنسيين
 وفسدت قلوب اهل الجزائر عليهم وضعف ما كان عندهم من الهيبة لهم وانحط قدر
 القائد بينهم وقارن ذلك الاضطراب الواقع في الحائر بين الجنود البرية والبحرية
 في دعوى التغلب على الجزائر فكل فريق ادعى ذلك واتصل بهم ان الامة في
 فرنسا ثاروا على الملك وخاعوه وابدلت الدولة المالكية بالدولة الجمهورية وكان
 القائد من حزب المالكية فايقن بالعزل وبعد ايام حضر الامر بعزله وتعيين الجنرال
 كلوزيل حاكماً على الجزائر وبجضوره باشر الاحدم وسافر الماريشال بورمون الى
 مالقة من بلاد الاندلس مستصحباً قلب ولده المقتول في معركة سيدي خلف
 بالجزائر ثم ان الجنرال كلوزيل طمحت عينه الى الاستيلاء على امصار القطر فبعث
 الى حاكم وهران وحاكم قسنطينة يدعوهما لطاعة دولته فاجابه صاحب وهران الى

ذلك واخذ اهلها في الخروج منها الى تلمسان ومعسكر وغيرها ولم يتخلف فيها الا
الحاكم حسين باي وجنده وطير خبره بالاجابة على ان يؤمنه الجنرال كلوزيل
على نفسه واهله ومن معه فاسعنه الجنرال بذلك وسير ولده الاكبر في عدة مراكب
حربية اليه فدخل وهران واستلم زمامها من يد حسين باي في تاسع رجب سنة
ست واربعين ومائتين الموافق خمسة وعشرين ديسمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف
ميلادية وذلك بعد ستة اشهر من دخول الجزائر ثم لحق حسين باي ومن معه
بالجزائر وعمول بما عومل به حسين باشا ولما بلغ احمد باي حاكم بسكرة امر
الجزائر جمع الجيوش وزحف الى قسنطينة حاضرة الولاية فخرج اليه حاكمها محمود
باي ابن جافر باي فدافعه عنها الى ان وقع الخلل في جيشه وتفرق عنه ودخل
احمد باي الى الحاضرة وفر محمود الى جبال البربر فاغتاله بعضهم وساق رأسه
الى احمد باي ثم وصله رسول الجنرال بكتابه يدعوه الى طاعة فرنسا فقتله ومزق
الكتاب فاستشاط الجنرال غيظاً وارسل الكونت دي مريمون في الاسطول الى
بونة وكان عاملها من قبل احمد باي قد نفرت من ظلمه قلوب اهلها فلما اطل
عليهم اسطول فرنسا اظهروا له اشارة السلم وفر العامل ومن كان معه من الحماية
ولحق الجميع بقسنطينة وتقدم دي مريمون الى البلد فاستولى عليها وقبل الاستيلاء
على وهران وبونة انتقض ابو مزراك والي تيطرى ونكت طاعة فرنسا وجاهر
بالحرب فخرج اليه كلوزيل من الجزائر في ثامن عشر نوفمبر سنة ثلاثين وثمانمائة
الف واقام اياماً في البلدة ثم سار قاصداً المدينة حاضرة ولاية تيطرى وزحف
اليه ابو مزراك في جموع العرب والبربر فالتقى الجمعان بثنية موازية واشتد القتال
فانهزم ابو مزراك وجموعه واستمر كلوزيل سائراً الى الحاضرة فدخلها في الثالث
والعشرين منه وتلقاه اهلها مطيعين فولى عليهم مصطفى بن عمر وفي اثناء اقامته
في المدينة استمانه ابو مزراك على نفسه فامنه ولما حضر عنده اعنقله وكر راجعاً
به الى الجزائر ومر في طريقه بالبلدة فوجد القبائل المجاورة لها قد دخلوها
واستأصلوا الحماية الفرنسية ونهبوا الذخيرة فاستمر سائراً على وجهه الى الجزائر
موقناً بانه لا طاقة له على اذعان القبائل والشعوب الجزائرية وان جيوشه غير
كافية في حملهم على الطاعة مع ما عليه فرنسا من الاتباك واختلاف الكبة بين
الاحزاب الملكية والجمهورية فاستجلب دي مريمون وجنده من بونة لما علم انه لا
يجلب الناس الى طاعة فرنسا الا امرأء منهم او من الاتراك فولى مصطفى بن عمر

على مدينة المدية وبعث الى صاحب تونس حسين باشا من اولاد حسين بن علي يطلب منه بعض المترشحين للولاية من عائلتهم فبعث اليه من اختاره من اقاربه فولاه على مدينة وهران في اوائل فبراير سنة احدى وثلاثين بعد ان اشهد على نفسه انه فرنساوي وادى يمين الامانة على ذلك ثم اخذ يدس الى الاتراك القاطنين في مدن الداخلية كتلمسان ومعسكر ان انزنيس اجمعوا على ان يجعلوا في الجزائر حكومة تركية تكون تحت حمايتها وبعد تأسيس امورها يتخلون عنها ويسلمون امورها اليهم وجعل توليته على وهران دليلاً على صدق خبره فركنوا الى قوله وبعثوا اليه بطاعتهم سرّاً ثم فشا خبرهم وانتشر ذكره فقامت عليهم الاهالي في كل جهة واستأصلوا الكثير منهم واعتصم اترك تلسان بقلعة المشور ثم عزل كلوزيل عن سخط من دولته وعلق بفرنسا وتولى الجنرال تريزين وتعين الجنرال بويه حاكماً على وهران وبوصوله اليها رجع التونسي الى اهله فعلم العرب ان اشاعة التونسي محض سياسة من الفرنسيين لتفريق الاتحاد فكفوا عن الاتراك وسالموهم ورجع الامر الى ما كان عليه من الاتحاد وجمع الكلمة على الجهاد وكان ابن ابي مزراك بلغه ان كلوزيل اشخص والده الى الاسكندرية منفياً فثار في تحله من تطرى ودعا الناس الى الجهاد وجمع الجيوش ونازل المدينة وضيق على اهله فطار الخبر الى الجنرال برتزين فسير جيشاً لانقاذ عاملهم مصطفى بن عمر فتعرض لهم ابن ابي مزراك باقرب من البلد وناوشهم القتال ثم تمكنوا من دخولها وانقلبوا بعاملهم وحاميتهم راجعين الى الجزائر ولما احتلوا بضائق جبال موزايه احاطت بهم جموع القبائل تحت راية ابن ابي مزراك والتحم التريقان واستمر القتال في حال سيرهم واقامتهم الى قرب الجزائر ووقع النشل في عساكر فرنسا فقتل اكثرهم وانتهبت اثقالهم ولم يصل الى الجزائر الا القليل منهم ثم ارتد ابن ابي مزراك بجموعه الى المدية فاستولى عليها واستمر فيها الى ان استولى عليها سيدي الوالد رحمه الله وكانت هذه الواقعة نزلاً للجنرال تريزين في داخلية الجزائر وفي تلك الايام ظهر الحاج علي بن السعدي في جبال زاووه ودعاهم الى الجهاد واجتمعت كلمتهم عليه وكان الجنرال برتزين بعد واقعة المدية جمع اعيان الجزائر وامرهم ان يختاروا منهم من يصلح للولاية على العرب والبربر في داخلية البلاد ويكون واسطة في مياهم الى طاعة فرنسا فوقع اختيارهم على السيد محي الدين بن السيد علي مبارك لشهرته في تلك النواحي فولاه الجنرال ولقبه آغا العرب على اصطلاح الحكومة الجزائرية

فخرج الى قريته القليعة على مسافة قريبة من الجزائر وبث رسله في القبائل يدعوهم الى الطاعة وبينما هو كذلك اذ عصفت ريح ابن السعدى وشاع الخمداره من جبال زواوه الى سهل متيجه فاضطرب امر الاغا ولم يسعه الا اتباع السعدى فتوجه اليه بن معه من القبائل واتخذها يداً عنده فاكرم نزله ثم زحف ابن السعدى بجموعه الى الجزائر وخيم بوادي الكرمه على مسافة ساعتين منها وعاش جيشه في اطرافها واضطرب الجنرال برتزين ثم خرج بينوده اليهم فوقع بهم اولاً ثم رجعت الكرة عليه فانهمزمت جيوشه وارتدوا على ادبارهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان دخلوا الى المدينة وامثلت ايدي اناس بالاسلاب والمهمات ورجعوا الى وادي الكرمه ثم زحفوا على المدينة ووصلوا الى باب عزون احد ابوابها فحاص الجنرال عن اللقاء فانقلبوا راجعين الى اوطانهم تحت راية ابن السعدى ثم اخذ الجنرال تريزين يلاطف في استمالة القبائل بما امكنه وظهر الاغضاء عما وقع منهم فجنحوا للجهاد معه وقدموا الاغا السيد محي الدين ابن السيد علي مبارك في عقدها فدخل الجزائر وعقدتها مع الجنرال ثم رجع الى القليعة وانفتحت ابواب الجزائر للوارد والصادر من القبائل المجاورة لها ثم عزل الجنرال تريزين سنة سبع واربعين ومائتين والثمانيه وثلثين وثمانمائة و الف ميلادية وتولى الجنرال الدوك دي روفينو واحضر معه ستمه عشر الف جندي لردع القبائل وحملهم على الطاعة ولما علم ان هذه السياسة لا تجديه نفعاً عدل عن التعسف الى التلطف واقام مدة على ذلك ثم ان فرحات شيخ بلد بسكره وما يليها من ايالة قسنطينية اظلم الجوى بينه وبين صاحبها الحاج احمد باي نزع الى الفرنسيس واوفد جماعة من اقاربه الى الجنرال الدوك دوفينو فتلقاهم بالاكرام وتقبل طاعة شيخهم ثم انقلبوا الى شيخهم بانواع الهدايا الثمينة ولما وصلوا الى طرف سهل متيجة انقض عليهم جيش من قبائل الجبل فاستنفوا ما معهم واتد الوفد راجعاً الى الجزائر فعظم ذلك عند الجنرال وبعد ان وقف على من فعل ذلك في ايام الهدنة حمله الغضب على الانتقام منهم فاغزاهم قائد جيوشه فمجبهم وقتل من لحق به منهم واخذ شيخهم اسيراً الى الجزائر وبوصوله اشهروا قتله في السوق وشاع خبر هذه الواقعة فاستكبرها الناس وحسبوها نقضاً للهدنة من حاكم الجزائر فعادوا لما كانوا عليه من شن الغارات على ضواحي الجزائر والتعرض للوارد اليها والصادر وتحرك ابن السعدى بعد سكونه ونادى في تلك الجهات بالجهاد وقامت الحروب

بين جموع المسلمين وجيوش فرنسا ووقعت بينهم عدة وقائع كانت الحروب فيها سجلاً ولما استمر القتل في اهل متيجه دخل الكثير منهم في طاعة فرنسا وارتحلوا الى قرب الجزائر وترفع الباقون الى الجبال واخذ الناس حذرهم وعلموا ان الفرنسيين لا يكثرثون بنقض العهود ولا يعبثون بالوفاء بها وهذه الحوادث كلها في ايالة الجزائر وايالة تيطري واما ايالة وهران فلم تنقطع الحروب فيها مع حاكمها منذ دخلها جيش فرنسا ثم ان آفة العرب لما رأى ان الامر تفاقم بين حاكم الجزائر والقبائل اهل داخلتها وعلم انه لا طاقة له بتلافي ذلك ارتحل من القليعة ولحق بجبال بني مناد ولم يزل مقنياً بين ظهرانينهم الى ان ظهر امر سيدي الوالد في ايالة وهران وتمشت له الطاعة الى ايالة تيطري فبادر الى الدخول في طاعته واما السيد الحاج علي بن السعدي فانه لما احس من نفسه الكبر ولحقه الضعف والنجر ترك جبال زاووه ولحق سيدي الوالد في معسكر ولم يزل مشتغلاً بعبادة الله تعالى الى ان قضى نحبه وفي اثني عشر ماہو سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عرض للجنرال الدوك دي روفينو مرض الجاه الى الرجوع الى فرنسا وخلصه الجنرال افيزار موقناً وفي ايامه تشكل انقلم العربي في دوائر اقليم الحكومة وتعين له الملازم لامورسير وكان يكتب الخط العربي ثم ترقى في المناصب الى ان صار جنرالاً واشتهر في وطن الجزائر بابي هراوة وفي اول ابريل عزل الجنرال افيزار وتولى الجنرال قرارول وتمكن من مهادنة القبائل في ايالة الجزائر واسنولى الفرنسيين على بسائط متيجة وسهولها وتوسعوا في مسارحها وقد انتهى الكلام على الحوادث الاولية للفرنسيين في الجزائر

❖ ذكر حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر ❖

اعلم ان الجزائر لما دخلت في حوزة الدولة العلية وانتظمت في سلك ممالكها ايام السلطان الغازي ياووزسليم خان على يد عروج باربروس الاول واخيه خير الدين باربروس الثاني اقامت الحكومة فيها لحماية البلاد وحفظ حقوق العباد وجرى حكمها حكم ممالك الدولة العلية لعهد السلطان احمد خان الثالث وفيه احست الحكومة بالقوة فاستبدت في احكامها وقد كان نفوذها مع استبدادها قاصراً لا يتعدى المدن والقرى واما الجبال وظواعن العرب في البادية فان لهم ادارة تخصهم موكول امرها الى زعمائهم ولما كانت الحكومة غير قادرة على تنظيمهم في سلك الطاعة

القت بينهم دسائس العداوة والبغضاء ففرقت كلمتهم وضعفت شوكتهم وبهذا كان استخوذها عليهم وهذه السياسة من اكبر الوسائل التي نتوصل بها الامة القليلة الاجنبية الى الاستيلاء على الامة الكثيرة الوطنية كما قيل (فرق واحكم) ولما استولى الفرنسيين على مدينتي الجزائر ووهران وتمكن منها تفرق الناس فرقا وسلكوا من الخلاف طرقا وفسدت السبل ولا غرو فان سكانها عرب وبربر مختلفو الطبع والمتمد ومن شان اهل البادية اثاره النتن لينهيا لهم ما اعتادوا عليه من الغزو لتعيشهم فترى كل فريق يترصد فرصة الثوب على مقابله لا سيما وقد كانت الحكومة الجزائرية احكمت عرى هذه الضغائن بينهم ولما آل الامر الي ما آل اليه ازداد هيجانهم وسرى داعي الانتقام في نفوس العامة وصار كل من له ثار يحاول الاخذ به فطوي لذلك بساط الامن ووقف دولاب التجارة وتعطت الزراعة فاتتهز العدو الفرصة واكثر من شدة الغارات على الضواحي ولما اشتد الامر وكثر القتل وعظم الكرب تداعى اهل العقد والحل من الاشراف والعلماء والاعيان للنظر في من اجتمعت فيه شروط الامارة ليبايعوه فيجمع كلمتهم ويقوم بشؤونهم وحيث ان سيدي الجدد كان ممن اجتمعت فيه الشروط على الوجه الاكمل وكان اعصف القوم ريحا وابعدهم صيتا وانفذهم كلمة اجتمع الناس اليه وراودوه على الامارة فاعتذر اليهم بكبر سنه فاوفدوا جماعة من اعيانهم الى صاحب المغرب الاقصى لاتصال بلادهم ببلاده فاكرم وفادتهم وعقد لابن عمه علي بن سليمان على امارة المغرب الاوسط وبعثه معهم فلقية الناس بالطاعة واذعنوا له وسارت خيله في البلاد الى مديانه شرقا وبت العمال وجبي الاموال فلم يحل هذا الصنيع في نظر دولة فرنسا لمنافاته لمقصودها ولم تتغافل عنه وبعثت الى سفيرها بطنجة ان يقدم على الفور من قبلها التنبهات المشددة الى سلطان المغرب وينذره بعداوة دولته ويتهدهه بالحرب ان لم يرفع ابن عمه عن البلاد فاخذ الرعب منه كل ماخذ واسترجع ابن عمه بعد ان اقسام بتلسان نحو السنة اشهر وترك احوال المغرب الاوسط على ما كانت عليه من الاضطراب وتسلط الغوغاء فاجتمع اعيانه ورنعوا شكيتهم الى سيدي الجدد مرة ثانية والحواء عليه في قبول بيعتهم له على الامارة والجهاد فاجب قبول الامارة وقبل القيام بامر الجهاد فرضي القوم بذلك لما فيه من تشاغل الغوغاء والسفلة عن الفساد واخذت الحشود من ذلك اليوم ترد على حضرته في القبطينة فكان ينهض بهم الى وهران فينازلها وياخذ يخنقها وجرت بينه وبين حاكما الجنرال بويه حروب ظهر فيها من

اقدام سيدي الوالد وشجاعته وحسن سياسته ما قيد الابصار عليه ورشحه للامارة وجعله حرياً بها واستمر سيدي الجد مواظباً على الجهاد بعزم لا يرده راد ولا يصدده عنه صاد وله فيه وقائع كثيرة اعظمها واقعتا خنق النطاح وواقعة برج راس العين

✽ ذكر واقعة خنق النطاح الاولى ✽

في اواخر ذي الحجة سنة سبع واربعين ومائتين والتاسع والعشرين من مائة سنة اثنتين وثلاثين جهز سيدي الجد سرية عقد عليها للسيد عبد القادر بن زيان الزباني وبعثه لاستكشاف احوال العدو بوهران فلما قرب منها تراءى له العدو معسكراً في ساحتها بالموضع المعروف بخنق النطاح فاقام يراقب حركاته وطير الخبر الى سيدي الجد ننهض من القيطينة وخيم بوادي سيك وارسل في الجهات ينادي بالجهاد وبعد ان تلاحق اناس به سار بهم الى ساحة وهران وخيم بالقرب من العدو وبات المسلمون يوقدون النار على اللال المظلة على البلد وفي صبيحتها زحف كل من الفريقين الى الآخر ودارت بينهما رعى الحرب واشتد البأس وكثرت القتلى من الفريقين وكان سيدي الوالد بين الصفوف يحرض المسلمين على الثبات ويأمرهم بالتقدم فتحامل عليه احد فرسان العدو برتحة فمرت في خلو الابطال الايسر فشد عليها بعضه وهوى بسيفه على الفارس ففقد نصفين ولما تولى النهار وقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيين فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون الى الابواب وامتلأت الايدي من اسلحتهم وذخائرهم وفي هذا اليوم طعن فرس سيدي الوالد وكان اشقر اللون ثمان طعنات بحربات العدو ثم رماه احداهم بالرصاص في راسه فوقع به ولم يبال بذلك بل استقل واقفاً وثبت في مركزه الى ان قدم اليه اتباعه غيره فركبه واستمر على القتال الى ان انتصر المسلمون على عدوهم وقد اشار لذلك سيدي الوالد في مقصوده بقوله

واشقر تحتي كلمته رماحهم * مراراً ولم يشك الجوى بل ومالتوى

✽ ونص المقصورة ✽

توسد بهد الامن قد مرت النوى * وزال لغوب السير من مشهد النوى
وعرّ جباداً جاد بالنفس كرها * وقد اشرفت مما دعاها الى النوى
وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب * وخاضت بجمار الآل من شدة الجوى

وكم من مغازات يضل بها القضا * قطعت بها والذئب من هولها عوى
 لذا قد غدت مثل القسي ضوامراً * وتلك سهام للعدى وقعها شوى
 الى ان بدت نيران اعلامنا لها * وما ضوء نيران الكرام له انزوا
 ولا سيما اهل السيادة مثلنا * بنو الشرف المحض المصون عن الهوى
 فقلت ايا ابن الراشدي لك الهنا * كفى فاترك التسيار وحمدوجى النوى
 الا يا ابن خلاد تناولت للعلى * وباينت ماواك الكريم وما حوى
 فمن اجل ذا قد شد في ربعا لها * عقلاً وناديننا لك العز قد ثوى
 وحل بكهف لا يرام جنابه * فمن حل فيه مثل من حل في طوى
 فانا اكليل الهداية والعلى * ومن نشر عليهم ذوى المجد قد طوى
 ونحن لنا دين وديننا تجمعنا * ولا نخر الا ماننا يرفع اللوا
 مناقب مختارية قادرية * تسامت وعباسية تجدها احتوى
 فان شئت علماً تلقني خير عالم * وفي الروع اخباري غدت توهم القوى
 لنا سفن بجر الحديث به جرت * وخاضت فطاب الورد ممن به ارتوى
 وان رمت فقه الاصبجي فعمج على * مجالسنا تشهد لداء العنا دوا
 وان شئت نمواً فانحنا تلق ماله * غدا يدعن البصري زهداً با روى
 وانا سقينا البيض في كل معرك * دماء العدى والسمراسعت الجوى
 الم تر في خنق النطاح نطاحنا * غداة التقيناكم شجاع لها لوى
 وكم هامة ذاك النهار قد دتمها * بجد حسامي والقنا طعنه شوى
 واثقر تحتي كلمته رماحهم * مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى
 بيوم قضائياً اخي فارثى الى * جنان له فيها نبي الرضى اوى
 فما ارتد من وقع السهام عنانه * الى ان اتاه الفوز يرغم من عوى
 ومن بينهم حملته حين قد قضى * وكم رمية كالنجم من افقه هوى
 ويوم قضى تحتي جواد برمية * وبى احدقوا لولا اولو البأس والقوى
 واسيافنا قد جردت من جنونها * وردت اليها بعد ورد لقد روى
 ولما بدا قرني يميناه حربة * وكفى بها نار بها الكبش يشتموى
 فايقن اني قابض الروح فانكفا * يولى فوافاه حسامي مذ هوى
 شددت عليهم شدة هاشمية * وقد وردوا ورد المنايا على الغوى
 نزلت ببرج العين نزلة ضيغم * فزادوا بها حزناً وعمهم الجوى

وما زلت ارميهم بكل مهند * وكل جواد همه الكر لا الشوى
 وذا دابنا فيه الحياة لدينا * وروح جهاد بعدما غصنه ذوى
 جزى الله عنا كل شهيم عدت به * غريس لها فضل اتانا وما انزوى
 فكم اضرمو نار الوغي بالظبي معي * وصلوا وجالوا والقلوب لها اشتوا
 وانا بنو الحرب العوان بها لنا * سرور اذا قامت وشائنا عوى
 لذاك عروس الملك كانت خطيبي * كفجأة موسى بالنبوة في طوى
 وقد علمني خير كفوء لوصايا * وكم رد عنها خاطب بالهوى هوى
 فواصلتها بكرًا لدي تبرجت * ولي اذعنت والمعتدي بالنوى ثوى
 وقد سرت فيهم سيرة عمرية * واسقيت ظاميا الهداية فازتوى
 واني لارجو ان اكون انا الذي * ينير الدياجي بالسنا بعد ما لوى
 بجاه ختام المرسلين محمد * اجل نبي كل مكرومة حوى
 عليه صلاة الله ثم سلامه * وال وصحب ما سرى الركب للوى
 وما قال بعد السير والجد منشد * توسد بهد الامن قد مرت النوى
 وفي اليوم الثاني فقل سيدي الجد بجيوشه الى وادي سيك واقام ايامًا ثم ارتحل
 الى القيطينة واذن للناس في الرجوع الى اوطانهم ليستعدوا لمناها

ذكر واقعة خنق النطاح الثانية

وبعد ان استراح الناس من الواقعة الاولى اصدر الامر بالنزير الى وهران
 وعقد سيدي الجد للواء سيدي الوالد وتختلف هو لانحراف صحته فنفض الوالد
 الى وادي سيك وتلاحقت الجموع به ثم ارتحل الى عين الكرمة على مسافة قريبة
 من وهران وكان الجنرال بويه جاءه المدد من فرنسا وبلغه خبر الوالد فضرب معسكره
 في خنق النطاح وقسم جنده ثلاث فرق فرقتين للكفاح وفرقة للمحاماة واما الوالد
 فانه ارتحل من عين الكرمة وعسكر بازاء العدو وقسم جنوده خمس فرق فرقتين
 للقتال وفرقتين للدفاع وفرقة جعلها كمينًا وراء العدو ثم زحف اليه فالتقى الفريقان واذلم
 الجو بدخان البارود وعثير النقع فلم تطل المدة حتى كانت الدبرة على العدو فانكسرت
 ميمته ووقعت الهزيمة في القلب فولوا مدبرين يطلبون ابواب البلد فلقبهم الكمين واستلحم
 اكثرهم ودخل الجنرال بويه الى البلد مغلولًا في شزيمة قليلة من جنده وفي هذا
 اليوم استشهد السيد احمد ابن عمنا السيد محمد سعيد وهو ابن خمس عشرة سنة بعد

ان ظهر من اقدامه وتجاهله على صفوف العدو ما اوقف العقول وادهشها وعندما وقع عن فرسه ميتاً بين الصفوف هجم الوالد في طائفة من وجوه الابطال جعلهم ردة له فخرق صفوف العدو واحتمل ابن اخيه من بينهم فحجب الاعداء لهذه الحملة واعتقدوا ان القتييل امير فجمعوا حولهم وقوتهم على ان يمنعوا عنه الهاجمين ففشلوا وكان هذا الولد الشهيد من اعز اقارب الوالد اليه لحسن هديه ونجابته واستشهد في هذه الصدمة من الاعيان نحو المائة ومن الغد قفل الوالد بجيوشه المظفرة الى حضرة سيدي الجد فاعطاهم الدستور الى اوطانهم

✽ ذكر واقعة برج راس العين ✽

ولما انهزم الجنرال بويه واستلحم اكثر جنده بعث صريحه الى حاكم الجزائر فامده بالجنود والذخيرة ثم ضرب معسكره فيما بين البلد وبرج راس العين في الجهة الغربية من وهران وبلغ الخبر الى سيدي الجد فاخذ يتأهب للحرب وبعث اوامره الى النواحي من عرب وبربر يدعوهم الى الجهاد ويخبرهم ان العدو عسكر خارج وهران في غاية مما امكنه من الاستعداد فجاء الناس الى حضرته ارسالاً وانتهى اليه ان العدو عامل على مباغتته فبعث العيون يراقبون حركاته ثم خرج من حضرته القيطينة الى وادي سيك حسب عادته وارتحل منه وعقد اللواء لسيدي الوالد فواصل سيره الى ان اطل على وهران بجنوده وباتوا ليلتهم تلك يوقدون النيران في جميع انحاء البلد معلنين بالتهليل والتكبير فسقط في يد الجنرال بويه وفاته ما كان اخره من اخذ المسلمين بغتة ومن الغد عبي الوالد كتابه وجعل كل قبيلة على حديثها وعين عليها قائداً منها وامر الجيوش بالزحف الى العدو فتقدموا حتى انتهوا الى البرج فانزل المشاة الى الخندق المحيط به الممتد الى البلد ورتب طائفة من الفرسان لحماية المشاة من مهاجمة العدو وباقي الجموع حملت على معسكر الجنرال وانتشبت الحرب واضطرت نارها واخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كالمنظر فلا يزيدهم ذلك الا شدة وثقماً واشتد القتال وجعل الوالد يتردد بين المشاة والفرسان وسائر صفوف المسلمين يحرضهم على الثبات والصبر في مجال الموت ويذكرهم بايام الله وبينما هو كذلك اذ عدا عليه احد فرسان العدو بسيفه فخاد عن سرجه فوقعت الضربة على الفرس فوقع ميتاً حينه فركب غيره واستمر على ما كان عليه من التحريض وبلغه ان المشاة فرغت ايديهم من الفسك فاسرع اليهم بما يكفيهم منه يومهم ذلك ولم يبال في ذهابه وايا به بقنابل

العدو المتصلة وصواعقه المتتابعة من البرج والبلد وظهر من شجاعته في ذلك اليوم ما
اشتهر في اقطار المغرب واتصل القتال بين الفريقين الى الليل فبات المسلمون في
مراكزهم وانسل العدو ليلاً فدخل البلد وانحجر فيها واقام سيدي الوالد محاصراً له
شهرًا كاملاً ثم اقلع عنه لامور عرضت له

* ذكر البيعة الاولى لسيدي الوالد *

لما طال على اهل الوطن الامد وتوالى عليهم فيما بينهم الكرب والنكد وتسلط
على بلادهم العدو ومنعهم القرار والهدو فتارة كانوا يدافعونه عن البلاد وآونة كان
يقع بينهم الفساد والحرب والجلاد وسطا القوي على الضعيف وتناول اللئيم على
الشريف اجتمع الاشراف والعلماء واعيان القبائل من العرب والبربر وقدموا على
حضرة سيدي الجد والزموه ان يقبل بيعتهم على الامارة لنفسه اولولده سيدي الوالد
وحاجوه في ذلك بما اعجزه عن الاعتذار فامعن النظر في هذا الامر فرأى ان الاهتمام
به واجب وتعين عليه شرعاً ان يقوم به لانه مسموع الكلمة نافذ الامر غير انه
لما كان عاجزاً عن القيام باعبائه ورأى ان ولده المنوه به قد بلغ اشده وارهدف
حده وترشح للامارة وتاهل لها واستكملت فيه شروطها من المدي وعلو الهمة وقوة
الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والقوة والفتوة والعلم
والحلم والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتجنظ والتيقظ والانقاء والارتقاء الى غير
ذلك من افراد الفواضل والفضائل ومكارم الاخلاق وتحاسنها

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت * تلك الفضائل في لحم ولاعصب

وعلم انه لامندوحة له عن الاجابة وانقبول اماله اولولده فحينئذ استخار الله تعالى
وقدم ولده للامارة ومدافعة اهل الشرك متوكلاً في نصره وتأييده على مالك الملك
فذهبت البشائر بذلك في اقطار الوطن وعمت انباء واحيائه وقبل سيدي الوالد
ما انشرح اليه صدر والده من امارته قائلاً انالما انالما فكان قبوله لها دليلاً على
اقبالها وتلقيها بحول الله وقوته اصل استقبالها قد ادخرها الله له في الازل ردياً
لها ثم ابرزه للقيام بها عند حلول الاجل وتباشر اناس لذلك لما راوا من اقدامه
للزحف واتحامه الصف بعد الصف وشاهدوا فيه من الصفات العلية والنعت السنية
فاجتمع اشرفهم وعلماؤهم واعيانهم وتداعي صغيرهم وكبيرهم وخيموا بوادي فروحة من
غريس عند شجرة الدردارة وهي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون اليها للشورى بينهم

وجاء سيدي الجدي في بنيه واقاربه وذويه ولما تلاحق الناس الذين يعتد بحضورهم للبيعة وجلس سيدي الوالد تحت الشجرة قام والده فبايعه علي السمع والطاعة ودعا له ثم لقبه ناصر الدين وقام عمه سيدي الجدي لأبي السيد علي ابي طالب وبايعه وكذا الاخوة وسائر القرابة ثم الاشراف والعلماء والاعيان والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم بايعوه على ما بايعه عليه والده ولا يخفى ما في وقوع هذه البيعة تحت الشجرة من الاتناق الغريب وما فيه من الاشارة الى متابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتناء اثره في بيعة الرضوان التي نوه الله تعالى بذكرها وعظم قدرها في القرآن بقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال المنسرون هي شجرة ام غيلان وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية نازلاً تحتها يستظل بها فبايعه المؤمنون على الموت كما قاله سلمة بن الاكوع واول من بايعه على ذلك ابو سنان الاسدي رضي الله عنه وبايع الناس على بيعة ابي سنان روي ذلك الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهذه البيعة كانت سنة ست من الهجرة وبعد ان انتهت البيعة لسيدي الوالد ركب سيدي الجدي الى مدينة معسكر حاضرة الامارة ولما ان دخلها وجد السرور والبشر قد عم عامة اهليها وقد طلع على اهل الصلاح فجراً صادقاً وعلى اهل البغي والفساد نجماً طارقاً فتبلى وجه الصالحين وايقنوا بصلاح الحال وتكدر عيش المنسدين وايقنوا بالوبال في الحال وفي المال ثم اقبل الامير بعده في جموعه وكانت زهاء عشرة آلاف فارس فبرز اهل البلد احتفالاً به واستقبلوه في الموضع المعروف بنحصبه على مسافة نصف ساعة منها مظهرين للطاعة وشعائرها فاقبل عليهم ببشره وابتسامه قبل كلامه وبعد ان تناول من طعامهم الذي كانوا اعدوه لحضرته دعا لهم وحثهم على الطاعة والتزام الجماعة ثم ركب ليدخل البلد فاطلقت المدافع وغردت الموسيقىات بما يطرب المسامع ونشرت الرايات والاعلام وبرزت المخدرات من القصور ثني على الايام فدخلها على احسن حال واتم منوال ونزل في دار الحكومة فجلس على كرسيه ودخل عليه اهل البلد ومن لم يشهد بيعة غيس افواجاً افواجاً لاداء البيعة ثم قام فدخل داره وخير والدتي فقال ان اردت ان تبقي معي من غير الثفات الى طلب حق فلانك ذلك وان ابيت الا ان تطلي حقك فامر بك بيدي لاني قد تحملت ما يشغلني عنك ثم خرج الى المسجد الجامع فصرى الظاهر بالناس ثم خطب عليهم خطبة مبتكرة طويلة تحتوي على وعظ ووعد ووعيد وامر ونهي وحث على الجهاد وبعد الانصراف منه انقرد افاضل العلماء

لتحرير صك البيعة فكتبه في مجلسهم العالم الجليل السيد محمد بن عبد القادر
 الشهير بابن آمنة خال الامير ونصه بحروفه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
 محمد الذي لانبي بعده الحمد لله الذي جعل نصب الامام من مهمات الدين لتمام به
 النفوس والاموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله
 واصحابه اجمعين وبعد فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي بالسلطان ما لا يحمي
 بالقرآن هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل ونضب فيه الجهل فا بالك بزماننا الذي
 كثر فيه الباطل وانتشر وخفي فيه الحق ولم يظهر له اثر حتى ان اعداء الله الكافرين
 ملكوا كثيراً من بلاد الاسلام وتشتت الكلمة واختل النظام ولم يجد الناس لقتالهم
 سبيلاً ولا من يكون للجهاد دليلاً فاجئوا الى الله تعالى وسالوه ان يبسر لهم من يقوم
 بامر دينهم فما وجدوا من تنفق عليه كلمة اهل الحل والعقد سوى السيد محيي الدين
 ابن مصطفى بن المختار كماله وكثرة ما عنده من الاعوان والانصار فطلبوا منه ان
 يبايعوه على السمع والطاعة فاعتذر اليهم بكبر سنه وبعد زمان طويل تكرر فيه طلبهم
 مرات ووقع الحاحهم تارات وراى ان النظر في هذا الامر قد تعين عليه واتاه بعض
 علماء غريس وهو من الصالحين فقال له ان اولياء الله تعالى قد اتفقوا على نعب
 ولدك عبد القادر لنصر دين الله وراى ان ولده مستعد لهذا الامر فحينئذ وافقهم
 على نعبه ونصرته لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة صالحاً لتنفيذ
 الاحكام فاجتمع اهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب منه للامارة ولا متابعة
 للنفس الامارة بل بايعوه رغماً عليه وطلبوا والده بالله تعالى وتوسلوا اليه برسول الله
 صلى الله عليه وسلم مدة تريد على سنتين فوافقهم على بيعة ولده تطيباً لخواطرهم ورعاية
 لرفع الظلم عن الضعيف ودفعاً للفساد والتعنيف فحضر للبيعة جميع اهل غريس الحشم
 شرقي وغربي وعباسي وخالدي وابراهيمى وحساني وعوفي وجعفرى وبرجى وشقراني
 وغيرهم كبنى السيد دحو وبنى السيد احمد بن علي والزلامطه ومغراوه وخليوه والمشارف
 وكافة اهل وادي الحمام واعلنوا جميعاً بطاعته ونصرته والرعاية له بحيث انهم يحمونه
 بما يحمون به انفسهم واموالهم وان ينصروه نصراً مؤزراً واتفق علماء الاقليم على
 بيعته وطاقته ولم يخالف منهم احد وهم في حان طوعهم واختيارهم وفرحوا به اشد
 الفرح نظراً لما كانوا عليه من الضيق والترح وكل من سيع به من اهل الآفاق
 يزداد فيه رغبة وذلك لعلمهم بقوة عقله وشدة نجدته وصلاح رايه فعلى من بايع ان
 يبذل جهده في نصرته وعنده لقول الصادق الامين الدين النصيحة لله ولرسوله

ولائمة المسلمين ومن نكث فانما ينكث على نفسه حضر ما ذكر من العلماء والاشراف
 السيد الاعرج والسيد محمد بن حوّا بن يخلف واخوته والسيد محمد بن النعماني والسيد
 عبد الرحمن بن حسن الدحاوي واخوته والسيد محمد بن عبدالله ابن الشيخ المشرفي
 وقرابته وكافة اولاد السيد احمد بن علي حاصله جميع علماء غريس واشرافه حضروا
 لهذه البيعة الميمونة ورضوا بها وحضرها كاتبه محمد بن عبد القادر عامله الله بلطفه
 في الباطن والظاهر في الثالث من رجب القرد سنة ثمان واربعين ومائتين والف
 هجرية الموافق للسابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وانف ميلادية
 ثم كتب جماعة من اعيان العلماء المشاهير على هذا الصك ما يؤذن بحضورهم للبيعة
 وشهادتهم بها على انفسهم وعلى سائر من حضرها فكاتب العلامة سيدي الجدد للام
 عم الامير شقيق والده السيد علي ابي طالب بن مصطفى بن المختار ما نصه الحمد
 لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله بعد انعقاد البيعة للامام المعظم والامير الجليل
 المفخر ابن اخينا السيد عبد القادر بن محيي الدين احيا الله بهما الدين واعانهما
 على القيام بامور اهله ودمر بهما الكفرة اولي العناد واهلك بسطوتهما اهل البغي
 والفساد بايعناه على السمع والطاعة وامثال الامرولو في ولد الواحد منا او نفسه وقده فانفسه على
 انفسنا وحقه على حقوقنا واني اوصيه بنقوى الله وطاعته في السر والعلانية والوقوف
 عند الحدود الشرعية ورد مسائل الشرع اليه وبتشديده عن ساعد الجدد في قطع
 شافة شياطين الانس اهل الاذية كالمخاريين وقطاع السبل واهل الغيلة والسرقة
 وغيرهم من هذا القبيل ليم بذلك امره وينضح به تايدته ونصره وتشرق شمس الحق
 على انقلب وتطدئن بخدمته وطاعته الافكار ويسارع المؤمنون الى الانقياد والاذعان
 انكليفه واوامره اللهم ايده وانصره نصرًا تعزبه الدين والحق النقوى في قلبه وقوة
 اليقين بجاه سيد الاولين والآخرين واحي به ما دثر من احكام الخلفاء الراشدين
 يامالك الدين والدنيا والآخرة وادم سرورنا وسرور جميع اهل محبته ومحبتنا واتم لنا المقصود
 يا ينقطع به قلب الجحود آمين كتبه علي بن المصطفى وكتب العلامة السيد ابن
 عبدالله بن الشيخ المشرفي ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم بعد انعقاد البيعة للعالم النبيه الصدر الرجيه الناظم الناشر ابي محمد السيد عبد القادر
 ابن عنده الملة والدين شيخنا السيد محي الدين ابن شمس الكمال شيخ مشائخنا واسلافنا
 ابي عبدالله السيد مصطفى بن المختار من اهل الحل والعقد والامضاء والرد ممن
 ذكر اعلاه واطلاعنا على ما اتفق عليه السواد الاعظم وبه فاه لم يسعنا الا الموافقة

عليه والجنوح لما استندوا اليه فالله يلهمه رشده ولا يمنعه رفته وان ينصر به الدين الحنيفي ويظهر به من اموره كل خفي وان يصلح به وعلى يديه وان يجنبه راي المفسد والسفيه واوصيه بتقوى الله في علانيته وسره ونجواه ولقد وصينا الذين اتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قاله بنمه ورقه بقلمه كاتبه عن عجل والقلب في وجل ابن عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسيني عنما الله عنه وكتب العلامة السيد احمد بن التهامي ما نصه الحمد لله لما فتح الله للمسلمين ابوابه ويسر للخير اسبابه باجابة الولي الصالح والقطب السالك الناجح شيخ اهل الفضل والدين مولانا السيد محيي الدين لما طلبه منه المسلمون من تقديم ابنه الناسك الانجد العلامة الاسعد على الايالة الغربية وما انضاف اليها من الايالات فاجتمع من له اتصاف بالحل والعقد على نصرة السيد المذكور ومبايعته مدعين متلقين تلك البيعة بالفرح والسرور نعقد له البيعة جميع من له دخول في تدبير الامور من عالم ومقري وشريف ورئيس من اي ناحية من اهل الراشدية وغيرها فبذلك ثبتت له البيعة الملكية على الخاص والعام يامر وينهي فلا يسقط من امره ونهيه ادنى شيء فعليه بتقوى الله فيما تولاه وهو ناصره ومعينه على ما اولاه وكان من جملة مبايعيه الفقير كاتبه احمد بن التهامي الحسيني وكتب العلامة الاوحد السيد محمد بن حوا الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ولما فسد الزمان وضاعت بالمساكين الاركان من كثرة النهب وقلة الامان ولم يجدوا من يصلح بامور المسلمين من الاعيان سوى من ذكر فانتقت كلمة المعتبرين من اهل الوطن على البيعة للسيد المذكور بالاেলা وانا عبد الله من جملة من اتفق معهم على ذلك فنسال الله الغني الكريم ان يسدده في جميع افعاله وان يهد له البلاد ويصلح به الفساد ويهدي لطاعته العباد كتبه محمد ابن حوا وكتب العلامة السيد بالمختار بن عبد الرحمن بن روكش ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وعلى ما تضدنته رسوم العلماء في بيعة الامام المذكور وافق الموافقة التامة كاتبه بالمختار ابن عبد الرحمن بن روكش وبعد ان تم امر البيعة امر الامير مجلس العلماء ان يكتبوا رؤساء القبائل في اطراف البلاد بامر البيعة وما وقع عليه الاتفاق وان يحوا عليهم في الحضور لاداء بيعتهم كما اذاها غيرهم فكتبوا ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اما بعد فاعلموا معاشر العرب والبربر ان الامارة الاسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل امرها الآن الى ناصر الدين السيد عبد القادر بن يحيى الدين وجرت مبايعته

على ذلك من العلماء والاشراف والاعيان في معسكر وصار اميراً لنا ومتكفلاً باقامة الحدود الشرعية وهو لا يقتني آثار غيره ولا يحدو حدوهم ولا يخصص لذاته مصاريف زائدة على الحاجة كما كان الغير يفعل ولا يكلف الرعية شيئاً لم تامر به الشريعة المطهرة ولا يصرف شيئاً الا بوجه الحق وقد نشر راية الجهاد وشمر عن ساعد الجد لنفع العباد وعمران البلاد فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة واداء البيعة لامام منكم فاعلموا ذلك وبادروا لامثاله ولا تشقوا العصا ويذهب بكم الخلاف الى ما لا خير لكم فيه دنيا واخرى حرر في معسكر من تجلس العلماء في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والف * وعلى نحو هذا صدرت اوامر الامير الى سائر القبائل العربية والبربرية ونصها الحمد لله الى قبيلة كذا خصوصاً اشرافها وعلماؤها واعيانها وفقمكم الله وسدد اموركم وبعد فان اهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد بهم قد اجمعوا على مبايعتي وبايعوني على ان اكون اميراً عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في اليسر والعسر وعلى بذل انفسهم واولادهم واموالهم في اعلاء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما انني قبلت هذا المنصب مع عدم مبلي اليه موءملاً ان يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم وتامين السبل ومنع الاعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو واجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف فلذلك ندعوكم لتحذوا وتنفقوا جميعاً واعلموا ان غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الاحمدية وعلى الله الاتكالي في ذلك كله فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتوعدوا ببيعتم وفقمكم الله وارشدكم حرر عن امر ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والف وفي السابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية

* ذكر البيعة الثانية العامة *

لما شاع امر البيعة الاولى وذاع اقبلت الوفود تترى من القاصية الى الحضرة العلية رغبة في الطاعة وامثالاً للوامر السامية المطاعة فاجتمع الطم والرم من جميع الآفاق ثم انعقد تجلس عام حضره الجمهور من الاشراف والعلماء والزوّساء من كل قبيل وفريق وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة بمحل العموم من قصر الامارة وهذا نص ما حرره العلامة الحجة الفهامة السيد محمود بن حوا المجاهري في ذلك اليوم وقراه على رؤس

الاشهدا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الطيب الكريم وعلى
 آله واصحابه ذوي الفضل العظيم حمداً لمن فضل امة محمد عليه السلام وخصها بمزايا لم
 يعطها احداً من الانام وجعلها خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن
 المنكرات والارجاس هداهم به الى مبيع الرشاد وطهرهم من عبادة الاوثان والانداد
 والاضداد وجعلهم الشهداء على من سواهم من الانام فشف بذلك امرهم ورفع قدرهم وجعل
 اجماعهم حجة وسبيلهم اقوم محجة واوجب عليهم نصب امام عدل وفرض عليهم اتباعه
 في القول والتعل ليكف الظالم وينصر المظلوم ويجمع شملهم بالخصوص والعموم ويكافح بهم
 عدو الدين لتكون العليا كلمة المسلمين وصلاة وسلاماً على من صدق بالحق ودعا الخلق الى
 القول بالصدق وجاهد في الله حق جهاده حتى استقام المعوج وآب عن فساد سيدنا
 ومولانا محمد اشرف رسول واكرم شافع مقبول صاحب المقام المحمود والحوض المورود
 وعلى آله واصحابه اهل وداده وسيوف جلاده الذين بذلوا انفسهم واموالهم في طاعته
 ونصرتهم واوضحوا شريعته وبينوا طريقته فجازوا بذلك اسنى المراتب ونالوا الدرجات العلى
 والمناصب فهم نجوم الاهتداء ومصابيح الاقتداء هذا ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من
 سائر المغرب الاوسط واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران اعادهما الله دار ايمان
 واسلام بجاه انبي عليه السلام وطمحت نفسه العاتية الى الاستيلاء على السهول والجبال
 والنفاد والتلال وصار الناس في هرج ورج وحيص ويص لا ناهي عن منكر ولا من
 يعظ ويزجر قام من وفقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها
 وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب امام يبايعونه على الكتاب والسنة يسمعون لامره
 ونيه ويتابعونه في جميع احواله وجالوا في ميدان افكارهم فيمن هو لذلك اهل من ذويه
 الكمال والفضل فلم يجدوا لذلك المنصب البليل الا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر راس
 الملة والدين قانع اعداء الله الكافرين ابا المكارم السيد عبد المقادر ابن مولانا السيد
 نجي الدين ايد الله به الاسلام والمسلمين واحيي به ما اندرس من معالم الدين فبايعوه على
 كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
 ايديهم تم قدمت على حضرتة الوفود من سائر الجهات والحدود فبايعه اولهم وآخرهم شريفيهم
 مشرفيهم كبيرهم وصغيرهم بيعة تامة كاملة عامة بيعة سمع وطاعة افراداً وجمعة بيعة عن
 وتعظيم وتبجيل وتكريم بيعة يعز الله بها الاسلام ويخذل بها الفجار اللئام ينعون عنه السوء
 بما ينعون به انفسهم واولادهم واموالهم ويبدلون في مرضاته ارواحهم واكبادهم ان امرهم
 سمعوا وان نهيهم خشعوا وخضعوا يطيعونه ما ساسهم بالشرعية الغراء وينصرونه في

السراء والضراء فمن وفي بيعته نال مسرته واثق مضرته ولاقى مبرته ومن نكث فانما ينكث على نفسه وخسر في يومه وامسه والله المسئول في هداية الخلق الى طريق الحق والرافة والرفق ولما ازدهت هذه البيعة بكاملها وطرزت بجلالها وجمالها كمل سرورها وتمت بدورها بوزارة ابي المحاسن السيد محمد بن السيد العربي اقام الله به امر هذه الدولة السنية والامامة البهية ومن حضر هذه البيعة وبيع وسمع لها وتابع من القبائل الشرقية والاحياء الغربية الوزير المذكور وبنو عمه وسائر العلماء والاعيان من معسكر وقاعة هواره واحوازها كبنى شقران وبنى غدوا وسجراره وقبائل غريس واحيائه وغمائه وعشائه واعيان القبائل الشرقية كالعطاف وسنجاس وبنى القصير ومرابطي نجاج، وصبيح وبنى خويدم وبنى العباس وعكرمة والمحال وفليته والمكاحلية واحلافهم واعيان مجاهر والبرجيه والدوائر والزماله والغرابه وكافة قبائل اليعقوبية من الجعافرة والحساسنه وبنى خالد وبنى ابراهيم ثم القبائل القبلية كالولاد شريف واولاد الاكرد وصدامة وخلافة وغيرهم ممن يطول ذكرهم من قبائل المغرب الاوسط وعمائه سبله ووعره ثم الكل بايعوا عن انفسهم وعن قبائلهم بالاذن العام من الخواص والعوام وقعت هذه البيعة العامة في ثلاثة عشر رمضان سنة ثمان واربعين ومائتين والف وفي الرابع من فبراير سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كتبها خادم الشريعة السحاء محمد الشير بابن حوا ثم بعد الفراغ من كتابة صك هذه البيعة وقراءته على العموم جلس الامير الوفود واقبل عليهم ونظر بعين الرضى والقبول اليهم وقبل منهم ما قدموه لاعتابه السامية من عتاق الخيل والسروج المنقلة والاسلحة الفاخرة وغيرها من انواع الهدايا النفيسة جرياً على عوائدهم مع الملوك قبله وخطب عليهم بما انشرت له صدورهم وتضاعف به سرورهم ثم خلع عليهم وفرق فيهم الاموال وبالغ في اكرام كرامتهم واستمال قلوب لؤماتهم وظهر لهم من انواع اللطف ولين الجانب ما اخذ باسماعهم وابصارهم ثم صرفهم الى اوطانهم فرحين بما آتاهم الله من فضله [

* ذكر تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك *

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر اتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة فاستوزر محمد ابن العربي واستكتب ابن عمه السيد احمد بن علي ابن طالب والسيد الحاج مصطفى بن التهامي والسيد الحاج محمد الخروبي وعين لحجابه محمد بن علي الرحاوي وولى الحاج الجيلاني ابن فريجة ناظر خزينة المملكة ومحمد ابن فاخة

ناظر الخزينة الخاصة والحاج الطاهر ابو زيد ناظراً على الاوقاف والسيد الحاج الجيلاني العلوي مأموراً على الاعشار والزكاة بانواعها وعين لنظارة الامور الخارجية الحاج الميلود بن عراش ونظم الحاشية واقام كل فرد منها في مقام يخصه ورسم له اثراً يقصه وبث العمال والقضاة في سائر الجهات ورتب مجلساً للشورى يشتمل على احد عشر عضواً من اجلة العلماء وجعل رآسته للعلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المرحي ودوّن الدواوين ووفق يرد على الناس ما اختلسه بعضهم من بعض وينصفهم مما وقع بينهم من انواع المظالم والتعديات ايام الفتنة ويهدم ما كانت الحكومة الجزائرية اسسته من المغارم والضرائب والعوائد فطار بذلك ذكره وانتشر في المغرب الاوسط امره واختار الامير مدينة معسكر لاقامته تائيساً لاهل غريس وتطيباً لنفوسهم لانهم كانوا دعاة هذه الامارة وكانت منها حركته ونهضته وفيها اولاً قراره وبانجادهما كمل امره واينع اسه وعراره

✽ ذكر خروج الامير لتمهيد البلاد وما جرى بعد ذلك ✽

✽ من الحوادث ✽

بعد ان فرغ الامير من شؤنه ورسوم ملكه نهض من حضرته معسكر في شوال سنة مائتين وثمانية واربعين وفي فبراير سنة الف وثمانائة واثنين وثلاثين ليختبر الاحوال ويتنقد الاعمال ويجمع شمل الاقوال بالانفعال ويقم من تخلف عن البيعة على الطاعة ويمجدله على سلوك سبيل الجماعة والوطن اذ ذاك قريب العهد باختلال الحال فشم الامير عن ساعد جده واشهر سيف الحق وانتضاه من غمده ودوّن بلاد البربر وزناته وجال في مواضعهم وضبط الامور وجبى الاموال وعنا وعاقب وشافه وكاتب ثم انفتل راجعاً على الساحل يتوخى الثغور فانتهى الى مرفأ ارزيو وكان قاضيها احمد بن طاهر يراجع حاكم وهران ويدعوه الى الاستيلاء على المرسى المذكورة فقبض عليه الامير واشخصه الى معسكر فاعتقله بها واقبل على شأنه من ضبط الثغور وثقيظها فرتب الحامية وقرر ذخائرهما ثم ارتحل الى الحضرة

✽ ذكر غزوة فليته وما اتصل بها من الحوادث ✽

ان قبيلة فليته تشتمل على بطون وعشائر عديدة من دابهم سلب النفوس والاموال وقطع السابلة من عهد الحكومة الجزائرية وبعد انقراضها اشتد عدوانهم

واتصل عيشتهم ولما آل الامر الى الامير رفع الناس امرهم الى اعتنا به وطالبوا منه
 ان يقطع شافة فسادهم فاجابهم الى ذلك ونهض من الحضرة غب رجوعه من
 ارزيو ونزل بالبطحاء المعروفة الآن بهيرة ومنها اغزا السير اليهم يمدوءه فصيحهم
 واكتسح امواهم وشنت شملهم وجعلهم عبدة لغيرهم وبعد الفراغ من امرهم بلغه
 انتقاض قبائل عكرمة وبني مديان فسار اليهم وراسلهم في الرجوع الى الطاعة
 فلم يبتثلوا واطهروا الشقاق فاغار عليهم واستولى على جميع موجوداتهم واعظم النكايه
 فيهم ثم اسنموا له فاهنهم ورد عليهم امواهم وولى عليهم عمالاً وثق بهم وقفل
 راجعاً وغب دخوله الى الحضرة بلغه ان حاكم وهران اغار على قرية الدبه وهي
 في جنوب قلعة هواره ووقع باهلها واخذ عالمها السيد قدور الذي اسيراً في امله
 وولده فنهض من فوره وكان العدو الى وهران مسرعاً فادركه الامير في الدار
 البيضاء قرب البلد وحمل عليه وكان قد قدم الاسرى والاتقال وضعفاء الجند
 الى ناحية البلد واستمر يدافع عنهم الى ان دخلوها وفات الامير تدارك الامر
 واستشهد بومئذ من اعيان المسلمين تلي بن الحبيب الرحاوي والميلود الغراوي في
 آخرين واما العدو فكان يمدل قتلاه ولم يعلم عددهم وهذه اول غزوة للعدو على
 داخلية بلاد وهران فعظم ذلك على المسلمين واخذوا حذرهم منه وعين الامير قبيلة
 الغرابه لمراقبته وسد الطرق عنه ومنع مواصلة اوغاد الناس له وبعد ان تب
 العيون ممن يوثق بدينهم رجع الى معسكر ثم جيز جيشاً من الحشم والدوائر
 واغزاهم الى وهران فعاتوا في نواحيها واشنوا وسبوا وغنموا وفي اثناء ذلك وقع
 تبارش بين قبائل البربر في نواحي نهر مينة افضى بهم الى القتال فطار الخبر الى
 الامير فعمل بالسير اليهم واصلح شأنهم وجمع كلمتهم وبالغ في عقوبة من اثار الذنبه
 واسعرها وكتب على عقد الصلح بينهم ما نصه قد امضينا بحول الله وقوته الصلح
 المبرم بين بني فلان وبني فلان بعدما امرنا به وتحونا اثر ما كان بينهم من
 بقايا حمية الجاهلية والزمنا كل فريق منهم ان يقف عند حده وان يرنعوا جميع
 ما يعرض لهم من الدعاوى وانقضايا الى من وليناه امرهم حسبما حرر ذلك في
 الاصل وواجبنا العمل بقتضاه وربنا العقوبة الشديده تلي من يتعداه فمن سعى
 في نقضه او تعرض لافساده او بعضه فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى وغضبه
 وتلزمه المجازاة العنينة من جانبنا العالي بالله وعلى هذا النص اجري الصلح بين
 اولاد الاكرد واولاد شريف وبني نسل وغيرهم وارتنع النزاع بين سائر القبائل

الشرقية ثم بلغه انقراض ابن نونة قائد الحضرة في مدينة تلمسان فسار اليه من
 حينه حتى انتهى الى البلد وبعث اليه يعظه ويأمره بالرجوع الى الطاعة ويعده
 بالعنف فابى وتمادى على شأنه ثم جمع قوته وخرج لقتال الامير وقام الكول اوغلان
 وهم الطائفة الثانية من اهل تلمسان وقائدهم ابن عودة في داخلها مستمرين على
 الطاعة فلما خرج ابن نونة وطائفته الحضرة من البلد للقتال انتهزوا الفرصة فيهم للعداوة
 القديمة بينهم فظاهروا الامير عليهم ووقع القتال داخل البلدة وخارجها ثم كانت
 الدبرة على ابن نونة وفرقه واستمر القتل فيهم ونهبت اموالهم وعات الكول اوغلان
 في منازلهم وفر ابن نونة الى ضريح الغوث سيدي ابي مدين رضي الله عنه في قرية
 العباد بتشديد الباء الموحدة ثم دخل الامير الى تلمسان ومن الغد توجه الى زيارة
 الغوث ووجد ابن نونة متعلقاً باستار الضريح لائداً به فامنه وعنا عنه وتقبل فيئته
 واقره على قيادة طائفته ولم يزل الامير في تلمسان ونواحيها الى ان اصلى خلالها وابرم
 الصالح بين الحضرة والكول اوغلان وجمع كلمتهم ثم رجع الى معسكر وفي اثناء
 الطريق بلغه خبر موت والده سيدي الجد رحمه الله في ثالث ربيع الاول سنة
 تسع واربعين ومائتين والالف وعشرين من يولييه سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة والالف وكان
 الفرنسيس ابتنوا حصناً على البحر في ساحل بلاد تجاهر وشخوه بالحامية والذخيرة
 وزعانف تلك الناحية يواصلون اهله ويعاملونهم بالبيع والشراء فلما آب الامير من
 تلمسان اجمع على النهوض الى تلك الناحية فجمع شانه واغزى السير اليها الى ان
 قرب من الحصن وكان اهله يخرجون كل يوم بماشيئتهم يطالبون المرعى مستعدين
 للدفاع فلما خرجوا تربص عليهم حتى اوغزا في الطلب ثم غار عليهم فقتلوا ودافعوا
 عن انفسهم وهم راجعون الى الحصن ولم ينج منهم الا من دخله وغنم المسلمون جميع
 ما كان معهم وكان في المرسى عدة مراكب مشحونة بالذخائر فخاض الجيش اليها
 وغنموا ما فيها واقام الامير اياماً يرتب العيون على الحصن ويأمرهم بالتضييق على
 اهله وذعر من كان يواصلهم من اهل تلك النواحي ثم رجع الى معسكر وطار خبر
 هذه الوقائع الى حاكم الجزائر فوجم لها وبعث الصريح الى دولته فجزوا الجيوش وارسلوا
 معها ذخائر ونهبات كثيرة وفوضوا امر الحرب اليه وعزلوا الجنرال بويه حاكم وهران
 وولوا مكانه الجنرال دي ميشيل فجاءها في رابع ذي الحجة سنة تسع واربعين
 ومائتين والالف والخامس عشر من شهر ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والالف
 ووجد وهران تحت الحصار مغلقة الابواب وجيوش المسلمين تجول في الخائبات لا

ينترون عن مهاجرتها فضايق صدره لذلك وطفق يلقي الدسائس في قلوب ضعفاء اهل
 الايمان كلدوائر والزمالة ويعدم وينهبهم فاثر ذلك فيهم وفتحوا له طرق المواصلة من
 جهتهم ثم ان الامير بعد رجوعه من واقعة الحصن الى معسكر اخذ بها امة الحرب
 واستكمل استعدادها وارتحل يريد وهران وكان العدو ابني في القرب منها حصناً
 يعرف بغنور فلما وصل الامير خرج الجنرال دي ميشيل في العساكر وكان انقائد
 عليها يومئذ الجنرال بوبريص وتزاحف الفريقان فقسم الامير جيوشه الى فرقتين فرقة
 نقاتل بوبريص والفرقة الثانية جعلها تحت قيادته وزحف بها على حصن غنور ولما
 قرب منه ترجل ومشى في مقدمة الجيش وحمل على الحصن مرتين فامتنع عليه وانقلب
 الى مظاهرة الفرقة المعينة لقتال بوبريص نقوى عزيمتهم وثبت قلوبهم وحمل بالجميع
 عليه فزمه وشتت شمله وولت عساكر فرنسا الى ادبارها يطالبون البلد و-تهم المسلمون
 واثنوا فيهم قتلاً واسراً الى ان امتنعوا عليهم باسوارها وبعد انصراف الامير من
 القتال بلغه ان اهل ارزيو ركنوا الى الفرنسيين بدسائس قاضيمه اغتقل في معسكر
 واقاربه وانهم احضروا شردمة من عسكر وهران لحمايتهم ثم دس اليه رجل منها اسمه
 طوبال انه يخرج كل يوم مع ضباط العسكر في طاب اليد وعين له المحل الذي
 ينعونه فيه فركب الامير في الحال وخلف جموع الغرابة ومن يلهم على حصار وهران
 وبعث الاسرى الى معسكر واغزى السير الى ارزيو وكن في اقرب من الموضع انذي
 عينه طوبال فلما خرج الضباط واتباعهم في معية طوبال فاجأهم الامير بيله وحال
 بينهم وبين البلد فدافعوا عن انفسهم وتهدوا طوبال في امرهم فعدا عليه احد
 بسيفه وقتله ثم اظهروا علامة التسليم راقوا السلاح فانهبهم الامير رجعا بهم تحت الحنظ
 وتقدم الى البلد فنرت حاميةها الى المراكب واقلعت بهم الى وهران ودخل الامير
 فقبض على من توجهت عليه التهمة في موادة حاكم وهران في هذه القضية واصلح
 شان البلدة وثقف اطرافها وانزل فيها حامية كافية وانقل راجعاً الى الحضرة فانزل
 الضباط في دار الضيافة وامر باكرامهم وانقيام بشؤونهم وعقد للقاضي احمد بن
 الطاهر البطيووي مجلساً خاصاً من اعماء ناهعنوا النظر في امره وقامت البيعة عليه فحكم
 المجلس بقتله فسمت عيناه وقطعت يداه ورجلاه ووضع في حفرة في ساحة الصراية
 الى ان مات بعد ثلاثة ايام

* ذكر استيلاء الفرنسيين على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم *
* وغير ذلك من الحوادث *

لما رأى الفرنسيين ان الامير قد استنقام امره وقويت شوكته وظهر لهم منه ما لم يكن في حسابهم تطلعت افكارهم واضطربت آراؤهم فمنهم من يقول ترك البلاد اولى ومنهم من يقول الثبات فيها اليق بالمقام بين الدول ثم قرأ راي الاكثر منهم على مداومة الحرب وبذل الجهد في الاستيلاء على داخلية البلاد وكان حاكم الجزائر يرفع الى وزارة الحرب ما يحدث من الوقائع في دهران وما هي عليه من الحصار وضيق المجال مع قلة الجند والذخيرة فيبعثوا اليه بالمدد فقوي عزمه ودعته نفسه الى الاستيلاء على مستغانم فتوجه اليها في فرقة من الجند واستولى عليها وفراكثر اهلها الى الداخلية وطار الخبر الى الامير فوجم لها وفاوض رجال دولته ومن حضره من اعيان القبائل وذكر لهم تكذب العدو على الوطن وارههم كيف مد يده اليه واستولى على سواحلهم وقال يوشك ان تغافلنا عنه ان يخذل امر المسلمين فامتعضوا لذلك وتداعوا الى الجهاد والذب عن الدين والوطن فجمع الامير الجيوش واحتشد عرب المغرب الاوسط وبرابرة ونهض من حضرته الى مستغانم ونازلها وكان العدو عند دخوله اليها جمع الايدي على ترميم سورها وتثقيف اطرافها وابتنى حصناً خارجها ليستعين به على الدفاع ووضع المدافع في السور والحصن وبالغ في تحصينها ولاول نزول الامير عليها بعث الى اهلها في الخروج منها فخرج الجم الغفير ولحقوا بالحصنة وتلسان وغيرها من مدن الداخلية وقرها ولم يبق فيها الا من اختار تجاورة العدو من الكول اوغلان ثم ان الامير لما رأى امتناع البلد وحصينها امر باحضار المعاول والفوس وغيرها من آلة الهدم والعدو لما رأى الجيوش الاسلامية ملات انحاء البلد حام عن اللقائ والنحجر داخلها ورتب عساكره داخل السور يقاتلون منه فامر الامير بالمهجوم فثار الغبار وتزلزلت الارض برعود البارود وتوالت كل العدو وقنابله على المسلمين فلم يثنهم ذلك واستمروا على هجومهم والامير امامهم الى ان انتهوا الى السور واخذوا في هدمه بالمعاول والفوس فلم تعمل فيه ولما اعجزهم الامر ولم يتمكنوا من عدوهم امرهم بالرجوع الى تخيمهم وحفر نتق في الارض من المعسكر الى السور وجمع الايدي عليه ثم ملئوه باروداً واضرموه ناراً ثم امرهم بالمهجوم على السور ولما انتهوا اليه وجدوه قد انتحيت فيه كوة غير كافية لما قصد به من نقب السور او تفعضه

فعدلوا الى المراكب في المرسى وسجوا في البحر اليها واضعين اسلحتهم على رؤسهم
 فالت عليهم بالقنابل وظهرتها حامية الحصن فارتدوا عنها ولما علم الامير ان العدو
 لا يخرج من البلد ليناجزه الحرب ارتحل الى ارزيو واخلاها من الحامية الاسلامية
 وعرض الهجرة على اهلها وانقلب راجعاً الى حضرته وخرج حاكم وهران من مستغانم
 من بعده الى ارزيو واستولى عليها ووضع فيها حامية وذخيرة واستمر ذاهباً الى وهران
 وكان بين دي ميشيل وقبيلتي الدوائر والزماله مواصلة خفية فعمل الحيلة ومد يده
 اليهم وهم في منازلهم من سهل اغبال فاخذ منهم رجالاً ونساءً في صورة اسرى ثم
 ارسلوه في فك اسراهم فاشترط عليهم الخضوع لدولة فرنسا والسكنى في مسركين من
 ضواحي وهران فاجابوه الى ما اشترطه ورد عليهم اسراهم وظهر ما كان كامناً في
 صدورهم واتخذوا امر الاسرى عذراً فيما قصده ثم اتصل الخبر بالامير فعظم عنده
 ذلك ورأى ان لا سبيل الى تدارك امرهم الا بالسياسة النعالة فبعث اليهم من
 خاصته من يقون به ويقبلون نصيحته فوعظهم وحذرهم من مكائد العدو وغوائله
 واوقفهم على ما القوا به انفسهم من مكر الله تعالى وغضبه والخروج عن الدين الاسلامي
 الذي قام بنصرته وتأييده اباؤهم وافنوا فيه انفسهم واموالهم فاثرت ذلك فيهم واذعنوا
 له واعتذروا بانهم لم ينجحوا الى العدو رغبة عن دين الاسلام ولكن للتوصل الى
 المعيشة والراحة بما لحقهم من معاناة الحروب ومقاساة الخطوب الى غير ذلك مما لم
 يجعه الرسول عذراً لهم فيما ارتكبوه واستمر يرادهم ويعظهم الى ان اجابوه وادلجوا
 في مسركين ورجعوا الى بلادهم وارتاح الامير الى فتنتهم الى الاسلام وبقيت
 وهران على ما هي عليه من الحصار وقطع الطرق عنها واستمر الامير يبث السرايا
 والغوازي في نواحي الساحل فيسمونها خسفاً ودماراً ويتخنون فيمن يصادفونه من
 انصار العدو واشياعه بالقتل والسبي وتارة يشن الغارات بنفسه على الخوارج عليه
 من قبائل البربر وغيرهم من ظواغن العرب وزناته ويتخن فيهم حتى يدعنوا الى الطاعة
 ثم يعطف بعد ذلك الى السواحل ويعظم النكايه في العدو ويرصد من يتردد اليه
 من اوغاد الناس الذين لادين لهم وجعل ذلك دابه وديده الى ان ضاق الحال
 على الفرنسيس في تلك النواحي وتاخر عنهم اسعاف دولتهم لما كانت عليه من
 الارتباك الداخلي فجنح الجنرال دي ميشيل الى السلم وطاق ينظر فيما يوصله الى مطالبه
 من غير ان يلحقه انحطاط في منزلته عند دولته فاتفق ان يحافظي الغور في جهة
 مستغانم صادفوا رجلاً من متنصري البرجيه راجعاً من ارزيو ومعه نثر من حاميته

يخسونه الى ان يبلغ مأمنه فخذوا عليهم وقتلوا بعضهم واستاقوا الآخرين الى معسكر
فارتاح لما دي ميشيل واتخذوا ذريعة لمخاطبة الامير وفي السابع عشر من جمادى
الاولى سنة تسع واربعين ومائتين راف في اول سبتمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة
والف خاطبه بتحرير يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر اني لا اتأخر عن كوفي
اخاطب سموكم بشيء تخفي عليه بواعث الانسانية وان لم تدعني اليه وظيفتي وهو
اطلاق سبيل النفر الذين بينا هم يخرسون رجلاً عربياً اذ خرج عليهم كمين من
جيوشكم فاخذوهم اسرى ولا اذن ان قوة ثبأهناكم نابي دنا وتضع امام طايبي
شروطاً لانني كنت من قبل اخذت بعض اسرى من عرب الغرابة والزمانة في
ميدان الحرب ثم اطلقتم من غير شروط وبناءً عليه اتأمل ان سمو الامير اذا
كان يرغب ان ياخذ من الاعتبار قدراً عظيماً ان لا يطيل المراجعات وان ينعم
باطلاق الاسرى * فاجابه الامير ان ما وقع من الاسر وسنك الدماء ويتم الاولاد
وتاييم النساء وسائر ما حصل من المصائب والنوائب العمومية والخصوصية لاسموية
علينا فيه وانما المسؤولية والعهدة على القائد الفرنسي نوجم الجنرال وقواد المعسكر
لهذا الجواب وعجبوا من شدة الامير وجزالة جوابه قال شرشل الانكليزي في تاريخه
عند ذكر هذه القضية ان حضرة الامير عبد القادر اجاب الجنرال دي ميشيل
بتحرير يظهر منه دقة انكاره وحسن سياسته حيث انه جعل العهدة على القائد
الفرنساوي حتى ان الجنرال وان يكن تأثر بذلك الجواب فانه قال بعد ان امكن
النظر فيه شتان ما بين السياسة الفرنسية ولا فكر العربية ثم ان الجنرال كتب للامير
كتاباً ثانياً ونصه من الجنرال دي ميشيل الى الامير عبد القادر بن نخي الدين
لي امل بان تملق الحرية الاربعة الاسرى التعسفي الحظ المحبوسين في قلعة معسكر
وما كنت اتردد عن السعي لديكم فيما تمنعني وظيفتي الرسمية عنه حيث تدعني
الانسانية اليه ولعلي ان البشر الراقين الى الدرجات العليا عليهم ان يتنازوا باعمال
كريمة دالة على التناوت الذي وضعه الله بينهم ذرغو الافساح عن الفرنسيين
الذين وقعوا في شرمكيدة وهم في الدفاع عن بعض العرب لتخليصهم من انتقام
ابناء جنسهم ولا اذن انكم تضعون في طريق ذلك بعض العقبات لانكم اذا رغبتم ان
تععدوا من كبار اهل الارض لا تثارون عن اظهار كرم اخلاقكم واذا دعوي
الحرب اوقعت بين يدي بعض اتباعكم فانا اعدكم بارجاعهم بدون عوض ثم كرر
الطلب ثالثة بان نصه الى الامير عبد القادر بن نخي الدين بانني ما اخذت جواب

كتابي الذي ارسلته اليكم منذ شهر فاحب الي انقول يانه لم يصلكم من انكم لم
 تلتفتوا الى قبول مطالبي وعليه جئت لثالث مرة اكرر طالب فك الاسرى
 الفرنساويين الموجودين عندهم لانهم لم يؤخذوا في ساحة الحرب بل سقطوا باقبح
 خدعة في اقبح مكيده وعلي ان اذكركم ان فرنسا هي اقوى دولة في الدنيا
 فليس من الحكمة ان تدوموا على خطة المقاومة فاذا كان اليوم في امكاني ان
 انتصر عليكم قبل وصول النجدة التي استنظرها فماذا تكون حالكم اذا فرغ صبر
 فرانسا نحو العرب وارسلت ما تهيبه لي فعندها تهجم عليكم عساكرنا فنفرقكم كما
 يبعثر الهوى الرمال فاذا رغبتم ان تبقوا في مركزكم الساني فما عليكم الا اجابة
 دعوتي حتى اذا اجرينا المعاهدات تبادل القبائل الى زرع حقولهم الخسبة غانمين
 ما يقدمه الشعب العظيم اليهم فجاوبه الامير من عبد القادر بن يحيى الدين
 الى الجنرال دي ميشيل اما بعد فقد وصانا كتابكم المتضمن افضل النصائح فقدرناها
 قدرها وعبنا انكم تحثونا في كتبكم الثلاث على الافساح عن الاسرى وتندبون حظه
 مع اننا نعني بشانهم غاية الاعتناء والافساح عنهم ليس له اهمية لدينا غير ان
 الحالة التي نحن بها لا تسمح لنا ان نردم بدون بدية فاذا رغبتم في الاتفاق اقبل
 تسليم الاسرى اليكم عند المعاهدة بيننا على ان ديننا يمنعنا عن طلب الصلح ابتداء
 ويسمح لنا بقبوله اذا عرض علينا وان الثقة التي منحتمونا اياها في تحاريركم حملتنا
 على ان نبداكم بالمخابرة وان المناوضة التي تطالبونها يقضي ان تكون مبنية على شروط
 محترمة منا ومنكم ولا يحصل الاتفاق الا اذا عرفتموني شروطكم وما تطالبونه مني وانا
 اعرفكم بتلها والله المعين وكيف تفاخروني بقوة فرنسا ولا تقدرن القوة الاسلامية
 مع ان القرون الماضية اعدل شاهد على قوة الاسلام وانتصاراتهم على اعدائهم ونحن
 وان كنا ضعفاء على زعمكم فقوتنا بالله الذي لا اله الا هو ولا شريك له ولا
 ندعي بان الظفر مكتوب لنا دائماً بل نعلم ان الحرب سجل يوم لنا ويوم علينا غير
 ان الموت مسر لنا وليس لما ثقة الا بالله وحده لا شريك له لا بعدد وعدد وان
 دوي الرصاص وصهيل الخيل في الحرب لاذاننا من الصوت الرنيم فاذا حمدتم على
 عقد صلوات ودادية دائمة بيننا وبينكم فافيدونا - حتى نرسل اليكم رجلين من كبار
 قومهنا ماذونين بالمفاوضة معكم وحينئذ نتم امازيكم بعبوة الله ولا تظنوا باننا ناسف
 اذا اضطررنا الى ترك البلاد لاننا نعلم يقيناً ان الارض لله تعالى يورثها من يشاء
 من عباده وقد سلمنا وراثتها فحيث ما كنا نجد امننا وقد ظهر لنا من مضعون

كتبكم انكم تمتقرون قوة العرب مع دوام اسنعدادهم للقنال ومسابقتهم للنزال في
 كل زمان ومكان رادا ففتحتم التواريخ تروا ما اجره في آسيا وجنات الشام من
 الجراءة والثبات والاقدام والفتوحات التي اظهرها الله على ايديهم واني اعتذر لعدم
 جوابي علي كتابكم السابق باني كنت مشغولاً في الوقت الذي استلمته وعندما
 كتبت الجواب كان رسولكم ترك معسكر وتوجه لطرفكم وهذه المراجعات اوقفت
 الجنرال وقواد العسكر في ميدان علموا منه انهم يحاطبون اماماً عادلاً وتعلقت آمالهم
 بالوصول الى مامولهم وقال بعضهم عند ذكر تحرير الجنرال ما ملخصه هذا المكتوب
 لم يكن لتحريره محل في مجال السياسة لان الحرب بين الامير عبد القادر والفرنساوية
 ما برحت قائمة على قدم وساق وبسبب اصول الحرب يحق لهذا الامير ان يحاصر
 المدن والقلاع الموجودة بايديهم وان يرصد سائر طرقاتهم ويمنع المواصلات التجارية
 وغيرها وان يجري القصاص على من يتعرض لما ثم قال فانظر الى هذا الجنرال الذي
 يدعي النطنة والمعرفة بالنظامات الحربية كيف كبا به جواده في ميدان سطور
 تحريريه المذكور الذي لا يمكن تحريريه الا في حال السلم ولذلك اجابه حضرة الامير
 اخيراً . بعد التحية وصلي كتابك الذي اظهرت فيه رغبتك في الحصول على
 اطلاق الاسرى الذين اوقعتمهم الاقدار الربانية بين يدي وقد فهت جميع ما
 تضمنته رسائلك وما اشتمت عليه من تكرار الخاب ومن العلم عندكم ان جميع
 الاسرى الذين اوقعوا في ايدي عسكركم في ميادين الحرب لم تعرض لكم ولا لمن
 كان قبلكم في اطلاقهم ولا اتعبت افكاركم براسلة قط لان حكمهم عندي حكم
 الاموات وموتهم اعتبرها حياة لهم غير اني كنت اتالم عليهم شفقة ورحمة وقولكم
 ان هؤلاء الاسرى الذين تطالبون اطلاق سراحهم ما كان خروجهم لامر يتعلق
 بكم بل كانوا يحمون عربياً من انتقام ابناء وطنه لهذا لا اعتبره وسيلة لاطلاقهم
 فان المحافظ والمحافظ عليه كلاهما اعداء لنا وانتهاز الفرصة في الانتقام منهم غاية
 مقصودي وسائر العرب الذين عندكم اوغاد واراذل يجهلون واجباتهم الدينية هذا واني
 رايتك تفتخر بانك اطلقت الاسرى من الغرابة والزمانة من غير شروط مع انك
 لو راجعت افكارك لوجدت ان رحمتك انما كانت لاناس استظلوا بظلمكم وابتوا
 بجمالك يلبثون اسواقكم ذخائر ويكونون عيوناً لكم على المسلمين ويخدمونكم بكمال
 الصدق ومع ذلك فان عسكركم قد سلبوهم كل ما يملكونه فلو كان هذا المعروف
 الذي تحببتم به مع غير هؤلاء كالحشم اوبني عامر مثلاً لكان يحق لكم الانتصار

وكنتم تستحقون الشكر وعلى كل حال فمتى خرجتم من دهران على مسافة يوم او يومين يظهر للعيان من يستحق النحر منا . قال المؤرخ الانكليزي لو كان هذا الجواب الكبريائي في غير تلك الايام لاهاج في صدر الجنرال الفرنسي نيران الحماسة وحرك منه سواكن الاحن وربما صاح باعلا صوته وقال اين العربي المبارز والبطل المناجز ولكن الوقت لم يساعده وكان دي ميشيل لما ارتحل الدوائر والزمالة من جواره ورجعوا الى بلادهم حفظها لهم فعند ما خسرت صنقته من مخاطبة الامير ولم يحصل منها على طائل غزاهم واخذهم على غرة وطار الخبر الى الامير فاغزى السير وواصله وقطع مسافة خمسين ميلاً في ثلاث ساعات وكان العدو لكثرة ما في يده من المسلوبات والاسرى رجع الى دهران على مهله فادركه الامير قبل وصوله اليها وحمل عليه حملة شنت بها شمله واوهى بها قوته ولم يسعه الا الفرار فاتخذه وسيلة لنجاة وترك جميع مسا استولى عليه من المسلوبات والاسرى في ايدي المسلمين كما انه ترك قتلاه في محل المعركة وخلق فله بوهران ثم ان الامير رد على الدوائر والزمالة مسلوباتهم واسراهم وامرهم بالرحيل الى تمزوغت في نواحي تاديسان فارتحلوا في العشرين من رجب سنة تسع واربعين والرابع من ديسمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة وبعد دذه الواقعة انسد باب المخابرة بين الامير وحاكم دهران فيما كان بصدده

❖ ذكر رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخابرة ❖

❖ مع الامير واظهار رغبته في السلم ❖

كان الجنرال دي ميشيل معروفاً عند دولته بانه من رجال الحرب وابطال الطعن والضرب فعزلوا الجنرال بوية زولوه مكانه وبوصوله اضرم نار الحروب وفتح باب الشدائد والخطوب فكانت الدبرة فيها عليه ودام وياها يصابجه ويماسيه ولم يزل على ذلك الى ان يؤس من نجاحه في امره رعبز عن درك ما كان يؤمله من فوزه فرجع القهقرا واخذ يدبر نيا يخلصه من رددته ويكون وسيلة للوصول الى رضاء دولته فلم ير اوفق من وضع اوزار الحرب والتماص من شرك الشدة والخطب ففتح لذلك بمراسلة الامير باباً وهياً لما اسباباً فحيل بينه وبين مراده وعاد الى مقارعتة وجلاده ثم رأى ان دون فوزه خرط اقتتاد نعاد الى ما عول عليه اولاً من قرع الباب ومعاظاة الاسباب قال المؤرخ الانكليزي لما استعظم دي ميشيل جراءة عدوه

الاسد الكاسر وسرعة حركته في النواحي فكانه في كل ناحية حاضر تبين له ان
تدبيراته لم تنتج له الظفر بالآمال وتأسيسات افكاره قد اعترها التلاشي والاضمحلال
وان سور الحصار قد حال بينه وبين الزاد وبلاء المجاعة ما برح في شدة وازدياد
وعجز عن المدافعة بعد بذل الجهد والاجتهاد فلم ير احسن من الصلح او تخلية البلاد
ثم فكر في امره واوفد على الامير مردخاي الموسوي في طلب الصلح واتجه برسالة
يقول فيها الى سمو الامير عبد القادر حيث لا تجدني ايها الامير غافلاً ابداً عن
كل فعل حسن فاذا كان سموكم تريد ان تتخبر في امر المعاهدة فانا مستعد لذلك
مع الامل انه يمكن الحصول على معاهدة موافقة يتوقف بها سفك دماء امتين
اقتضت الارادة الالهية ان لا تكونا تحت سلطة واحدة حرر في رجب سنة تسع
واربعين وفي ديسمبر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية قال بعضهم فهذا
الكتاب حقق لحضرة الامير عبد القادر ما كان يتصوره وهو ان عدوه واقف
موقف المستغيث ولذلك ضرب عن رد الجواب صفحاً وانما قال للرسول وهو مردخاي
انه بحسب الوقت الحاضر لا يمكنني رد الجواب وان كان الجنرال يسمح بايضاح
وتفصيل في هذا الامر فهو اولى فلما وصل اليهودي الى الجنرال وبلغه الرسالة الشفافية
عن لسان الامير عبد القادر تلقاها بالقبول وردت مع اليهودي كتاباً آخر يقول فيه الى
سمو الامير عبد القادر حيث لم يصلني جواب من سموكم عن التحرير الذي قدمته
وقع في فكري انه لم يصل اليكم لا انه وصلكم ولم تهتموا به حيث انكم لا تعلمون
شيئاً اوفق لحفظ المقام الذي رنعتكم الظروف اليه من التسليم بطلي لانه بواسطة
المعاهدات المطلوبة التي نعقدتها بيننا نتمكن الاهالي ان تلتفت الى فلاحتها وتمتع
بلذة حاصلات اراضيها وتذوق حلاوة السلم بدلاً عن مرارة الحرب ثم انني كتابته
بعبارات اوضح من الاولى وابين في طلب الصلح.

✽ ذكر ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية ✽

لما اتصل مكتوب حاكم وهران بحضرة الامير جمع رجال دولته واعيانها واخبرهم
بما وقع بينه وبين الجنرال من المخابرات في شان اسرى ارزيو اولاً ثم في امر المدينة
ثانياً واستشارهم في ذلك واستكشف ما عندهم فيه فراهم جانحين الى السلم راغبين
في عقد المدينة لاسيما ان العدو هو الطالب لها والراغب فيها . قال شرشل الانكليزي
ما حاصله قد تمكن هذا الامير المظفر الحديث السن من ان يطالع رجال دولته ورؤساء

رعية، على هذا المكتوب الذي هو في الحقيقة سند يشهد له بان العدو هو السابق في التماس الصلح وقد تأتى له ان يجيب اليه اذ لا داعي للتأخر عنه فلذلك حرر في جوابه بعد التحية وصلاني كتابك اميرالجنرال المحترم وفهمت ما ذكرته فيه واعلم ان افكارك موازنة لافكارى موافقة لها وبذلك تحققت اسبقامتك فكن منأ كدأ بان الشروط التي توفقنا العناية الآلية لاجرائها بيننا نتمسك بها بصدق عظيم ولا نتجاوزها وما انا مرسل لنحوك وعمدين وهما وزير الخارجية الميلود بن عراش والآغة خليفة بن محمود يتخبران معك في الشروط التي يمكن اجرائها وحينئذ تجري المعاهدة وتذهب العداوة من بيننا ونستبد لها بالصدقة التي لا تحل بقاها وينبغي لك ان نثق بي لانني والحمد لله لم تسبق لي خيانة في عهدي ولا تقض لعقدي . ثم قال وكانت المقابلة بين القواد الفرنسيين وعميدي عبدالقادر خارج وهران على فرسخين منها في خمس وعشرين خلين من شهر رمضان سنة تسع واربعين ورايع فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانية وائف ميلادية وجرت مذاكرة طويلة في قضايا مختلفة قدمها الجنرال دي ميشيل ثم ركب وزير الخارجية راجعاً الى الحضرة وبعه نسخة الصك المشتمل على المسائل التي وقعت المذاكرة فيها غير مضمية من الجنرال ونصها

اولاً ان العداوة من هذا اليوم تبطل بين فرنساوية والعرب ثانياً ان فرنساوية تلتزم بتكريم ديانة الاسلام مع عوائدهم ثالثاً ان العرب تلتزم برد الاسرى فرنساوية رابعاً ان يكون السوق حراً خامساً ان العرب تلتزم برد من يهرب من فرنساوية اليهم سادساً من اراد السفر في الداخلية من فرنساوية يجب ان يكون بيده رخصة ختومة من قنصل الامير ومن قنصل الجنرال . ولما اذاع عليها الامير وافق عليها وامضاها بخطه ثم حرر ورقة اخرى ذكر فيها ما اشترطه وهي اولاً يكون للعرب الحرية بان يبيعوا ويشترخوا كما يتعلق بالحرب ثانياً يكون تجر مراسي اريوتحت ولاية الامير كما كان قبلاً بحيث لا يصير شخن شيء الا منه واما وهران ومستغانم فلا يرسل لهما الا البضائع اللازمة لاهلها ثالثاً يلتزم الجنرال بترجيع كل من يهرب اليه من العرب مقيداً مع انه لا تكون له سلطة على المسلمين الذين يخذرون عنده برضاء رؤسائهم رابعاً لا يمنع مسلم من الرجوع الى بيته متى اراد . وفي اليوم الخامس رجع وزير الخارجية واجتمع بالجنرال دي ميشيل داخل وهران وانبره ولم يسلمه ورقة مطالبه الا بعد ان ارضى ورقة الامير التي فيها شروطه ثم ان الجنرال اختار ان يكون صك المدينة واحداً تحرر فيه مطالب الامير بالخط العربي ومطالب الجنرال بالخط فرنساوي وكل منهما يمضي الآخر على شروطه بخطه فاجابه ابن عراش الى ذلك ونص الصك . ان قائدي الجيش

الفرنساوي المقيم في وهران الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر بن يحي الدين اعتمدا واتفقا على ما ياتي ذكره من الامور الاول منذ يوم تحريره يصير ترك الحروب والخصومات بين فرنسا وبين العرب وكل من الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر يجتهد في القاء الالفة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية ان لا يكونا تحت سلطة واحدة ولاجل ذلك نعين وكلاء من الامير عبد القادر في وهران ومستغانم وارزيو كي لا تقع الخصومة بين فرنسا وبين العرب كما انه يقام وكيلاً عن فرنسا ضابط فرنساوي في معسكر الثاني يصير احترام ديانة الاسلام وعوائدهم الثالث يلزم رد الاسرى من الفريقين الرابع يصير اعطاء الحرية الكاملة لتجارة الخامس تلتزم العرب بارجاع كل من يفر اليهم من العسكر فرنساوي ويلتزم فرنساويون بتسليم كل من يفر اليهم من اهل الجرائم الهاربين من القصاص الى وكلاء الامير في المدن الثلاث السادس من اراد من الاوربيين يسافر الى داخلية البلاد يجب ان يكون محبوباً بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الامير ويصحها الجنرال وبذلك يحصل على الحماية في جميع الاقليم حرر في وهران في السابع عشر من شوال سنة تسع واربعين ومائتين والثامن والعشرين من شهر فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والف ثمان ان ابن عراش اخذ الصك وعرضه على حضرة الامير وبعد اطلاقه عليه وامعان النظر فيه امضاه بخطه ورجع ابن عراش الى وهران فلما رآه الجنرال وعلم ان الامير وافق على ما حرر في الصك وانه امضاه تهلل وجهه واظهر لابن عراش بشاشة زائدة لم يعهد لها منه قال المؤرخ فرنساوي لويس دينليوت في تاريخه عند ذكر هذه المعاهدة ان الميلود بن عراش وزير السلطان عبد القادر ومعمده في عقد المعاهدة مع الجنرال دي ميشيل لما وفد عليه حاملاً صكها الذي صادق عليه الامير قابله بكمال الاحترام والاحتفال وكان امراء الجيش فرنساوي جالسين على حسب مراتبهم والعسكر مصطفة حولهم يسمعون ما تقرر في الصك وبعد تلاوته امضاه الجنرال بخطه ثم التفت الى ابن عراش وفتح معه باب المذاكرة فقال ان العرب لا تجهل قوة فرنسا واستعدادها فاجابه ابن عراش نعم ان العرب لا تنكر قوة سلطنة فرنسا واقتدارها ثم قال الجنرال اني كنت عاجزاً قبل عقد المعاهدة على ان اطلب من دولتي عشرة الاف جندي زيادة على ما عندي واخرج من هذه المدينة وتابع محاربتكم مدة شهر وما يدريك يا ميلود ان بهذا النعل يدخل على سلطانك الوهن ويلحقه الضعف فاجابه ابن عراش اننا لا نحاربكم محاربة نظام وترتيب ولكن محاربة هجوم واقدام ولو نعلت ما قلت وخرجت

بهذه القوة كنا نتقهقر امامكم متوغلين في الصحراء باهلنا واثقالنا وفي حال هذا
 التقهقر نناوشكم القتال حتي لا ترجعوا عنا ثم نصابركم حتى تضعف شوكتكم وتلين
 قوتكم ومتى سحمت الفرصة وتورطتم في فيافي الصحراء قابنا الكرة عليكم واحاطت جيوشنا
 بكم من كل ناحية وتكون ذخائركم نفدت وقوتكم ذهبت وعساكركم لحقها التعب واضر
 بها السغب فحينئذ ماذا كنت تصنع ايها الجنرال قال فلما سمع الجنرال هذا الجواب
 المفصح عن جمل من اوضاع الحرب التي لم تخطر له على بال تعجب ولم يسهه الا
 السكوت ونفرت المجلس وانقلب ابن عراش الى الحضرة بعد ان اتم سفارته . وشاع
 امر المعاهدة وارتفع الحصار عن وهران ومستغانم وارزيو وسالكت الطرق اليها من
 الداخلية وتعينت الوكلاء فيها من قبل الامير نعين مردخاي بن دران الموسوي
 في الجزائر ومحمد بن يخ في وهران والاعا خليفة ابن محمود في ارزيو وعين سنير فرنسا
 الكومندان عبدالله ويسون في معسكر واصله من ممالك الامراء المصريين استخدمته
 دولة فرنسا في العساكر المشاة وامست افكار الجنرال دي ميشيل هاجعة على بساط
 الراحة لعله ان هذه المعاهدة صارت حداً فاصلاً بينه وبين الغوائل السابقة
 وطير الخبر الى وزارة الحرب في باريز فاجابه ان الملك صادق على المعاهدة وانقد
 عليه اموراً اخلا بذكرها في صك المعاهدة نفهم الناس ان دولة فرنسا انشرفت
 لعقد المعاهدة ولم تشرح لشروطها وايد لم ذلك انها اخذت في استعمال الوسائط
 لنقضها قال المؤرخ لويس دينليوت ان دولة فرنسا قد حاولت ان تنقض هذه
 المعاهدة واستعملت لذلك مكاييد متنوعة ولكن فطنة الامير ومعرفته بالسياسة عرقلت
 امورهم وافسدت سبيل نجاحها انتهى . وقصارى ما يقال ان تلك المعاهدة كانت
 عبارة عن متاركة لا تخلو عن مخالطة من الطرفين وذلك ان كلاً من الامير
 والجنرال دي ميشيل جعل لنفسه باباً في صكه يخرج منه متى شاء وعلى كل حال
 فان الامير ارتاحت افكاره من جهة الحروب الفرنسية وانصرفت همته لتنظيم
 الوطن وتوسيع سلطنته في بلاد المغرب الاوسط كما قال بعض مؤرخي الافرنج كانت
 هذه المعاهدة كناد قام ينادي في اندية العرب بوجوب طاعة هذا الامير فسمع نداءه
 واجيب دعاه وامتد ملكه وبعد صيته ومداه كما انها جعلت للفرنسي نوع سلطة
 في الاماكن التي استولت عليها . ولما وصل عبدالله ويسون الى العاصمة دخل
 على الامير في القاعة الملوكية بملاسه الرسمية وقدم اليه الرقيم المعلن بتعيينه وكيلاً
 عنده فلما قراه قال له الآن ادخل علينا السرور حيث اننا نظرننا شروط المعاهدة

اخذت منعولها وظهرت من القوة الى النعل وامره ان يواصل التردد عليه ويرفع ما
 يعرض له من الحاجات اليه وغب خروجه من الحضرة الاميرية توجه لزيارة ارباب
 الدولة واعيانها في منازلهم ثم قابله بثلها في منزله واظهر لهم غاية الميل والمحبة
 وخدمهم بلسانه العربي الفصيح ثم ان المسلمين الذين كانوا هاجروا من وهران ومستغانم
 تشوقت نفوسهم الى الرجوع اليها وتبرزوا فرصة المعاهدة فمنعهم الامير واوعز الى
 قناصله بمنعهم وسد باب القبول في وجوههم وفي سنة اربع وثلاثين وثمانائة والالف بعد
 ابرام المعاهدة وصل وفد السلطان عبد الرحمن بن هشام صاحب المغرب الاقصى
 لاداء التهنئة للامير بالملك واصحبهم هدية من نفائس بلاده ومقداراً وافراً من ذخائر
 الحرب وادواته فاكرم الامير وفادتهم واعظم جانبهم وكان نفر من العساكر الفرنساوية
 فروا الى المغرب الاقصى فبعثهم السلطان مع الوفد ليرى الامير رايه فيهم فقبليهم
 وارساهم الى الجنرال دي ميشيل فاهتز لذلك فرحاً وعلم صدق الامير ووفاءه بعهوده
 ووعوده ولما فرغ الامير من هذه الاعمال صرف همته الى تهديد القاصية من البلاد
 وردع اهل البغي والفساد كالدوائر والزمالة ومن شايعهم كابن العربي ومن تبعه من
 قبائل شلف وابن المختي رئيس البرجية وكان الامير لما تقلد امر الامة واشغله
 بالجهاد نظر فيما يازمه من المنقعات نراى ان ما يجي من اموال الزكاة والاعشار
 لا يفي بواجباته فطرح المسئلة في مجلس الشورى للنظر فيها فاتتت آراؤهم على فرض
 ضريبة على الرعية تسمى معونة بضم العين وبنوا ذلك على اساسات شرعية مؤيدة
 بنقول نهيية واعمال سلفية فلما تم امر المعاهدة قام اولئك الظلمة وبثوا دسائسهم في
 افكار العامة بان البيعة انما كانت على الجهاد وحمل اثقال الضريبة انما كان لثنقاته
 وحيث ان الجهاد طوى بساطه والامير ركن الى مسالمة العدو فلنا ان نرجع في ريعتنا
 ونمنع من دفع اموالنا فاثرت دسائسهم في بعض القبائل كبنى عامر فامتنعوا من دفع
 المعونة واتصل خبرهم بالامير فاوعز الى مصطفى انا بن اسماعيل رئيس الدوائر ان
 يركب عليهم فيردعهم ويجبي اموالهم فارتاح لما ابن اسماعيل لما تهيأ له في ذلك من
 اخذ ثازهم منهم ثم راجع الامير افكاره فظن لدسائس ابن اسماعيل فكتب اليه بالكيف عنهم بما يزل
 وسار اليهم بمجدوعه فدافعوه وقرهه ثم اوفدو على الامير جماعة من اعيانهم فدادفوه على المنبر يخطب
 على الناس في امر المعونة فازاهم الوجوه التي بعثته على اخذها منهم ثم قال اعلموا ان الغاية
 الوحيدة في قبولي لتقليد هذا المنصب ان تكونوا آمنين على انفسكم واعراضكم واموالكم
 مطمئنين في بلادكم متبعين بوظائفكم الدينية ولا يمكن ان ابغى رادي من ذلك الا

بمساعدةكم مالا ورجالا وبهذا تعلمون ان المنافع الحاصلة منكم عائدة عليكم ولا اظن ان يخطر في بال احدكم ان الاموال التي تؤخذ منكم ابتغيها لفقائي الشخصية لعابكم وتحققكم اني غني ملي بما خلفه لي والذي وبالجملة فحن لا نطلب منكم الا ما تجبركم الشريعة على دفعه وتجبرنا على اخذه فراجعوا انفسكم وشدوا آذانكم مما يلقيه اهل الفساد اليكم وكونوا على كلمة واحدة وصفقة متحدة فيما ينفعكم ويصالح شؤونكم ولا يتم لكم ذلك الا بطاعتنا قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فلما سمع الناس كلام الامير انشرفت صدورهم وظهروا الاذعان لاوامره والطاعة لاحكامه وتقدم اليه وفد بني عامر في شانهم فبرؤا ساحتهم مما نسب اليهم من الخروج عن الطاعة ومنع الجباية واوقفوه على دسائس مصطفى بن اسماعيل واشياعه واخبروه بما هو عازم عليه من بند الطاعة وذكروا له ما لحقهم منه من الظلم والعسف فاسرها في نفسه واكرم الوفد ورددهم الى بلادهم وفي غرة ذي الحجة سنة تسع واربعين والحادي عشر من ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانائة والى توجه قاصدا تلمسان ونواحيها فطار الخبر الى الدوائر والزمانة فاحتشدوا واستجاشوا بعرب رباح واهل انكاد وصدموا لقتال الامير ولما قرب من منازلهم بعث الى ابن اسماعيل وغيره من اعيانهم يدعومهم الى الحضور عنده لينظر في حوادثهم مع بني عامر فاستنكفوا وزحفوا اليه بجمعوعهم ودارت بينه وبينهم حرب انكشفت فيها اولوا الخوارج وتركوا جميع موجوداتهم فلما اكب جيش الامير على الغنائم والتهوا بالنعبية عطف عليهم الخوارج بجمعوعهم من كل ناحية فهزموهم وكان الامير على حدة في فرقة قليلة فلما راي الهزيمة قد استولت على جيشه حمل عليهم مع كثرتهم فاصيب فرسه ووقع بين الصفوف فاردفه ابن عمه السيد المولود ابو طالب ثم ركب فرسا آخر واتصل القتال الى الغروب وقتل من الفريقين عدد كثير وجرح ابن اسماعيل في جملة من بني عمه ثم بلغ الامير ان الخوارج يكيدونه في تلك الليلة فتغافل عن ذلك ونام مع كافة الجيش في غاية الامن فلما كان الثلث الاخير من الليل هجم الخوارج على المعسكر فاستولوا على موجوداته وتخلص الامير من بينهم وبعد طلوع الشمس تراجع الناس اليه فانقلب بهم الى حضرته وطار الخبر الى حاكمها محمد بن السنية فجمع الايدي على تجديد ما سلبه الخوارج من ادوات الملك وهدمته وهياء الموكب الملوكي ولما قرب الامير من الحضرة تلقاه بذلك وتلقاه العلماء والاعيان ودخل عاصمته في الهيئة التي خرج فيها واصبح في دار ماله على ما كان عليه

تري الناس في ابوابه ورحابه * كانهم من فرط كثرتهم نمل
ولما رأى الخوارج ان حادثتهم لم تحدث في امر الامير ضعفاً ولا في افكار
رعاياه تشويشاً ندموا ندامة الكسعي واقاموا يترقبون شديد الانتقام ووقعوا من
امرهم في حيرة وقد تبرأ منهم الحميم وتباعد عنهم الاقريب ولم يبق على مشايعتهم
الا ابن الغاري وقومه والبعض من قبيلة رياح وسنم بما وقعوا فيه من الوبال والخسران
والذلة والهوان وما آل اليه امرهم ان شاء الله تعالى

✽ ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به ✽

لما علم الامير ما بين الجنود المنتظمة والحشود المتطوعة من الفرق العظيم عزم
على تنظيم جند كفي يكون دابه التمرين والتدريب ليصل بقوته وبعرفته بالامور
الحربية الى مقاصده الجسيمة فبعد رجوعه من واقعة الدوائر عقد مجلساً عمومياً من
رجال الدولة واعيان الرعية وزعمائها وخطب عليهم خطبة اوضح فيها فوائد العسكر
النظامي وبنانه واخبرهم انه اعتزم على تنظيم عدد منه كفي فاجابه الجميع الى
ذلك ووافقوه عليه وذنق المنادي يقول باعلا صوته في الأسواق ليلبغ الشاهد
الغائب انه صدر امر مولانا ناصر الدين بتجنيد الاجناد وتنظيم العساكر من كفة
البلاد فمن اراد الدخول تحت اللواء المحمدي وبشملة عز النظام فليسارع الى دار
الامارة معسكر لتقيد اسمه في الدفاتر الاييرية . فتلقى الناس هذا الامر بانسراح
وارتياح وتسابقوا اليه طوعاً من كل جهة حتى من الناصية وصار له موقع عظيم
عند العامة وخاصة واستحسنه كل عاقل وواثق عليه كل فاضل وامتلات عند
سماع امره قلب الاعداء رعباً وعلوا انهم قد حملوا انفسهم من عداوة الامير امراً
صعباً وامست انكارهم في قلق وقلوبهم بنار الخوف في التهاب وحرق ولم يكمل الامير
امر الجند لغيره بل هو تولى ترتيبه وتنظيمه بنفسه فجعله ثلاث فرق . فرقة
مشاة . وفرقة يركبون الخيل وعرفوا بالخيالة . وفرقة الثالثة مدنيون وولى وقتئذ
على المشاة والخيالة من مشاهير الابطال قدور بن بجر وعبد القادر بن عز الدين
ومحمد قوثارمه ومحمد السنوسي وسالم الزنجي واحمد الخديوي وغيرهم كل واحد على
الف جندي وولى على المدفعيين محمد آغا المعروف بابن كسكسه (الكول اوغلي)
ووضع لهم قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها (وشاح الكتاب
وزينة العسكر المحمدي الغالب) ونصها . حمداً لمن اعز كلمة نبيه سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم واعلاها . ومكن شريعته على اساس التقوى وبنائها . وصلاةً وسلاماً
 على نبي الملاحم . المؤسس ترتيب الصفوف كأنهم البنيان المرصوص او الموج المتلاطم
 من كان يتقي به اكابر اصحابه رضي الله عنهم وارضاهم . وجعلنا ممن اقتدى بهم
 ووالاهم . وبعد فانه لما كان يجب للجيش وضع قوانين لا يتعداها . وهيآت يتميز بها
 وشؤون اخرى لا بد ان يرهاها . وكان من ولاء الله امرنا واختاره اميراً علينا ناصرًا
 للدين سيدنا ومولانا عبد القادر بن نحيي الدين . ايداه الله عارفاً بذلك . خيرًا
 بتلك المسالك . وضع لعسكره المحمدي . وجنده الاحمدي . قوانين تجري امورهم
 عليها . ويرجعون في شؤونهم اليها . وهيآت تتميز بها امراؤهم . وتبقيات يكون
 عليها اعتمادهم . ثم امر نصر الله بجمعها فجاءت بحمد الله كما امر . وعلى الوجه الذي
 صدر . سميتها (وشاح الكتاب . وزينة العسكر المحمدي الغالب) ورتبتها على مقدمة
 واربعة وعشرين قانوناً وخاتمة اما المقدمة فانها تشتمل على مسائل الاولى رتب
 نصره الله عسكره على ثلاثة اصناف . الاول الراكبون وسماهم الخيالة . الثاني المشاة
 وسماهم العسكر المحمدي . الثالث المدفعيون وسماهم الرماة والطوبجية وجعل على كل
 صنف من هؤلاء الثلاثة رئيساً فعلى الالف خيال آغة وعلى الخمسين سيافاً وعلى
 العشرين رئيس الصف ودونه الجاويش ولكل الف وكل مائة كاتباً وعلى الكاتب
 رئيساً سماه باش كاتب واما العسكر المحمدي فانه قسمه بلى مئات وقسم كل مائة
 الى ثلاثة اقسام وجعل لكل قسم خباء ورئيساً عليه سماه رئيس الخباء اي الخيمة
 وعين له نائباً يقوم مقامه وسماه خليفة رئيس الخباء وجعل على كل ثلاثة اقسام
 من هؤلاء رئيساً سماه سيافاً وعين لهم كاتباً يختصم وجعل على كل عشرة من
 السيافين فاكثراً رئيساً سماه آغة ورئيس العسكر المحمدي وشأنه النظر في احوال
 السيافين فمن دونهم واما الطوبجية فيسمى رئيسهم باش طوبجي وعين لكل مدفع
 اثني عشر جندياً يقومون بامرهم وعليهم رئيس وكاتب . المسئلة الثانية كسوة العسكر
 المحمدي على نوعين الجوخ والكتان اما الجوخ فعلى ثلاثة اصناف احمر قان وهو
 الاعلى وادنى منه الجوخ العسكري وهو الاحمر الكاشف والصنف الثالث اسود
 فاما الصنف العال الجيد فلرئيس العسكر المحمدي ولرئيس الخيالة واما الصنف الذي
 دونه فهو للسيافين والكتاب اصحاب الرتبة الاولى ومعلم الحرب والطنبورجي وهو
 صاحب الطرنبيطة واما الاسود فلباس الطوبجي ورئيس الاثني عشر مدفعياً وكاتبهم
 واما رئيس الصف ورئيس الخباء فكسوتهم متنوعة فيختص رئيس الصف بالغليظة

المعروفة بالمتنان من الجوخ الاسود والسروال من الاحمر وعكسه رئيس الخباء فمتيانه
احمر وسرواله اسود واما الكتان فهو كسوة سائر افراد العسكر المحمدي بخلاف الخيالة
فان اكسيتمهم من الجوخ الاحمر الدون (تنبيه) امر مولانا ان لا يغير احد كسوته
المخصوصة به سواء كان آفة او سيفاً او رئيس صف او رئيس خباء او خيالاً
او طوبجياً او عسكرياً ولو بلغ ما بلغ في الغنى ومن استهون بهذا الامر فانه يعاقب العقوبة
الشديدة وقد جعل مولانا نصره الله لسائر رؤساء الاصناف المذكورة علامات يتميزون
بها ويعرف بها الرئيس من المرؤوس فجعل لرئيس العسكر المحمدي وهو الآفة اربعة
علامات من الذهب اثنتان على منكبيه احدها مكتوب عليها . اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمداً رسول الله . والاخرى مكتوب عليها (الصبر مفتاح النصر) واثنتان
في صدره على شكل القمر فذات اليمين مكتوب عليها (لا اله الا الله) وذات الشمال
مكتوب عليها (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجعل لرئيس الخيالة علامتين
من الذهب ايضاً احدها على منكبه اليمين مكتوب عليها (الخيل معقود بنواصيها
الخير الى يوم القيامة) والاخرى يضعها على صدره مكتوب عليها (محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم) وجعل للسياف علامتين من الفضة على شكل السيف يضعهما
على عضديه احدها وهي اليمنى مكتوب عليها (لا اتبع من القوي والشجاعة)
وعلى الاخرى وهي اليسرى مكتوب عليها (ولا اضر من المخالفة وعدم الطاعة) وجعل
لسياف الخيالة علامة واحدة من الفضة يجعلها على عضده الايسر مكتوب عليها (ايها
المقاتل احمل تغم) وجعل لرئيس الصف علامة واحدة يضعها على عضده اليمين وهي
من الفضة ايضاً مكتوب عليها (من اطاع رئيسه وانق مولاة نال ما يرجوه ويتمناه)
ولنائبه علامة من الجوخ الاحمر يضعها على ساعده اليمين وجعل للباش كاتب علامة
من الفضة على شكل القمر مكتوب عليها (ناصر الدين) يضعها على ساعده اليمين
وجعل لرئيس الطوبجية علامة من الفضة يضعها على كتفه اليمين وهي صورة مدفع مكتوب
عليها (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) المسئلة الثالثة (لما كان يجب على الجند باصنافه
اعني المشاة والخيالة والطوبجية ان يكون كل فرد منه عالماً بمكائد الحرب متخلقاً بها
مستعملاً لها عند مقابلة العدو ومن غير تكلف عين مولانا لكل صنف من هؤلاء
الاصناف معلماً عارفاً نشيطاً حافظاً لجميع ما يجب استعماله حال الحرب وعن نصره الله
للعسكر والطوبجية منبهاً سناه الطنبورجي يعني الطرنبيطي يجمع العسكر والطوبجية
ويفرقهم بنقرات الطنبوراي الطرنبيطة ويدعوهم للاقدام والاتجام وله في تعليم الحرب

صبيغ مخصوصة وفي غيره صبيغ اخرى منها صبيغة للعسه وصبيغة لتبديلها وصبيغة لاجتماع رؤساء الصف وصبيغة لاجتماع السيفين وصبيغة للحمل على العدو وصبيغة للحد منه الى غير ذلك وجعل نصره الله الخيالة منبهاً وهو النفير المعروف بالبورى يجمعونهم ويفرقهم باصوات مختلفة يفهمونها وعين لتعليم الحرب والتمرين عليه اوقاتاً معلومة في ايام معلومة يخرج فيها العسكر والخيالة والطوبجية كل صنف على حدة حسبما تقضي به عليهم قوانين الحرب (تنبيهات) الاول يجب على رئيس العسكر والسيفين وروءساء الصنوف وخلفاء الجميع وسائر الجند ان يتعلموا حرب البواريد (البندقيات) الى ان تحصل لهم المئكة ويقدروا على تعليم غيرهم ومن لم يعلم منهم يعاقب الثاني يجب على المدعيين ان يتعلموا حرب المدفع من دك ونيشان وحركات المدافع يميناً وشمالاً على حسب الحاجة ومن تعلم ذلك وحصله يكرمه مولانا ومن لم يتعلمه يعاقب الثالث وهو آكد ما ان الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي وخليفته اذا قاتلا العدو على غير القوانين الحربية وحصل من ذلك اختلال في صفوف العسكرو هزيمة فانها يعاقبان على حسب اجتهاد السلطان (المسألة الرابعة) اخترع مولانا علامات من خالص الذهب والفضة على شكل بديع سماه الشيعة المحمدية يعني النيشان ونبه على سائر الجند ان من ظهرت شجاعته او ابدى مزية وقت الحرب بان اتقد اخاه من يد العدو او سبق غيره بالجوم او الكر اوردت الهزيمة على العدو وغير ذلك من المزايا التي توجب له العز والاحترام عند مولانا وثبت لديه ذلك فانه ينحه الشيعة ويلبسه اياها بيده الكريمة وتضرب الموسيقى له اعلاماً بذلك والشيعة تكون على حسب المزية اذا كان حاضراً بين يديه واما اذا كان مع احد الخلفاء فانه يلزمه ان يثبت مزيتة التي يستوجب بها حمل الشيعة عند الخليفة وهو يرفع الامر الى مولانا فيخينئذ يامر له بها وسنذكر مراتب الشيعة في آخر الخاتمة (تنبيهات) الاول ان مات الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي او السيف او كبير الصف في الحرب فلا ينقطع راتبه وانما يبقى جارياً على بنيه الى ان يقدر احد اولاده على حمل السلاح فيجري عليه بعد ذلك راتب عسكري حتى يترقى في الخدمة فيزداد في راتبه على حسب الرتبة التي ترقى اليها الثاني ان جرح العسكري في القتال جرحاً يمنع من المشي ويقدر على القتال ركباً فانه يدخل في صنف الخيالة وان تعطل بالكلية فانه يجري عليه راتبه من غير شرط الى ان يموت الثالث اذا مرض العسكري مرضاً يمنع من الخدمة بشهادة الاطباء فانه يجري عليه نصف راتبه الى ان يموت (المسألة الخامسة) ان مولانا جعل للمسكوكات الجارية في البلاد

صرفاً معلوماً نتعامل به رعيته وسك نصره الله نوعين من العملة احدها المحمدية
 والاخرى النصفية فجعل صرف الدور ابو مدفع المعروف بابي عمود اربع ريبالات وكل
 ريبال فيه ثلاثة ارباع جزائرية وكل ربع جعل صرفه ثمان محمديات وكل محمدية
 نصفيتين من السكة الجديدة المضروبة في دار السكة بحيث اذا اطلق الريال لا ينصرف
 الا الى هذا الصرف وجعل الدور الجزائري ثلاث ريبالات الا ثمان محمديات وبهذا
 الصرف يعطي راتب العسكر باصنافه (المسألة السادسة) في قيمة الكسوة وآلات
 الحرب اما كسوة الجوخ فالسروال قيمته ستة عشر ريبالاً والغليظة وهي المتبان
 قيمتها خمس ريبالات والصدريه ستة عشر محمدية واما كسوة الكتان فالكبود قيمته
 اربع ريبالات والسروال ثلاث ريبالات وثمان محمديات والقميص ريبالان الا ستة
 محمديات والشاشية وهي الطربوش عشرون محمدية والبالغة وهي المداس على حسب
 سعر السوق واما آلات الحرب فالبلاصكه وهي تحل الفشك ريبال واحد والمخزمة
 ثمانية عشر محمدية والبندقية اي البارودة بتامها عشرون ريبالاً وقيمة العالية وهي
 السنكي ثلاث ريبالات والسكين وهي السيف احد عشر ريبالاً (تنبيه) اذا اضاع
 الجندي شيئاً من الكسوة وآلات الحرب في الحرب او في حال عمله فلا ضمان
 عليه وكذلك الخيال اذا اتلف الفرس او السرج او آلة حرب في حال القتال او تعلم
 الحرب فلا ضمان عليه ومن اتلف شيئاً مما ذكر في غير هذين المواطنين فانه يضمن ما اتلفه
 بالقيمة المذكورة واذا بلى شيء كالبلاصكه او المخزمة مثلاً فانه يجدد من بيت
 المال (المسألة السابعة) ان مولانا اوجب ان يكون روءساء الجند باصنافه من ذوي
 النجدة والشجاعة والاقدام والقوة في الدين واليقين والصبر والثبات والفظنة والتنبه
 للمكائد الحربية لان الرئيس في المعسكر بمنزلة القلب في الجسد اذا صلح صلح
 الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله فلاجل ذلك لا تكون رئاسة العسكر والخيالة
 واصحاب الرايات الا باختيار مولانا ونظيره لمن فيه هذه الخصال الحميدة ومن تمت
 لا يكون العسكري سيافاً الا بعد ان يتولى في الرتب الصغيرة وتظهر نتائجه الا اذا
 كان ممن حمل الشيعه فانه يستوجب ان يتولى سيافاً من غير تدرج هذا اذا
 توفرت فيه الشروط واوجب نصره الله ان لا يكون احد الخيالة رئيساً على العسكر
 المشاة الا اذا كان من اهل الشيعه فانه له ذلك ان احتج اليه واختاره الامير
 لمصلحة رآها فيه (المسألة الثامنة) قد جعل مولانا لمؤنة العسكر المحمدي ميزاناً
 معلوماً بالرطل ونصفه وجعل وزن الرطل ستة عشر اوقية وكل اوقية ثمانية اثنان وكل

ثمن مائتي شعيرة مقصوصة الاطراف وان لا يكون الكيل وآلة الوزن الا بجمتم الامارة
وعين نصره الله لكل عسكري رغيماً وزنه نياً عشرون اوقية ونضيجاً ثمانية عشر
اوقية واثني عشر اوقية من البرغل وستة اثمان من السمن فان فقد الخبز فرطل
بقسماط مكانه فان فقد امعاً فانه يعطى من البرغل بدلها وعين للعسكر السمن في الصيف
والزيت في الشتاء

القوانين

❖ القانون الاول ❖

لرئيس العسكر المحمدي وهو الآفة اثنان وعشرون ريالاً راتباً شهرياً لا ينقص
له من هذا العدد شيء وله في كل يوم ثلاثة ارغفة احدها من الخبز الابيض
الخاص والاخران من الخبز الاسمر او خمسة ارطال بقسماط عند فقد الخبز وله ستة
ارطال من البرغل في كل ليلة ونصف رطل سمناً وخمسة ارطال حطباً وله مثل ذلك
في النهار ان فقد الخبز والبقسماط معاً وله في كل يوم خميس واثنين شاة وله كسوة
تامة من بيت المال وان بليت فانها تجدد له بالثمن فثن المنتان وهو الغليلة ثمانية
وعشرون ريالاً جزائرياً وثن السروال اربعة واربعون ريالاً وثن القديص
ريال واحد

❖ القانون الثاني ❖

للسياف اثنا عشر ريالاً في الشهر وله في كل يوم رغيضان احدهما ابيض
والثاني من مطلق الخبز او رطلان ونصف بقسماط ان لم يوجد الخبز وله في كل ليلة
رطلان من البرغل واوقيتان سمناً ومثل ذلك في النهار ان لم يوجد خبز ولا بقسماط
وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ربع شاة وكسوته تجدد بالثمن

❖ القانون الثالث ❖

لرئيس الصف ثمان ريالات راتباً شهرياً وله رغيضان في كل يوم او رطلاً
بقسماط وله من البرغل رطل ونصف في كل ليلة وان نقد الخبز والبقسماط يعطى
في النهار مثل الليل وله من اللحم في كل خميس واثنين نصف ربع الشاة وثانيافته

ست ريالات ونصف شهرية وله في الخرج مثله وكسوتهما تجدد بالثمن

﴿ القانون الرابع ﴾

لباش كاتب العسكر اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان احدهما ايض
والآخر اسمر او رطلان من البقسماط ورطلان من البرغل في كل ليلة واوقيتان من
السمن وله مثل ذلك في النهار عند فقد الخبز والبقسماط وله في كل يوم خميس
واثنين ربع شاة ورطل حطب في كل يوم وليلة ووظيفة هذا الباش كاتب كتابة
امور الجيش كالرواتب والاكسية والديون التي تترتب في ذمة افراد العسكر وقراءة
القانون وقت الحاجة ومن وظيفته ايضاً انه يجمع ما تحته من الكتاب ويعلمهم
فرائض الغسل والوضوء والتميم والصلاة والصوم وعقائد التوحيد كما ان كل واحد
من هؤلاء الكتاب يعلم المائة التي هو كاتب عليها جميع العبادات والعقائد ويؤذن
للصلاة ويصلي اماماً كما ان الباش كاتب يجب عليه ان يعلم الآفة ووظائف الدين
ويؤمّه في الصلاة وقد اوجب مولانا علي العسكر ورءوسائه ان يحترموا هؤلاء
الكتاب ورئيسهم ومن اهان احدهم فانه يعاقب العقوبة الشديدة

﴿ القانون الخامس ﴾

لكاتب المائة سبع ريالات في كل شهر وله في كل يوم رغيفان من مطاقي
الخبز او رطلان من البقسماط وله في كل يوم خميس واثنين نصف ربع الشاة
من اللحم وكوة الكتاب جميعاً ان بايت تجدد بالثمن

﴿ القانون السادس ﴾

حامل الراية المحمدية سبع ريالات في كل شهر وله رغيفان من الخبز الاسمر
او رطل بقسماط ان فقد الخبز وباقي الخرج فهو فيه مع ريس العسكر ولا يكون
حامل الراية الا من اهل النجدة والشجاعة والجرأة وينزل مع الرئيس في محه

﴿ القانون السابع ﴾

للتباخ ريالان في كل شهر وله جلود الشياه التي يذبحها

﴿ القانون الثامن ﴾

لمعلم الحرب اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان من مطلق الخبز او رطل ونصف من البقسماط عوضاً عنهما ان فقد الخبز وله في كل ليلة رطل من البرغل واوقية من السمّن وربع شاة من اللحم ولا يكون المعلم الا واحداً عند كل رئيس ويكون نزوله مع السيف

﴿ القانون التاسع ﴾

لرئيس الطنبور سبع ريالات ونصف في كل شهر وله رغيفان كل يوم من مطلق الخبز او رطلان بقسماط وينزل مع الرئيس

﴿ القانون العاشر ﴾

لمطلق العسكر المحمدي اعني لكل فرد منهم ست ريالات في كل شهر وله رغيف او رطل بقسماط ولسائر اهل الخباء اي الخيمة في كل ليلة خمس وعشرون رطلاً برغلاً ورطل ونصف رطل سمناً ومثلها زيتاً في فصل الشتاء وعند فقد السمّن ولحم من الحطب خمسة عشر رطلاً سواء كانوا في سفر او حضر ولهم خمس وعشرون رطلاً من البرغل ان فقد الخبز او البقسماط والمائة منهم لها في كل يوم خميس واثنين خمس شياة يقسمونها على الاخبية هذا تمام المؤنة واذا نقص من المائة او اهل الخباء فانه ينقص لهم من هذه الاشياء كلها بقدر ما نقص من الاشخاص

﴿ القانون الحادي عشر ﴾

لجاويز العسكر سبع ريالات شهرياً وهو مثل العسكري في كل شيء وامره بيد الآفة اي رئيس العسكر المحمدي تولية وعزلا

﴿ القانون الثاني عشر ﴾

لرئيس الخيالة تسعة عشر ريالاً في الشهر وله رغيفان احدهما ايض والاخر اسمر وله اربعة ارطال من البرغل واربع آواق سمناً في كل وقت اعني ليلاً ونهاراً واربعة ارطال من الحطب في الليلة ومثل ذلك كله من البرغل والسمّن والحجاب ان فقد الخبز والبقسماط

❖ القانون الثالث عشر ❖

لسياف الخيالة تسع ريات في كل شهر وستة عشر محمية وله رغيف واحد
ايض وله نصف ربيع الشاة من اللحم في كل يوم خميس واثنين

❖ القانون الرابع عشر ❖

لكل خيال سبع ريات في كل شهر ولكل واحد منهم في كل يوم رغيف
اسمر او رطل بقسماط عوضاً عنه وللخمسين خيالا في كل خميس واثنين شاتان
ونصف شاة ولهم في كل ليلة سبعة وثلاثون رطلاً من البرغل ومن السمن رطلان
وربع ولهم مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط ولهم من الحطب عشرون رطلاً
وينقص لهم من اللحم والسمن بقدر ما ينقص من عددهم

❖ القانون الخامس عشر ❖

باش طويجي اربعة عشر ريالاً في كل شهر وله في كل يوم رغيفان احدهما
ايض والاخر اسمر و رطلان من البقسماط عند فقد الخبز وله ثلاثة ابطال من البرغل في
كل ليلة وثلاثة اواق سمناً ومثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط وثلاثة
ارطال حطاباً ومن اللحم ربيع شاة في كل يوم خميس واثنين

❖ القانون السادس عشر ❖

عين مولانا كما سبق لكل مدفع اثني عشر جندياً ستة يقاتلون وستة يرتاحون
وعليهم رئيس وهو الثالث عشر سماه رئيس المدفع ولهذا الرئيس كل يوم رغيفان من
الخبز الاسمر وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ثمن شاة وباقي الخرج والمرتب
فكالعسكر

❖ القانون السابع عشر ❖

كاتب الطوبجية مثل كاتب المائة في كل شيء

❖ القانون الثامن عشر ❖

لكل واحد من الطوبجية ستة ريات ونصف في كل شهر وله رغيف واحد

اسمر في كل يوم او رطل بقسماط ولم من البرغل واللحم والسمن والحطب مثل ما
للعسكر واذا نقصوا ينقص لهم من الخرج بقدر ما ينقص من عددهم

﴿ القانون التاسع عشر ﴾

ان معلم الطوبجية في الايام التي يتعلم العسكر فيها الحرب لا بد ان يكون مقابلاً
بالانفار والمدافع للعسكر ويتحاربون كما ينعلون مع العدو لاجل التدريب والتمرين

﴿ القانون الموفاي عشرين ﴾

ان ربط الفشك وتذييب الرصاص انما هو على الطوبجية في كل تحلة اي عرذى
لانهم احق بذلك واذا كثر عليهم الشغل يستعينون بالعسكر

﴿ القانون الحادي والعشرون ﴾

ان العسكري البعيد الدار اذا طلب التسريح الى اهله واخذ الرخصة فيه فان
بارودته تبقى محفوظة عند السياف وكذلك العسكري المريض الذي يكون في المستشفى

﴿ القانون اثناي والعشرون ﴾

المؤنة انما تجري على العسكر والخيالة والطوبجية وروسائهم في السفر والحضر ما
داموا في الخدمة فان كانوا مسرحين بالرخصة في بلادهم عند اهليهم فلا شيء لهم
منها البتة

﴿ القانون الثالث والعشرون ﴾

لا يرخص لاحد من العسكر او الخيالة او الطوبجية ان ياخذ شيئاً من المؤنة
الا بحضور باش كاتب العسكر وباش كتب الخيالة وباش كتب الطوبجية ومن تخلف
من هؤلاء الكتاب عن الحضور في الوقت المعين لهم يعاقب ويشهر عقابه

﴿ القانون الرابع والعشرون ﴾

ان من اعتناء مولانا بجنده انه ابني لهم في كل محل يتعينون فيه مستشفى
وهياً فيه للمريض جميع ما يحتاج اليه من اكل وشرب وفراش وغطاء وخدمة من
افراد العسكر بشرط ان يكونوا ذوي نباهة وآداب وطلاقة وجه واتساع خاطر حتى
لا تضيق نفوس المرضى منهم وعين في كل مستشفى طبيباً ماهراً وجميع ما يلزم من
الادوية ياخذ ثمنه من بيت المال والخدمة اذا تعلموا صناعة الطب والتمريض وشهد
لهم الاطباء بالمعرفة النامة فان مرتباتهم يزداد فيها على حسب تناوتهم في المعرفة ومن

شانهم ان يقوموا بتمريض المرضى في حال السفر والحضر وجميع تنقاتهم من بيت المال
وجعل لرئيس الاطباء كسوة من الجوخ الجيد تامة واثنى عشر ريالاً في كل شهر
وله في كل خميس واثنين من اللحم ربع شاة وله رغيفان من الخبز الابيض في
كل يوم او رطلان من البقساط وفي كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً
او زيتاً عند فقد السمن وكذلك في النهار ان فقد الخبز والبقساط معاً وله في
كل يوم ثلاثة ارطال حطباً انتهى تقييد المسائل والقوانين التي هي في الحقيقة
اصول ولها فروع كثيرة مذكورة في غير هذا المختصر

❖ الخاتمة في انواع الجزاء ❖

اوجب مولانا على رئيس العسكر وهو الآفة ان يتفقد عدد العسكر وكسوته
وسلحه وجميع الآت الحرب في كل يوم سبت وان تخلف عن ذلك لغير عذر
ظاهر يجلس عشرين يوماً ووجب عليه ان لا يأخذ من العسكري ولا من السيف
ولا من كبير الصف ولا من غيرهم محمديّة واحدة وان لا يغش في شيء من الخدمة
وان ثبت عليه شيء من ذلك فان اسمه يمحى من الديوان العسكري ويترد ويهان
واوجب نصره الله على السيف ان يتفقد ما تحت يده من العسكر في كل يوم اثنين
وخميس فان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر فانه يجلس عشرة ايام وان وجد في
سلحه فساد لم يصلحه فانه يجلس خمسة ايام ووجب عليه ان لا يظلم احداً من
العسكر وان لا يأخذ منهم شيئاً وان لا يغش في الخدمة ولا يخون فان فعل شيئاً
من ذلك وثبت عليه فانه يجلس ستين يوماً ويجب عليه ان يطيع الاوامر الاميرية
ولا يخالف في شيء ما ووجب على كل سيف من سيافي العسكر ان لا يركب
في يوم الحرب ولا في يوم تعليمه وانما يكون مع الرؤس عليهم ماشياً ليرتب صفوفهم
للقاتل او التعليم ويشجعهم وهو المتكفل بسلاحهم وهو المسئول عنه بالنسبة لمن
فوقه فلا بد ان يتفقدده ويعده والا فانه يضمن ما فقد منه واذا مات العسكري او
غاب بالرخصة وكانت البارودة في يده فانه ياخذها منه ويدفعها الى الخليفة وياخذ منه
سنداً فيها تبرئة له من الضمان فان غابت ولم ياخذ فيها سنداً فانه يضمنها ووجب
على رئيس الصف ان يتفقد ما تحت حكمه من العسكر كل يوم صباحاً ومساءً وذلك
ان يضمنهم ويقف الكاتب معه والدقتر في يده فيسمى افراد العسكر واحداً واحداً
وكل من ذكر اسمه يجيب فان ذكر اسماً ولم يجبه احد يعلم ان المسمى غائب فيمنع

ينظر في امره فان كانت غيبته لعذر مقبول فلا باس عليه والا فانه يطلب ثم
يجبس يوماً وليلة ومن انف من الخروج للتعليم فانه يجبس يوماً وليلة وان تخلف
السياف والكتاب او كل منهما عن الحضور للتعليم فانهما يجبان ستة ايام واوجب
على الجندي طاعة سيافه والقيام بامر العسة واوجب على عموم العسكر طاعة عموم
روء سائهم فمن عصى رئيسه في شيء فانه يجبس خمسة عشر يوماً ومن سمع الطنبور لينعلم
الحرب ولم يجب فانه يجبس يومين ومن سمع الطنبور يدعو الى الخروج الى القتال ولم
يخرج فانه يجبس شهراً ومن خرج للتعليم او للقتال في غير الكسوة الاميرية فانه يجبس
يوماً وليلة وكذلك الآفة والسياف ورئيس الصف ومن ترك الوسخ على سلاحه او كسوته
فانه يجبس ثلاثة ايام ومن ا تلف شيئاً من سلاحه او افسده في غير يوم الحرب او تعليمه فانه
يضمن قيمته كما تقدم في المسائل ومن هرب من الخدمة العسكرية ورجع باختياره فانه يجبس
على قدر الايام التي غاب فيها ومن هرب وقبض عليه بامر الامير فانه يجبس على حسب اجتهاد
الامير ومن اطلق طلقاً واحداً من بارودته ليلاً او نهراً لغير مصالحة فانه يجبس يوماً
وليلة واذا نام العسكري في العسة القائم بها فانه يجبس ثمانية ايام واذا باع العسكري
شيئاً من البارود وثبت عليه ذلك فانه يجبس شهراً واذا كان العسكري المذنب
مسافراً فانه يضرب بالسوط على قدر الايام التي يجبس فيها قانوناً وجميع ما يلزم
رئيس العسكر المحمدي ويجري عليه يلزم رئيس الخيالة ويجري عليه وكل ما يلزم
العسكري يلزم الخيال وكل ما يلزم سياف العسكر يلزم سياف الخيالة وان ركب
الخيال فرسه من دون موجب فانه يجبس يوماً وليلة وما يجري على العسكر يلزم
سائر الطوبجية ويجري عليهم وما يجري على السيفيين يجري على باش طوبجي وان
عمل احد روء ساء العسكر او الخيالة او الطوبجية ما يستوجب العزل فانه ينحط عن
رتبته الى رتبة عسكري ويذس لباسه وكسوة الجوخ ترجع الى بيت المال وان وجب
حكم من الاحكام السابقة على افراد العسكر فان روء ساء الصف هم الذين يتولون
نفوذ الحكم القانوني فان السياف يحكم عليهم بحسب القانون الذي يخصه وان فرط
رئيس العسكر في نفوذ الحكم القانوني فان مولانا او خليفته يعاقبه حسب القانون
وان فعل العسكري خصلة حميدة في حال الحرب فانه يجوز الشيعه المحمدية
ويستوجبها على الهيئة المذكورة في المسائل ويجوز حرمة فوق السيفيين واذا فعل
رئيس العسكر مزية فانه يحمل الشيعه اللائقة والشيعه نشان صورة يد مفتوحة
الاصابع ذهباً وفضة وفي وسطها مكتوب * ناصر الدين * تربط على الراس فوق

الاذن اليمنى ولناقلها في كل شهر خمسة وعشرون ريالاً ويجب احترامه على الجميع
وهكذا الخيالة ورؤسائهم فمن عمل بقتضى هذه القوانين وبما ذكر في المسائل فقد
فاز في الدنيا والآخرة ونال من الله تعالى الرضى وزيادة فيجب على من سمع ما
ذكرناه ان يطيعه ويعمل به ويدعن له ويرضى به والله ولي التوفيق والهادي الى
سواء الطريق حرر في اواخر جمادى الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف





* رسم احد خيالة جيش الامير *



* رسم احد عساكر الامير *

* صفة هيئة المعسكر وترتيبه في السفر *

كانت هيئته شبه دائرة حسنة الانتظام خيامها مخروطية الشكل متناسبة البعد في البناء كل خيمة تضم ثلاثة وثلاثين نفرًا ومدخل المعسكر من جهة الشرق وعليه مدنعان وفي المقدمة خيمة رئيس المدافع ويقابلها خيمة رئيس الجراحين والاطباء والمستشفى وفي نصف الدائرة خيمة الامير وطولها خمسة عشر متراً في عرض ستة امتار مزينة الباطن بانواع الاقمشة الملونة منروشة الداخل بالزرابي المتقنة تبنى على ثلاثة عواميد ارتفاع كل واحد منها خمسة عشر قدماً متناسبة الوضع في البعد وتجلس الامير فيها مقابلاً للدخل وامامه صندوقان صغيرا الحجم من حديد ضمن حدهما اوراقه المهمة وضمن الثاني مال ينقعه في الاحسان والخيرات ويقابل المدخل ستارة يقف عندها عبدان دائماً ومن ورائها مكان يختلي فيه للوضوء والصلاة والمقابلة السرية وعلى بعد ستة امتار من الخيمة مركز راياته ومربط خيله المختصة به واذا جلس داخل خيمته تقف حوله كتمة اسراره وخواص المأمورين واركان الحرب بغاية ما يكون من الادب والخضوع ويقف من ورائهم ثلاثون عبداً من اهل الشدة والبأس المشهود لهم بالشجاعة والفروسية وهم الحرس الخصوصي الامير يتناوبون ليلاً ونهاراً واثمانهم من بيت المال واذا اراد اصدار امر ما اشار لمن يريد فيقرب منه ويتلقى الامر ثم يرجع القهقري وخيام كتبة اسراره وخواص مأموريه عن يمين خيمته وشالها ومن ورائهم خيام تحافظي الخزنة ولوازمات الجند من البسة واسلحة وغيرها وموءنة الجيش ومرابط الجمال والبغال على ناحية منها وفي كل جهة من المعسكر سوق يشتمل على قهاوي ودكاكين تباع فيها اصناف البضاعة والمأكولات واذا حضر وقت الصلاة واذن المؤذن يخرج الامير فيصلي بهم اماماً ويعاقب كل من تخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر وكان يجلس لفصل الدعاوي بعد فراغه من صلاة الضحى الى اذان الظهر ثم يخرج ويصلي اماماً ويرجع لخيمته ليقيم ساعة ثم يجلس للفصل ايضاً الى اذان العصر وبعد الفراغ من الصلاة تصدح الموسيقى امام خيمته بانغام شجية والحان اندلسية تحرك اوتار الاشجان ويتواجد من الخانها كل انسان حتى ان الخليل تكف عن الاكل ويتخيل الناظر انها ترقص من كثرة حركة يديها ورجليها عند استماعها فاذا انتهت الموسيقى نادى الجاويش (الله ينصر ناصر الدين ويطيل عمره) فيجيبه الجميع بثل ذلك وبعد اداء صلاة العشاء تضرب الموسيقى

لحناً واحداً ثم يمنع الدخول والخروج من المعسكر ولا يؤذن في الدخول والخروج منه الا بأمر الامير وكل من يخالف هذا القانون فجزاؤه الاعدام

❖ صفة رحيل المعسكر ونزوله ❖

اذا اراد الامير الرحيل يطلب الخزندار بعد اداء صلاة الصبح ويأمره بتهيء الجيش للرحيل فيطلق مدفعان بينهما برهة يسيرة وهذه علامة الرحيل فينبذ يثور جميع الجند لجمع الامتعة وهدم الخيام وتحديل المؤنثة والذخائر وتمتطي الفرسان صهوات الخيل ثم تاتي الاغوات وقواد القبائل الى خيمة الامير فياذن لهم بالدخول ويسألهم عن الاراضي والمراكز الموافقة للنزول ثم ياتي الخزندار فيخبره بتهيء الجيش للمسير فيخرج من خيمته ويمتطي صهوة جواده فيثب به وثبتين ثم تصدح الموسيقى بلحن الرحيل فيبتدىء الجيش بالمسير على ترتيب عجيب الى ان يصلوا المحل المناسب للبيت فينزل الامير وتنصب الرايات ويحيط به الحرس ويذهب الخزندار لترتيب نزول الجيش وتعيين محل خيمة الامير وفي اقرب وقت ترى الخيام نصبت والمضارب ضربت وتزل كل فريق في منزله ووقف الحفر في محله فعند ذلك يذهب الخزندار واحد اركان الحجاب فيخبر الامير بإمكان دخوله المعسكر فيركب جواده ويسير والمأمورون من ورائه والموسيقى تصدح بلحن الوصول الى قرب الخيمة ثم تغير اللحن فيبدأ فرس الامير ويتقرب من الكرسي المعد لنزوله وعند وطئه الارض تطلق ثلاث مدافع اءلاماً بنزوله

❖ ذكر خروج الامير لتمهيد البلاد ❖

لما بلغ ابن عربي خبر انتصار الدوائر على جيوش الامير اظهر ما كان كامناً في صدره من نبذ الطاعة والدعوة لنفسه وحمل قبائل البربر في ناحيته على اظهار ما كان يدسه اليهم من الخروج عن طاعة الامير واجتماع كلمتهم عليه فاجابوه الى ذلك واحتشدوا اليه فنقض بهم الى نواحي القلعة واستجاش بالبرجية وكان رئيسهم تدرر ابن الخني دلي مشربه فعمدوا جميعاً في انقرب من قصبة البرج فخرج اليهم الامير بعد ان اخذ اهبطه وعرض جنده المنظم وسار اليهم في الثامن من صفر سنة خمس مائة وفي السابع عشر من يونيو سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والف فنقض جموعهم واتخذ منهم قتلاً وسبياً ودخل القسبة فاذمرها ناراً وحطم اشجارها ثم بعث السبي وفيهم

حريم ابن الخفي واولاده الى الحضرة وارتحل الى القاعة وفر ابن عربي بجموعه الى
 نواحي مينة فاتبعهم الامير وصادفهم القتال فهزيمهم اقبج هزيمة وامتلات ايدي جيوشه
 بالغنائم ولما علم اهل تلك النواحي ان ابن عربي قد تلاشى امره ولا مناص لهم من
 عقاب الامير اوفدوا عليه علماءهم واشرافهم فاعتذروا اليه واوقفوه على دسائس ابن
 عربي وادوا اليه طاعتهم وطاعة من خلفهم فقبلها منهم وولى السيد ابا شقور خليفة
 عنه في تلك النواحي وولى السيد محيي الدين بن علال على ملبانه ونواحيها وفوض
 اليه في جمع كبة القبائل الشمالية الى شرشال وتنس من الاساكن البحرية وانتاب
 راجعاً الى الجهة الغربية فاحتل بسبك ثم ارتحل الى ثنية ماخوخ وشن الغارات
 على قبيلة رياح في منازلهم فيما وراء تلمسان لجهة الشمال فصجهم واكتسح اموالهم
 وحملهم على الطاعة ثم انعطف غازياً على بني خالد من قبائل ولماصة في الساحل
 فاشحن فيهم واستولى على موجوداتهم وادوا طاعتهم وعسكروا معه فلما بلغ الدوائر ما
 حل باشياعهم تناذروا وانضموا الى حليفهم الشيخ ابن الغاري وقومه وسمدوا القتال
 الامير في المهرارز غربي تافنا نزحف اليهم الامير في السادس من ربيع الاول سنة
 خمسين واربعة عشر يوليه سنة اربع وثلاثين فاصطنوا ثبناه الجند ودعتهم نفوسهم
 الى الهجوم عليه فاذاقهم نكد الحرب وردمهم على اعقابهم ووقع رئيسهم ابن اسماعيل
 جريحاً فملموه وولوا الادبار تاركين قنلاهم في المعركة وبعث الامير روءس من هلك
 من اعيانهم المشاهير كعبدالله بن الشيخ الغاري وغيره من الابطال المعروفين فنصبوا
 على ابواب الحاضرة معسكر عبدة لغيرهم وطارت البشائر بهذه الانتصارات المتتابعة الى
 الولايات واعلن بها في المدن والقرى والضواحي ففرح الناس بذلك وانشرت صدورهم
 لما يعلمونه من مرض قلوب الخوارج وشدة حقدهم على المسلمين وظلمهم عباد الله ايام
 الحكومة الجزائرية وبعد ان فرغ الامير من امر الخوارج واشياعهم ارتحل الى تلمسان
 فكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وتفاوض الخوارج في امرهم فاشار عليهم رئيس الدوائر
 مصطفى بن اسماعيل بان يلحقوا بالمغرب الاقصى ويدخلوا في طاعة سلطانه و اشار
 الشيخ ابن الغاري والمازري بالاذعان الامير قائلين هو سيدنا وابن سيدنا فان تقبل
 توبتنا ورفع قدرنا بين اقراننا فذلك والا فحينئذ ننظر في امرنا والحق بسلطان
 المغرب الاقصى غير موافق لان فينا الضعيف ومن لا قدرة له على الوصول الى تلك
 البلاد على ان غالب سكانها لا تنال الاحكام السلطانية فلا نسلم من غوائلهم ولا
 يخفى ان توالي الحروب وتتابع الغزوات علينا افنى لنا الظهر وابد المال واخذ قوانا

فقال ابن اسماعيل ان ابن يحيى الدين اذا ظفر بكم لا بد ان يقتلكم ويعلق اشلاءكم
واحدًا بعد واحد على اسوار معسكر وكافي انظر الى الحشم يتفرجون عليكم ويشتمون
بكم والذي ينجو منكم يعيش تحتهم ذليلاً حقيراً واطال عليهم في التحذير والتنذير
فلم يلتفتوا اليه واستامنوا للامير فبعث اليهم منشور الامان مع كاتبه الخاص السيد
مصطفى بن التهامي والعلامة السيد عبدالله سقاط فاطمأنت قلوبهم وطابت نفوسهم
وتوجهوا مع الرسولين الى تلسان ولما دخلوا على الامير مدعين تقبل طاعتهم واكرم
نزلهم واقرب الشيخ ابن الغاري على رئاسة قومه وولى المازري على قومه الدوائر وامرهم
بالرحيل الى قرب تلسان فامتلوا وارتحلوا وخالفهم ابن اسماعيل ولحق ببلاد ولهاصه
ثم ان المازري قدم شفاعته الى الامير في عمه ابن اسماعيل فشفعه فيه واحضره
الى اعباه فتلقيه الامير ولاطفه واحسن السؤال عنه وعن احواله وبعد ان خرج من
عنده لقيه اقاربه فسألوه عما جرى فقال لهم هذا آخر العهد بيني وبين هذا الامير
فقليل له في ذلك فقال اني رايت لا يثائر بما يرضى ولا يبا يغضب فعلمت انه يفسم
لنا سوء كيف وقد وقع منا ما وتعم مما يوجب ذلك والان قد استقام له الامر ثم
ذهب الى اهله وتنصر وقتل فيمن قتل من جيش الفرنسيس وسناتي على بقية خبره ان
شاء الله تعالى ولم يزل الامير مقيماً في تلمسان الى ان اصلى شانها وشان ايلتها
وفي اثناء ذلك ظهر قصور من قائد طائفة الكول اوغلان فعزله وولى مصطفى باي
ابن الباي المقلج ثم بلغه ان فرقة من الدوائر فروا من منازل المعينة لهم قرب تلمسان
ولحقوا بالبحر نواحي وهران من جهة البحر فغزاهم وفي طريقه راى بعض الرعاة الجيش
فسبقه اليهم وانذرهم فبادر جماعة الى الهروب ودخلوا في حصن للفرنسيس كان
قريباً منهم وتراخي آخرون فلحق بهم الامير واكتسح اموالهم ورددهم عن وجهتهم
فتفرقوا اوزاعاً في القبائل وانقتل الامير راجعاً على بلاد اولاد خالفه من بني عامر
ونزل بوادي الكيحل فحضر لديه من اعيان الدوائر رئيسهم المازري وبنو عداه ولد
عثمان ومن اعيان الزمالة رئيسهم محمد بن المختار ومحمد ولد قاسم وابن غنور وجماعة
من الونازرة فامرهم ان يرتحلوا من منازلهم الى معسكر وعين تحلة العرقوب لسكناهم
فاجابو وارتحلوا حالاً واصل هو لاء الدوائر والزمالة اخلاط من العرب والبربر كانوا
يلوذون بالباي محمد حاكم معسكر وفتح وهران من يد دولة اسبانيا فلما حدث الطاعون
الجارف في المغرب الاوسط في اوائل القرن الثالث عشر من الهجرة خيم الباي في
ظاهر البلد وخرج الناس لخروجه فعين من هو لاء الخدم جماعة للنزول في دائرة

خيامه فسموا دوائر وعين آخرين حمل اثناله واثقال عسكره فسموا بالزمالة ولما حصل
 لهاتين الفرقتين ما حصل من الاحترام والامتياز بين جميع الرعية باحراز مقاصدهم واستثنائهم
 من سائر المطالب الميرية صار الناس من جميع الجهات يهرعون الى الدخول في
 خدمتهم والانشياز اليهم فكثر عدد كل من الطائنتين وصارتا قبيلتين عظيمتين وكثر
 نسلهم وقويت شوكتهم ولما انتقل الباي محمد الى وهران بعد ان فتحها انتقلوا معه
 فجازوا الوظائف الجليلة والمراتب العالية ونقدموا على من سواهم من اعيان الوطن
 وروسائه عند حكومة وهران فلما بدلت تلك الحكومة بدولة الامير واحسوا بالخطا عليهم
 عما كانوا عليه اتقوا واستنكفوا واقتحموا الشدائد العظيمة التي لا يعانينا غيرهم فهزمت
 رجالهم ونهبت اموالهم وقل عددهم وانقطع مددهم وبلغوا من الضعف غاية ومن العوز
 نهايته ثم حملتهم الانفة على الانحراط في سلك الفرنسيين والدخول في عددهم فقاتلوا
 المسلمين دونهم وبدلوا قوتهم في نصرتهم ولم يتخل عنهم الامير الا بعد ان اطاع على
 نفايتهم واعراضهم ظاهراً وباطناً عن الاسلام وطالما حاول ابعادهم عن وهران فما امكنه
 ذلك ولم يزل اعقابهم ومن لم يهلك من كبارهم مع الفرنسيين لهذا العهد واما الحشم
 فانهم اخلاط من القبائل كانوا خدماً وحشداً لبني زيان ملوك تلمسان واما بنوعامر
 فاصلحهم من عرب الشام ومنازلهم معروفة بفسطين بروج بني عامر ولما فرغ الامير من
 تهديد الجهة الغربية واصلاح شؤنها ولى عليها السيد محمد البوحميدي الوهاضي وانتقل
 راجعاً الى حضرته معسكره وتفرغ للنظر في احوال الجند وتكثير عدده واستكمال
 عدده ولما اتصل ذلك بالجنرال دي ميشيل حاكم وهران اوعز الى وكيلهم في معسكر
 عبدالله بمساعدة الامير واعطائه الآراء في تحسين احوال الجند والالتقاء في تعليمه
 وتدريبه وارسل من طرفه معلمين ماهرين واربعائة بارودة ومقداراً وافراً من
 الذخائر الحربية وقال ان الامير مستعد للقيام باعباء الملك غير ان ذلك لا يتم له
 الا بالعساكر المنتظمة والجيوش المدربة واما الحشود والجموع الغير المنتظمة فلا تجدي
 نفعاً ولا تستطيع جلباً ولا دفعاً فحجب الناس من نصائح هذا الجنرال ومساعدته
 الامير وعدوه من شعائر الانسانية ودلائل الرغبة في دوام المواصلات والمسالمة ثم ان
 الامير وجه خليفته على بسكره والصحراء السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمن ومعه السيد
 محمد بن كانون الى احمد باشا باي تونس واصحبها بسيف مرصع بالجواهر وخيول
 بسروج مذهبة وآلة شاي من الذهب وغيرها ثم رجع الوفد بغاية من الامنوية مصحوباً
 بالهدايا السنية فتقبلها الامير قال بعض مؤرخي الافرنج وبهذا الاتفاق اتجهت احوال

العرب للتقدم والنجاح ثم في اواخر شهر آب وفد الشيخ ابن الغاري رئيس قبيلة انكاد حليف الدوائر على الحضرة وابن عربي مظهرًا للخضوع والطاعة ومعه صهره محمد بن المداح رئيس قبيلة اولاد خويدم وقد تور بن المختى وروساء البرجية فانزلهم الامير في دار الضيافة وقدموا كلهم في وقت واحد كأنهم على ميعاد وفي ثاني يوم ووصولهم اذن لهم الامير في الدخول عليه فبش في وجوههم واحسن السوء ال عنهم وبعد ايام اذن لهم في الانصراف الى اهلهم سوى ابن عربي وصهره وشيخ انكاد ابن الغاري فانه امر بجسبهم حتى ينظر في امرهم ومن الاتفاق العجيب انه حدث الوباء المعروف بالريح الاصفر تلك الايام فمات به ابن عربي وصهره ابن المداح وبقي ابن الغاري ففر من السجن وكان دس الى اهله ان ياتوه بنرس ايزرب عليه نظرًا لشيخوته وعين لهم الوقت والموضع الذي يلاقيهم فيه فعملوا فقبض عليهم العسكر بالليل وذهب ابن الغاري وخادمه الى الموضع الذي عينه لاهله فلم يجدهم ولحق بحرش بلد المشارف علي مسافة قليلة من الحضرة فاقام به ينتظر اهله ولما طال عليه الحال بعث خادمه ليأتيه بما يقوته فقبض عليه المشارف وسالوه عن حاله فاجاب انه غريب سائل ثم قويت الشبهة فيه فضيقوا عليه فاقر بامرهم ودلهم على سيده فقبضوا عليه واحضروه بين يدي الامير فامر به فعلق على سور البلد وعلق خادمه بجانبه ولم يزل الامير جائلاً في ميادين هذه المقاصد متواصل الحركة في درء المناسد تارة بالطعن والاشخان وتارة بالوعظ والاحسان علي حسب ما يقتضيه الحال والزمان الى ان استقامت الامور وامنت السبل وارتفع الشقاق وارتاحت الافكار واشتغلت الرعية بما يعينهم من زراعة وتجارة وعمّ الامن البراري والقفار قال بعض المؤرخين بلغ امر بلاد الجزائر في الامن الى حالة لو سارت البنت البكر الجميلة في محاربيها وقفارها حاملة نفائس الجواهر على راسها لا تجد من يسالها فضلاً عن تعرض لها بسوء وتعطرت المحافل بذكر الامير عبد القادر ورمقته عيون التعجب لما وصل اليه مع حداثة سنه من الامر المدهش الذي لم يكن مظنوناً عند من يعرف احوال بلاد الجزائر وضغائن اهلها وعدم انتظام امرهم ثم قال وكان الامير محافظاً على اقامة الحق ناشراً لواء العدل على عموم الرعايا يجري القصاص الشرعي والسياسي على اصحاب الجنايات بما يستحقونه لا تاخذه في ذلك لومة لائم وكان الناس يقبلون احكامه ويتلقونها بانشرح صدر وطيب نفس وقال غيره بعد ذكر ما جرى بين عساكر الامير والخوارج ان همم الامير عبد القادر لم تقتر في اثناء ذلك عن السعي بما فيه راحة البلاد فانه رتب

سائر ما يلزم من الخلقاء عنه والولاية ووطد الراحة العامة والحق يقال ان الحصول على ذلك في مثل تلك الاوقات امر عظيم جداً وهو دليل كاف على عظم همته فانه قطع ما يوجب سقوط امارته وحول احوال البلاد من العسر الى اليسر ومن الاضطراب الى السكون في مدة عشرين شهراً من يوم بيعته وابتداء دولته وقال ومن العجب ان تمكن امارته كان بقوتين قوة رغبة وقوة رهبة الا ان القوة الاولى كانت هي المعول عليها ولذا كان الاكثر من سكان البلاد يطيعونه بخلوص ووداد وقال بلغ الامير عبد القادر في الفطنة والدهاء ما لم يبلغه غيره من امراء العرب وناهيك به من امير جليل تلتطف في الشروط التي قررها في عقد المعاهدة واطهرها في اسلوب عجيب حتى ان الجنرال دي ميشيل لم يتوقف في قبولها ولم يتلتم في الموافقة عليها بل اجراها وامضاها في الحال ثم ظهر له منها ما تركه في حيرة من امره وعلم ان الامير قد خدعه والحرب خدعة فمن ذلك ان جميع المعاملات التجارية تكون في مدينة ارزيو لا في سواها من الاساكل وانها تكون تحت نظره لا مدخل للفرنسيس فيها وان جميع ما يرد من الداخلية لا يباع الا في ارزيو ولا يشحن الى بلاد اوربا الا منها واما وهران ومستغانم فلا يرد عليهما من الداخلية الا ما تقضي به حاجة اهلهما فاعتمد الوكيل خليفة ابن محمود في ارزيو على هذا وجعله نصب عينيه واستقصى في اجرائه وافرط حتى انه منع غيره ان يشتري شيئاً من واردات الداخلية وانما هو يشتري من الباعة ما يجلبونه الى البلد ويشحنه على حسابه الى بلاد الافرنج فغضب لذلك تجار فرنسا وتقموا على الجنرال دي ميشيل ظناً منهم ان ذلك عن اذنه وبرخصته فرفعوا امرهم اليه فانكر ان يكون ما ينعله الوكيل منه ثم انه اجري ما ارضى الطرفين وذلك انه ابقى للويل ما يرد عليه من واردات الامير المخصصة به من املاكه وما سوى ذلك جعله حراً لا يختص باحد دون آخر قال وكان الامير نبه على وكلائه ان لا يقبلوا رجوع المسلمين الذين هاجروا من وهران ومستغانم وارزيو فكانوا يمنعون كل من رجع من اولئك المهاجرين ان يدخل الى احدى هذه المدن ويجبرونهم على الرجوع الى داخلية البلاد وساعدهم ما ذكر في الشرط الثالث من شروط المعاهدة ثم اتصلت اخبار هذه الاجراءات وامثالها بدولة فرنسا فكبر عليها الامر ولعدم اطلاعها على احوال البلاد توهمت ان الامير يراجع امير مكة المكرمة ويطلب منه الامداد فانتجت لمراقبة اعماله وحركته غلاماً فظناً اسمه روس ليون وسنه نحواً من عشرين سنة وهو من عائلة شهيرة في فرنسا وارسلته صحبة ابيه الى الجزائر بعد ان اعلمته بالامر المهم المرسل لاجله وهو

تحقيق احوال الامير ومراقبة حركته فلما وصل الى الجزائر تلمظ حتى وصل الى الامير
واسلم علي يديه فامر الامير بعض النقهاء بان يقرأه القرآن وآداب الشريعة والعقائد
الدينية ويعلمه اللغة والكتابة العربية ولما تعلم احضر الى الامير فتعجب من اعنائه
وذكائه ثم زوجه واستعمله في كتاباته الخصوصية تاليفاً له وتشويقاً لغيره فقام باداء
وظيفته اتم قيام ولازم الامير في اغلب المواضع وخاض بعض المعامع ودام على هذا
الشان مدة من الزمان ولما احكم التدبير في امر الولوج شرع في التفكير باتمام العمل
وسرعة الخروج فكتب كتاباً بما اراده الى امير مكة المكرمة وقد خط الامير في
الامضا وبجائمه الخصوصي ختمه وترك الامير مشتغلاً بالحرب مع فرنسا في بعض الوقائع
فانتهز الفرصة وآب الى معسكرهم راجعاً ومنه توجه الى باريس واخبر الحكومة بما فعل
فاصحبته بهدية ووجهته الى مكة ولما قابل الشريف محمد بن عون وسلمه الكتاب
والهدية اعتبره واكرم نزله وبعد ايام سلمه الجواب مع هدية لائقة بالامير ثم وادعه وامره
بالمسير فانقلب راجعاً وكان مضمون الجواب اهداءه السلام والدعاء بالتوفيق وبلوغ المرام
فعند ذلك تحققت الحكومة الفرنسية ان لا تخايرة بينهما في امور سياسية وقد
الف روس تاريخاً سماه ثلاثين سنة في الاسلام اودع فيه من اخبار الامير ما حسنه
وزينه ثم امرت الجنرال دي ميشيل ان يبعث من طرفه الى دار الامارة بمعسكر
مراقبين مستعدين لالقاء الدسائس في قلوب اعيان الرعية فجاءوا اليها في صورة
متفرجين وجعل امرهم الى وكيلهم عبدالله فاحس الامير بهذه المكيدة وتنبه لها واخذ
حذره منها فسد على المراقبين طرق نجاحهم وقصر يد الوكيل وايدبهم عن الوصول
الى مرادهم وبالجمل فان آمال الفرنسيين التي كانت تتعلق بحصول الراحة لهم والقاء
الدسائس المؤثرة في قلوب رعايا الامير خابت وذهبت سدى ثم ان دولة فرنسا بعثت
جماعة من اعيان امرائها الى الجزائر في السادس من ربيع الاول سنة احدى وخمسين
والتالت من يوليه سنة خمس وثلاثين وثمانمائة والف وجعلت اليهم النظر في امورها
وعند وصولهم اليها تذاكروا فيما انتجته حروبهم من انافاع والمضار ثم تاوضوا فيما
يلزم استعماله لتوطيد سلطتهم في البلاد واتفقوا على وضع حكومة عسكرية تتبرزة
بسياسة تخصوصة في الجزائر وسائر المواطن التي استولوا عليها في الساحل فصدر امر
دولتهم باجراء ما اتفقوا عليه وتعين الجنرال الكونت دي روان دورلون والياً على الجزائر
وعرل الجنرال دي ميشيل عن وهران وقد سمعت من الوالد رحمه الله ان سبب
عزله انه بلغ دولته بان مراده الدخول في الاسلام فعزلوه حالاً ولولا مكانه الجنرال

تـريـزـيل و امر بدوام المحافظة على المعاهدة والرعاية لها ولما كان ميالاً بالطبع الى
 الخصام جلاباً لاسبابه جرى في ظاهره على ما تقتضيه اوامر دولته وفي سره على
 مقتضى طبعه واتفق ان اهل تيطرى بعثوا ببعثهم الى الامير واوفدوا عليه مشيختهم
 فاتصل به خبرهم فوجم لذلك ورأى انه قد تمهيا له الوصول الى ما يريد من نقض
 المعاهدة التي عقدها الجنرال دي ميشيل لثقل امرها عليه وتخالفتها لمرامه وجاءته
 رسل ابن اسماعيل وقومه يعرضون عليه امرهم ويعدون له باداء الطاعة عند اول فرصة
 نتهياً لهم ففرح لذلك ثم ان الامير بعث وزير الخارجية الميلود بن عراس الى والي
 الجزائر ليبلغه التهنئة والتبريك بالولاية ويرى ما عنده في امر الوطن واصحبه مكتوباً
 اليه ملخصه بعد التحية ان معتمدي ابن عراش وجهته الى حضرتكم ليبلغكم التهنئة
 والتبريك من قبلي بالولاية على الجزائر . ولقيامي بالمحافظة على امور المعاهدة او عزت
 اليه ان يفوضكم في امور تعيين علي اجراؤها لتوطيد الراحة في جميع المقاطعات الداخلية
 في السهول والجبال والسواحل التي على ساحل الجزائر وجوارها ووهران والمدية وخشيت
 ان يكون ذلك سبباً مكدرًا لما بيننا من المصافاة . ومراد الامير من هذه ان يثبت
 بوسيلة خفية امارته على جميع الاقليم ما عدا الاربع مدن التي بيد الفرنسيين . وصار ينتظر
 الجواب معتمداً ان اجابه برفض قبول المداخلة مع العرب الذين هم خارج وهران
 ويحبيه بانه لا يعنيه التعرض له بمن لا يعنيه امرهم على انه يعلم من الجواب هل يمكنه
 ان يملك اقليم تيطرى بدون مجاوزة حدود المعاهدة ام لا فلما وصل ابن عراش الى
 الحاكم اكرم وفادته والان له الجانب وكان جوابه الامير بعد اداء واجبات
 التعظيم . قد وصلني مرسومكم . وبلغني معتمدكم ما تعلقتم به ارادتكم في الجهة الشرقية
 وحيث ان جل مقاصد سموكم توطيد الراحة العامة كما هو المطلوب والمرغوب فيه عند
 دولة فرنسا ورجالها فلا نتوقفوا واني اومل نجاح مقاصدكم ورفاهية شعبكم وسعادة
 البلاد ولك ان تعتقد بانك لا تقاوم في كل ارض تقصد الاستيلاء عليها بشرط ان تكون
 لك قوة على اخذها قال بعض مؤرخيهم ان قرب عهد الجنرال بدخوله الى الجزائر والياً
 عليها وعدم معرفته بدهاء العرب وطرق حيلها وخلو مجلسه ممن يشير عليه بالراي ويوقفه
 على خفايا احوال البلاد هو الذي حسن له هذا الجواب مع ما اوصنه به دولته عند تقليده
 الولاية بقولها يلزمك ان تحافظ على مسالمة الامير عبد القادر في سائر الاحوال وان
 لا تجري امراً ما يوجب اغبرار خاطره واياك ان تنعاطي حركة نقضي عليك بطلم
 العسكر من هنا مطلقاً ثم ان الامير لما رأى ان لا شيء يمنع من اجراء ما عزم عليه

اعتمد علي التوجه الى تيطرى فنعه حدوث الريح الاصفر حينئذ في البلاد وبعد
 زواله تاهب للسفر وكتب الى حاكم الجزائر يخبره بذلك وكان بعد رجوع ابن
 عراش بعث اليه بصورة الشروط التي ابرمها مع دي ميشيل في المعاهدة فهاله امرها
 فلما اتصل به خبر المسير غضب وكتب في الجواب ما نصه قد فهمت ما تضمنه تحرير
 سموكم والذي انظره ان هذا العزم خال من الصواب وليكن في علمكم ان الجنرال
 دي ميشيل لم تكن له سلطة ولا حكم الا على اياة وهران ولذلك لم يتعرض لما يتعلق
 بباقي الولايات ومهما توسعت دائرة التاويل فيما جرى في معاهدة الثامن والعشرين
 من فبراير فلا يكون لكم طلب الا على اياة وهران وبناءً على ذلك فلا نسمح لكم
 ان تدخلوا اياة تيطرى ولا ان تتجاوزوا وادي شلف شرقاً ونهر ارهيو الى كوجيله
 وبالجملة فلكم ان تحكموا في البلاد التي هي لكم الان بحسب شريعة الاسلام وبذلك
 نكون اصحاباً ولا اقدر ان ارخص لعساكركم ان تدخل الى ولاية تيطرى لان كما
 يجري هناك يختص بي واني مستمر مع ساكني الاقاليم على السلم ومعتمد على تعيين
 مراكز فرنسوية في البليده وبوفاريك متى رايت ذلك مناسباً لصالح فرنسا فاجابه الامير
 قد وصلني تحريركم وتعجبت مما ذكرتموه فيه ثم اقول ان مرني افكار حضرتكم بعيد عن
 الاصابة لان تحافظي على السلم لا يجلبها احد ولولا ذلك ما احتجت الى مذاكرتكم فيما
 اجريه في وطني وقصارى الامر انه لا يبعد ان يكون بعض اهل الفساد اتقى في
 ذهن حضرتكم ما اوجب ان يكون جوابكم على هذا الاسلوب وعلى كل حال فاني
 عدلت الآن عن النهوض الى تيطرى ابقاءً للسلم ورعاية له ثم ان اهل تيطرى لما
 طال عليهم الامد وتاخر عنهم الامير في انجاز الوعد ولوا امرهم رجلاً من غز مصر
 يقال له الحاج موسى بن حسن ويعرف بابي حمار لارمانه على ركوب حمار له قد
 جاء الى تلك الولاية واستوطن بلاد اولاد نائل منها واطهر النسك والصلاح وانتحل
 تلقين اوراد الطريقة الشاذلية فاجتمعت عليه كلمة اولاد نائل وغيرهم من قبائل تلك
 الناحية وزحف بهم على مدينة المدية وهي حاضرة الولاية فدافعه اهلها واطلقوا عليه
 مدفعاً كان عندهم من ايام الحكومة الجزائرية فانكسر فعملوا ذلك كرامة له ودانوا بضاعته
 وادخلوه الى البلد ثم انهم نظروا الى مدفعم فوجدوه متداعى الاجزاء من قبل اطارقه
 فلما استعملوه تفرقت اجزؤه ولما شاع امره واتصل خبره بالدوائر والزماله وهم في
 منازلهم قرب تلمسان نبذوا طاعة الامير ونكثوا عهده وارتحلوا من منازلهم الى قرب
 وهران ولحق رئيسهم ابن اسماعيل بالكلول اوغلان في قصبة المشور من تلمسان فاهتز

تزييل حاكم وهران لذلك فرحاً وطار الخبر الى الامير فتعاقل عنهم واقام ينتظر ما ينعله
 حاكم الجزائر مع ابي حمار المستولى على الولاية التي ارعد وابرق في امرها ولما رأى الامير
 ان الجنرال تصامم عن ابي حمار ولم يتعرض اليه احتشد الجيوش وعرض عساكره النظامية
 واضح خلاهم وضرب معسكره العام في هبرة لنظر اخيه الكبير السيد محمد سعيد لمراقبة
 الفرنسيين من جهة مستغانم وارزيو واوعز الى البوحيمدي والى تلسان ان ينحدر بجموعه
 الى نواحي وهران ليشغل حاكمها ويقف في وجهه ونهض هو في عساكره النظامية وحشود
 الجهة الشرقية قاصداً تيطرى بعد ان علم الجنرال بذلك في اواخر كانون الاول سنة اربع
 وثلاثين وثمانمائة وان توجهه ضروري لتوطيد الراحة في تلك الجهة وقطع الحركات بين
 القبائل ولما قارب بلاد العرب صبيح تعرضوا له وطلبوا جائزة الطريق جرياً على عادتهم
 مع حكومة الجزائر فكبحهم واعظم النكابة فيهم فاذعنوا للطاعة ثم احتل ببلاد جنبدل
 واتصل خبره بابي حمار فجمع اعيان حشوده وخطب عليهم ووعدهم بالظفر وقال لهم
 آية صدقه ان مدفع ابن يحيى الدين لا يعمل فيهم وان باروده عند المواجهة يصير ماءً
 ومثل هذه الترهات ثم كتب الى الامير يدعوه الى الجهاد فاجابه ان هذا غير ممكن
 الآن لكوني عقدت معاهدة مع الفرنسيين واما انت فان كنت مستعداً لذلك وعزمت
 عليه فشانك وما تريد فلما اطالع على هذا الجواب كتب اليه يدعوه الى بيعته فاجابه اني
 مباح من اهل الوطن فان كانت بيدك اوامر سلطانية فاظهرها حتى نراها فان وجدناك
 صادقاً تقدم لك الطاعة امثالاً لامر السلطنة العظمى والا فالذي تراه اعظم مما تسمعه
 فلما بلغه هذا الجواب استشاط غيظاً ونهض من المدينة في جموعه للقتال وتزاحف الفريقان
 في بلاد وامري وكان الامير عند ما شاع ما القاه هذا المدعى على جموعه من الخزعبلات
 خطب على عسكره بقوله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله واصحابه
 اما بعد فاعلموا ان الحق تعالى قلدي هذا الامر للمدافعة والذب عن الدين والوطن وقد
 بلغكم خبر هذا الرجل فان تركته وشانه اخاف على الوطن ان تغتاله غوائل الفرنسيين
 على حين غفلة وينشا عن ذلك من الفساد ما يعسر علينا اصلاحه واطال في هذا
 المعنى ثم قال هذا واني اختبر امره الذي كاد ان يوقع في قلوبكم ما يوئل بكم الى تشتيت
 الشمل وتبديد الجمع وذلك اني اطلق عليه مدانعي فان كان الامر كما زعم فاننا اول مطيع
 له بعد اختبار احواله من جهة الشرع وان كان الامر بخلاف زعمه فهو دجال من
 دجالي هذا الوقت ثم امر بالزحف واطلاق المدافع على ابي حمار فلما اطلقت القتل
 على جموعه انهزموا وولوا مدبرين لا يلوي احدهم على الآخر في تلك الجبال والودية

وفر هو تاركاً نساءه واولاده وسائر ما كان معه من الذخائر والمهمات واخذت العساكر في تلك القبائل الضالة عن سواء السبيل قتلاً وسبياً ثم صدر الامر بالكف عنهم بعد ان لاذوا بالطاعة وكان سبيهم قد ارسله الى مليانة فرده عليهم وجاء الطلب من ابي حمار في رد نساءه واولاده فردوا عليه ثم ارتحل الامير الى المدينة فدخلها وادى اهلها واجبات الخضوع واسترسلت عليه الوفود من جهات الولاية وقاصيتها لاداء البيعة فبايعوه عن انفسهم وعمن ورائهم وبعد ان اصلح شؤونهم وثقف اطراف الولاية عقد عليها للسيد محمد البركاني من اعيان اشرافها ولما شاع خبر هذا الاستيلاء واتصل بالجنرال تريزيل حاول ان يتخذه وسيلةً لنقض المعاهدة فجمع مجلسه وفوضهم في ذلك وقال ان امير العرب عبد القادر تجاوز الحدود المقررة له فمن المتعين علينا ان نهاجه في دار ملكه فاستحسنوا قوله ثم بعث بهذا النص الى حاكم الجزائر فاجب ذلك ونقمه عليه واطلع مجلسه على ذلك وقال اني لست مأموراً من الدولة بنقض المعاهدة ولا مستعداً الآن لفتح باب الحروب ويجب ان نتنازل ونسعى في تجديد المعاهدة مع الامير ما دام في المدينة التي استولى عليها وعلى ايلاتها ونضرب صفحاً عن تعرضنا له لعدم مساعدة الوقت على مناجزته فوافقوه على ما قرره ثم حرروا شروط المعاهدة وبعثوها صحبة القبطان سنت ايبوليت والموسوي ابن دران واصحبها الحاكم ببدايا فاخرة الى الامير . وصورة الشروط التي انتخبها الحاكم اولاً يعترف الامير براسة ملك فرنسا على افريقية ثانياً تكون سلطنة الامير عبد القادر محصورة في ايالة وهران المحدودة بنهر شلف ونهر اريهو الى كوجيله ثالثاً تعطى الرخصة العامة للافرنج في السفر في سائر جهات بلاده رابعاً اعطاء الحرية التامة لتجارة في الداخلية خامساً لا يصير تسليم ولا استلام شيء من الاغلال والبضائع الا من الاساكل التي بيد الفرنسيين سادساً يدفع الامير عبد القادر ضريبة سنوية للدولة مع وضع رهائن للامن على ذلك . فلما وصل الرسولان الى الامير في مدينة المديه وكان على اهبه الرجوع الى دار ملكه رحب بهما واكرم وفادتهما وعرض عليهما ان يحباه الى الحضرة فاجاباه الى ذلك ونهض من المدينة راجعاً والرسولان في معيته قال بعض مؤرخي الافرنج وقد حصل للناس تاثير عظيم من ذلك واستدلوا به على عظم ملك الامير وحسن سياسته حتى انه جعل ضباط الفرنسيين يسافرون معه ويقصدون عرش ملكه ولما كان الامير في المدينة كان في معيته خليفته السيد محي الدين بن علال والي مليانه فلما بلغ في مسيره الى وادي الفضة اعطاه الاذن بالتوجه الى ولايته واستمر سائراً الى معسكره

العام في هبة ففضة وارتحل ال معسكر ودلائل اللطف والوداد تجدد لاولئك الضيوف من قبله وبعد ايام سلمهما رقيماً الى حاكم الجزائر وضمنه الشروط التي رغب في عقد المعاهدة ان يكون عليها وبهجتها وهذه صورتها . يشترط ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين . اولاً ان تبقى جميع الايالات الخاضعة له تحت سلطته وحكمه كما ان المدن التي استولى عليها الفرنسيس تبقى على حالها في ايديهم ثانياً ان ولاية المدينة ومليانه عند عزلم تبعث اسماءهم الى الحاكم العام ليعرفهم ولتكون المواصلة مع الامير بواسطتهم ثالثاً ان التجار يكون حراً للجنس رابعاً ان الفرنسيس يكرمون العرب كما ان العرب يكرمون الفرنسيس في جميع الاماكن خامساً ان الامير له ان يشتري من الجزائر بواسطة وكيله فيما سائر ما يحتاج اليه من الآلات والمهمات الحربية سادساً ان الامير يرد جميع الفارين اليه من الفرنسيس كما ان الحاكم العام يرد الفارين اليه من العرب سابعاً ان الامير اذا عزم على السفر الى قسنطينة او غيرها يخبر بذلك الحاكم العام مع الافادة عن سبب ذلك السفر . فلما اتصلت هذه الشروط بالحاكم اظهر السكون اليها وفهم من فحواها ان الامير جانح لعقد معاهدة جديدة فسافر لوقته الى وهران وبعث اليه لاول وصوله يخبره بقدومه اليها ليكون قريباً منه تيسيراً للخبايرة وكتب اليه ما نصه بعد التحية والتعظيم قد وصلني رقيم سموكم من يد رسولي القبطان سنت ايوليت وفهمت منه ما في افكاركم ولاجل ان اتمكن من اجراء الخبايرة معكم بوجه السرعة حضرت الآن الى وهران في السابع عشر من صفر سنة اثنتين وخمسين واليوم الرابع من يوليه سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف . فاجابه الامير يهنيه بوصوله وكان الحاكم ينظر الجواب بغير ذلك حيث انه كان يتنى ان يدعوه الامير الى الاجتماع ثم ان الجنرال تريزيل انكر على الحاكم قدومه الى وهران وقال له لا اجد لزوماً لحضوركم لانني انظر ان ذلك مما يدل على ضعف احوالنا وايضاً فان دنوكم من الامير يكون كالمصادقة له على سائر تصرفاته فائر ذلك في الحاكم وانقلب راجعاً الى الجزائر قال بعض مؤرخي الانكليز عندما تعرض لذكر شروط الامير ان معاهدة كهذه جاء بها القلم الخفيف لتنقض حقوقاً عظاماً ونحاً اوجدها السيف البتار لا بد انها تعتبر فتحاً لباب الحرب وفي الحقيقة انها كانت نتيجة سياسة الامير حيث علم انه بعظم اهمية قوته تقوم هذه المعاهدة وعلم ان تلك القوة تاتي باستقلالية تامة سواء اشترط او اشترط عليه ولذلك وصف نفسه في تحريره الى الحاكم بناصر الدين ثم ان الحاكم لما وصل الى الجزائر امر الجنرال تريزيل ان يعتني دائماً باستجلاب صداقة

الامير والاتحاد معه فاستشاط تريزيل لذلك غيظاً وامسى متخيراً بين كونه يخضع
 لاوامر الامير ويطلب رضاه في كل الامور المتعلقة بداخلية البلاد وبين كونه يضع
 نفسه في حالة يتمكن بها من الاستقلال في عمله ثم كتب الى الحاكم يخبره بنزوع
 الدوائر والزمانة الى الخضوع لدولة فرنسا وانهم طلبوا منه ان يأذن لهم في النزول بارض
 مسركين خارج وهران وان يعين لهم فرقة من العسكر لحمايتهم وحيث ان الحاكم كان
 مؤملاً في الحصول على المعاهدة اجاب الجنرال ان يتربص في امرهم وان يكون معهم
 على حالة تحتمل قبول طلبهم ورفضه ولما اتصل ذلك بالامير كتب اليهم . اما بعد
 فليكن في علمكم جميعاً انه قد طالما نصحناكم ووعظناكم وبيننا لكم ما يجب عليكم شرعاً
 ان تفعلوه او تتركوه فلم تقبلوا ذلك ولم تلتفتوا اليه والان بلغ السيل الرني فلا بد ان
 ترجعوا عن غيكم وتسلخوا جادة الاسلام التي مضى عليها اباؤكم وتتركوا منازلكم
 التي اتم فيها الان وترجعوا الى منازلكم الاولى بقرب تلمسان والا فلا تلوموا الا انفسكم
 لما يحل بكم من الانتقام بحول الله وقوته قال بعضهم ولما بلغ هذا الكتاب اولئك القوم تحيروا
 في امرهم . وصاروا بين امرين خطرين . اما الانقياد الى الطاعة والرحيل من منازلهم
 الجديدة وقلوبهم تآباه واما اشهار ما هم عليه من النزوع الى الفرنسيين والانفصال عن
 المسلمين . ثم ترجع عندهم الاخير . وارسلوا وفدهم الى الجنرال تريزيل فاطعوه على
 حقيقة امرهم وطلبوا منه انجاز ما كان وعدهم به فاجابهم الى مطلوبهم وخرج مسرعاً
 الى مسركين حيث مخيمهم فتلقاه رؤساؤهم وقدموا اليه طاعتهم وعقد عليهم شروطاً وهي
 اولاً تعترف القبائل برئاسة ملك فرنسا وتلججىء تحت حمايته ثانياً تخضع القبائل لمن يوليه
 عليها من رؤساء الاسلام ثالثاً تقدم القبائل في الاوقات المعينة المرتب الذي كانت تقدمه
 الى بكوات الترك رابعاً يكون اقتبال الفرنسيون جيداً عند القبائل كما يكون اقتبال
 القبائل عند الفرنسيون خامساً تجارة الخيل مع سائر المواشي وتجارة المحصولات تكون
 مطلقة لكل انسان عند القبائل . اما البضائع التي تعين للوسق فلا يصير وسقها الا
 من المراسي التي يعينها الحاكم العام سادساً لا تكون تجارة الاسلحة وسائر متعلقات الحرب الا
 بواسطة ماموري الفرنسيون سابعاً تلتزم القبائل بتقديم نجاتها متى دعاها والي وهران الى
 غزوة حربية في اقليم افريقية ويكون للفرانس فرنكان ولماشي فرنك كل يوم وكل واحد
 منهما يحمل في الاقل خمس فشكات ويعطى من الترسخانة عشر فشكات . وكل من يقتل
 حصانه في الحرب يعطى بدله ثامناً ان لا تتعدى القبائل على من يجاورها من القبائل فان صار
 تعد منها عليها حينئذ تعلم والي وهران ليحضر حالاً ليجدتها تاسعاً متى ذهب العساكر الفرنسيون الى

العرب يعطي لهم كل ما يحتاجونه من المؤونة بالثمن العادل عاشرًا الاختلاف الذي يحدث في القبائل ان كان في قبيلة واحدة يصرفه قاضيها . وان كان بين قبيلتين يصرفه قاضي وهران الحادي عشر ينتخب رئيس من كل قبيلة ويسكن مع عائلته في وهران فقبلوا هذه الشروط وصادقوا عليها . ولما رجع الى وهران بعث الى الحاكم يخبره بما اجراه مع اولئك المنتصرة . وارسل اليه صورة ما اشترطه عليهم فلم يجز القبول ولا وقع موقع الاستحسان . وبعث اليه الجواب بما حاصله . وصلني تحريك مع صورة الشروط التي اجريتها مع قبيلتي الدوائر والزمالة وهذا العمل وان يكن سيعود على فرنسا بالنجاح فانه سيكون لا محالة مانعًا لامضاء المعاهدة المنتظرة مع الامير عبد القادر وقد رجح الى ابن دران الموسوي اجراء ما نبتغيه من الامير . وبالجملة فاني ارى عمك هذا لم يوافق طريق الصواب . قال المؤرخ المذكور فغضب تريزيل لهذا الخطاب . وكان جوابه الى الحاكم . قد وصلني تحريككم وفهمت منه ان وساوس ابن دران الموسوي كادت تؤثروا فيكم والذي اقوله ان هذا الرجل لم تكن له خبرة ولا عنده وقوف على بواطن الامير عبد القادر وان التربص بهذا الامر مما يزيد ملك هذا الامير قوة جديدة وخالصة الامر ان ما اجريته مع الدوائر والزمالة لم يكن مخالفًا لاوامر مجلس وزارة الحرب في باريز وان كانت افكاركم تابه افكاركم برد ورقة الشروط مع تعيين من يخلفني في وهران فلما اطلع الحاكم على هذا الكلام علم انه قد اخطأ في اجتهاده وان تريزيل اكثر اطلاعًا منه على غوامض امور العرب ومع ذلك فانه لم يياس من الحصول على ما رغب فيه من اجراء المعاهدة مع الامير قال وكان الامير يجنب كل امر يكون سببًا في نقض المعاهدة الاولى حتى انه دائبًا يصدر اوامره الى خلفائه بذلك ثم كتب الى الحاكم يحتج عليه فيما اجراه تريزيل ويقول له قد ارتكبتم ما يؤذن بنقض المعاهدة التي عقدناها مع الجنرال دي ميشيل وارتبطت بها دولة فرنسا واعتمدها . ومن جملتها ان لا تقبلوا من يلتجئ اليكم من العرب كما اننا لا نقبل من يفر الينا من الفرنسيين فجاء الجواب من الحاكم محتويًا على تخادعة ومحاولة وضوته . اني اوضح لسموكم ان المعاهدة التي رغبنا في اجرائها الآن معكم لا تكون مخالفة للمعاهدة التي وقع عليها الاتفاق مع الجنرال دي ميشيل سابقًا نعم ان لفظة هارب المحررة في صك المعاهدة السابقة لم تفهم منها العموم اذ ربما يكون الهارب ليس في نيته الالتجاء وانما قصد بسكناه عندنا ما هو جار بين الناس من تفضيل ولاية على اخرى وهذا اظنه لا يضر ولا يكون فاتحًا لابواب الخصام الذي لا شك انه يكون ممقوتًا عند اصحاب السلم

العام هذا وانني على كل حال احافظ على تلك المعاهدة بكمال الشرف والاعتناء فاجابه الامير بقوله قد وقفت على ما حواه كتابكم والذي اقوله لك الآن انك ايها الحاكم تعلم الشروط التي ربط بها دي ميشيل نفسه باذن دولته وعند وصولك الى الجزائر وعدتني بالمحافظة عليها وانك تعلم جيداً ان الحكومة الفرنسية ملزمة بان ترد الى كل مذهب التجأ اليها ولو كان رجلاً واحداً فكيف بالعشيرة والقبيلة وعلى هذا فان قبائل الدوائر والزمالة من جملة رعيتي التي احكم فيها بموجب شريعتي والان ابلاغك البلاغ الاخير انك ان رفعت الحماية عنهم فخن على ما كنا عليه من المعاهدة التي وقع عليها الاتفاق قديماً والا فاني لا استطيع تخالفة شريعتي في التجلي عنهم حتى انهم لو اعتمدوا على رايكم لضعف آرائهم وقلة دينهم ودخلوا مدينة وهران فلا ارفع عنهم يدي ولا بد ان احقهم واطالبهم بالرجوع عن خطئهم الفاحش فان كنت ولا بد معتمداً على انفاذ ما صورته افكارك من ادخالهم تحت حوزتك فاطلب وكيلكم من عندي واختر لنفسك ما يحلو وميادين المعامع تقضي بيننا ومسؤولية ارهاق الدماء واتلاف الاموال راجعة اليك وعليك والله يخلق ما يشاء وينعل ما يريد

* ذكر انتقاض المعاهدة *

لما وصل الامر الى هذا الحد وعلم الامير ان المعاهدة قد طوى بساطها وانقطع نياطها فافوض اهل دولته وندبهم الى الجهاد ثم دعا رؤساء الجند واعيان الحضرة الى الجامع وطلع على المنبر وخطب عليهم بقوله . اما بعد فلا يخفى ان الله تعالى قال في كتابه المجيد يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وقال وقتلهم حتى لا تكون ننتة ويكون الدين كله لله وهو لاء القوم قد عاهدناهم فنبكثوا وصدقناهم فغدروا وصابروا فلم يصبروا وان تركناهم وشانهم فلا نلبث ان نراهم قد فتكوا بنا تلى حين غفلة وها هم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين وحازوهم اليهم فما الذي يمنعنا من دفاعهم ومقاومتهم ونحن موعودون بالنصر على اعدائنا فهبنا بنا ايها المسلمون الى الجهاد وهلموا اليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل وازيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل اما علمتم ان من مات منكم مات شهيداً ومن بقي نال الفخار وعاش سعيداً ثم هز سيفه في يده ثلاثاً فضج القوم عندهما بالتكبير وقالوا نحن على السمع والطاعة لسيدنا ومولانا ناصر الدين ثم قام اياماً ينتظر جواب حاكم الجزائر فلما تاخر عنه وجاء الامر الوكيل بالسفر الى وهران دعي وكلاءه

من مواضع اقامتهم وامر بنصب العلم الاكبر خارج الحضرة ونودي بالجهاد وصدرت الاوامر الى سائر النواحي والجهات بالتأهب للحرب فارتاح المسلمون لذلك واخذوا يستعدون للقتال واهتز المغرب الاوسط باهله لقتال العدو وبادر ابطاله من المتطوعة الى دار الملك

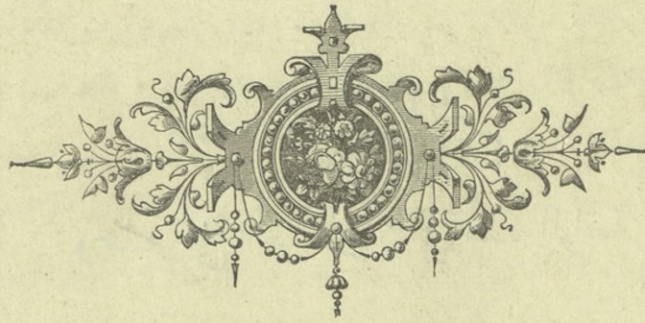
﴿ ذكر وقعة المقطع وهزيمة الجنرال تريزيل ﴾

﴿ وعزله وغير ذلك من الحوادث ﴾

ولما كان الجنرال تريزيل عازماً على تقض المعاهدة بما امكنه خرج من وهران في الرابع عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين واول شهر يولييه سنت ست وثلاثين وثمانمائة والف في خمسة آلاف من المشاة وفرقة من الخيالة واربع قطع مدافع جبلية وعشرين مركبة زاداً عدا عن المركبات الاحتياطية يقدمهم جيش الدوائر والزمالة ونزل في تليلات علي مرحلة من وهران وكان الخليفة البوحميدي في تلك النواحي مراقباً له من مدة شهر فطير الخبر الى الامير فنقض لوقته من الحضرة في نحو الفي فارس والف من المشاة واحتل بسبك عازماً على الإقامة هناك الى ان يتلاحق الناس به فعاجله تريزيل وارتحل من تليلات زاحفاً اليه فعبأ الامير كتابه ورتب مصافه وحضر خليفته البوحميدي في جيشه فعينه في اليمين وجعل خليفته بوشقور على الميسرة وثبت هو في القلب وتزاحف الجمعان في حرش مولاي اسماعيل بالقرب من سيك وابتدأ القتال مناوشة واستمر على ذلك متواصلًا يومين وفي اليوم الثالث هجم عسكر الفرنسيين على المسلمين والتحمت الصفوف واشتد القتال فارتدت عساكر الفرنسيين على الاعقاب منهزمة الى داخل الحرش بدون ترتيب ولا نظام وقتل منهم على ما ذكره روا في تاريخه عدد كثير فيهم الكندان اودينو ابن الماريشال دوك دي تريجو ووقع هذا الرئيس قتيلاً امام صفوفه كان سبياً في الهزيمة الشنعاء الى الحرش وحيث ان جيوش الامير اجهدهم العطش وطال عليهم القتال وراوا العدو قد انهزم رجعوا عنه واتفقوا ضمناً منهم انه يستمر منهزماً الى وهران ولم يبق مع الامير سوى عمه سيدي الجد لام السيد علي ابي طالب وهذه النادرة الاتفاقية ذكرتني ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين حين تفرقت جيوشه حتى المهاجرين والانصار ولم يبق معه سوى عمه العباس اخذاً بجام بغلته صلى الله عليه وسلم التي كان راكباً عليها يومئذ ثم ان جيوش الامير لما علموا ان العدو بات

تلك الليلة في الحرش وان الامير لم يرل مراقباً له صاروا يتراجعون اليه افواجاً افواجاً
 حتى اجتمعوا بهم وتلاحقت به الجموع التي شهدت القتال بالامس وامتلاً سهل سيك
 بالمسلمين واما الجنرال تريزيل فانه لما رأى ان طريقه الذي جاء عليها قد سدت في
 وجهه انعطف راجعاً الى وهران على طريق ارزيو ولما رآه الامير انه سالها خف
 في الف فارس انتخبهم من عساكره واردف كل فارس منهم عسكرياً من المشاة وسبق
 بهم الى مجاز نهر هبره المعروف بالمقطع وليس لذلك النهر مسلك غيره فاحاطت
 جيوش المسلمين بالجنرال وعساكره واضربوا عليه نار الحرب في حال السير من كل
 جهة واستمروا على ذلك الى ان قاربوا المقطع وكان الامير وصل اليه فلما راته مقدمة
 الجنرال ارتدت على اعقابها واضطرب العسكر الفرنساوي وخاض بعضه في بعض واختل
 نظامه والجاه المسلمون الى غياض النهر واذاقوه نكل الحرب واثخنوا فيه بالقتل
 والاسر واستولى الغرق في النهر على عدد كثير منهم واستولت الايدي على سائر
 العجلات وما فيها من الذخائر والمدافع واكب المسلمون على جميع الغنائم والاسرى
 الى الغروب وكان التعب اخذ منهم ماخذه وفي هذه الفرصة انسل الجنرال تريزيل
 رمن بقي معه من الجيش الى ساحل البحر ومن هناك جدوا في الهرب الى ارزيو
 تاركين القلى والجرحى وسائر ما خرخوا به من وهران في ايدي المسلمين وفي
 الساعة السابعة ليلاً دخلوا الى ارزيو على اسوء حال وقد اسهب موءرخو الافرنج في
 هذه الواقعة وتلخص ما انتخبته من اقوالهم انه لما علم الجنرال تريزيل وقواد العسكر
 ان طريقهم التي جاؤوا عليها من وهران قد سدت عليهم عرجوا على طريق ارزيو فبلغهم
 ان الاوعار التي في تلك الجهة يتعذر المرور فيها بركبات الذخائر ومركبات المدافع فاعتمدوا
 على السير فيما وراء جبال حميان ويعبرون نهر هبره ولما نظر الامير الى الطريق التي سالكوها
 علم انه اذا سبقهم الى المقطع يتمكن من جوزه قبل ان يصلوا اليه وبذلك يمسون في قبضته
 وكان الامر كذلك وقد ادرك منهم ما اراد وارتاد وقال آخر سبق الامير الى مجاز
 النهر وضبطه من نتائج التصورات السعيدة التي تكفل صاحبها بالنجاح وقد وصل الجنرال
 تريزيل وجيشه الى المقطع عند انتصاف النهار بعد ان اعيانهم السير ودوختهم جيوش
 العرب التي كانت تحيطة بهم وتجاذبهم القتال وبينما هم في حالة الدفاع نظروا الامير
 قد اقتض عليهم هو ومن معه كالعقبان على مستضعف الطيور فتخبرت عساكر فرنسا
 واستولى عليها الدهش ولم يجد الجنرال مسلماً يقودهم اليه ولا مغيباً يفرج عنهم ما هم
 فيه فاندفع آخر العسكر الى الامام واولهم الى الخلف واخذ الطوبجية ذات اليمين

فغرقت عجالتهم بدافعها في تلك المخاضات المهلكة التي لا اطلاع لهم عليها من قبل
وتفرقت كتائب العسكر وانقلابت من هنا الى هناك ابتغاء الخلاص ولات حين مناص
واقتم اكثرهم مسيل النهر فاخذهم ولم يات الغروب الا وقد تشتت من بقي منهم
وتركوا موتاهم وجرحاهم وسائر ذخائرهم في يد العرب واسرعوا متسابقين الى ناحية
ارزيو دون انتظام لا يلوي بعضهم على بعض فوصلوها ايلاً في الساعة السابعة واما العرب
فانهم باتوا تلك الليلة في ابتهاج لا مزيد عليه وارتفعت اصواتهم وتعالت مشاعلهم
واقاموا على ذلك طول الليل ولو سعد انسان الى الجولاي منظرًا عجيبًا وسمع اصواتًا
كالرعد القاصف وتراءت له هضبة تجتمعة من رؤس الجيوش الفرنسية وقال غيره
لما ارتحل الجنرال تريزيل من حرش مولاي اسماعيل قاصدًا ارزيو حشرته جيوش
العرب عند المقطع وهو المحل الذي اعده الامير عبد القادر لدفن العساكر الفرنسية
ثم هجرت عليه جموع المسلمين يقدمها حضرة الامير كالعقبان على الطيور الضعيفة
وفي اقل زمان فتكت في العساكر فنكاً لم يعهد نظيره وكرت على باقي الجيش
فشتنت شمله ولم تكتف حتى حكمت سيوفها في اعناقهم وقد حاول العسكر الفرنسي
الذي اكثره جرحي ان يفروا فلم يهندوا الى الطريق ومن اقتم النهر منهم هلك والعرب
في وسطهم كالجزر استعمل مديته في اعناق غنم محبوسة وفي وقت الغروب تلاحق
الباقون وفيهم الجنرال تريزيل في سهل ممتد على سيف البحر وساروا الى ارزيو
ولو اتبعهم العرب ما تركوا منهم تخبراً انتهى





وعدا رسم الامير
وحملته على فرنسا وبين في هذه الواقعة

اخبرني من يُعتمد بنبهه من احبائي قال حدثني من اثق بجديته وامانته من اصحابي قال ذهبت سنة سبع واربعين ومائتين والى مدينة وهران بقصد التجارة بها وذلك عقب استيلاء الفرنسيس عليها قال وكنت يومئذ في سن الشباب حين بقل عذارى فاقمت بها مدة وكان الحاج عبد القادر بن محيي الدين اذ ذاك مهادناً لكبير الفرنسيس بوهران والجزائر قد انزل كل واحد منهما ببلد الآخر وكيله وتجاره على العادة في ذلك ايام الهدنة فلما كان ذات يوم ورد الخبر بان قبيلتي الزمالة والدوائر من ايلة الحاج عبد القادر وهم نحو انفي خيمة قد فروا منه ونزلوا حول مدينة وهران مستجيرين بالفرنسيس وقد رفعوا رايتهم واعلنوا بانهم تحت حكمه ومن جملة رعيته فبعث اليهم الفرنسيس يعلمهم بانه قد قبلمهم ولا يصيبهم مكروه فلما كان من الغد بعث الحاج عبد القادر مع كبير دولته الحاج الحبيب ولد المهر العسكري كتاباً الى الفرنسيس يقول فيه انك قد علمت ان هؤلاء القوم الذين فروا اليك هم ريعتي ومن اياي وعليه فلا بد ان تردهم عليّ والا فالحرب بيني وبينك فامتنع الفرنسيس من ردهم واجاب الى الحرب وانتقوا ان يخرج كل منهما الى الآخره تجار الذين في ارضه وان من بقي منهم بعد ثلاثة ايام فدمه مدر وانتقوا ايضاً على ان يكون الوكيلان آخر من يخرج وان يكون خروجهما في ساعة معلومة من الليل بحيث يلتقيان على المحدة التي بين ارض المسلمين وارض النصرارى ففعلوا وخلص كل الى ما منه ولما انقضى الاجل تراحفوا للقتال في يوم معلوم فكانت بينهم حرب يشيب لها الوليد ولما كان المساء سمع الناس من داخل البلد ضوضاء وجلبة عظيمة وباروداً كثيراً واذا بالحاج عبد القادر قد هزم الفرنسيس هزيمة شنعاء حتى الجاهم الى سور ارزو وازدحموا على ابوابه وركب بعضهم بعضاً وجاءت خيالتهم من خلفهم فركبهم ايضاً ومشوا عليهم ورفسهم بخيلهم فهلك بهذا الازدحام من الفرنسيس نحو اربعة الاف غير الذين هلكوا خارج البلد بالكور والرصاص والتوافل والرماح واستولى المسلمون على معسكر النصرارى بما فيه من مدافع وعجلات وفساطيط واخبية واثاث وكانت فتحة بكرة ثم قال لي وكنت في تلك المدة مساكناً لبعض كبراء عسكر الفرنسيس في دار واحدة فلما انقضت الواقعة بيوم اويومين سألته كم تراه يكون هلاك من عسكر الفرنسيس في هذه الواقعة قال اقرب لك ام ابعد قلت بل قرب قال انا كبير من كبراء العسكر وتحت نظري ثمان عشرة مائة بقي منها في هذه الواقعة ثمانية عشر عسكرياً انتهى كلام المخبر

واستشهد في ذلك اليوم العظيم من روءساء العسكر المحمدي الاغة قدور بن بجر

ومن اعيان الجيوش المتطوعة خليفة بن محمود الذي كان ايام المعاهدة وكيلاً في اريزو
والسيد محمد بن الجيلاني الورغي والسيد محمد المشرفي في عدد من المسلمين ثم ان
الامير امر بجمع الغنائم ودفن المجاهدين وانتحل الى سيك وبعث الاسرى والغنائم الى
الحضرة وكتب الى خلفائه في مليانه والمدية يبشرهم بما من الله به على المسلمين من
عجيب الانتصار الذي خلف لعدوهم تريزبل عند دولته العار والشنار وبعد ان اقام الامير
في سيك اياماً ارتحل الى حضرته معسكر وكان عمه سيدي الجد علي ابي طالب
قدم اليه ثاني يوم المقطع قصيدة تهنئة يقول فيها

هنيئاً لك البشري نصرت على العدى * ودمرت جيش الكفر بالقتل والخسف
وحزت مقاماً دونه كل باسل * يرى الحرب ميدان الخلاعة والقصف
بجيش عظيم قد تفرد في الرغى * له سطوة عزت وجلت عن الوصف
فسعدني بعز مذ حلات بشطنا * تطوف بكاس الراح نخضوبة الكف
تعاطيك طوراً من لهيب ومن لظى * وآونة تاتيك بالقرقف الصرف
ولما تولت خيانا ورجالنا * مددنا لم ايدي النزال الى السيف
بكل جواد يسبق البرق عدوه * وآخر يطوي الارض كالريح والظرف
نهار بدا كالليل اظلم حالصاً * اصبنا لم الفي قتيل مع النصف
قلبنا لم ظهر المجن عشية * فمالوا الى حب الحياة عن الحنف
وبدد شمل المشركين بنصرة * ازال غياهيبة الضلالة باللطف
امام له تبدو المعالي بقطرنا * فله ذاك الفرد قد قيس بالالف
امير شريف في البرية مفرد * وفرع لمحي الدين اغنى عن الوصف
صرفنا به غم الزمان وكربه * وغبنا عن الدهر المروع بالصرف

❁ الى ان قال ❁

وتبني اصول الحب فيك على الوفا * اذا ما بناها الكافرون على حرف
يحيمك دهر انت ظرف وراه * وما كل خل طرفه لك كالظرف
وان اخا الود الذي عم فضله * ليقنع من تلك الشمائل باللطف
الا لا ارانا الله فيك اساءة * فدم لعروس الملك زاهية العطف

❖ وهنأه بعض الادباء ايضاً بمقصورة مطلعها ❖

هون عليّ الامر يا دهر فما ❖ انصفني ولا قلبت المشتطاً
عسى الذي اجذب روح مهجتي ❖ يخضب مني روحه الوصل عسى
او يرتضيني حضرة المولى الذي ❖ ساوى الذي مضى وما ياتي ورا
باهت به الاقبال عند حربها ❖ لما رات نار الحروب تصطلي

❖ ومنها ❖

ادرك ثلراً في العدى بحزمه ❖ كعمر الفاروق فيما قد مضى
وير امر الملك حتى شاده ❖ برغم من عاداه من كل الملالا
جاهد في الله وامسى ضارباً ❖ بسيفه هامات عسكر العدى
قاتل اهل الكفر لا يبغى بدا ❖ الا رضى مولاه في يوم الجزا

❖ ومنها ❖

نفر لعبد القادر المولى السري ❖ يبقى ليوم الدين حيث الملتقى
ابن الملوكة الصيد والقوم الاولى ❖ يروى حديث مجدهم عن روى

❖ ومنها ❖

رقيت يا كهف الانام للعلي ❖ وكل باغ سقته الى الردى
بشرى لك النخ الذي اوليته ❖ هنئت بالنصر وادراك المنى

❖ ومنها ❖

نفسى لك الفدا وكل من على ❖ وجه بسيط الارض ذاته فدا
محييت ظلم الشرك والكفر ايا ❖ نتيجة الدهر سليل المصطفى

❖ ومنها ❖

يزهو به الدهر العبوس بعدما ❖ قد كان قدماً قبله على شفا
ندا حداة النصر لا يجيبه ❖ الا امير قد اجاب من دعا
حاز الكمال كله بين الورى ❖ علماً وحلماً ثم ملكاً وثقى

ولما بلغ حاكم الجزائر خبر هذه الواقعة اصدر امره الى الجنرال تريزيل ان يتخلى عن وهران ويسلمها الى الجنرال دولورانج ويحضر الى الجزائر فتعلم وطار الخبر الى دولة فرنسا فاحتدمت لذلك وكثر الشغب ونودي في تحافهم ان العرب هدموا

شرف فرنسا فتحررت فيهم الحمية قال بعض مؤرخيهم قام احد الاعيان في مجلس النواب وقال ان هجوم الفرنسيين على بلاد الجزائر اراه من الاعمال الناشئة عن الطيش والهوس لان سائر الاعمال الحربية فيها لم تأت بنجاح والمدن التي استولوا عليها لا ارى فائدة لهم في الاقامة فيها ثم قام المسيو تيبيرس الذي تقلد رئاسة الجمهورية الفرنسية سنة ثمان وثمانين ومائتين والف وسنة احدى وسبعين وثمانمائة والف بعد حرب المانيا فقال ان غزوتنا الافريقية لا تحسب من قبيل المهاجرة ولا من قبيل المطالبة بقصد التملك وحالنا في تلك الاقاليم لا يحكم عليها بانها من احوال الحرب ولا من احوال السلم وقصارى ما اقول انها غزوة باطلة عارية عن الفائدة ولا اقول هذا طعناً في حق عساكرنا بانهم ليسوا باهل شجاعة وان قوادنا ليسوا باهل معرفة ولكن اقول ان الحرب لا يكون الا لامرين اما للفتح واما للتربية فان كان الاول فليس هذا سبيله وان كان الثاني فلم نحصل عليه ولم نصل اليه فلما سمعت رجال المجلس هذه الخطب تغيرت افكارهم وكثر الضجيج وكاد ان يخل نظام المجلس ثم اتفقوا على ان ينفذ المجلس في ذلك اليوم ثم يعقد مرة اخرى ومن الغد اجتمعوا وقر قرارهم على عزل الكونت دوروان ودورلون حاكم الجزائر وتولية الماريشال كلوزيل مكانه واقرار الجنرال دولورانج على ولاية وهران وامروا كلوزيل بالحمل على معسكر عاصمة مملكة الامير عبد القادر واما الامير فانه علم ان يوم المقطع وان جاء بنصر عظيم وتأيد جسيم فانه قد فتح باب حروب يشيب لها الوليد وينقاعس عن دخول ميدانها البطل الشديد فشغله هذا التصور عن التبجح بما اوقعه بعده واخذ يتأهب للحرب ويستنهض هم المسلمين وكتب الى خلفائه ينبههم ويستلقتهم الى سطوة الفرنسيين ويذكرهم بشدتهم وعدم تغافلهم عما وقع بعساكرهم وكان السيد محيي الدين بن علال خليفته في مليانه كتب الى قبائل البربر المستوطنين في ساحل ولايته الدائنين بطاعة الفرنسيين يدعومهم الى الدخول في طاعة الامير والتعاون على الجهاد ودفاع العدو عن البلاد وينبههم من غفلتهم ويقرع اسماعهم بما صاروا اليه من الريال والخسران في الدنيا والآخرة فقال اعلموا ايها القوم اني رايت انه من الواجب علي ان ارشدكم الى ما فيه صلاحكم والقيام بامر دينكم ولكن اخاف ان تكون اذانكم صماء عند ذكر نواحي الناشئة عن صفاء طوبى لكم وصدق نيتي في امركم ولا شك ان الله تعالى يعذب عليكم لكونكم اطعته عدوه الذي يعبد غيره اما تذكرون الآخرة واهولها اما تعلمون ان المسلمين كالبنيان يشد بعضهم بعضاً اما سمعتم قوله تعالى وتعاونوا

على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واي بر اعظم من اداء فريضة الجهاد
واي اثم يقاس بطاعة الكفار والدخول في زميرتهم والانحياز اليهم اما بالغم قوله تعالى
ومن يتولم منهم فانه منهم وبالجملة فان ما اتمه عليه ضلال مبين وخسران لا يقاس
به خسران فبادروا رحمكم الله الى الاقلاع عما اوجب لكم ذلك وتوبوا الى الله تعالى
ايها المؤمنون وهلموا الى الانضمام الى اخوانكم المسلمين وهاجروا الى مواطنهم واتركوا
منازلكم التي هي الآن في خطر عظيم ولا يمسم خوف على انفسكم واموالكم وانا الزعيم
والكفيل بذلك واذا خالفتم امري ولم تقبلوا نصيحتي واقمت في خدمة الكفار واعانتهم
على المسلمين فانكم قد القيمة بانفسكم واولادكم الى التهلكة وعرضتموها لمقت الله تعالى
ولسيوف المسلمين كما هو مقتضى الشريعة السمعية فافهموا كلامي وتعالوا نتفق ونجتمع
على كلمة واحدة وقلب متحد بحيث اذا حرك احدنا يده تحركت جميع الايدي معه
فافهموا وبادروا الى ما فيه وقاية انفسكم وحماية اموالكم وثقوية دينكم وما يبعدكم عن
غضب ربكم وانظروا الى ما فعله الفرنسييس وخلفاؤهم من المنافقين بعلال بن الراعي من
التعدي على مواشيه وكراعه ظلماً وجوراً واذا وفقكم الله الى ما دعوناكم اليه وصرتم
الينا فاننا نعوض عليه اضعاف ما اخذه العدو منه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فوقع هذا التحرير عند اولئك القبائل الكثيرة العدد موقعا حسنا واجابوا جميعا الى
الدخول في الطاعة وهاجروا من بلادهم وارقوا مساقط رؤسهم ولحقوا بالجلال القريبة
من ملبانه وسهولها وانخرطوا في سلك اخوانهم المسلمين ولما رجع الامير الى معسكر من
واقعة المقطع بعث الى خليفته المذكور ان يجمع جيوشه ويغزو على الجزائر فغزاهما في
خمسة آلاف مقاتل وكان هو هلاء القوم في مقدمة الجيش ومروا في طريقهم في
سهول متيجة واعظموا النكابة بالمستوطنين فيها وفتكوا بهم واشنؤهم بالقتل والاسر
حتى وصلوا الى ابواب مدينة الجزائر ثم انقلبوا بها في ايديهم من الاسرى وضروب
الغنائم من الامتعة والمواشي واوعز الى خليفته البوحميدي في تلمسان ان يجمع الجيوش
وينهض بهم الى منازل وهران فنازلها وضرب الحصار عليها وقطع عنها مواصلة المستنصرة
قال بعض مؤرخي الافرنج وبجسب الامر فعل البوحميدي جميع ما امره به الامير
وصار الفرنسييس داخل وهران في اشد الضيق الا انهم احسن حالا من اسرى الحرب
وكاد الامير ان يحقق قوله انه لا يسمح للطير ان يجول من غير اذنه فوق المدن التي
استولى عليها الفرنسييس الذين امسوا كالمغلول يطلب الخلاص من قيوده يتنفسون الصعداء
ونثفت اكبادهم غضبا واقاموا يترقبون وصول المدد مع اوامر الهجوم ليندفعوا على

ذلك الامير الذي رماهم بسهام نباهته المدهشة انتهى واستمر الامير في معسكره ينتظر ما يحدث من دولة فرنسا وفي الثامن والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين والثالث عشر من اغسطس سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف وصل الماريشال كلوزيل والدوق دورليان ولي عهد ملك فرنسا الى الجزائر مع مقدار وافر من العساكر فتلقيها بالاكرام واصطفت لها الجنود عند باب البحر بالزينة الكاملة ومن الغد جلسا لقواد العسكر واعيان البلد واطلمعهم الماريشال على اوامر الدولة بولايته على مدينة الجزائر وعلى حرب الامير واخبرهم ان ابن الملك انما حضر معه ليراقب اجراء الاوامر فضح القوم استحياساً لذلك وانشدوا الاشعار الميحية المشهورة بغناء الجزائر لاختذ النار فوهم الماريشال لذلك واخذ ينكلم عليهم فيما يفتتح به امره وقال اول ما نبتداً به ان نزحف بجيوشنا على عاصمة الامير وان ساعدنا الوقت في الاستيلاء عليها نتمكن من اخذ النار ونشفي انفسنا من العرب ثم نعقد مع الامير عبد القادر صلحاً باتاً لكل نزاع فضجوا في تحافهم وكثر تصفيقهم استحياساً لخطابه ولما رأى ارتياح القوم لما القاه اليهم وشاهد منهم النشاط لاخذ النار يوم المقطع واخذ الطيش وتحيل انه استولى على سائر البلاد ودانت له بالطاعة والخضوع وجعل ما ارتسم في خياله محسوساً في الخارج ولم يكتف بذلك حتى رسم خريطة جعل البلاد فيها اقساماً وعين على كل قسم منها عاملاً وبعد مضي شهرين امسى ما تحيله هباءً منثوراً قال بعض مؤرخيهم ان اعمال هذا الماريشال قضى الله عليها ان تناقض ما تحيله وتنتج له خلاف ما توهمه لانه ارسل البعوث الى جهات مختلفة يستفسر بها عن الاحوال ففسرت صفتها ورجعت للجزائر مغلوطة لا يلوي بعضها على بعض وامسى الماريشال في كدر لا مزيد عليه لما حصل لجيوشه من الفشل والخيبة واتخذ الناس خطابه وخريطته هزواً وسخرية

❖ ذكر مسير الماريشال كلوزيل وولي العهد من الجزائر ❖

❖ الى وهران واستيلائهما على عاصمة الامير وخروجهما منها ❖

وفي اول ديسمبر من السنة ركبا اسطولهما في العساكر والذخائر الى وهران وخيما خارجها وفي السابع والعشرين منه سارا قاصدين بعسكر باثني عشر الف عسكري وكان مع الامير ثمانية آلاف خيال والنان من المشاة واربع قطع من المدافع وكان يتربص الفرصة بانفصال خطوط العساكر الفرنسية ليكون الهجوم عليها مناسباً الا ان الجنرال كان يتجنب ذلك وجيشه مضموماً الى بعضه ووجهه تجاه ميمنته متقدماً لمهاجمة

العرب فتركه الامير يمتنع ببنازلة مقدمة العرب واندفع لمعارضة الطريق التي توّدي الى معسكر ويمينته كانت محمية بحرش وميسرته مقيمة على تل اقر عليه الطوبجية وكان ترتيبه هذا مما يجلب الاكرام لجنرال اوروي فانه كان يتمكن للقائد المقتدر ان يأخذ مركزاً حريياً مناسباً فاصلاً للنزاع لان الخاذق بفن الحرب يجعل الوقت والفسحة خاضعين لما ربه على ان الامر قدر له بان يخنبر وقتئذٍ وبتكره مبادئ فن الحرب الاوروي في وقت النزال واخلاء المركز من تحت ارادته كانت وسائطه دون المطالب التي تقضيها حذاقته كذا قال بعض مؤرخي الافرنج ثم ان الامير لما راي العدو لا يثنى عزمه شيء زال عن وجهه وانسحب الى قصر عائلته بالبستان المسمى بكشرو ولم يخاطر بباله ان يدافع عن حضرته معسكر لان قوته لم تكن قوة حصار وكان يقول لي كل محصور ماخوذ وطير الخبر الى حاكم الحضرة يامر بالجللاء عنها قبل وصول العدو اليها فخرج الناس سراعاً بما خف عليهم من الاثاث والمتاع ولم يتخلف فيها الا اليهود واستمر العدو سائراً والعرب يناوشونه القتال من اطرافه وكان الحشم لما نزل العدو بالبطحاء المعروفة بهيرة شقوا العصا وتطايروا الى بلادهم وجعلوا طريقهم على الحضرة فانتهبوا دار الملك واستولت ايديهم على الخزائن وفشا النهب في البلد وفي السادس من كانون الاول دخلها كلوزيل فوجدها خالية من الاهل والمتاع فاقام فيها يومين وجاءه الامر بقتة بالرجوع فانقلب راجعاً الى وهران وتخلف فيها اوغاد القبائل المنتصرة من الدوائر والزمالة واضرموا النار في اكثر دورها الشهيرة وكان اليوم ماطرًا فلم تعمل النار فيها وباؤها شقاء لآخر الدهر ثم جاء الامير فدخل الحضرة وتراجع اهلها من الجهات وبعد ايام قليلة عادت آهلة عامرة الاسواق واقبلت الجيوش ترد عليها افواجاً متاسفين نادمين على ما سلف منهم من التقصير في دفاع العدو وجاء الحشم واعتذروا الامير واحضروا جميع ما انتهبوه من الامتعة والذخائر ووعدوه بالثبات وحلفوا له الايمان على ذلك وتضرعوا في العفو والصفح عنهم فاجابهم ان مرادي ان تريحوني من الحمل الذي وضعتوه على عاتقي وقدرتني الصوالح الدينية وحدها ان اقوم به الى هذه الساعة فلينتخب القوم خلفاً عني واني ذاهب مع عائلتي الى مراکش فتراموا على اقدامه صارخين انت اميرنا وسيدنا واذا تركتنا فما لنا الا ان نذل لعدونا فقبل الامير توبتهم وصفح عنهم واقبل على رؤساء الجيش النظامي الذين ثبتوا معه ولم يفارقوه وهم احلاس حرب وفتيان كريهة فاحسن السؤال عنهم وشكر شجاعتهم في حروبهم قبل هذه الواقعة واستدرّ ارزاقهم ثم وفدت عليه

اعيان القبائل وامراؤها من القاصية فخطب عليهم وعرفهم بعزمه على استمرار الجهاد والذب عن البلاد فاخلصوا الدعاء وصدرت اوامره بالنفير الى وهران وجعل نهر سيك موعداً لاجتماع الجيوش والحشود واخذ في الالهبة وكان رجل من الحشم يقال له معمر عيناً للعدو على المسلمين فاعتقله وامر بشنقه فشنق في يوم مشهود وتبع من كان على شاكته من الاوغاد فشرّد بهم من خلفهم وجعلهم عبرة وحضر اوارى آفة الحشم بشمسية الملك وكان انتهبها يوم الحادثة فردها الامير عليه وقال له وهو يتبسم احفظها عندك الى ان تصير ملكاً يوماً ما واقره على رئاسته على الحشم الغرابة وجعل نخله بين اقاربه قصاصاً له وعقوبة تذكّر بين الناس وعلى هذه الحال انتهت تلك الحادثة التي ابتدأت بما يشعر بسقوط الامير وختمت برجوع سطوته بعد ثلاثة ايام بما بهر العقول قال بعض مؤرخي الافرنج ولطف الله تعالى هو الذي قاد الشعب العربي الى الميدان الذي شعر فيه بخطئه والهده اظهار الطاعة فاتخذها كفارة عن الذنب الذي ارتكبه فكان ذلك من اعظم الاسباب لتجديد قوة الامير ووقوع هواجس الخوف والرعب في العسكر الفرنسي وحثائه من قبائل العرب وكان الآفة المازري وغيره من روءساء الدوائر والزمالة الزنهم الامير بسكنى الحضرة باهلهم وارتحلوا اليها كما تقدم من حوز تلمسان وسكنوها ولما قصدها كلوزيل وولي العهد في هذه المرة وخرج اهلها الى الجهات كانوا فيمن خرج ثم ساروا ليلاً ولحقوا باخوانهم في جوار وهران رغبة في موافقتهم على طاعة الفرنسيين والدخول في زميرتهم وكان مصطفى بن اسماعيل عم المازري محصوراً في قلعة المشور بتلمسان مع الكول اوغل وكانوا بعد اذعانهم الامير ودخولهم في طاعته انتقضوا عليه ووافقوا ابن اسماعيل على التمرد والرضى بالردة فلما بلغه ان ابن اخيه المازري ارتد ولحق بوهران ارسل اليه يستنجده في امره ويطلب اليه ان يرفع امره الى كلوزيل ففعل

❖ ذكر خروج بوشناق التركي الى الحضرة ورجوعه الى مستغانم ❖

ولما اتصل خبر الامير بكلوزيل بعث الى بوشناق حاكم مستغانم ان يتوجه بجيشه الى نواحي الحضرة ليشغل الامير عما هو بصدده ففرج حتى انتهى الى البطحاء ومعه اعيان البرجية في قومهم وطار الخبر الى خليفته فانهدر اليهم في الجيوش الاسلامية وناجزهم الحرب واستمد القتال بين الفريقين وابلى المسلمون بلاءً حسناً في ذلك اليوم واتصل الى الليل ثم رجع كل فريق منها الى معسكره وفي تلك الليلة عمد المرتدون

من البرجية الى نهر هبرة وفتحوا فيه افواهاً فاناطلق الماء منها على السهل حتى عمه فلما اصبح المسلمون وراوا انه قد حيل بينهم وبين عدوهم ارتفعوا الى الجبل وانقلب العدو راجعاً الى مستغانم

﴿ ذكر واقعة واصل في نواحي تلمسان ﴾

ولما بلغ الامير خبر المازري ورفقائه وما ازمع عليه الماريشال كلوزيل من الاجلاب على تلمسان تأهب لدفاعه وكانت عساكره النظامية نخيمة في سهل بني يخلف من ضواحي الحضرة فولى السيد محمد بن فريجة بن الحضرة خليفة في الحضرة وما اليها ورتب له جيشاً من العسكر النظامي ونهض بباقيه الى نهر سيك حيث العسكر العام فعرض الاجناد والحشود ثم سار غازياً على ابن عوده الزمالي في قومه فصحبهم وهم على جبل اغبال المطل على سهل ملاته المتصل بوهران فاكسحهم وقتل ابن عوده في حومة القتال ولم ينجح من قبيلته الا الذي فرّ في الشعب واستولى المسلمون على جميع اموالهم واهليهم وامتلات الايدي من اثارهم وامتعتهم ثم بعث الامير بسبيهم الى الحضرة وارتحل الى ثنية ما خووخ فسمع بنزول عرب انكاد في المنصورة خارج تلمسان نجدة لابن اسماعيل والكول اوغلي فسار منها حتى انتهى الى الحناية بالقرب منهم وخرج ابن اسماعيل والكول اوغلي لينضموا الى انصارهم فحيل بينهم ثم قسم الامير جيوشه فرقين فرقة جعلها رداءً له وفرقة تقدم بها لقتال عرب انكاد فناجزهم الحرب واتصل القتال عامة اليوم وكن الظفر الامير في الجانبين وارتد ابن اسماعيل وقومه على اعقابهم فدخلوا القلعة وتحصنوا بها وتركوا في حومة القتال ما يزيد على مائتي قتيل ومثاهم جرحى وامتلات الايدي من اسلابهم ومهنتهم واما عرب انكاد فلانهزموا من اول طلق وجعلوا طريقهم على اثقالمهم فحملوا منها ما قدروا عليه وابتعدوا المفر فاستولى العسكر على اكثر نساءهم واولادهم وامتعتهم وجرح قائدهم عبدالله ابن الغماري واستشهد من الاعيان ابو زيان مصطفى النكاري قائد الشمسية الملوكية وابو حميد الزايري واشتهرت هذه الواقعة باسم المحل الذي وقعت فيه ثم ارتحل الامير واحتل بوادي الصفصيف وتقدم الى تلمسان وضرب عليها الحصار الشديد وبالغ في التضييق عليها

❖ ذكر مقتل الخليفة ابن فريجة وولاية السيد مصطفى ❖

❖ ابن التهامي على الحضرة ❖

وبعد ان اقام ابن فريجة في اعالي البطحاء اياماً ارتحل الى بلاد البرجية وضربت له الخيام بالقرب من قرية البرج وطلق الجيش يلعبون على الخيل ويطاقون بواريدهم بالبارود على عادة اهل الوطن والخليفة ينظر اليهم وهو في خيمته فاصابته رصاصة في صدره فات لوقته وعظام المذاب وانقلب السرور حزناً ووقعت الريبة على بعض الفرسان فسكوا ورجعت الجيوش الى الحضرة ونما الخبر الى الامير وهو محاصر لتلمسان فارسل ابن عمته السيد مصطفى بن التهامي الى الحضرة وقلده خلافتها وبوصوله اليها قبض على زمام الامور ونظر في امر المتهمين فتحققت برائتهم عنده وتبين له ان الامر كان خطأ فاطلق سراحهم وهدأت القلوب والتفت الناس الى اشغالهم

❖ ذكر خروج كلوزيل من وهران الى تلمسان وما آل ❖

❖ اليه امره في تلك النواحي ❖

زعم كلوزيل ان دخوله الى الحضرة يوتر في المسلمين ويحدث في الملك وهناً يحمل الامير على مسالمة الفرنسيس فاقام في وهران ينتظر ما يصدق فانه فلما تبين له ان الامر على خلاف ما زعم ورأى احوال المسلمين قد استقامت في اقرب مدة وكتبتهم اتحدت وعلم ان الامير غير ملتفت الى تخابره بادر لاجراء ما كان وعد به المازري من اغاثة عمه ابن اسماعيل وجماعة الكول اوغلي فسار في عساكره الى تلمسان في الثاني من شوال سنة اثنين وخمسين والثاني عشر من يناير سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ففعل الامير بتلمسان ما فعله بالعاصمة فامر بخروج الاهالي والجللاء عنها فخرجوا بما خفت حمله من الاثاث والمتاع فلما وصل كلوزيل بعساكره الى ساحة البلد قاتله الامير واتصل القتال بين الفريقين من طلوع الفجر الى الزوال وخرج جماعة الكول اوغلي وابن اسماعيل نجدة للعدو وفتحوا له ابواب القلعة فدخلها بعد عناء لا مزيد عليه في السابع عشر والثاني عشر من الشهرين المذكورين وفي الثالث من دخوله خرج من القلعة ووقع بينه وبين الامير قتال شديد تكافأ فيه ثم بث العدو سراياه في نواحي البلد فعتروا على الكثيرين من اهلها فاجبروهم على الرجوع اليها ولما تمكن كلوزيل من زمام البلد وضع خريبة باهظة على اوليائه مثل الكول اوغلي وابن اسماعيل ومن معه من قومه ليسد تنقات تلك الحملة التي

ارتكبتها من غير اذن دولته فانتدب لجمعها رئيس الكول اوغلي مصطفى ابن المقاش فالح فيها على قومه حتى ان الرجل يبيع ملبوسه وفراشه ويؤدي ما افترض عليه وان المرأة تبيع مصاغها وثيابها وتدفع عن نفسها ما افترضه عليها وشاع خبر هذه الضريبة في النواحي فنفرت قلوب الناس من الفرنسيس لسوء تصرفاتهم ثم اتصل الخبر بدولة فرنسا فنقمت ذلك على كلوزيل فخرج من تلمسان راجعاً الى وهران بعد ان ترك فيها حامية وذخائر لنظر القائد كافنيك فلقية الامير بعساكره قرب البلد وانتشب الحرب بين الفريقين واتصل عشرة ايام وكانت الدبرة فيها على كلوزيل وجنوده فرجع مغلولاً الى تلمسان وتحصن بالقاعة ثم جدد عزمه وخرج في الثالث من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين والعاشر من فبراير سنة سبع وثلاثين وثمانمائة فالتقاء الامير ثانية بعزم لا يرده راد ولا يصد عنه صادة والح عليه المسلمون في القتال فدمروا اكثر عساكره واستولوا على معظم ذخائره وقد حكى هذه الواقعة بعض موءرخينم بقوله خرج الماريشال كلوزيل بجنوده من تلمسان راجعاً الى وهران فصادف في طريقه اهوالاً حمة وعائين مصائب شديدة منها هزيمة عساكره وتشيت شملها بوادي عوشبه ومنها انه ارتد عن طريقه التي جاء عليها وسلك طريق الساحل الى مرسى رشكون فوصلها على اسوء حال ومنها ان الامير اخذ بمخنقه فيها واقام محاصراً له مدة شهرين كاملين لا يخلو يوم منها من القتال ثم لما اعياه الامر وضائق به الحيلة بعث صريحه الى نائبه في وهران فبعث اليه بالمركب فركبها ببيوشه وحمل ما امكنه من ذخائره ولحق بوهران وكاد الغضب يمزق فواءه وسولت له نفسه امرأ اوتعه في الخجل وهو ما اشاعه في الدوائر الرسمية من انه قهر الامير وغلبه والجاه الى الفرار الى الصحراء فكانت جنوده تتحدث في المحافل والجماع بما يكذب خبره وتعلن بما حل بها من الوبال وبما شاهده من اقدام العساكر العربية وقوة جاشها وشدة باسها وروء ساؤهم يوء يدون ما يخبرون به ثم ان كلوزيل نصب الجنرال دولورانج والياً على وهران والجنرال بهاراغو قائداً على الجند وتوجه الى الجزائر وبعد ثلاثة ايام من سفره سار بهاراغو في ثلاثة آلاف عسكري وثمانية مدافع الى تلمسان ليمهد الطريق بينها وبين وهران فتمكنوا من المواصلة بين البلدين ولما وصل الى نهر تافنا اقام متاريس على شطوط النهر واتصل الخبر بالامير فسار الى ندرومة حيث يمكنه رؤية حركات العدو من كل جهة في المحل الذي تتشعب منه الطريق من تافنا الى تلمسان ووهران واستمر عدة اسابيع يقطع جبال القبائل الممتدة حول تافنا وبقي عدة ليالي من دون رقاد محرضاً وواعظاً ثم توجه ببيوشه واعترض العدو في وادي تافنا في سابع نيسان والتحق

القتال بينهما نهاراً كاملاً ثم ضرب الجنرال معسكره في الوادي ورتب صفوفه على هيئة قلعة ونزل الامير بعساكره بالقرب منه وحاصره في الهيمة التي هو عليها وفي الرابع والعشرين من الشهر تهيأ الجنرال للانتقال من مكانه فضج المسلمون من كل جهة وزحفوا اليه دفعة واحدة غير مبالين بصلصلة المدافع ولا بقعقة البارود وهجموا على المدافع فاستولوا عليها وسار الجنرال بجنوده على الهيمة التي كانوا عليها والعساكر الاسلامية تحيطة بهم تديقهم نكال الحرب حتى اعجزتهم فعسكروا على هيئتهم الاولى . ويؤيده قول بعضهم خرج الجنرال بهازاغون وهران قاصداً تلمسان وحين حل في وادي تافنا التقاه الامير بجيوشه وهجم عليه هجومًا امسى به محصوراً ولما طال عليه الامد امر جيشه بالزحف على جيوش الامير المحيطة به موءملاً ان ينال فرجاً اقله ان تتوسع عليه دائرة الحصار فسوء حظه لم يمكنه من مراده وكانت نتائج افكاره وبالاً عليه وعلى جيشه وقد اظهر العرب ذلك اليوم شجاعة غريبة وكان الامير متمطياً صهوة جواده امامهم يخترق صفوف العسكر الفرنسي غير مبال بما تقذفه افواه بوازيدهم من برد الرصاص ولما شاهدت جيوش العرب بسالة اميرهم ازدادت حميتهم وقوي هيجانهم فهجموا بقوة لا مزيد عليها حتى اتهموا الى المدافع الفرنسية فلم يكن من الطوبجية الا الفشل ولم يسعهم الا الهروب وتسليم المدافع وحينئذٍ تفهق الجيش وارتدوا على اعقابهم مدانعين عن انفسهم حسب ما تقتضى به احوال الحرب فكانت العساكر الفرنسية تركض واخلتها فرسانها يحدونها ومن ورائهم الجيوش العربية تقتك بهم ولم يرتدوا عنهم حتى اتلفوا منهم عدداً وافراً ولما رأى الجنرال ان عسكره قد دمره الحرب وطال عليه الامد ازمع على الهجوم الاخير فتبها وجمع قوته واصبح سائراً على طريق وهران وسار المسلمون ياخذونه من اطرافه الى ان لحق بها في شردمة قليلة وكانت الجيوش الاسلامية قد اخذ التعب من قوتها ونشاطها فجعلوا يتسللون الى اوطانهم ورجع الامير بعسكره النظامي الى ندرومة .

❖ ذكر ولاية الجنرال بيجو على وهران وخروجه الى تلمسان ❖

لما اتصل خبر الجنرال دولورانج وجيشه بدولة فرنسا امتعنت له وجيزت الجنرال بيجو بثلاثة آلاف لآعائته فسار بيجو من باريز في جيوشه الى وهران ثم في السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين واول يولييه سنة سبع وثلاثين وثمانمائة سار الى تلمسان بالذخيرة الى جيشهم المحصور في قلعته وكانت الجيوش الاسلامية

من المتطوعة قد لحقها الضجر وطالت عليها المدة في الحروب فلحقت باوطانها ولما اتصل
خبر بيجو بالامير وهو في ندرومة سار اليه فبين معه من العسكر والتقى الفريقان علي
نهر سكاك واهتاج المسلمون للجهاد وهجموا علي تلك الجيوش الكثيرة فاستطرد لهم بيجو
حتى اجازوا النهر ثم انعطف عليهم فاتحخن فيهم وانكشفوا امامه وكثرت القتلى
والجرحي بينهم ومحض الله المسلمين في ذلك اليوم واستمر بيجو سائراً الى تلمسان وبعد
ايام رجع الى وهران وطير الخبر الى دولته يبشرهم بانتصاره ويتبجح بما اتفق له من
النجاح في اول حركة كانت منه في بلاد الجزائر ثم توجه الى فرنسا وجعل قيادة الجيش
الى الجنرال والستاك

✽ ذكر حصار الامير تلمسان ✽

وبعد واقعة نهر سكاك ارسل الامير في المدائن والضواحي ينادي بالجهاد فاجتمع
المسلمون في الجهات والضواحي التي عينها لم لانتظار خلفائه فيها وسار من ندرومه
بعد ان ازاح العلل في نواحيها فنازل تلمسان بقوته وضيق حلقة الحصار عليها
وضبط خارجها فاشتد الامر على اهله ونفدت ذخائرهم واجهدهم الجوع حتى اكلوا
جميع ما حضرهم من انواع الحيوان وافضى بهم الامر الى اشنع الاحوال ذكر القائد
كافيناك رئيس العسكر الفرنسي المحصور في قلعته انه كان يشتري المهر الواحد
باربعين فرنكاً لقوته واما غيره فانه كان لا يجد فارقاً يقيم به اوده وكانت مدة اقامة
الحصار عليها تسعة اشهر وختم الامير في هذه المدة قراءة صحيح البخاري اربع مرات
وقد اخبرني ابن خالي السيد محمد ابوطالب انه راي نسخة من البخاري في مجلد
واحد عند الشيخ محمد القلي قاضي بجاية كانت الامير مكتوباً بأخرها بخطه ختمت
البخاري بهذه النسخة اربع ختمات وانا محاصر تلمسان عجل الله بفتحها للاسلام
وبسفر كلوزيل وبيجو الى فرنسا انقضت غيوم جيوشهم عن الداخلية ولم تصل يدهم
الى وضع الحاميات في الاماكن التي اختاروها لذلك فيما بين وهران وتلمسان والجزائر
والمدينة ورجعوا الى حدودهم وانحجروا في مدنهم ونازلتهم الجيوش الاسلامية فيها
حتى اجهدهم الحصار واحتاجوا الى الازواد وانقطعت اخبار الداخلية عنهم لشدة الضبط
بحيث ان الجواسيس والسعاة من المنتصرة لم يجدوا سبيلاً الى تبليغ التحارير الى اهلهما
واقاموا على ذلك مدة ولما عميت اخبارهم عن الامير بعث الى السيد حمادي السقال
من اهالي تلمسان يفاوضه في ذلك ويحثه على اتخاذ وسيلة يتوصل بها الى مطالعة

اخبار العدو فاجابه الى مطلوبه ونقدم الى الحاكم في ان يجعل اليه ارسال المكاتب الى
 وهران والجزائر وغيرها ويتكفل بتبليغها ورد اجوبتها فانشرح صدر الحاكم الى ذلك
 وطلق يجمع المكاتب ويسلدها الى سعاة من العرب يرون بها على الامير فيطالع عليها
 ثم يردها اليهم فيذهبون بها الى مواضعها وعند رد اجوبتها كذلك فكان الامير لا يفوته
 شيء من اخبار العدو واحواله ومكائده وما في عزمه ان يجريه معه ثم اناب ابن عمته
 السيد مصطفى بن التهامي على الجيش وسار في شرمزة قليلة من الفرسان الى المدينة
 لما بلغه ان الكول اوغل من اهلها اثاروا الفتنة فيها وكتبوا حاكم الجزائر بطاعتهم فقبض
 على اهل الريبة منهم واذاقهم نكال العقاب واصحح خلل البلد وولى عليها اخاه السيد
 مصطفى بن محيي الدين وانقل راجعاً الى تلمسان وانتقل امره الى طور التايد
 والانتصار على الاعداء وامسى يوم سكاك وغيره من الايام الهائلة نسيماً منسياً ويهيجني
 ما ذكره اسكندر بالمار في تاريخه عند تعرضه ليوم سكاك وهو ان من العجب
 رجوع قوة الامير عبد القادر الى حالها الاولى بعد ان اعترها الاضمحلال والتلاشي
 ثلاث مرات الاولى بعد استيلاء الجنود الفرنسية على عاصمته والثانية بعد غزوة
 تلمسان والثالثة بعد وقعة سكاك وكل حادثة من هذه الحوادث كانت صالحة لان
 تكون سبباً قوياً لسقوط قوة اعظم سلطان راسخ انقدم ومع ذلك فانها لم توءثر
 في امره ولم تحصل الامة الفرنسية منه على طائل فلماذا اقول لله در هذا الرجل
 العظيم الذي كانت سياسته العجيبة وتصرفاته الغربية لا يفارقان ذاته طرفة عين
 ومن هنا تعلم انه كان في اقرب وقت يسترجع ما ينقده من قوته وقال غيره ان
 تلك الوقائع تسمع عقل القوي وتضعف عزمه ولو كان كالمخمر الا ان الامير كان
 لا يبالي بذلك لانه عالم بانه اذا ابتسم نغر السعد فسيفه النار يقدر كل ساعة ان
 يجلب العصاة والمتردة ليخروا عند قدميه

* ذكر مسير كلوزيل الى قسنطينة وهزيمته ثم عزله *

* عن الجزائر وحقوقه بفرنسا *

بعد واقعة عوشبه ورشكون رجع كلوزيل الى وهران ومنها الى الجزائر ثم الى
 فرنسا يستعنب دولته فيما ارتكبه من غزو تلمسان بدون اذن منها فاعتبته واستنجدها
 فلم تنجده وجعلت اليه اوامر الحرب بما عنده من الجنود في الجزائر ووهران فرجع
 بصنقة خاسرة وكان مهتماً بغزو قسنطينة فسار اليها في المراكب في الثامن من

سبعان سنة ثلاث وخمسين والثامن من نوفمبر سنة سبع وثلاثين وثمانمائة وارسى في عنابة وفي الخامس عشر منه احتل بكلمه فاقام فيها اياماً ثم عرض جنده وزحف الى قسنطينة فتلقيه القائد علي بن عيسى واقتتلوا قتالاً شديداً وفي آخر النهار انكشفت الجيوش الفرنسية واتصلت الهزيمة الى نصف الليل واستمر كلوزيل راجعاً الى كلمه تاركاً قتلاه ومعظم ذخائره ومهماته في ايدي المسلمين ثم سار من كلمه الى عنابه ومنها الى الجزائر واتصل خبره بدولة فرنسا فامتعضت له ثم عزلته وعلق بفرنسا وتولى مكانه الجنرال دوبروسوار وقد ساق بعض المشاهير من المؤرخين اخبار كلوزيل فقال اما عمل كلوزيل في فرنسا في سفره الاخير فهو انه تشبث بما رآه سبباً عظيماً في الحصول على مقاصده فطلب نجدة جديدة لكي يتوصل بها الى الاستيلاء على بلاد الجزائر واظهر لوزير الحرب ان الامر لا يتم الا بجيوش كثيرة فلم يجبه الوزير الى مطلوبه ولم يوافق مجلس نواب الامة وانما امر بالرجوع الى الجزائر واجراء ما اعتزم عليه بما عنده من الجنود في الجزائر ووهران فكان هذا الامر موجبا لضعف همته فرجع الى الجزائر وجهز تسعة آلاف جندي وسار في المراكب الى عنابه قاصداً قسنطينة وفي الخامس عشر من شهر نوفمبر وصل الى كلمه وهي مدينة قديمة رومانية خربت في العرب لاول الفتح الاسلامي ولم يبق فيها الا آثار ورسوم فاقام هناك الاستراحة والنظر في احوال الجيش ثم ابني فيها برجاً من خشب وشحنه بالحامية والذخيرة وسار الى قسنطينة وكان القائد علي بن عيسى صمد لهم في العساكر فتناجز الفريقان واخذ كلوزيل يسوق جنده الى لظي الحرب واضرام نارها وبعد هجمات ارتدت جيوش فرنسا على اعقابهم وغلبهم العرب على حمل القنلى والجرحى تتركهم في ايديهم واتخذوا فيهم بالقتل والاسر وبعد العناء الشديد وصل كلوزيل بجيوشه الى كلمه ومنها توجه الى عنابه بعد ان ترك فيها فرقتين من الجنود لنظر الامير الاي دوفيفه ثم توجه الى الجزائر ولما اتصل الخبر بدولته عزلته عن غناب فلقق ببلادها ولم يزل في كدر الى ان مات

* ذكر البعوث الى الشغور *

ولما اتصل بالامير ان كلوزيل توجه في عسكره الى قسنطينة انتز الفرصة ووجه البعوث الى السواحل فسرح خليفته السيد مصطفى بن التهامي والبوحميدي الى وهران في جموع قبيلتي الغرابة وبني عامر ومن انتى اليهم فاكتسحوا نواحيها واشفوا مزارعها

واستولوا على ماشيتها وانتهبوا الابراج والاكوخ القريبة من اسوارها وضربوا عليها
سياجاً من الرماة والانجاد وقطعوا عنها مواصلة المتنصرة من العرب وامست محصورة
من جميع نواحيها البرية ثم سرح الى الجزائر خليفته السيد محمد بن علال فعث في
نواحيها واستباح القرى في ضواحيها وانتبتهت جيوشه ثم اضرموها ناراً واشنوا في
اهلها قتلاً واسباً ووصلت خيله الى ابواب الجزائر وجعل الارصاد على من يواصلها
من متنصرة البربر واقام في تلك الجهة يواصل الغارة على الساحل حتى امتلات
الايدي بالغنائم وضاق الفضاء بالماشية ثم جعل العيون على العدو ورتب الحاميات
والمسلحات وانقلب راجعاً الى حاضرة ولايته مليانه وطير الخبر الى الامير بما اجراه
في حركته وفي اثناء هذه الوقائع حدث ارتباك في فرنسا بين مجالسها وانقطعت
الميرة والمدد منها عن مدينة الجزائر ووهران وغيرها من مدن الساحل والتحق اهله
باهل تلمسان في شدة الانحصر والجوع

ذكر انعقاد الهدنة

ولما اشتد الحصار على المدن التي فيها الفرنسيس وطالت مدته وصاروا الى حالة
يرثي لها ادركهم حسن حظهم ونباهة ابن دران الموسوي فانندب من وهران ولحق
بالامير وهو محاصر لتلمسان وفاوضه في ابرام الهدنة مع حاكم وهران ورغبه بما ينجم
عنها من النوائد مع راحة الجيوش الاسلامية من معاناة الحروب وشدائدها والح عليه
في ذلك فاجابه بشرط ان يطلق العدو اسرى المسلمين فرجع ابن دران الى وهران
واخبر الجنرال دويرو سوار قائد الجيش بما كان من الامير فاطهر ارتياحه اليه ثم قر
القرار بين الفريقين على ان ابن دران يتولى المواصلة بين الطرفين فيما يحتاج اليه
كل منهما من الآخر فيبتاع سائر ما يحتاج اليه الفرنسيس في الجزائر ووهران وتلمسان
من انواع الحبوب والماشية لنفسه من الامير ثم يبيعه الى الجنرال وياخذ منه باثمانها
جميع ما يحتاج اليه الامير من المهمات الحربية ثم يبيعه من الامير وانعقدت الهدنة
على هذا بين الفريقين ثم اطلق الجنرال الاسرى وافرج الامير عن تلمسان وصدرت
اوامره الى خلفائه المحاصرين لوهران والجزائر بالافراج عنهما وارتنع الحجر عن المدن
المحصورة وراجت الاسواق فيها وعاد اهله في ارغد عيش نقده من زمان طويل
وبهذه الهدنة استحصل الامير من عدوه مهمات حربية وذخائر عظيمة وبعد مدة قليلة
استعملها في قهره وكبحه وبهذه الهدنة زادت قوته وتوصل الى فك الذين كان

المسلمون يتأسفون عليهم من الاسرى واستمر الامر على ذلك مدة اخذ كل فريق فيها الراحة والدعة ورجعت له فيها قوته

❖ ذكر ولاية الجنرال دومرمون على الجزائر والجنرال ويجو ❖

❖ على وهران ❖

ثم ان فرنسا اتفق رايتها على نقض الهدنة وتجديد الحرب مع الامير اذا لم يمنح للسلم على شروط ترضيهم فعزل المارشال كلوزيل عن الجزائر ونصب الجنرال دومرمون حاكماً عاماً عاينها وعزل الجنرال دوبرو سوار عن وهران وولى مكانه الجنرال ويجو وسار كل منهما الى موضع ولايته في العدد والعدد فوصل الجنرال دومرمون المحاكم العام الى مدينة الجزائر بثمانين الف عسكري مع مهمتها في اوائل المحرم سنة اربع وخمسين واولائل ابريل سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة والف فارسل له الامير ابن داران ليبارك له في ماموريته ويخبره بانه از مع علي ضرب تقود ويطلب منه ان تجري المعاملة بها في المحلات الحالة بها الفرنسية فاجابه انه لا بد له من الاستئذان من حكومته وبعد مدة ساله عن ذلك فاجاب بان الحكومة لم تسمح حيث لم تحصل المخابرة عليها في معاهدة دي ميشيل وكانت آراء العامة في فرنسا وقتئذ متفقة على ترك الجزائر لاهلها ورجال الدولة كانوا يرون دوام الحرب فيها الى النهاية اولى من تركها وكان الجنرال ويجو مخيراً من دولته بين امرين اما ان ينقض الهدنة المعقودة بين الامير وحاكم وهران السابق واما ان يعقد الصلح مع الامير على وجه يوافق مقام فرنسا وامرت حاكماً العام ان يجري جميع الوسائل والاسباب التي يحصل بها الوهن في قوة الامير او يجري صلحاً متين الاركان مقبولاً عند دولة فرنسا

❖ ذكر انعقاد الصلح وما جرى في شأنه من المخابرات والمفاوضات ❖

ولما وصل الجنرال ويجو هذه المرة كان اشد ما يكون من القوة والحماسة فعزم اولاً على نقض الهدنة واشهار الحرب وكتب مكتوباً يتهدد فيه اهل البلاد وعدل عنه الى مكتابة الامير في الصلح فكتب اليه الى سمو الامير عبد القادر اخبركم انني قد حضرت الى وهران مكلفاً من طرف دولة فرنسا باجراء احد امرين اما الصلح وهو الاولى والا سلم على شروط يكون خيرها ونفعها عاندين على الامتين العربية والفرنسية واما الحرب لآخر درجة تصل اليها الاستطاعة فارجو بعد التأمل

فيما ذكرناه ان تتنازوا لرد الجواب فلما اطالع الامير على المكتوب علم ان اقدام هذا
 الجنرال على الحرب يحمله ولا بد على اخرام نارها وهذا يضر بالمسلمين وان اجراء
 الصلح ولو الى وقت غير مديد لا بد ان ياخذ من سورة الجند الجديد ويكسر شوكته
 وحينئذ تميل انفسهم الى الراحة وتضعف قوتهم ولذا اجاب الجنرال بما اطعمه في
 اجراء الصلح وصورة جوابه الى حضرة الجنرال ييجو اما بعد فقد وصلني كتابكم
 واحطت به علماً فذكرتم ان دولة فرنسا امرتكم باجراء الصلح ان امكن والا فاستعمال
 السيف مع ان دولة فرنسا تعرف اني اشد الناس رغبة في حصول العافية واشدهم بغضاً
 لسفك الدماء بدون موجب شرعي وانها لتعلم اني راغب في عقد الصلح واقامة دعائه
 على اساس قوي لا يتضعع ويشهد لذلك ما خابرتها به على يد سفيرها في طنجة فان
 ساعدت العناية الالهية على اجراء هذا الامر على يدكم فهو دليل على صفاء طويتكم لعباد
 الله تعالى وصدق خدمتكم للدولة والشعب معاً فانظروا ما ترغبون فيه واخبروني به على
 الفور بواسطة رسولي اليكم حتى انظر فيه ولما وصل ابن دران الموسوي بمكتوب الامير
 الى الجنرال ييجو وفاوضه في امر الصلح وزينه في قلبه وقلوب بطانته مالت نفوسهم
 اليه واتفقت كتبهم عليه فكتب الجنرال الشروط الآتية وجعلها كالاساس للاتفاق
 واصحبها بمكتوب نصه الى سمو الامير عبد القادر اخبركم بوصول رقيمكم وجميع ما حواه
 من كلامكم صار معلوماً عندي ولرغبتي في حصول الخير الامتين قد حملت الرسول
 ورقة ذكرت فيها الشروط التي يتوقف اجراء الصلح عليها واني اطلب ان تقبلوا
 احترامي لجنابكم العالي ونص الشروط التي كتبها الاول ان يعترف الامير برئاسة
 فرنسا الثاني تحديد مملكته الى نهر شلف الثالث اداء جزية الرابع ان يعطي رهنية
 كفالة وفعلاً موافقاً لكل معاهدة يتفق عليها في المستقبل الخامس كل من التجأ
 من الامتين الى الاخرى لا يجبر على الرجوع الا اذا كان قاتلاً ولما اطالع الامير على
 هذه الشروط صعب عليه قبولها فرد اليهودي فوراً وامره ان ينهي للجنرال ييجو
 اشفاهاً ان الامير يرى انه لم يزل على الحال التي كان عليها من قبل المخابرة بل يرى
 انه في مقام اعظم واعلى فلا يمكنه ان يقبل هذه الشروط المجحفة بقامه الذي اعترف
 به من تقدمك من حكام الجزائر ووهران بمعاهدة الجنرال دي ميشيل لا سيما والمسلمون
 لا يرضون ان يكونوا تحت حكم الافرنج فان كانت دولة فرنسا تريد اذلالهم واخضاعهم
 لحكمها فدون ذلك حرب طويلة الذيل مديدة السيل ثم ان ابن دران بلغ الجنرال
 ما سمعه من الامير وفاوضه في اقليم تيطرى نقال له انما كان استيلاء الامير عليه برضى

اهله وعن طلب منهم وعلى هذا فلا تسوغ له ديانته وشرف نفسه ان يفوت قوماً مسلمين سلموا اليه ارواحهم واموالهم على انه ليس من مصلحة الفرنسيين ان يستولوا على قوم هم لهم كارهون فالاولى ان تعدل دولة فرنسا عن هذه الشروط وامثالها وتجعل الصلح مبنياً على شروط تجارية في الاساكل التي بيدها وتعرض عما سوى ذلك ثم قرره من عنده ان الامير يمكن ان يسمح للفرنساويين ان يعمرؤا سهل متيجة ما عدا البليدة ويمنحهم ضواحي وهران الواقعة على الشط البحري الممتد منها الى مستغانم بحيث لا يتعدون سيف البحر وان يتعهد لكم بالقيام بحقوق كل فرنسوي يختار الإقامة في داخل مملكته وبكونه يدفع عنهم كل تعد من العرب وان طرأ على اموالهم شيء من ذلك فعليه ضمانه وقد آلى على نفسه انه لا يسمح بمقدار فتر من الشطوط لدولة اجنبية غير دولة فرنسا واحتراس اليهودي بهذا دفعا لما بلغ فرنسا من ان دولة انكلترا ارسلت للامير معتمدين ليجهلوا معه معاهدة بناء على ان يعطيهم حق التملك في مدينة وهران التي هي في يد الفرنسيين ودولة انكلترا تتعهد باخراج الفرنسيين منها ومن جميع القطر الجزائري فلم يقبل الامير بذلك فلما سمع الجنرال هذا التقرير استكان له وكتب هذه الشروط اولاً يعترف الامير براسة فرنسا في افريقية ثانياً ان فرنسا تحنظ لذاتها في ايباله وهران بقعة عرضها من عشرة الى اثني عشر فرسخاً ابتداءها من وادي المالح وانتهاءها نهر شلف وفي ايبالة الجزائر تحفظ لذاتها مدينة الجزائر وهي تغلخ له عن ايبالة تيطرى ووهران ما عدا البقعة المذكورة آنفاً ثالثاً يدفع الامير جزية سنوية من حبوب ومواش رابعاً ان يكون لتجارة حرية تامة خامساً يتكفل الامير بكل الاموال التي تحتاج اليها فرنسا في الحال والاستقبال فلما وصلت للامير واطلع عليها عدل عن مخاطبة ييجو وكتب الى الحاكم العام دومرمون انه غير خفي على حضرتكم ما جرت به المخابرة بيننا وبين الجنرال ييجو حاكم وهران في عقد الصلح والعدول عن عادية الحروب التي اضرت بالامتين وحيث انني وجدت مطمح انظاره بعيداً عن المطلوب عدلت عن مخابرته الى مخابرة حضرتكم موءملاً النجاح في ذلك ولبعد المسافة بيننا عزمت على التوجه الى المدينة حاضرة ولاية تيطرى لاكون فيها قريباً منكم وبذلك تسهل المخابرة بيننا فاهتز الحاكم لهذا الخطاب فرحاً وكان جوابه الى سمو الامير عبد القادر سلطان العرب . اخذت مرسومكم وفهمت منه ميالكم لوضع حد فاصل لنوائب الحرب غير انني الى الان ما وقفت على ما جرى بين سموكم وبين الجنرال ييجو واني اعنقد رغبتم في صلح الجنس البشري عمومًا

واطلب من الاله القادر ان يمنحنا قوة على تذليل الامور الصعبة واجراء ما نرغب
 فيه جميعاً من الخير العمومي وارجوكم ان تقبلوا احترامي ثم توجه الامير الى المدينة
 وفاءً بوعده ولما اتصل بابن دران الموسوى ما جرى بين الامير وحاكم الجزائر من
 المخابرة خشي ان تحصل الموافقة بينهما على يد غيره فتقدم الى الجنرال بيجو في ذلك
 وعظم له الامر وقال ان هذا مخالف لامر الدولة فاستشاط الجنرال غيظاً وطير
 شكواه بالحاكم العام الى دولتهم فخطأت الحاكم فيما اجراه من قبول المخابرة مع الامير
 بدون علم بيجو ونهته عن التداخل في امر الصلح بل يترك امره الى بيجو وفي
 الوقت كتب الى الامير قد اخبرتمك بشديد رغبتى في اجراء الصلح والى الآن لم
 ازل على ذلك غير ان امر الحرب والصلح منوط بالجنرال بيجو فان وجدتم وجهاً مناسباً
 لاجرائه معه فافعلوا واقبلوا منى مزيد الاعتبار لمقامكم ولما اطلع الامير على هذا
 التعمير اضطره الحال الى الرجوع الى عاصمته وبعد ان اخذ الراحة سار الى نواحي
 تلمسان وارسل الى الجنرال بيجو هذه اللائحة جواباً عن لائحته وهي اولاً يعترف
 الامير بسلطة فرنسا ثانياً كل المسلمين الذين يسكنون خارج المدن يكونون تحت
 حكمه ثالثاً ملك فرنسا في الغرب ينحصر في البلاد التي بين البلدة والبحر ويمتد الى
 حد المقطع ومن جهة مدينة الجزائر يسمح لهم ان يستولوا على البلاد التي بين تلك
 المدينة ونهر بني عزا رابعاً الامير يدفع عشرين الف كيلة حنطة ومثلها شعيراً
 وثلاثة الاف راس من المواشي في هذه السنة فقط خامساً للاميران يشترى من
 فرنسا باروداً وكبريتاً وسلاحاً سادساً ان الكول اوغل الذين يختارون ان يبقوا
 في تلمسان تحفظ اموالهم ويكونون تحت حكمنا ولم ان ينتقلوا الى ارضنا سابعاً
 ان الذين يتركون ارضنا او ارض فرنسوية ينبغي ان يسلموا عندما يطلبون من احد
 النريقين الذى ينتمون اليه ثامناً ان نترك فرنسا للامير رشكون وتلمسان مع قلعتيها
 والمدافع والبهواوين التي بهما من قديم والامير ينقل ما فيهما من الذخائر الى وهران
 تاسعاً ان تكون التجارة حرة ما بين العرب والفرنسويين عاشراً الفرنسوية تحترم
 عند العرب كما ان العرب تحترم عند الفرنساوية الحادي عشر الامير يتكفل بانزاع
 والاموال التي تحصلها النرسوية ويتمتعون بها بحرية وبعد مراسلات عديدة كتب كل
 منهما شروطاً توقف الجميع في قبولها ثم ان بيجو اعتمزم على تجديد الحرب وخرج
 بيجوشه من وهران الى الناحية الغربية ولما احتمل بتافنا بعث بالميرة والذخيرة الى
 تلمسان في جيش كثيف واتصل الخبر بالامير وهو في نواحي ندرومه فبعث في

الجهات يدعو الناس الى الجهاد ونما الخبر الى الجنرال فوجم لها وفكر في امره فوجد ما عنده من الظهر لا يقوم بحمل اثقاله ومهماتة في حرب ربما تطول مدتها فوقع في حيرة كذا ذكر مؤرخوهم وغيرهم وقالوا ان يبجو ذهبت به افكاره وقتئذ في كل واد فلم يجد بداً عن المهادنة لاسيما وقد تواترت الاخبار عنده بنفير المسلمين الى الجهاد في سائر الثغور فحمله ذلك على تجديد المخابرة مع الامير في عقد الصلح واما الامير فانه نظر في شروط يبجو التي صعب عليه قبولها فرأى ان يصلح خلها ويعدل بها الى ما لا يقدر في دينه ومنصبه ثم يعرضها عليه فجمع مجلساً عاماً من العلماء واعيان الدولة وارايم كيف كثر الشعب بعالة تيطرى في الجهة الجنوبية وان تجدد الحرب بينه وبين العدو يفوته اصلاح الخلل الواقع في تلك الاطراف الشاسعة وربما اتسع الخرق وانتهى الامر الى ما لاخير فيه فمنهم من بادر الى قبوله واستحسانه وراه من الامور الضرورية التي لا بد منها ومنهم من لم يقبله وراى ان استمرار الحرب اولى فقام سيدى الجد السيد علي ابو طالب وخطب على اهل المجلس فقال بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه وقد علمت ايها السادة انه لما تكاثرت المظالم وتواضا العمال ومن وافقهم على ارتكاب المآثم انقم الرب تعالى منهم وعمنا ذلك معهم قال تعالى واثقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فسلط الله علينا عدو ديننا فنكالب على بلادنا واستولى على مراسينا واستبدل مساجدنا فيها بالكنائس واخلاها من المدرس والدارس فخرج لذلك اهل قظرنا وضقت بهم ارض مغربنا واستبدلوا القصور المشيدة بنجيام الشعر ومضارب الوير ونفروا اوزاعاً في المواطن وتباينوا في الموارد والمعاطن وتغيرت الاحوال واشتبه الممكن بالبحال وتوالى الحل والارتحال وضعف الرجاء في ان يؤب المسافر ويعود الشادر النافر الى ان طالت القصة وعز ما ندفع به هذه الغصة ومالت شمس الاتفاق الى الافول وتهاياً جند التناصر والتعاوض للروح والقول فظاهر الله تعالى بلطفه بدر الدين وموئيد كلمة المومنين ابن اخي هذا السيد عبد القادر بن تحيي الدين فبذل جهده في الذب عن الدين والوطن واتى في ذلك من العجائب والغرائب ما هو به قن فكم من حروب اضرم نارها وكم من كرب ازالها عن المسلمين واطفاً اوارها وكم ضيق على العدو واخذ بمخنقه وصيره محجوراً في اخرج مكان واضيقه وفي بعض الاحيان كما علمت تكون الحرب بينهما سجالاً وينقد كل منهما من جيوشه ابطالاً ثم لازال العدو يتكاثر ويجلب من بلاده العساكر والذخائر بالعدد الوافر حتى كثره بجنوده وجاء بما ملا جميع اغوار الوطن ونجوده فاستمر

القتل في المسلمين وتوالى عليهم التخصيص في سبيل رب العالمين وقد استدعى حضرة الامير كما لا يخفى ملوك الاسلام في اقاصي البلاد واستنصرهم للجهاد فاعاروه اذناً صماء ولم يسمعوا له نداء بل اجابه لسان الحال لا حياة لمن تنادي ولا معين على من تعادي فاذا تمادى الامر ايها السادة على ما نحن عليه ولم ينبجح الامير الى ما دعاه العدو اليه فلا جرم اننا نكون قد القينا بايدينا الى التهلكة وتسببنا فيما يضيق على كل منا مسلكه ونكون قد اعنا اهل الفساد على انفسنا ومهدنا لهم السبل الى ما يؤذينا فيتابع الذعار والغواء غارتهم ويجرد الحفاة صوارمهم وتمشي سمامرة الفتن بين رؤساء القبائل ويسعى المفسدون فيما يفسد عليكم امركم في العاجل والآجل وبالجملة فالمنصف يقول الحق ولا يراعي بعداً ولا قرباً ولا يخاف لوماً ولا اعتباراً

وما علي اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن العدل عدواناً

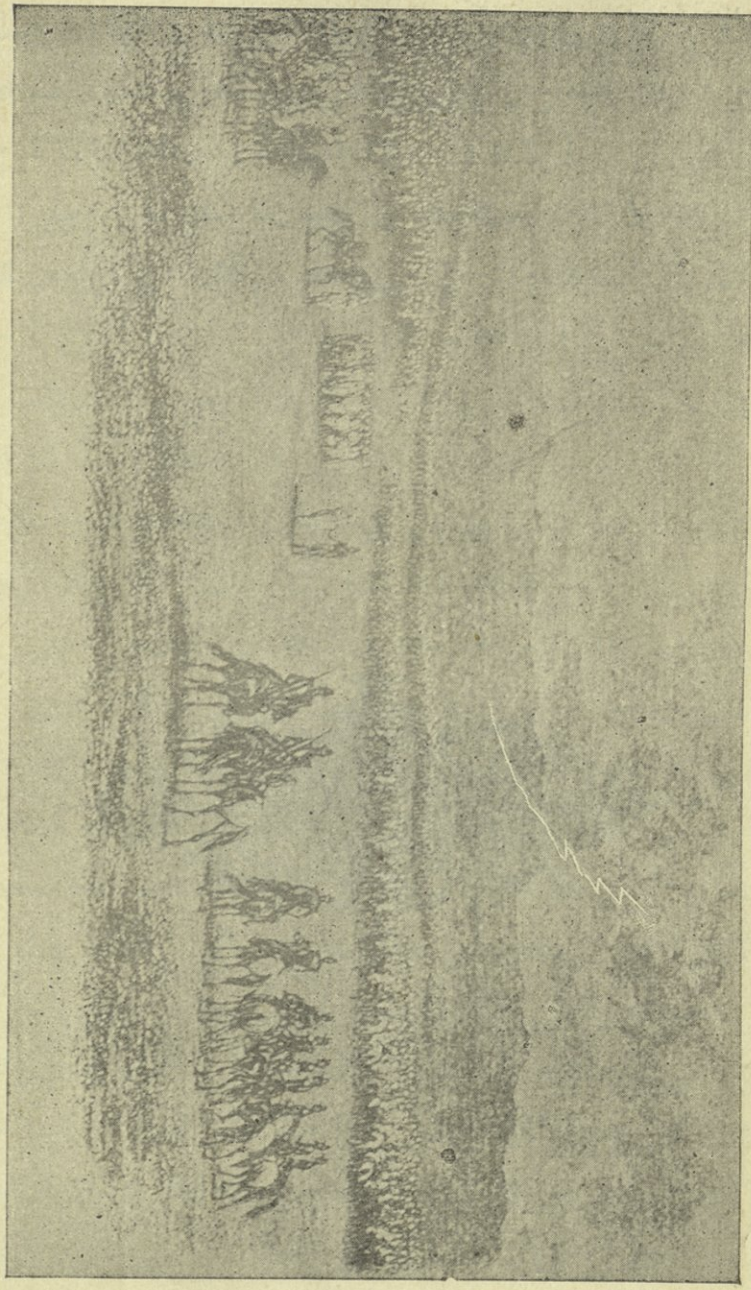
فاذا صحت المنية وصحت امقاصد السنية فلا حرج على حضرة الامير فيما استشاركم فيه واستلقتكم اليه اذ هو من سياسة السلف ومن تبعهم من ملوك الخلف وهو الذي عليه فتوى الفقهاء وبه عمل العلماء والكلام في هذا السبيل كما لا يخفى مديد السيل طويل الذيل والانصاف من اعظم تقوى الله والنصيحة واجبه في دين الله وصون دماء المسلمين فرض متعين حتى في الجهاد وقد قيل سلامة مسلم واحد خير من فتح حصن لكافر معاند وقد ورد في الحديث النبوي من اعان على قتل مساً ولو بشرط كلمة جيء به يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمه الله والمتسبب كالمباشر وورد ايضاً من تشكل بغير شكله وتطور بغير طوره وحام حول حمى سنك الدماء وهتك المحارم فقد باء بغضب من الله ورسوله فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرطه الامن على النفس والاهل والمال مع ظن الافادة وكونه لا يؤذي الى منكر اعظم من هذا مع تحققه فما بالكم اذا كان مجرد الدعوي فالنظر ايها السادة انما هو للامام لا لغيره وكيف تذهبون الى ان عدم قبول الصلح اولى من قبوله مع علمكم بقلّة الانصار والاعوان وكثرة المشاغبين والمفسدين في الاقطار والاطوان وحاصل ما اقول ان ما تسعون فيه ان لم ترجعوا عنه يدعكم لاجله القريب والبعيد وينقمه عليكم الاريب والبليد ثم لا شك انكم ترجعون بفساد الدارين وفقد راحتين وشماتة الاعداء علاوة على ذلك والله الامر من قبل ومن بعد وما قلت الا بالذي علمت سعد فلما سمع المخالفون ما نههم اليه رجعوا عما كانوا عليه من الخلاف وانتفتت كلمة الجميع على اجراء الصلح ونقيره وراوا ان فيه مصلحة كبرى لامّة فارس للجنرال اللائحة الآتية بواسطة السيد حماده السقال

رئيس حضرة تلمسان وهي اولاً ترك البلدة للفرنساويين ثانياً رفض كل سلطة عن المسلمين المقيمين بالاملاك الفرنسية ثالثاً توسيع معين لحدود ملك الفرنسية وقد ولى الامير السيد حماده السقال لينظر في الحدود المنوه عنها ويعطي التفصيلات المقتضية وحيث ان الجنرال ييجو ادرك جيداً ان التأخر لا ياتيه بفائدة وعليه حررت المعاهدة المعروفة بمعاهدة تاننا على شرط الاول ان الامير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينتي الجزائر وهران الثاني يبقى لفرنسا في اقليم وهران مسنغانم وزغرانت وارضيهما وهران وارزيو وارضيهما يمد ذلك شرقاً نهر المقطع والبحيرة الذي يخرج منها جنوباً بخط ممتد من البحيرة المذكورة فيمر على الشط الجاري الى الوادي المالح على تجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر الى البحر بحيث يصير كل ما في ضمن هذه الدائرة من الاراضي للفرنساوية وفي اقليم الجزائر مدينة الجزائر مع الساحل وارض منيعة يحد ذلك شرقاً وادي القدرة وما فوقه وجنوباً راس الجبل الاول من الاطلس الصغير الى نهر الشفه مع البلدة وارضيهما وغرباً نهر الشفه الى كوع مزگران ومن ثم بخط مستقيم الى البحر فيكون ضمنه انقياع مع ارضيهما بحيث يصير كل ما في داخل هذه الدائرة من الاراضي للفرنساوية الثالث على دولة فرنسا ان تعترف بامارة الامير عبد القادر على اقليم وهران و اقليم تيطري وانقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من اقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب اتحديد المعين في الشرط الثاني ولا يسوغ للامير ان يمد يده لغير ما ذكر من ارض الجزائر الرابع ليس للامير حكم ولا سلطة على المسلمين من اهل البلاد المملوكة لفرنسا وبياح للفرنسويين ان يسكنوا في مملكة الامير كما انه يباح للمسلمين ان يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا الخامسة ان العرب الساكنة في اراضي الفرنسية تمارس ديانتها بحرية تامة ولم ان يبنوا جوامع بحسب مراتبهم الدينية تحت رئاسة علماء دينهم الاسلامي السادس على الامير ان يدفع للعساكر الفرنسية ثلاثين الف كيلة من الخنطة ومثلها من الشعير بكيال وهران وخمسة الاف راس بقر يوءدي ذلك كله في مدينة وهران على ثلاثة قسوط الاول من غرة اغسطس الى الخامس عشر ايلول سنة سبع وثلاثين وثمانمائة والف والقسطين الآخرين يدفع بانتهاء كل شهرين قسطاً السابع يسوغ للامير ان يشتري من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاجه من الاسلحة الثامن ان الكول اوغل الذين يريدون ان يقيموا في تلمسان او غيرها من المدن الاسلامية لهم ان يمتنعوا باملاكهم بكامل الحرية ويعاملون معاملة الحضرة والذين يريدون منهم الانتقال الى الاراضي الفرنسية تكون لهم الرخصة على بيع املاكهم او ايجارها بكل حرية التاسع

على فرنسا ان تتخلى للامير عن اسكلة رشكون ومدينة نلسان وقاعة المشور مع المدافع القديمة
التي كانت فيها قديماً ويتعهد الامير بنقل الذخائر الحربية والامتعة العسكرية التي
للعساكر الفرنساوية في تلمسان الى وهران العاشر المتجر يكون حراً بين العرب والفرنساوية
ولجميع ان يتمتعوا بالتبادل في كل من الارضين الحادي عشر تكرم الفرنسية عند
العرب كما تكرم العرب عند الفرنسية وكل ما تملكته او تملكه الفرنسية من الاملاك
في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلزم الامير ان يدفع
لهم الضرر الذي تحدثه النواب فيها الثاني عشر يكون رد المجرمين من الطرفين
بالتبادل الثالث عشر يتعهد الامير بان لا يعطي احداً من الدول الاجنبية قسماً من
الشاطيء الا برخصة من فرنسا الرابع عشر لا يسوغ بيع من محصولات او لوازم الاقليم
ولا شراء الا في الاسواق الفرنسية الخامس عشر لدولة فرنسا ان تعين في المدن
التي في مملكة الامير وكلاء ينظرون في اشغال الرعايا الفرنسية وحل المشكلات
التجارية فيما بينهم وبين العرب وكذلك الامير ان يضع وكلاء من طرفه في
المدن التي تحت ادارة دولة فرنسا حرر في تافنا في السادس من ربيع الاول سنة
اربع وخمسين ومائتين واول يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وحرر صك المعاهدة
نسختين كل منهما على شطرين عربي وفرنساوي فكتب الامير اسمه بخطه على الشطر
العربي وختم عليه بخاتم الامارة وكتب الجنرال بيجو اسمه بخطه على الشطر الفرنساوي
وختمه بخاتمه الرسمي واخذ كل منهما نسخة وبعد امضاء صك المعاهدة وقريرها كتب
الجنرال لوزير الحرب يعتذر عن عقده المعاهدة التي اقترحها بقوله انكم معتقدون
انه يؤلمني جداً ان اعمل افكاري بعدم اتباع تعليماتكم بالنظر الى الحدود المعينة
فيها الامير على ان ذلك كان محالاً وثيقنوا ان الصلح الذي عملته هو احسن
والارجح ان يكون طويل المدة وافضل مما عمله بجصر الامير بين نهر شلف ومراكش
ثم التمس الجنرال بيجو من الامير ان يجتمع به فاجابه لذلك وعين له موضعاً يجتمعان
فيه فركب الجنرال ممحوباً بست فرق من المشاة وفرقة من الخيالة وفرقة من المدافعية
وفرقة من فرسان العرب وسار الى المحل المعين وبعده سبع ساعات عن معسكر الامير
وثلاث ساعات عن معسكر الفرنسية فوصله قبل الامير وبعد مضي نحو خمس
ساعات اقبلت فرسان من العرب يعتذرون عن تأخر الامير بانه ابطاً في الخروج لانحراف
مزاجه وليس ببعيد ان يصل ثم اقبلت فرسان آخر يطلبون من الجنرال ان يتقدم
قليلاً لملاقاة الامير فلم يمكنه الرجوع حتى ينال مطلوبه وهو اجتماعه بالامير وبعد ان سار

نحو الساعة اشرف اعلی جيش الامير المشتمل على نحو خمسة عشر الف فارس اُقادمين
 بنظام عجيب وترتيب غريب في سهل يموج بهم ومنظرهم يفتن العقول وبعدهم شاهد
 الامير وقد احاط به نحو المائتين من رؤساء العرب راكبين على سوابق تحنل بهم تيهًا
 يتسر بلين باساحة صقيلة وامامهم امامهم يفوقهم بالمنظر والشهامة ممتطيًا جوادًا اسود تليعًا
 مسيره بصنعة غريبة تارة يخنطف الريح بقوائمه خطفًا واخرى يمشيه على رجليه وكانت
 تلك الحركات تريده هيبه وهو غير مبال بها وحوله ستة من السياس اخذين
 بركابه فتقدم اليه الجنرال مطلقًا عنان فرسه نحو فتصالحا ثم ترجلا فجلسا



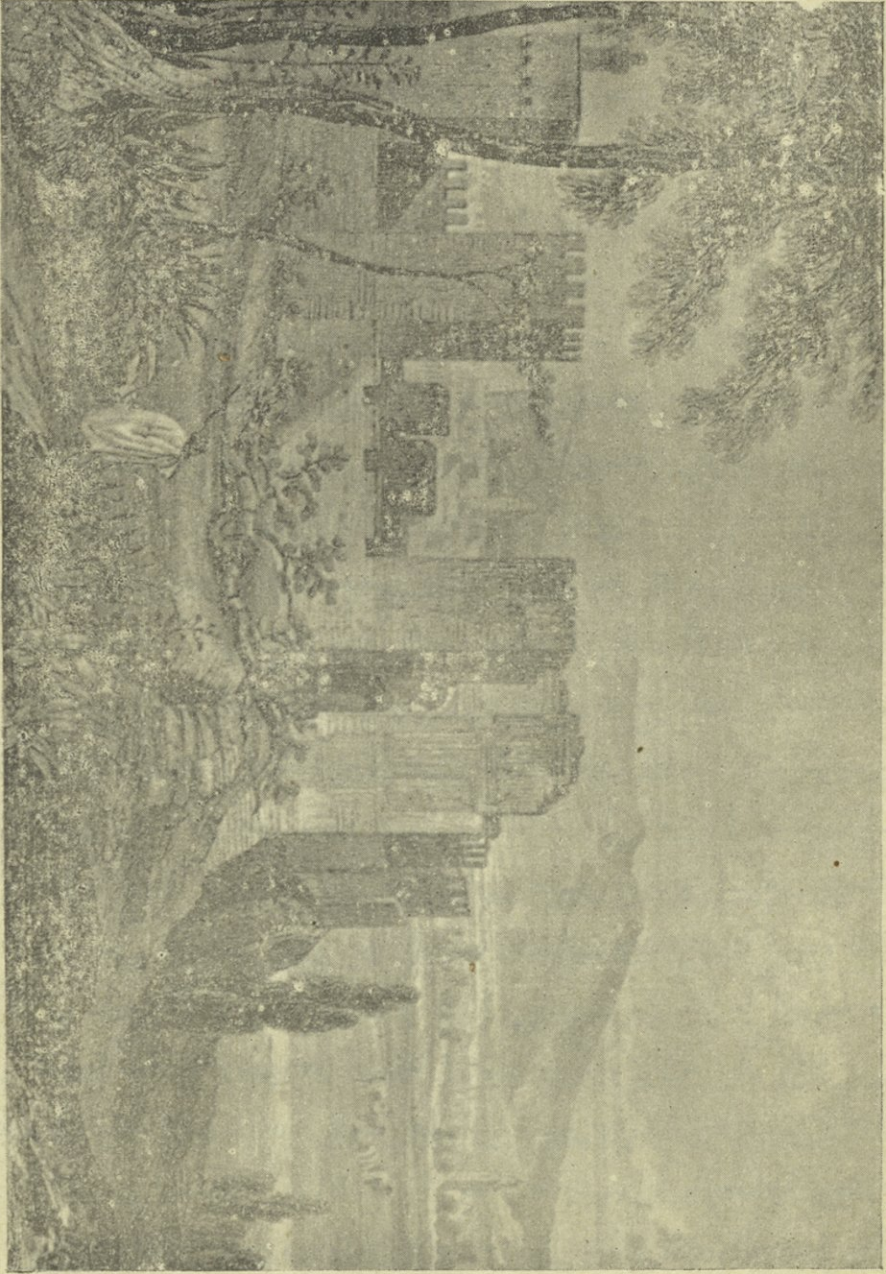


وهذا رسم اجتماع الامير مع الجنرال بيجو

واخذت الموسيقى تصدح بانغامها المطربة فسأل كل منهما الآخر عن صحته واخدا في الحديث
 فقال الجنرال انني على هذا الشرط جعلت نفسي كفيلاً لك عند ملك فرنسا فاجابه الامير
 ليس لك خاطر في ذلك فان لنا ديناً واخلاقاً عربية تليق بنا المحافظة على قولنا وانا لا اغير قولي
 قال الجنرال فلهذا اعتمدت على ذلك وبحسبه اقدم لك محبة خصوصية اجابه الامير قد قبلت محبتك
 فالتحترس الفرنسيون من كلام المفسدين فقال الجنرال ان الفرنسيين لا تنقاد لكلام احد وليس بعض
 حوادث خصوصية ينعلها البعض تنزع السلام من بيننا انما ينزعه عدم اجراء شروط المعاهدة
 او وقوع خصومة كبيرة وانما الذنوب التي يرتكبها البعض فاننا نعم بعضنا بها ونقاصص عليها
 من يتجاسر على فعلها فاجابه الامير هذا حسن جداً فليس عليك الا ان تعلمني وانا اجري
 ما يقتضي قال الجنرال اني اوصيك بالكل اعلان الذين يبقون في تلمسان فاجابه الامير
 كن مطمئناً من جهة فانهم يعاملون معاملة الحضر قال الجنرال وعدتني انك ترفع عرب
 الدوائر والزمالة في بلاد هبره فاظن انها لا تكفيهم فاجابه الامير يوضعون في مركز لا يمكنهم
 من ايقاع ضرر لحفظ السلام وبعد ان سكتوا قليلاً رجع الجنرال الى الحديث فقال وهل
 امرت ايها الامير برجوع علاقات التجارة في الجزائر والمدية فاجابه الامير لا انزل هذا
 الا بعد ان ترد لي تلمسان فقال الجنرال جداً تعلم باني لا اقدر على ردها لك الا بعد
 تصديق الملك على المعاهدة فاجابه الامير فاذاً ليس لك قوة على اجراء المعاهدة فقال الجنرال
 نعم لي قوة على ذلك ولكن يقتضي ان يصادق الملك على ما اجره حيث يكون ذلك
 كغفالة له فانه اذا صدق عليها مني فقط ثم اتى جنرال آخر فانه يقدر على ابطالها واما
 اذا صدق عليها من الملك يصير ملتزماً بالاجراء على موجبها فاجابه الامير ان لم ترجع
 لي تلمسان كما وعدتني في المعاهدة فلا ارى احتياجاً لاجراء الصلح بل يكون ما جرى
 الا من قبيل هدنة مؤقتة فقال الجنرال هذا صحيح ولكن انت تكسب بهذه الهدنة
 حيث اني بمدتها لا اخرب المواسم فاجابه الامير ذلك لا يضرنا حتى اني اعطيتك
 الرخصة بان تحرب كل ما تقدر عليه ولا يمكنك ان تحرب الا مقداراً زهيداً
 ومع ذلك يبقى عند العرب حبوب وافرة فقال الجنرال اظن ان العرب لا يفتكرون
 مثلك لانني ارى انهم يرومون الصلح والبعض منهم اثني عليّ لكوني حافظت على
 المواسم من الشفه كما وعدت بذلك حماده الصقال فتبسم الامير ثم سأل الجنرال
 عن المدة التي يمكن رجوع الجواب فيها من فرنسا فاجابه لا تكون اقل من نصف
 شهر فقال الامير حيث ان الامر كما ذكرت فلا نجدد العلاقات التجارية ولا نحدث
 شيئاً من مقتضيات المواصلات الا بعد ورود الجواب من فرنسا ثم قاما من مجلسهما

وودع كل منهما الآخر وهذه المقابلة كانت اول مقابلة جرت بين الامير وحاكم
 فرنسوي وقد اخبرني ابن راج احد ضباط الفرسان الذين كانوا يومئذ في حرس
 الامير انه عندما وقف في تجلسه لوداع الجنرال قرب اليه فرسه الادم الشهير ليركبه
 وبعد ان صاح الجنرال ونزع يده من يده التفت الى الفرس وعلا عليه في اقل من
 لمحة وحركه بركابه ففرق بين الخيل مروق السهم واندفع به ثلاث دفعات متوالية
 على وتيرة واحدة فانبهر الجنرال لذلك وتعجب من سرعة ركوب الامير وخفة الفرس
 وبقي واقفاً برهة من الزمان ينظر نظر المثمير ثم ركب فرسه ومضى وبعد ان سار
 الامير وجيوشه على مسافة بعيدة من موضع الاجتماع امر الجنرال احد ضباط عسكره
 ان يرجع الى المحل وياخذ مساحة ما بين تلك الدفعات الثلاث ووضع لها علامات
 فكانت مساحة ما بين كل منها تقرب من ثلاثين ذراعاً وفي الحادي والعشرين
 من ربيع الاول والخامس عشر من يونيه ورد الجواب من فرانس مع ضابط بقبول
 المعاهدة وصحبته هدية نفيسة من الملك للامير وهي اسلحة تجوهره واقمشة حرير مطرزة
 بالذهب واواني صينية فاخرة مكتوب بالذهب على كل صفحة منها كلمة حكمة من كلام
 الحكماء الاقدمين وطعم شاي جميعاً من الذهب الابريز ولما وصل الضابط بالجواب
 والهدية الى الجنرال ييجو ارسل الى الامير يخبره باتمام الصلح والتصديق عليه من الملك
 ويخبره بالهدية وطير الخبر الى حامية مدينة تلمسان يامر قائدها كفينك بالخروج
 منها وتسليمها مع القلعة الى نائب الامير فخرج القائد بجيشه من باب ودخل الخليفة
 السيد محمد البوحيميدي من باب آخر واخذ في نقل اثقال العسكر الفرنسي منها
 الى وهران على حسب ما وقع عليه الاتفاق قال بعض المؤرخين ان هذه المعاهدة
 كانت مستحسنة جداً عند الحكومة الفرنسية التي اعتبرتها ككلمة حاذق والشعب
 الافرنسي نظر اليها كخافضة شان فالدولة انتجرت بان عبد القادر الذي كان عدواً
 اصبح حليفاً لها والشعب راي فيها خطاءً وهو تسليم ابالة افرنسية الى قوة اجنبية اما
 عبد القادر فكانت عنده هذه المعاهدة كحجر زاوية للبناء الذي كان يشيده
 بتواظف واجتهاد وانه كان يقيم عدة سنين بواجبات مضاعفة فكان من جهة يمنع
 في قالب التنظيم والمناسبة اسباب المنازعات التي كانت تحيط به مسكناً القلائل
 ونازعاً النزاع ومخمداً التمن ومن اخرى كان يتلقى بجراءة صدمات هجمات عدو
 كان يفوقه جداً في كل الوسائط والخيل التي هي من فن الحرب في اعلى طبقة وعند
 ما كان يتخلص من شدة خارجية كان يفرغ كل قوته ليتغلب على الصعوبات الداخلية

ثم كتب هذا الاعلان من الديوان ونشر في انحاء المملكة ونصه الحمد لله وحده
 وصلى الله على من لاني بعدة وبعد فان البشائر الاسلامية والمفاخر الايمانية ينبغي ان
 تشاع وتناد ويظال في ذكرها الاطراء والانشاد وينادي عليها بالتهاني في كل ناد
 وترفع احاديثها الصحيحة ثابتة المتون عالية الاسناد وتسير بخبرها الركبان في الاغوار
 والانجاد وتغلي بجليها الشفاه والاذان والاجياد لياخذ كل مسلم حظه من سواطع مطالع
 مسراتها وينال كل موء من نصيبه من مواهب رغائب مبراتها وخصوصاً فيما يرجع الى
 اعلاء الدين وظهوره ورسوخ قواعد الاسلام وفروعه وما يعود الى الاعداء بالصغار
 والهوان ويلبسهم الخزي والخسران فان لذلك تأثيراً كبيراً في قلوب الذين هدى الله
 يدل عليه ويومئذ يفرح الموءمنون بنصر الله والى هذا ادام الله لكم التسديد والتوفيق
 وهداكم الى اقوم سبيل وطريق فقد ورد البشير بما شرح الصدر واعلا الاسلام لظهور
 القوة ورفع القدر من فتح تلمسان في تاسع شهر صفر الخير سنة اربع وخمسين ومائتين
 علي يد من رفع راية الاسلام واعزها حضرة مولانا ناصر الدين سيدنا الحاج عبد القادر
 ابن محيي الدين بفضل الله وسعادة صاحب هذا الميدان بعد محاصرتها شهوراً عديدة
 واياماً مديدة بصلح اسفر عن العز وجهه نجاحه وطلع في فلك الاسلام طالع سعده
 وفلاحه ناصحت به تغور الدين بواسم وهبت به رياح بتتابع النصر نواسم وقامت به
 في التهاني كلالعياد والمواسم وبشر بتوالي فتوح تلك الثغور واحياء تلك المراسم واتلم
 ان خيل النصر تجرد كل حين وتغور وتوالي الشدائد على العدو في المساء والبكور
 حتى ترده على اعقابه وتدخل عليه من ابواب الظهور والقابه فيتهافت في الفرار
 تهافت الذباب على الشراب ويقنع من الغنيمة بالاياب وقد اعلمناكم بهذه البشري
 واطعنناكم على هذه النعمة الكبرى لتأخذوا اثر نصيب من معانيها اللطيفة وترووا
 احاديث صحيحة موصولة باسانيدها المنيفة وتعلموا ان كيد الاعداء في افتار وان
 امرهم بمجرد اقباله يعقبه الادبار فيمثل هذا ثقر العيون وفي ذلك فليتنافس المنافسون
 وما ورد البشير حتى انتشرت راية الاسلام في معاهدها وشهد الله بالوحدانية في مشاهدتها
 واقامت الصلوات الخمس في مساجدها فله الحمد على هذه المنة العظيمة والمنحة
 الجسيمة نسال الله ان يتم مسرات المسلمين بفتح وهران والجزائر ويجعلها في صحائف
 المجاهدين من الذخائر ويخلص الجميع من يد عمابه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير



❁ مدینه تهرسان ❁

وعند دخول الامير الى تلمسان حمد الله تعالى واثنى عليه بما هو اهله وقال
الى الصون مدت تلمسان يداها * ولبت فهذا حسن صوت نداها
وقد رفعت عنها الازار فلج به * وبرد فواداً من زلال نداها
وذا روض خديها تفتق نوره * فلا ترض من زاهي الرياض عداها
ويا طالما صانت نقاب جمالها * عادة وهم بين الانام عداها
وكم رائم رام الجمال الذي ترى * فارداه منها لحظها ومداهها
وحاول ثم الخلال من ورد خدها * فضنت بما ينبغي وشط مداها
وكم خاطب لم يدع كنفها لها ولم * بيثم طرفاً من وشي ذيل رداها
واخر لم يعقد عاينها بعصمة * وما مسها مساً ابان رضاها
ولم تسمح العذرا اليه بعطفة * ولم يتمكن من جميل سناها
وشدت نطاق الصد صوتاً حسنها * فلم يتمتع من لذيد لملها
وابدت له مكرراً وصدأ وجفوة * وسدت عليه ما نوى بنواها
وخابت ظنون المفسدين بسعيهم * ولم تنل الاعدا هناك منهاها
قد انقضت من تلمسان حبهاها * وبانت وآت لا يحل عراها
سوى صاحب الاقدام في الراي والوغي * وذي الغيرة الحامي حماها
ولما علمت الصدق منها بانها * انالني الكرسى وحزت علاها
ولم اعلم في القطر غيري كفالاً * ولا عارقاً في حقها وبهاها
فبادرت حزمًا وانتصاراً بهديتي * واهربتها حباً شفاء دواها
فكنت لها بعلاً وكانت حلياتي * وعرسي وماكي ناشراً للواها
ووشحتها ثوباً من العز رافلاً * فقامت باعجاب تجر رداها
ونادت اعبد القادر المنتقد الذي * اغثت اناساً من بجار هواها
لانك اعطيت المفاتيح عنوة * فزدني ايا عز الجزائر جاها
ووهران والمرسة كلا بن حوت * غدت حائرات من حماك منهاها

❖ ذكر ظهور محمد بن عبدالله البغدادي في جنوب ولاية ❖

❖ تيطرى وقيام محمد بن عوده المختاري بدعوته ❖

قدم محمد بن عبدالله من بغداد الى المغرب الاوسط ايام سيدي الجبد السيد
محيي الدين رحمه الله وزعم انه من ذرية الغوث الاكبر والقطب الاشهر سيدي عبدالقادر

الجيلاني قدس الله سره فاحتفل به سيدي الجند واجل مقامه وكان يحضر معه في تلك الايام جهاد العدو ثم لحق بالمغرب الاقصى تجملاً بنسبته فلقبه السلطان عبدالرحمن بن هشام بالتحية والاكرام وبعد سنين رجع الى المغرب الاوسط فوجد سيدي الوالد مرتبكا في امر العدو فعدل عنه الى قبائل الزناخرة واولاد نائل ومن اليهم من القبائل في الجهة الجنوبية وكان زعيم اولاد نخنار محمد بن عوده من اقوى المشاغبين في تلك الجهة فالحق به وجعله داعية له نقام بنصرته ودعا الناس اليه وقال لهم هذا محمد بن عبدالله المنتظر فاجتمع عليه خلق كثير وكانت نفس ابن عوده منذ ظهر الامير تحذره بالخروج عنه والدعاء الى نفسه واخذ يستميل الناس اليه بانواع العطاء فلما قوي الانكار على الامير في مصالحة العدو وترك الجهاد مع ما كان الناس عليه من امتثال امر المعونة التي ضربت عليهم للقيام بامر الملك ولوازم الجهاد اظهر ما كان يخفيه وجاهر بالخروج عن الطاعة ودعا الناس الى البغدادى المذكور على ان يكون زمام الامور بيده فانقادت اليه قبائل الزناخرة واولاد نائل واولاد موسى واولاد نخنار وغيرهم في تلك الاطراف

❁ ذكر خروج الامير الى الجهة الشرقية وهزيمة ❁

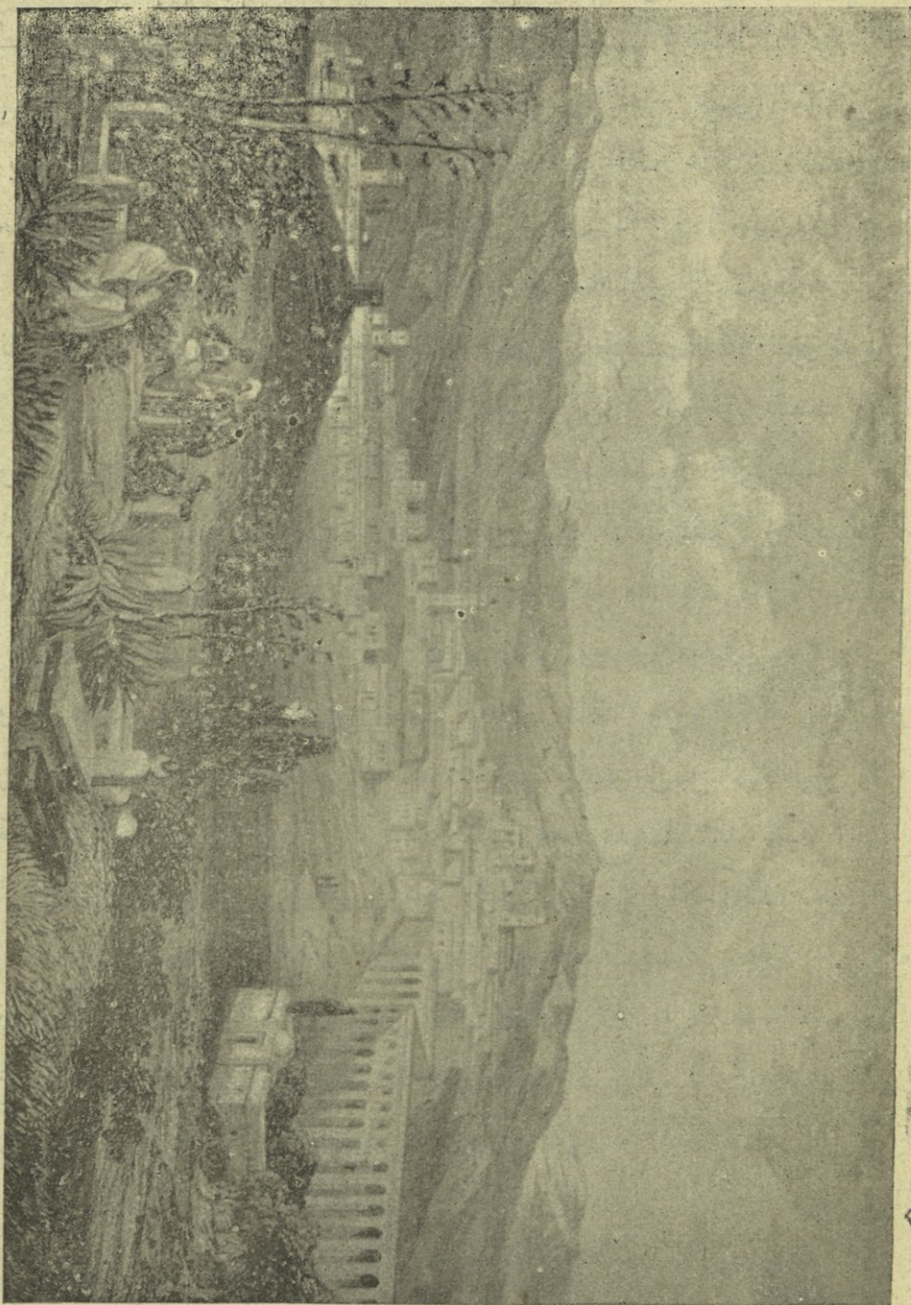
❁ محمد البغدادى ومصير امره ❁

ولما فرغ الامير من عقد المعاهدة مع ييجو واصلح خلل الجهة الغربية من مملكته رجع الى الحضرة ثم نهض منها في ثمانية آلاف فارس والى الف من المشاة وقطع من المدافع لتمهيد النواحي الشرقية ومشاركة الامور بنفسه فجال في نواحيها حتى انتهى الى المدينة حاضرة ولاية تيطرى فلقبه خليفته السيد محمد بن علال في وادي شلف في اربعة آلاف خيال والى الف من المشاة وكان وصول الامير الى المدينة لما قويت شوكة البغدادى فاهمة امره ثم سار اليه في الجيوش وجعل على مقدمته الخليفة السيد محمد بن علال فكان بينهما في المسير مسافة مرحلتين ثم ان الخليفة بعث الى اعيان القبائل الدائنة بطاعة الثائر بكتاب يدعوهم فيه الى مراجعة الطاعة ويحذرهم من سوء العاقبة ونصه . الحمد لله الواحد القهار والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الخنار وعلى آله واصحابه الاخيار وتابعيه من المهاجرين والانصار اما بعد فالذي نخبر به قبائل الزناخرة واولاد نائل واولاد نخنار ومن الهم ووافقهم على الخروج عن طاعة حضرة الامير انه لما بلغه ايده الله خبر عنوكم وشقكم عصى المسلمين بخروجكم عن الطاعة وتخالفتكم

لاهل السنة والجماعة واعلانكم بالعدوان ومجاهرتكم بالعصيان صدر امره العالي المطاع
 بالله تعالى باعذاركم وانذاركم وبذل النصيحة لكم فان رجعت عن غيركم وارتكاب ما
 اداكم اليه جهلكم ومرض قلوبكم وضعف دينكم وجئتم اليه تائبين وعن انعالكم الشنيعة
 مقاعين فذلك والا فانه نصره الله يقاتلكم وينتقم بسيف الله ورسوله منكم ولا يخفى انكم
 بانقراضكم عليه وخروجكم عن طاعته التي اجمع عليها اهل المغرب الاوسط وبايعوه عليها
 صرتم ممن اباح الله دماءهم واموالهم فالمقتول منكم مصيره الى النار والمقتول من
 العساكر المحمدية المنصورة مآله الى الجنة فيجب عليكم ايها الناس ان توبوا الى الله
 تعالى وترجعوا عما انتم عليه من الضلال وتعلنوا بالطاعة والدخول في سلك الجماعة
 وتبادروا الى اعتاب مولانا خاضعين طائعين مذعنين لاوامره فانه ايده الله يقبل
 توبتكم ويصفح عن زلتكم ويعرض عن جهلكم ولا ينالكم منه الا ما تحبون فهذه نصيحتي
 لكم فان تلقيتموها بالقبول فذلك والا فانكم ستشهدون بقدره الله تعالى ما يدع اطفالكم
 يتامى ونساءكم ايتامى واموالكم غنيمة يقتسبها المسلمون وحينئذ تندمون على ما فاتكم
 من الخير وتأسفون حرر بامر الخليفة السيد محمد بن علال نائب مولانا الامير في
 ايلة مليانه نلم يزدحم هذا المكتوب الا اعتداء وعتوا ومع ذلك فان الخليفة
 اقام ينتظر فئتهم اياماً ولما يئس من طاعتهم وبلغه انهم تجعدوا وصمدوا للقتال في
 بلاد اولاد مختار بعث الى الامير يئره فوجم لذلك وسار اليهم في جيوشه وزحف
 اليهم الخليفة بعسكره في وقت عينه له الامير فلما تراءى لهم سوى الخليفة صفوفه
 والقي الجمعان واتهم العسكر بالحشود واشتد القتال واتصل ثلاثة ايام وفي اليوم
 الرابع جاء الامير من وراء العدو والح في قتالهم فانكشفتوا واتخن فيهم بالقتل والاسر
 وفر الثائر وصاحبه ابن عوده لا يلوي احدهما على الآخر وتفرقت جموعهما في جهات
 مختلفة فاقام الامير في موضع المعركة ثلاثة ايام لراحة الجيوش وفي الرابع ارتحل
 يقنو اثرهم وبث البعوث في النواحي فدمروا من ادركوه منهم واتخنوا فيهم بالقتل
 والاسر والتجأت القبيلة المعروفة ببني عنتر الى موضع كثير الشعراء والصخور وتحصنوا
 فيه فحقهم العسكر المشاة واحاطوا بهم وضربوا عليهم حلقه الحصار الى ان اجهدهم
 الجوع والعطش فلاذوا بالطاعة ونزلوا تحت حكم الامير فعفا عنهم وامن روعتهم ولما
 ذاع خبر هذه الواقعة وما لحق بالعصاة من الوبال والتكل اذعن الناس وجاءت الوفود
 من القاصية الى الامير وهو في بلاد اولاد مختار ورجع العصاة كلهم تقدموا طاعتهم
 اليه واعترفوا بذنوبهم بين يديه فشممهم بالعمو ورد عليهم سبيهم واسراهم واستامن

اليه محمد بن عودة فامنه ووفد عليه فاكرم وفادته وكتب له بالولاية على سائر القبائل
 في ناحيته من عرب وبربر وسماه آفة وقرى الظهير الاميري بذلك على اعيان
 القبائل الذين ترأس عليهم وبهذه السياسة الحذنة صار من كان عدواً بالامس صديقاً
 اليوم بل خادماً اميناً وبعد هذا الانتظام العظيم طلحت الاحوال في الجهات واستقامت
 الامور وعينت آثار الفتن وانكشف الديجور من ساحل البحر الى القفر واما البغدادي
 فانه وقع في يد بعض العمارة فقبض عليه واحضره الى اعباب الامير وجعله ذريعة
 لتوبته فتقبلها الامير منه واشخص النائب الى المغرب الاقصى ولم يزل الامير يتنقل في
 تلك النواحي الجنوبية والجهات الشرقية الى ان اجتث المناسد من اصلها واخضع قبائل
 الصحراء ودوخها وولى عليها العمال واهل الجباية ثم انتقل راجعاً الى المدينة حاضرة الولاية





❖ وهذا رسم المدينة ❖

فوفدت عليه وفود الاغواط وقدموا طاعتهم فقبلهم واكرم وفادتهم وافاض عليهم من احسانه ما استعبدهم ثم انهم اخبروه باحوال بلادهم واقفوه على ما عليه عشائرتهم وبطونهم من الطاعة له وطلبوا منه منه ان يولي عليهم من يسوسهم ويضبط بلادهم فاجابهم الى ما طلبوه وولى عليهم السيد الحاج العربي بن السيد الحاج عيسى الغواطي المشهور فيهم بالسؤدد والرئاسة الموروثتين عن اسلافه واقامه نائباً عنه في تلك النواحي الشاسعة وكتب له في ذلك ما نصه هذا ظهير شريف يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية والترهيب من السعي في تفريق الجماعة والدعاء الى التمسك باوامرنا المطاعة اصدرناه للمكرم المحترم السيد الحاج العربي الغواطي وذلك انه لما تقرر لدينا فضله وعدله رأينا انه احق من نقله الامر الاكيد ونرمي به الغرض البعيد ونستفسر به احوال الرعية حتى انه لا يغيب عنا شيء من احوالها ولا يخفي علينا ما يتجشها من طارق احوالها وينهي الينا جميع ما يحدث فيها انهاءً يتكفل بجلائها ودقائقها وجعلناه نائباً عنا وخليفة لنا في قبائل الاغواط الغرابية والشرافة ومن اليهم من القبائل الصحراوية في الجهات الجنوبية فيجمع سائر وجوهها واعيانها ويخبرهم بامرنا هذا ويتلو عليهم ما قلدهنا به ويقرر لديهم وجوب طاعته ولزوم اتباعه والاذعان لاوامره ونواصيه وقد عيناه من العسكر النظامي ما يتوصل به الى تقرير الاحكام وجباية الاموال وقهر الظالم والاختد بيد المظلوم هذا مع ما نعتمد عليه من انقياد رعيتنا للاحكام الشرعية والاوامر المرعية ولذلك لم نبالغ بالاستكثار من العسكر لخدمة خليفتنا المذكور فكونوا ايها الناس لامره السالك فيه على جادة الحق والعدل سامعين ولكلمته مطيعين واعلموا ان من نكث فانما ينكث على نفسه والله ولي المنقين حرر عن اذن مولانا ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين في سنة اربع وخمسين ومائتين وثمان وثلاثين وثمانمائة وبعد تحرير هذا الظهير وتسجيله تناوله السيد الحاج العربي وسار مع الوفود الى بلادهم فرحين بانالهم من الامير من الاكرام وقضاء المطالب ونيل الرغائب ثم رجع الامير الى المدينة فاستقبلته الاهالي على بعد اميال منها حتى غص الطريق بالوف من الذين تقاطروا من كل نواحي المدينة ليمتعوا اعينهم بتبادة ذاته وكانوا يصرخون فليعش مولانا عبد القادر وصدحت عند دخوله الموسيقى باغادها المطربة ورشقوا ممره بباقات الزهور ولم يزل سائراً الى ان دخل الجامع الكبير فطلى فيه وخطب ووعظ ثم توجه الى محل الامارة فتوارد عليه الوجوه والعلماء مقدمين له التهناني فكان يستقبلهم بالبشاشة والموانسة ثم وفد عليه الوفود من قسنطينة والقبائل

المقيمين بالحدود الجنوبية في اياتها يستجدونه ولكن محافظته علي معاودة تافنا منعته
 عن ذلك وكان رضي الله عنه بعد فراغه من الاشتغال بالامور المدنية يشتغل بالامور
 الدينية اما في نفسه واما للعموم فكان مدة وجوده بالمدينة يدرس درساً عاماً في التوحيد
 وكان يوم ختمه ام الراهين للسنوسي يوماً مشهوداً حضره العلماء من القطر الجزائري وقدموا
 له المدائح ومن جملة من امتدحه العلامة السيد قدور بن رويله فقال

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| اغيوث السماء سحت بروض * | ام نسيم الصبا زكت بربوع |
| ام شمس الضحى تجلت لسعد * | ام بدا البدر في سعود الطلوع |
| وثغور الاقاصي بالزهر تبدو * | باسمات عن البريق الموع |
| وخدود الورود تحسبها وج * | نة عذراء ذات خدر منيع |
| وعيون من نرجس شاخصات * | لم تذق في الرياض طعم الهجوع |
| وحمام الارك في الدوح يشدو * | يسديع التسجيع والترجيع |
| وذبول المنى تجر وتاج ال * | ثغر يزهو ببهجة الترضيع |
| ام تحاب العلوم في الدرس يهمي * | بفهوم من الغمام المومع |
| ام فيوضات بحر لفظ كلام * | زاخر في اصوله والفروع |
| ام عقود من البراهين تبدو * | بقياس يزهو بحسن صنيع |
| ام لآلي فوائد ملحقات * | تبعان من البيان البديع |
| قد اقرت لما اسود غريس * | ولها اذعنت جميع الجموع |
| حيث شمس المدى لعيني تجلت * | فاستنار الفؤاد بين الضلوع |
| من سماء الامام قطب المعالي * | صاحب الوقت والمقام الرفيع |
| سيدى عبد قادر من له قد * | خضع المرهبون اي خضوع |
| ابن نحى الدين الحسيني جداً * | ومن الاصل كان طيب الفروع |
| فهو للدرس ان تصدى امام * | وهام ان جال فوق سريع |
| جد حتى اطاعه كل شيء * | ياله من فتى مطاع مطيع |
| ياحمى العلم باطناً ظاهرياً * | من به ردع النيلسوف الطبيعي |
| دم لتوحيد الله اقوى معز * | اوقع الشرك في اذل وقوع |
| وصلاتي مع السلام على جد * | كم الهادي الرسول الشفيع |
| وعلى آله واصحابه ما * | فاح مسك الختام بعد الشروع |

غزوة وادي الزيتون

خرج الامير بقواده وررءساء القبائل من المدينة قاصداً فرقة من معسكره نازلة في سهل قريب من البلدة ولما وصل المعسكر امر بعدم خروج احد منه وبالاجتماع عليه فاصطف الجميع حوله كهيئة نصف دائرة فقال لهم طالما قابلت اعوجاج قبائل وادي الزيتون بالاستقامة وعاملتهم على ما فيهم من الاساءة بالمعاملة الحسنة فلم يزدكم ذلك الا عنواً واستكباراً مع علمهم بانا قد بذلنا نفوس الانفس والمال للجهاد في سبيل الله واعلاء كلمة الله واخترنا ركوب الاخطار للذب عن الدين والوطن ودافعنا الاعداء بالمال والبدن وقد خالنا فخالنا واعداءنا في الدين ومنعوا دفع الزكاة والعشر المفروضة عليهم شرعاً لبيت مال المسلمين واني قد بذلت الجهد في ارشادهم وارسلت الاشراف والعلماء انصحهم فما ارتدعوا عن غيرهم وقد افل يوم الرحمة عنهم ودنا يوم النعمة منهم فاحملوا عليهم حملكم المعروفة واهجموا عليهم بشجاعكم الموصوفة التي اقت الرعب في قلوب كل الاعادي ولا تحشوا رصاص رماهم فان الله هو الرامي ولا يهولنكم اعتصامهم كالنصور في صيادي الجبال فالصياد الماهر يتسلق الجبال لبلوغ الاقال فتوكلوا على الله ان الله معنا ودينياً لمن يموت شهيداً ومن آب ذانراً عاد والله سعيداً واستمدوا من الله المعونة والنصر والصلاح والسلام دلي سيدنا محمد ودلي آله وصحبه الطهر فنادى الجميع اللهم صل على سيدنا محمد وانصر ناصر الدين ثم امر بتهيء الجيش للسير ولما وصلوا لوادي الزيتون امر بترتيب الجيش للهجوم وقسمه اربعة اقسام قسم للمحنة وقسم لليسرة وقسم لجمع الحجاريح وتعقيب المنهزمين وابقى الباقي في معيته على رابية مشرفة على ساحة القتل ثم صدحت الموسيقى بالمان الحماسة والنجوم وشرعت الجنود بالزحف حتى قطعوا الوادي وابتدأوا بالعود الى معتصم العمارة فقابلتهم العمارة باطلاق البنادق من وراء صخور الجبال وقتلوا عدداً من الجند فتوقف الباقي عن التقدم والقواد تشجعهم وتحثهم على الاقدام والثبيت وتعدم بالنصر وامر الامير بالحمل عليهم من كل جانب فدخلوا عليهم حملة رجل واحد وعلا النقام وضجت الاصوات من الفريقين وصعد الجند الى اعلا الروابي واخرم النيران في القرى وثارَت العمارة تدافع عن المال والعيال مدافعة الاسود عن الاشبال والتحمت الرجال بالرجال وبطل الرمي بالبنادق وعمل السيف الفصال بالاعناق والمفارق ولم يزل السيف يعمل والابطال تقتل وتجنبدل الى ان دب بالاعداء الفشل وسلموا انفسهم للاسر فامر القائد عند ذلك

بوثق الرجال وجمع النساء والاطفال في محل ووضع الحرس الكافي عليهم واستولى الجيش على الاموال والامتعة ثم رجع الامير الى خيمته وامر بجمع العلماء لترتيب الجزاء على روءساء الاسري فحكم عليهم بالاعدام واحضر بين يديه ثمانية عشر رجلاً منهم فقال لهم قد امرنا الله بقتال من فارق الجماعة وخالف الشريعة المطهرة وشق عصا الطاعة وقد اظفرنا الله بكم وجعلكم في ايدينا فماذا ترون فاجابه احدهم ان قطع اعناقنا اولى من تقديم الطاعة لك عندنا والله يحكم بيننا وبينك يوم القيامة وهو اعدل الحاكمين فوبخه الجاويش على ذلك وامره بالسكوت فرفع الامير راسه و اشار الى الجلاد بضرب عنقه ثم الثاني والثالث الى ان وصلت النوبة الى شيخ هرم فقدم وهو يرتعد خوفاً وجزعاً فهجمت اطفاله على الامير ووقفوا يتباكون وبينهم طفلة صغيرة السن خاطبت الامير بقولها بحق الله والديك واولادك ان تغفوا عن والدي فلما سمع الامير كلامها غلبت رحمته على غضبه وظهر اثر العفو والشفقة في وجهه وامر بالعفو عن والدها وعن الباقين واقتبل على البنت وقبل جبهتها لانها كانت سبب عفوه عنهم ثم اعلن العفو عن حالفهم ورد اموالهم عليهم فلما سمعت روءساء القبائل المخالفين لهم بذلك اسرعت للشول بين يديه وادوا الطاعة والاموال المفروضة عليهم من زكاة وعشر فعند ذلك اقر كل رئيس على قبيلته وامر برحيل المعسكر ورجوعه الى المدينة

ذكر خروج الجنرال دوهرميون الى قسنطينة ومقتله واستيلاء عساكره عليها

لما فرغ الجنرال ويجو من امر المعاهدة مع الامير بعث بالجند الذي كان عنده في وهران الى الجزائر وبعد ايام اخذ الحاكم العام استعداداً ثم سار في المراكب المشحونة بالعساكر والذخائر قاصداً قسنطينة ونزل في بونه ومنها خرج الى كلمه ولا زال يتقدم الى ان استولى على مضيق عمار وكانت حاميته اذ ذاك من عسكر احمد باي صاحب قسنطينة فلما اتصل بها خبر الفرنسيس تفرقت من غير قتال واقام الحاكم الفرنسي في المضيق المذكور ينتظر لحوق الذخائر والمهمات به وقسم عساكره اربعة فرق وزحفت هذه الجنود في اول يوم من اكتوبر واتصل الخبر باحمد باي فخرج في نقاوة جيشه الى خارج البلد واقام نائبه علي بن عيسى في باقي الجيش داخلها واستمرت الجنود الفرنسية سائرة الى ان وصلت قرب البلد فناجزها المسلمون الحرب واستمر القتال بين الفريقين ستة ايام بلياليها ثم وقعت فترة من الجيوش الاسلامية فتقدمت الجيوش الفرنسية انتهازاً للفرصة واستولت على الخندق فتوقف الحاكم الفرنسي عن القتال وكتب الى الباي

وعلي بن عيسى واعيان البلد يدعوهم الى التسليم ونص ما كتبه من القائد العام وروءساء
الجيش الفرنسي الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين
داخل البلد نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصاراً مجيداً عليكم ويد القدرة الربانية
كلتنا با كليل النصر فيها جيشنا الجسور وابطلنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم
على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين اما اعمال السيف واما التسليم
للنجاة من الحيف لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ونحن لا رغبة لنا
في سفك دمائكم فالتسليم اسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم في مركز خطير جداً والخلاص
منه بدون ضرر كبير يلحقكم مستحيل كيف وبواريد فرنسا قد احاطت بكم من كل
جهة وصرتم في وسطها مثل السمك في الشبكة فاجابوه بانصه من الامة المحافظة على
شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره قد وصلتنا رسالتكم
وفهمنا ما ذكرتموه فيها نعم ان مركزنا امسى في خطر عظيم ولكن استيلاؤكم على
قسنطينة المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد
منهم واعلموا ان الموت عندنا تحت اسوار بلدنا احسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا
فلما اتصل هذا الجواب بالحاكم الفرنسي قال لاهل مجلسه من القواد ما ذكره هو لاء
هو كذلك فانهم ابطال شجعان اصحاب قلوب قوية وما رغبو فيه سيعود على جنودنا
بالعز والفخر ثم امر باستئناف الحرب واخذ الجيش في طم الخندق وتوجه الحاكم
الفرنسي وفي معيته الدوك دي بنمور الى محل العمل فبينما هم ينظرون الى عمل الجنود
اذا رسلت عليهم كلة من مدافع البلد فاصابت الحاكم الفرنسي في صدره فالقته قتيلاً
وتقدم الجنرال بريكو ليحمله فاصابته رصاصة في جبهته فالقته برفيقه ثم اتفق رأي
القواد على تعيين الجنرال كاله قائداً عاماً فامر باطلاق المدافع على البلد فارسلت عليها
كل مطر ثم هجم القائم مقام لامورسير بفرقة على البلد واتصلت النار بالغمم الذي كان
المسلمون اعدوه للعدو فدمر عدداً كثيراً من الفرقة الهاجمة وجرح قائدها لامورسير
جرحاً اعجزه عن القيام ثم هجم كومب بفرقة مدداً للفرقة الاولى التي هلك اكثرها
واشتد القتال بين الفريقين وابل المسلمون بلاءً حسناً فكان منظر القلي مرعباً وانين
الجرحى محزناً واستمات الفريقان وثبات اهل قسنطينة في ذلك اليوم اوجب مزيد
الاستغراب لكل من شاهد تلك الحرب الهائلة وبعد هذا فالغلبة للجنود الفرنسية
لانهم اقتحموا شدة ذلك البلاء وتعلقوا باسوار البلد وتمكنوا من نشر راياتهم عليها
غير ان الخسارة التي تكبدوها لا يعادها شيء فقد قتل من القواد اشهرين عدد

كثير منهم القائد العام الجنرال دومريمون والجنرال بريكو والكنندار كومب والقائد
فيه دمبريني وغيرهم من الوف من الجند ومعظم الوبال كان في النهار الاخير ويوم يد هذا
ما ذكره بالمار ووافقه روا في تاريخها ولما دخلت جنود فرنسا الى البلد تفرقت العرب
وفر احمد باي صاحبها في له من خواصه ولحق بالزاب ثم اخذ مدينة بسكره من يد
حاكها فرحات بن سعيد الزواوي ورجع الجنرال كاله الى الجزائر بعد ان اقام القبطان
بتربيل حاكماً على قسنطينة وثبتت قدم الفرنسيين في مدينة قسنطينة وانقضت
منها دعوة الدولة العلية والله عاقبة الامور ثم آل امر احمد باي الى الدخول في يد
الفرنسيين وكانت وفاته في مدينة الجزائر

* ذكر استيلاء الامير على بلاد الزيبان وصطيف وما اليها *

* من البلاد الجنوبية والشرقية *

ولما تم استيلاء الفرنسيين على قسنطينة وفر صاحبها احمد باي الى الزيبان
حشد الحشود وزحف بهم على بسكره حاضرة تلك البلاد فدخلها وفر صاحبها فرحات
ابن سعيد ولحق بالجزائر مستنجداً بما كها الفرنسيون فلم ينجده وتغافل عنه وكان
الامير وقتئذ في المدينة فجاءه وشكى امره اليه ودعاه الى الاستيلاء على بسكره وما
اليها من البلاد فاجابه الى ذلك وجيز الخليفة السيد محمد البركاني في الجيوش المنظمة
والمتموعة وسار بهم مع فرحات الى مدينة بسكره وكان خبرهم اتصل باحمد باي وفر
منها ولحق بالتخوم مما يلي الصحراء واستولى الخليفة على بسكره ووفدت عليه اعيان العرب
والبربر من نزاوه والزواوده وغيرهم وقدموا طاعتهم وطاعة من وراءهم وارسل الخليفة
بالخبر الى الامير فسر بذلك وامره بتجهيد تلك النواحي الى اطراف الصحراء ثم بالانقلاب
الى صطيف وما اليها من بلاد تجانه الى جبال زناته فنزل ثم انتقل راجعاً الى المدينة
خافراً فانعم الامير على فرحات بن سعيد بايالة بسكره وما اليها فاستلم زمام امورها
ورتب العمال في اعمالها ولما فشت الدعوة في سائر النواحي الشرقية والجنوبية بادر
من نقاعس من القبائل عن اداء الطاعة فادى طاعته واتسع نطاق المملكة مسيرة
شهر طولاً وعرضاً للمجد واستقامت الامور وترتبت الحاميات والمسلمات في الثغور
والتخوم وامنت السبل حتى ان المرأة كانت تسير من اول المملكة الى آخرها لا تسئل
من اين والى اين

❖ ذكر خروج التيجيني في حصن عين ماضي من بلاد الاغواط ❖

❖ ومسير الامير اليه ❖

تقدم ان وفود بني الاغواط الشراقة قدموا طاعتهم الى الامير فتقبلها وولى عليهم وعلى من يليهم من القبائل السيد الحاج العربي وردهم الى بلادهم فاذعن الناس للخليفة وقبلوا ولايته ومشت كلمته في تلك النواحي ولم يشذ عنه الا السيد محمد الصغير التيجيني ومن وافقه من الاغواط الغرابة فانهم امتنعوا من اداء الطاعة وجأهروا بالعصيان فبعث الخليفة بجنوده الى الامير فوجم لذلك وخشى ان يسري هذا الحال في الناس ويرجع الامر الى ما كان عليه من الارتباك فبادر الى قمع هؤلاء الثائرين وتنكيلهم ليكونوا عبرة لغيرهم وسار في الثامن عشر من ربيع الاول ستة اربع وخمسين ومائتين واثنى عشر يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة في ستة آلاف من الخيالة وثلاثة آلاف من المشاة وثلاث قطع من المدافع وستة هواوين وبعد عشرة ايام من مسيره سيراً عنيفاً في قفار رملية شارب الحصن فرأى من حصانته بالخذق والسور ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه ثم تقدم اليه وفرق الجند على جهاته ومعهم النقبان للسور ومن وراءهم الرماة فمنع اهل الحصن ساحته وحاربوا من المكامن التي اتخذوها تحت السور ومن شرفاته فتأخر الجيش عنهم وجعلوا يناوشونهم الحرب من بعيد واخذوا في قطع الغياض الملتفة الاشجار حول الحصن وحطم البساتين واقامت البطاريات في تلك الفسحات وصار الشروع باطلاق النار وكلما فتحت تغرة لاجل الهجوم تسد من داخل وتكرر ذلك مراراً ثم امر الامير بحفر النفوق فحفر نفق من المعسكر الى داخل الحصن ولما وصل العاملون فيه الى داخل السور احس بهم الرئيس فنقب جيشه على العملة ووقعت بينهم مقاتلة داخل النفوق وابطلوا للعملة عملهم ولما طال الحصار على اهل الحصن مدة تقرب من ستة اشهر واجهدهم الجوع واضناهم الخوف اجتمعوا الى رئيسهم واروه ما آل امرهم اليه من الجهد ونفاد الاقوات وما يحتاجون اليه في الدفاع وتكلموا معه بما اضطره الى التسليم وفي التاسع عشر من نوفمبر بعث التيجيني الى السيد الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الامير يستامن على نفسه واهله وسائر اهل الحصن ومن حضره من الحشود وطلب مهلة اربعين يوماً يتأهب فيها للانتقال والجلء عن الحصن فعرض الخليفة ذلك على الامير فاجابه على شروط اولها ان يدفع التيجيني مصارفات الحصار الثاني ان يكون مجبوراً على اخلاء المدينة في برهة اربعين يوماً الثالث ان يكون له حق باخذ جميع امواله المنقولة بلا استثناء الرابع لاهل

المدينة حق بمرافقة التجيني باموالهم واسلحتهم الخامس ان يرفع الامير الحصار عنهم ويرجع ثمانية اميال عن المدينة حتى تخلى السادس ان يكون ابن التجيني عند الامير رهينة الى تمام المعاهدة فقبل التجيني الشروط المذكورة وامضى عليها وارسل ابنه معها فامنه الامير وامهله وبعد انقضاء المدة خرج باهله وحشوده ولم يتخلف في الحصن الا المستضعفون فامر الامير بتخريب الحصن فالصق سوره وسائر دوره وارجاه بالارض وغور ماءه وارسلت له قبيلتان من قبائل الاغواط المجاورين للحصن الزكاة والعشور واصرت بقية القبائل على عدم دفع ما كان عليهم من الزكاة والعشر ولحق التجيني بالاغواط الغرابة وساكنهم في حلهم في خيام الشعر فاعلن الامير بذلك الى خلفائه ووكلائه في الجزائر ووهران بما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وبعد فان الله تعالى منذ ولانا امر المسلمين والنظر في مصالحهم لم نزل نجتهد ونسعى في تاليف قلوبهم على الاتحاد والخضوع لشريرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله عز وجل ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقد توجهنا هذه المرة الى بلاد الاغواط لجمع كلمتهم واصلاح فسادهم فاظهر عامة اهلها غاية الطاعة والانقياد الا ما كان من التجيني ومن اتى اليه فانهم تجاهروا بالشقاق وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فامرناهم بالرجوع الى الحق وخذرناهم من شق عصا المسلمين غير مرة وناشدناهم الله في صون دمائهم واعراضهم فلم يرجعوا عن غيهم بل صمموا على قتالنا واستعدوا لمحاربتنا فحننا ان اهملنا امرهم من سرعان هذا الفساد الى غيرهم فيفوت المقصود الذي هو جمع الامة على كلمة واحدة وطريقة متحدة فاخذنا في حصار حصنهم والتضييق عليهم ولما استشرفوا على الزدى وكادت ان تعمل فيهم المدى طلبوا منا الامان مع انهم خدعونا مرات عديدة فمحنناهم الصنع الجميل صوتاً لدمائهم ولفظاً لاعراضهم نقوله تعالى فاعفوا واصفحوا وامنائهم على ان يخرجوا من الحصن ويتوجهوا حيث شاؤوا فخرجوا كلهم منه الا المستضعفين منهم وذهب التجيني وحريره واولاده الى الاغواط الغرابة وابق ابنه الكبير رهناً عندنا فالحمد لله الذي ايدنا بنصره على من عصي امره وناواه فانه لا رب غيره ولا معبود سواه واصل التجيني من اشراف المغرب انتقل والده السيد احمد في اواخر المائتين بعد الالف من فاس الى بني توجين اصحاب تاهرت وتاكدت من البربر اخوان بني زيبان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الاقصى ولما طال مقامه بين اظهر بني توجين نسب اليهم فقبل له التجيني وكان حصن عين ماضي موضع سكنائه وكان عالماً زاهداً مشتهراً بالصلاح وقصده الناس للتبرك به وكان يقول لم يوجد من عصر الصحابة رضى

الله عنهم الى عصري عالم مثلي وله تاليف سماه الكناش ذكر فيه آداباً صوفية وحقائق الهبة
وثار ولده محمد الاكبر على الحكومة وزحف بجموعه على مدينة معسكر ودخلها فخرج اليه
حاكم وهران وقتله وقد تقدم تفصيل الواقعة وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من اقبال
العرب في المائة الخامسة لاول استيلاء العرب على المغرب الاوسط ايام العبيديين ويحنوى
على ثلاثمائة دار وتدخل له العين المسماة بالحصن في قناة وبه صهاريج لجمع ماء المطر تسد
عوز اهله وله من المئانة والحصانة ما يبهر العقول وحوله من النخيل والاشجار المنتهعة ما
هو زينة للناظرين

وهنا بعض ادباء اهالي مليانه الامير بفتح هذا الحصن الذي عجز عن فتحه من

قبله بقوله

ايا نسمة الاسحار طبت بصولة * وطابت بك الاكوان طراً بسرعة
واب سرور الدهر منذ طاب نشرها * ونادى منادي النصر من كل وجهة
واقبلت البشرية وعم سرورها * ونالت به الايام احسن سطوة
بطلعة عبد القادر السيد الذي * له الشرف السامي باشرف نسبة
هو البدر وافي في سماء كوله * بجو ظلام حل قدماً بيلدة
فغن عين ماضي قد ازاح غشاوة * فضاءت وعادت خير عين بصيرة
فويل لمن عادى ابن اكرم مرسل * وويل لمن يدعون اصحاب ذمة
هنيئاً لنا اهل المحبة اننا * بدا البدر لنا اليوم اكل منية
بسعي امير دمر الطاغين مذ * جرى عدله في كل مصر وقرية
فنطلب من رب السماء بقاءه * لنطرب اياماً باحسن دولة
عليه سلام الله ما هبت الصبا * وما اشرقت شمس اعلا كل لحظة

ولما فرغ الامير من امر التخيبي رجع الى معسكر لاختذ الراحة وبعد ان اقام بها
بضع اسابيع الف جيشاً من خمسة آلاف فارس وامر ان ياخذ كل واحد منهم
على فرسه ما يكفيه من الزاد والشعير وان يجتمعوا في سهل غريس فاجتمعوا فيه ولم
يعلم احد بمراد الامير بذلك في وقت اشتداد البرد وكثرة الشتاء وقبل غروب الشمس اتبل
عليهم ممتطياً ظهر الجواد لابساً لامة الحرب والجلاد فتوجه بهم نحو الشمال الغربي ولما
اعتكر الظلام امر بايقاد اربعة مصاييح امام الجيش فجعلت في اسنة الرماح فكنت
اشعتها تنبعث الى وراء الجيش ثم ترك الجمادة وانعطف فجاءة الى جهة الشمال الشرقي فعلم
الجيش اذ ذلك ان سيره السابق مجرد تورية وتمويه ولم يزالوا يجردون السير الى نصف الليل

ثم نزلوا على حافة جدول فاكلوا واطعموا خيولهم وبعد مضي ثلاث ساعات عادوا للسير العنيف الى نصف النهار ثم نزلوا واطعموا الخيل واكلوا ثم عادوا لما كانوا عليه من السير السريع واستمروا على هذا الحال اربعة ايام واربع ليال وفي صباح اليوم الخامس انكشفت لهم منازل الاغواط الذين اضرروا على عدم الطاعة وامتنعوا عن اداء العشر والزكاة وكانت خيامهم تنوف عن عشرة آلاف خيمة وكان اهلها من نكبات الدهر آمنين وفي لذة النوم مستغرقين لم توقظهم الا الصيحات العالية والضربات المتوالية ولما انتهبوا رأوا ما هالم من الفرسان المنقضين عليهم انقراض العقبان على الغربان وكثر من النساء العويل والنحيب واندش عقل البطل النجيب وركض البعض لاسلحتهم والآخرن لخيولهم فلم يتمكنوا من الاجتماع حتى صمت الاسماع بصوت الامير صونوا الحريم واما الرجال فاذيقوهم كاس الوبال ثم احيط بهم من كل جهة واستاقوهم كقطعان الغنم ولما احضروا مشايخهم بين يدي الامير وقعوا على رجليه وتدلوا بين يديه واعطوه الموائيق والعهود على الطاعة وحسن السلوك فرحمهم وثقبل طاعتهم ورد عليهم جميع ما اخذ منهم وفي الحال دفعوا له اربعة آلاف جمل وثلاثين الف راس غنم عما تبقى عندهم من زكاة خمس سنين وكانوا بعد ذلك من اشد القوم تمسكا بالامير واكلهم طاعة له

❖ ذكر المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العالية ❖

❖ وترتيب الاحكام وشؤونها ❖

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر واتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة قسم ما دخل في طاعته الى مقاطعتين مقاطعة تلمسان وولى عليها السيد محمد البوحميدي الوهاصي ومقاطعة حضرته معسكر وولى عليها السيد محمد بن فريجة المهاجي ولما قتل ولى عليها السيد الحاج مصطفى بن احمد التهامي وكان رئيس ديوان الانشاء ولما امتدت طاعنه الى ما وراء وادي شلف جعل مليانة مقاطعة ثالثة وولى عليها السيد يحيى الدين بن علال القليعي ولما مات ولى عليها السيد محمد بن علال من اقاربه ولكل من هذه المقاطعات الثلاثة مرسي تخصها فلنلمسان مرفا رشكون ولمعسكر مرفا ارزيو ومليانه مرفا شرشال ثم دانت له بلاد تيطرى فجعلها مقاطعة اربعة وجعل حاضرتها مدينة المدية وولى عليها اخاه السيد مصطفى بن محيي الدين ثم عزله وولى عليها السيد محمد البركاني ثم تزايدت الفتوحات في الجهات الشرقية والجنوبية فاسعت المملكة واخذت في الشرق الى ما وراء بلاد مجانة قرب قسنطينة وفي

الجنوب الى القفر فيما وراء وادي سوف حيث مجالات التوارك من بقايا المثلثين وفي الشمال الى ما وراء جبال زواوه فجعل مقاطعة مجانة مقاطعة خامسة وحاضرتها صطيف ومقاطعة الزيبان مقاطعة سادسة وحاضرتها بسكره ومقاطعة الجبال مقاطعة سابعة وحاضرتها برج حمزه فولى على مقاطعة نجانة محمد بن عبد السلام المقراني ثم السيد محمد الخروبي القاعي ثم السيد محمد بن عمر العيسوي وعلى مقاطعة بسكره والصحراء الشرقية فرحات بن سعيد ثم السيد الحسن بن عزوز ثم السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمن بن احمد بن الحاج وعلى مقاطعة برج حمزه السيد احمد بن سالم الديسي وجعل الصحراء الغربية مقاطعة ثامنة وولى عليها السيد قدور بن عبد الباقي وقسم المقاطعات الى دوائر ووضع في كل منها آغا وهذه الدوائر تشتمل على قبائل وكل قبيلة تحتوي على بطون وعشائر فجعل على كل قبيلة قائداً وعلى كل بطن وعشيرة شيخاً فكانت الاوامر الاميرية تصدر الى العمال المعروفين بالخلفاء ومن طرفهم الى الاغوات ومنهم الى القواد ومنهم الى المشايخ والقضايا التي تحدث في الدوائر يرفعها المشايخ الى القواد وهم يرفعونها الى الاغوات ومنهم ترفع الى الخلفاء ثم تعرض على الحضرة الاميرية اينما كان هذا في القضايا المهمة واما غيرها فان الخلفاء يفتولونها بدون ان يرفعوها الى الحضرة الاميرية وفي وقت الحرب تكون هوءلاء الروء ساء روء ساء عسكرية فيجمع كل منهم جماعة من عشيرته ويحضر بهم الى انقنال ولما كان غاية قصد الامير ربط البلاد بالادارة الشرعية لم يستخدم في جميع اعماله الا من اشتهر بعرفة الاحكام وعرف بالعرف والاقدام وابعد غالب العمال ارباب النقدم والنفوذ في ايام الحكومة الجزائرية واستخدم في ادارة الامور الملكية من كان ذا حزم وعزم وقوة شكيمة من ذوي البيوت المشهورين بالعلم والفضل وحسن السياسة ومع ذلك كان يخلصهم على صحيح البخاري بان لا يعدلوا عن الحق وان يكونوا صادقين في الخدمة مع الامير والرعية وكان مناديه في غالب الاوقات ينادي في الاسواق ان من له شكوى على خليفة او آغا او قائد او شيخ فليرفعها الى الديوان الاميري من غير واسطة فان الامير ينصفه من ظالمه وان ظلم احد ولم يرفع ظلامته الى الامير فلا يلومن الا نفسه وتعيين العمال براسيم خصوصية تقرر بقلم كاتب الديوان الخاص ويختتم باعلا سطر منها بخاتم الامارة وهو خاتم كبير الحجم نقشه في الدائرة

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تحم

وفي جوانبه الله محمد ابو بكر عمر عثمان علي وفي وسط الدائرة الواثق بالقوى المتين

ناصر الدين عبد القادر بن يحيى الدين والتاريخ سنة ٢٤٨ او يصير نصب العامل داخل
الديوان الاميري وعند تسليمه مرسوم التقليد يعطى خاتماً عليه اسمه ولقبه ويخضع عليه
برنس جوخ على حسب الرتبة التي تولاها ويخلف على صحيح البخاري الشريف بحسن السيرة
والعدل ومع ذلك لا يغفل الامير عن ملاحظتهم والسوءال عن مسراهم مع الرعية وبعد
موت المتولي او عزله يرجع الخاتم الى دار الامارة وعلى حسب جسامه المقاطعة او الخلطة
تكون افراد الحكام في الشرف والشهرة وقد اسندت نظارة الامور الداخلية لابي المكارم
السيد محمد بن السيد العربي ونظارة الامور الخارجية لابي محمد الحاج المولود بن عراش
ونظارة المالية لابي عبدالله الحاج الجيلاني بن فريجة ونظارة الاوقاف لابي عبد الرحمن
الحاج الطاهر ابوزيد ونظارة الاعشار وصنوف الزكاة لابي محمد السيد الجيلاني بن الهادية
والجباة يخرجون في السنة مرتين مرة في الربيع لجباية الزكاة ومرة في الصيف لجباية
الاعشار ونظارة دار ضرب السكة والاساحة ومعاملها وما يتعلق بذلك من ادوات الحرب
لابي البركات السيد محمد بن الجيلاني من السادة الاقارب وكتابة الديوان الاميري لابن
عمه السيد احمد بن علي ابي طالب والسيد مصطفى بن احمد التهامي ثم نقل الاول الى
قيادة فليته والثاني الى خلافة الحضرة وعين بعدهما للكتابة السيد محمد بن الخروبي ثم
نقل الى صطيف والسيد محمد بن عبد الرحمن المرسل والسيد مصطفى بن العوني واتصلت
خدمتهما في كتابة الديوان الى ان ماتا آخر ايام الامارة واسندت نظارة الخزينة الخاصة
لابي سعيد محمد بن فاخه والحجابة الى محمد بن الحاج علي الرحاوي والمبوس الاميري لنظر
الحاج النجادي الرحاوي وتعين عبد القادر بن ابي معزه للنراشة والبديالي بن شانعية
للسقاية وعبد الرحمن بن مقيظيف للسلاح وعبدالله بن يوسف لحمل الشمسية او اللواء
وهو من حرير اعلاه واسفله انضر ووسطه ايضاً مرسوم عليه بالذهب المزركش
في صورة دائرة تامة نصر من الله وفتح قريب ناصر الدين عبد القادر بن يحيى الدين وفي
وسطها صورة يد مبسوطة مطرزة بالذهب ولنظارة الاصطبل محيي الدين بن عبدالله
ولرئاسة الموسيقى ابو مدين ابن ابي دغن وغير ذلك من الترتيبات الاميرية ولوازمها وبعد
ان فرغ منها اقبل على الوظائف الشرعية فعين في كل عمالة وكل دائرة واسعة
الانحاء قاضياً عالماً بفصل القضايا الشرعية على مذهب الامام مالك بن انس امام
دار الهجرة النبوية فقيهاً نزيهاً مشهوراً بالعرفان والقيام بامور الدين وربط ادارة
هؤلاء القضاة بمراجعة العلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المراحي رئيس
مجلسه الخاص ونصب السيد بن عب بن مصطفى المشرفي قاضياً للعسكر وعين لكل

قاضي كاتبين اكبرهما يقوم مقام المذني في مطالعة النواوي التي تجري الاحكام على مقتضاها ورتب في سائر المدن والقرى علماء لتدريس فنون العلم وعين لهم مرتبات على حسب طبقاتهم وافر بطلب العلم وباحترام اهله واستثناءهم من جميع المطالب الميرية فاذا حضر عنده طالب علم يتتبعه في الفن الذي يتعاطاه فان وجده ناجحاً فيه اكرمه والا اعرض عنه فكان هذا سبباً قوياً للطلبة في الاجتهاد وحصل من ذلك نجاح عظيم وانتشر العلم في جميع المقاطعات واقبل الناس على تعليم اولادهم الامور الابتدائية فكثرت النفع وعمت الفائدة وكنت الكتب حينئذ قليلة في البلاد فاجتهد في جمعها من كل جهة وافر العسكر بان كل من وجد كتاباً يحضره له ثم شدد في حفظ الكتب الموجودة بايدي الطلبة وعزم على ترتيب مكتبة في تاكدت فصار يجمع الكتب اللازمة ولما احتاج الى اخلاء المدن جعلها في الزمالة فتلقت كلها في وقعة طاكين لما هجم ابن ملك فرنسا الدوك رومال على الزمالة واجتهد في تهذيب الاخلاق وباصلاح الآداب العمومية بحيث لو اراد الله باطالة المدة لعادت العرب الى طريق اسلافهم الموءسة على منطوق القرآن الكريم لانه منع بشدة وصرامة شرب الخمر ولعب القمار لاسيما من العسكر ومنع استعمال الدخان لكونه اسرافاً من دون فائدة سيما للفقراء ومنع الرجال من استعمال الذهب والفضة الا في الاسلحة وعلى الخيول وافر بالصلوات الخمس ان تكون في الجوامع ومن وجد في دكانه وقت الصلاة يجلد وعين مأمورين لذلك ومنع النساء من دخول الجوامع وافر بواجب الجوامع بان تكون عندهم مغرة وكلما جاءت امرأة يسمونها بها في هذه الوسطة انقطعت النساء عن دخول الجوامع خوفاً على اغطيتهن واحداث اموراً تحسنت للامارة والمملكة لم تكن موجودة في ايام من ملفه من ملوك المغرب فاتخذ في كل مقادعة دار شورى للمناوذة في الدعاوي المهمة التي تحدث بين الرعايا وفي مصالح المملكة وجعل انتخاب اعضاء هذه المجالس الى الخلفاء والقضايا التي ترى فيها يكون فصلها على الوجه الشرعي ويكتب فيها صكوك يضع اصحاب الشورى فيها اسماءهم بخطوط ايديهم ورياسة كل منها تناط بالقضاة فاذا حضرها الخلفاء فالرياسة لهم وعلى كل حال فهم المأمورون بتنفيذ صكوكها وافر هذه المجالس مربوط بالمجالس العالي الاميري الموءلف من احد عشر عالماً وهم نواب المملكة ومن تعين فيه لاول الدولة السيد احمد بن التهامي والسيد عبد انقادر ابن روكش والسيد عبدالله سقاط المشرفي والسيد داهر الخنوزلي والسيد محمد المحنوزلي والسيد احمد بن الطاهر ابن الشيخ المشرفي والسيد محمد بن المختار الورغي والسيد

المكي الحرنوبي والسيد المختار بن المكي والسيد الحاج عبد القادر بن روكش الأكبر
والسيد ابراهيم بن القاضي ورئاسة هذا المجلس الثانية لقاضي القضاة السيد احمد بن
الهاشمي المراشي وعند حدوث نازلة مهدة يحضره الامير وتكرن الراسة له والوجه
الشرعي الذي بموجبه يجري الحكم في النوازل موقوف على اتحاد آراء الاعضاء ولهذا المجلس
تجل كباقي المجالس تحرر فيه مفردات ما يراد من الحوادث وبهذا الترتيب كانت الاحكام
جارية على جادة الاستقامة وننقات هذه المجالس تصرف من بيت المال كباقي الوظائف
والخطط الملكية واما اهل الوظائف الدينية وما يتعلق بها فتصرف مرتباتهم وتعييناتهم
من خزينة الازفاف ومن الامور التي احدها الامير وحاز بها النضل على من تقدمه من
الملوك في المغرب انشاء المارستانات لمربي العساكر في كل المقاطعات وعين في كل
مارستان اربعة اطباء يرجع امرهم الى طبيب حضرته العلية وهو ابو عبدالله الزروالي
وكان ماهراً في علم الطب وشهد له اهل الخبرة بذلك وكان عالماً بخواص الاعشاب
على اختلاف صنوفها وكان يخرج الرصاص من داخل العنق المصاب بوضع عشب على
مدخله فيخرج بعد بنع ساعات من موضعه بسهولة دون الم وابتنى داراً للمسافرين
والوفود في الحضرة واقام ناظراً عليها من امناء دولته ينزل الناس فيها على حسب
دبقاتهم وتقدم لهم الماء كل والمشارب على حسب مقامهم

* ذكر احتفال الامير للمولد النبوي والعيدين *

كان يحتفل للمولد النبوي ايام امارته احتفالاً عظيماً فيخرج يوم المولد الشريف
هو وخاصنه وامراء جيشه الى ارض نيجاء متسعة ثم تصنع العسكر فيها شبه محاربة
بحيث تقف العسكر المشاة المنظمة كهيئة قعدة مربعة الاركان ويضعون ما يحتاجون اليه
من البارود والذخائر وسط تلك القلعة ويحعلون في كل ركن من اركانها مدفعين ثم تأتي
فرقة من الخيالة فتحيط بتلك القلعة فتخرج اليها شرذمة من القلعة لتردها عنها فتبعد عن
القلعة نحو عشر دقائق وتطلق البارود على الخيول المقابلة لها فتجرح الخيول عليها
وتطلق النيران حتى تقرب منها فتراجع تلك الشرذمة الى وراء وهي لا تتراجع عن اطلاق
النار حتى تدخل القلعة وتقف في مكانها الذي خرجت منه ثم تطلق عساكر القلعة
النيران المتتابعة على تلك الخيول وتطلق مدفعاً او مدفعين من الركن الذي يليها فتراجع
الخيالة عنها ثم تخرج شرذمة اخرى من الجهة الثانية الى ما يليها من الخيالة فتجرح عليها
فرقة من الخيالة المقابلة لها بجميع قوتها حتى تردها الى مكانها الذي خرجت منه بحيث يتخيل

للناظر انها لم تخرج منه اصلاً ثم تطلق النيران المتتابعة على الخيالة ويطلق المدفع عليها من الركن المقابل لها حتى ترجع القهقري وعلى هذا المنوال تنعل اصحاب الجهة الثالثة والرابعة من الافعال ويستغرق هذا العمل مقدار ساعتين من النهار فيشاهد الناظر من تلك الافعال ما تقر له الاعين وتبتهج به النفوس وتقول في حقه الاسن لا عطر بعد عروس وهكذا كان العمل في ايام الاعياد بعد الفراغ من الصلاة

❖ ذكر ما شيده الامير من الحصون وما انتهى اليه عدد ❖

❖ العسكر النظامي مشاة وركباناً ❖

لما فرغ الامير من تمهيد البلاد اقبل على تحسين احوال المملكة وتحسينها وثنقيف ثغورها فابتنى في الخط الفاصل بين السواد والصحراء عدة حصون منها سعيده وسبدو في الجهة الغربية وفي الجهتين الجنوبية والشرقية تاكدت وبوغار وسباو وعريب وبوخرشفه وطازه ولما ان دخل طازه وراى تشييدها في اقرب وقت حمد الله وثنى عليه وقال ارتجالاً

الله اعلم ان هذا لم يكن * مني على الامل الطويل دليلاً

كلا وان منيتي لقريبة * مني واصبح في التراب جديلاً

ورضى الاله هو المنى ليكون من * بعدي انتفاع الخلق ثم طويلاً

ثم امر بكتابتها على باب الحصن وحصن تاكدت اعظم الحصون المذكورة واقواها واحسنها موقعاً ووقفها لوصول تجارة الصحراء بتجارة السواد وقد اعنتي به الامير نظراً لمركزه ولما ابتنى هذا الحصن انتقل اليه باهله واهل دائرته وانشأ فيه دار السلاح وجلب اليها عملة من اسبانيا وفرنسا فكانوا يصنعون فيها البواريد وحرباتها والسيوف وغيرها من ادوات الحرب وبهياته وابتنى فيه داراً لضرب السكة وجعلها ثلاثة اجناس من الفضة والنحاس مستديرة الشكل فالفضة والنحاس نوعان مكتوب على احد وجهيهما (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وعلى الآخر (ضرب في تاكدت) وتاريخ الضرب سنة ١٢٥٥ وهذه القطعة عبارة عن فرنكين والجنس الثاني من الفضة والنحاس مكتوب على احد وجهيه (ان الدين عند الله الاسلام) وعلى الوجه الآخر محل الضرب والتاريخ وهذه القطعة عبارة عن فرنك واحد والجنس الثالث من الفضة والنحاس مكتوب على وجهه الاول (ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا) وعلى الثاني محل الضرب والتاريخ وهذه القطعة عبارة عن نصف فرنك وتنقله في رسم هذه الآيات بحسب

ما كان عليه من اختلاف الظروف والحالات وابتنى في الحضرة معسكر ومليانة والمدية معاملاً لنعاء الاسلحة بانواعها والبارود والرصاص ومع ذلك كان يشتري منها حين الزوم من مملكة تونس ومراكش جانباً عظيماً وكان تجار فرنسا يجلبون الملح والكبريت لمراسي الجزائر فيشتريه منهم وفي اوقات الهدنة يحضره من فرنسا وتارة يستخرجه من معدن بجبل وانشريس واما الجوخ والمدافع فكان معملهما في تلمسان تحت نظارة معلم اسبانيولي . وقد رأيت ثلاث مدافع في باريس اخذت في ايام الحرب مكتوب على كل مدفع فوق خزائنه النارية (عمل في تلمسان وقت امارة ناصر الدين السيد عبد القادر ابن يحيى الدين سنة ١٢٥٥) وقد الزم كل من سلب في الحرب بارودة فرنسوي ان يحضرها لناظر المعامل الحربية وياخذ ثمنها منه اثني عشر ريالاً سينك ورتب صناعاً لاصلاح السلاح وهم المسمون قرداحية وكانوا يرافقون الجيش سفراً وحضراً ورتب عدداً من الخياطين والسروجية لاصلاح ما يلزم اصلاحه من الالبسة وسروج الخيل للعسكر والمتطوعة في ايام الحرب وبالجملة فقد بذل الجهد والمال في منافع الدولة والبلاد واستقصى اساليب ما به العمران ووضع الحاميات والمسلحات في المضائق ومواضع الخوف وحصن الغور فعم الامن سائر المملكة واطفاً نار النتن التي لم تزل منذ ثقلد امور المسلمين نتقدم تارة وتجبو اخرى واستاصل اهل الفساد ولجند المنظم في ذلك اليد الطولى فانه لا يعرف غير الفتك في اهل الضلال ولا يراقب في طاعة مولاه ونصرته الاً ولا ذمة مع قلة عدده اذ لم يتجاوز خمسة عشر اثناً وثلاثمائة منها اثنا عشر الفاً مشاة والفان وخمسمائة خيالة ومائتان وخمسون مدفيعون تدير عشرين مدفعاً للسفر وخمسمائة عبد اتخذها حرساً له تحت رئاسة سالم اغا الزنجي الفارس المشهور وكانت البستهم من الجوخ الاحمر الجيد وسلاحهم محلى بالذهب والفضة مرصعاً بالمرجان وهذا عدد افراد الجند الشخصية ومن حيث الشجاعة والبسالة فقد كان الواحد منه يعد بعشرة وعلى اتم ما يرام من النظام وكان ينضم له عند الزوم من حشود المملكة وجيوشها ما تقتضيه الحال وناهيك بجند مع قلته فتح الاقفال ونقل الانفال واستوثق به الامير ملك اقام في مقارعة جيوش فرنسا ومناضلة الثوار والخوارج ستة عشر سنة وبذلك تشهد الاخبار والآثار ولكن لكل هبوب ركود وليس الايام عهود قال شرشل في تاريخه ان هذه الاعمال كبيرة جداً بالنسبة الى سن الامير حين المباشرة لاجرائها مع عدم اطلاعه على احوال العالم كما ينبغي اذذاك لكنها صغيرة بالنسبة الى ذكاء عقله الفريد ولا شك انه لو تركت فرنسا الامير مغنماً تلك الغلطة التي اقرت بها في معاهدة تافنا

لكان اظهر منه ما لم يكن في حساب حيث ان العاقل يندمش متى سمع بان دولة فرنسا احتاجت الى مائة الف عسكري معدودة من اول عساكر الدنيا تقاتل بها الامير وقتل منها ما يزيد على مائة الف حتى امكنها هدم ما بناه في نحو الثلاث سنين على انه لولا المساعدات الخارجية والداخلية لكنت احتاجت الى اكثر من ذلك والله غالب على امره

❖ ذكر توجيه السيد ابن عبدالله سقاط وزداً الى سلطان ❖

❖ المغرب الاقصى وما ارسله معه من الاسئلة الى علماءها ❖

❖ وما اجاب به شيخ الاسلام الامام التسولي ❖

قد كان الامير يعاقب من يقع في ايدي ضباط النغور من اشقياء المنتصرة كالدوائر والزمالة والبرجية وغيرهم ممن يواصل العدو ويتسلل الى مدنه بما اختلسه من المسلمين من عروض وماشية بما دون القتل الا من تحقق ضرره للمسلمين فكان يامر بقتله ثم بدا له ان يستفتي المحققين من علماء مصر وفاس في شأنهم وشأن مانعي الزكاة والاعانة التي اقترضها للقيام بامر الجهاد وغير ذلك مما اضطره الحال الى السؤال عنه تاكيداً لحجته وتوايداً لمجته فامر بتجهيز مدية عظيمة ذات قدر وقيمة واخبار السيد ابن عبدالله سقاط لايصالها الى سلطان المغرب الاقصى عبد الرحمن بن هشام واحكام عرى المحبة بينهما وكتب له كتاباً يذكر له فيه ما اجراه من تنظيم العسكر وتدريبه وتعليقه ابواب الحرب ومكايدها وادال في مدح ذلك وجل قصد الامير من ذلك الاطراب ايقاظه من غفلته وتنبيهه على انتهاز الفرصة في الاستعداد لذلك واعلم بما ارسله من الاسئلة صحبة رسوله علماء فاس يجيبوه عليها بالجواب الشافي على وجه التفصيل الكافي ونص السؤال

الحمد لله وحده السادة العلماء الاعلام ائمة الهدى ومصايح الظلام فقهاء الحضرة الادريسية حفظكم الله ورعاكم ومن كل سوء حماكم جوابكم ابقاكم الله فيما عظم به الخطب واشتد به الكرب في وطن الجزائر الذي صار لغربان الكفر تجاذر وذلك ان عدو الدين يحاول ملك المسلمين واسترقاقهم آونة بالسيف وثارة بشبكات السياسة ومن المسلمين من يداخلهم ويتابعهم ويحلب الليم الموشى وحياد الخيل وغيرها من انواع الكراع ولا يخلو امرهم من دلائهم على عورات المسلمين ومن القبائل من ينعل ذلك فاذا طولبوا بتعيين المرتكبين منهم جمعوا وتمالوا على الكذب والانكار مع انهم

يعرفون منهم العين والاثر فما حكم الله في الفريقين في انفسهم واموالهم وما الحكم فيمن يتخلف عن المدافعة اذا استنفر الامام او نائبه الناس للدفاع عن الدين والوطن فهل يعاقبون على ذلك وبأي شيء يكون عقابهم ولا يتأتى بغير قتالهم وهل تؤخذ اموالهم واسلابهم وما حكم الله فيمن يمتنع عن اداء الزكاة كلاً او بعضاً لدعوى عدم وجود نصابه عنده مع تحقق وجوده في الحال فهل يصدق في دعواه مع ضعف الدين في هذا الزمن ام يكون الاجتهاد فيه مجال ومن اين يرتزق الجيش المدافع عن المسلمين الساد لثغورهم عن اغارة العدو ولا بيت مال موجود منظم الا ان الذي يجده من الزكاة لا يفي بقوتهم فضلاً عن كسوتهم وسلاحهم وخيلهم ولوازم مؤنتهم فهل يترك الامر فيستبيح العدو الوطن ام يكون ما يلزمهم على جماعة المسلمين واذا كان فهل على العموم ام على الاغنياء فقط وهل يعد مانع المعونة باغياً ام لا وما حكم اموال البغاة وهل القول بعدم ردها يجوز العمل به ام لا اجيبوا بقاكم الله عما ذكرنا وعما يناسب المقام والحال ماجورين والسلام عليكم بدا وعوداً حرر في ذي الحجة سنة ١٢٥٢ عن اذن ناصر الدين عبد القادر بن نجيب الدين

وفي اليوم التاسع عشر من ذي الحجة سنة مائتين واثنين وخمسين توجه السيد ابن عبد الله بالمدية والكتاب والاسئلة ولما وصل الى فاس امر السلطان بانزاله واكرامه ثم قدم اليه الهدية والكتاب فاخذ يسأله عن احوال الامير وما هو عليه مع عدوه وعن الرعية وافعلها معه فاخبره بالحقيقة وقدم اليه السوءال فارسله الى شيخ الاسلام اذ ذاك العلامة ابو الحسن علي بن عبد السلام مديش التسولي وامره ان يجيب عنها جواباً شافياً موضعاً كفاً ولما تم تحرير الجواب وقدم الى حضرة السلطان عبد الرحمن امر وزيره باحضار سبع كسوات فاخرات وسبع افراس من عتاق الخيل بسروجها واربعة مدافع صغار وستين فرساً وان يعطى من الخزينة عشرة آلاف منقال الى الحاج الطالب وكيل الامير بفاس ليشتري له بها من الادوات الحربية ما يأمره بشرائه وامر بتحرير كتاب الى الامير مضمونه التحريض على استئناف الجهاد ونقض المعاهدة وان ما ارسله له من الخيل والمدافع انما هو ليستفتح بهم في الجهاد واجابه عما نبه له من تنظيم العسكر وتعليمه بقوله ان عسكرنا حين يأتينا العدو ما نجده من الجموع وعلى هذا كان اسلافنا وكتب الوزير للامير فحودنا وزاد فيه ذكر مفردات المدينة وكذلك الحاج الطالب كتب للامير يعلمه بانه قبض عشرة آلاف منقال من الخزينة وانه منتظر امره بالذي يشتريه له فيها ثم امر السلطان باحضار السيد ابن عبد الله

سقاط واوصاه بان يبلغ الامير علي لسانه باستئناف الجهاد ونقض المعاهدة ثم امر
 باكرامه واكرام من معه وبعد ان سلم له الهدية والكتب وجواب السوء ال وادعه وامره
 بالتوجه فجد في المسير الى ان اجتمع بالامير في حصن طازره فاخبره بما اوصاه به
 السلطان عبد الرحمن من نقض المعاهدة واستئناف الجهاد وقدم الهدية والكتب والجواب
 عن السوء ال وحيث انه في غاية الاسهاب رمت اختصاره ليتاتي درجه في هذا الكتاب
 محافظة على احكامه المنقحة وانتشاقاً لريا ازهاره المنقحة فاقول قال في خطبة رسالته
 الحمد لله الذي لا يشرك به احداً ولا نجد من دونه ملتحداً ابني قلوب المؤمنين
 ليميز الخبيث من الطيب ويعلم ايها اقوى جلدأ والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 الذي اتقنا من الهلاك والردى وتكفل بالشفاعة الامة غدا ضارب هام العدا وتجاهد
 من حاد عن طريق الهدى وقاتل من اتخذ مع الله ولدا وعلى آله واصحابه الذين
 لم ترعهم الكتاب الوافرة ولو كانوا هم اقل عدداً ولا هالتهم الامم الكافرة ولو كانت
 اكثر جمعاً واقوى عدداً وعداداً وبعد نقد ورد في هذه الايام من ناحية اعمال
 الجزائر كتاب من اميرها المجاهد في سبيل الله رب العالمين سيدي الحاج عبد القادر
 ابن محيي الدين ايد الله كتابه وجعل عونه مظاهره ومصاحبه متضدنا السوء ال عن
 مسائل شتى كما ستراه بعد وثقف عليه ولما وقف عليه مولانا الامام كهف الاسلام
 وملاذ الخاص والعام كافل امة محمد عليه افضل الصلاة والسلام وقاطع طواغيت
 الشرك بالسنان والحسام امير المؤمنين الاخذ لراية الكتاب والسنة باليمين نبيل الملوك
 العظام المنصور بالله مولانا عبد الرحمن بن هشام ايد الله ايامه بعزيز داهه ونصر
 مكين يتصل به الى المولى امداده كلف هذا العبد النقيير المعترف بالعجز والتقصير ان
 يجيب عن تلك المسائل بحسب ما يراه فامثل واجاب عن ذلك بجواب يدل بحسب
 فخواه على ان المجيب استترخ ما هو عنده في سره ونجواه وكان نصره الله امر بالاختصار
 في الجواب وعدم التطويل والاطناب ثم لما طوع به وهو ايد الله على ما هو عليه من
 الشغف بحجة العلم والتأهف على بته وغاية الحرص على اذاعته ونشره والمبالغة في
 التنفير عن البدع المحدثات وقمع الملحدين المعتدين ذوي الجرأة والتعصبات والذب عن
 الحنيفية السمحاء وحياطتها وقمع من لحظها بعين الاعتداء والازدراء بها راى ان
 الجواب المذكور في غاية الاختصار وانقصور فامر المجيب امراً ثانياً بان يجعله تاليفاً
 ليحيط بجميع معانيه ويطلق في ذلك عنان القول بما يبرىء العليل ويشفيه ويتوسع
 في الجواب ويتعرض لجميع متعلقاته ويسلك به صوب الصواب فقلت ممثلاً لامر المولى

ان الجواب عن هذه المسائل التي عظم موتعها من دين الاسلام وتاكيد الاعتناء
 بها وبمبطلاتها على التام ينوقف على تبصر في النقه وتضلع في قواعده وابع واسع في تحرير
 غوامضه ونوازلها واني للقاصر مثلي ان يجول في مجالها ويحصل دقائق فروعها واصولها
 وعلى كل حال فاقول اما المسئلة الاولى ففيها فصول الخوض فيها لقاصر العلم مثلي
 خطير والكشف عن ثنائها مع كلاله الذهن صعب عسير ولكن للامر المولوي تكلفت
 الجواب عنها على قدر نظري القصير لان المسافر الجاد في السير قد ارحص له في التقصير
 وبالله سبحانه الاستعانة وهو نعم المولى ونعم النصير ثم ساق السوء ال يروفه وقال في الجواب
 الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

❖ الفصل الاول ❖

❖ فيما يعامل به قبائل هذا الزمان المنهكين في المحرمات والمعصيان ❖
 قد افنى كثير من الفقهاء المحققين بقتال القبائل المجاورين لنفاس ومن نما
 نحوهم لما هم عليه من التعدي على حقوق عباد الله وكتمان امر اللصوص والجواسيس
 والذب عنهم ووافق الشيخ مياره على ذلك والامام اللبان والشيخ عبد القادر الفاسي
 وغيرهم قال الامام ابن العربي قد اتقت الامة على ان فاعل المعصية يقاتل عليها
 ويجارب الا اذا اقلع عنها وتاب

❖ الفصل الثاني ❖

❖ في دليل عقوبة الجاسوس والنصاب وغيرهما من يستحق ❖

❖ العقاب وسوء العذاب ❖

اعلم انه لا يخفى ان كل من تلبس بمعصية توعده الله عليها بالعقاب الاخروي
 فان الامام يجب عليه ان يعاقبه سواء كان فيها مع ذلك حق الادي ككتمان
 الجواسيس والنصابين وحمائهم والتعصب لهم لما في ذلك من الفساد وادخال الضرر
 على المسلمين في دينهم ودنياهم او كان فيها هضم لحق من حقوق الله نقط كالاكل
 في نهار رمضان او ترك الصلاة او ترك الاذان او ترك النهي عن المنكرات مع القدرة
 لان من رضي بنعل قوم فهو منهم وسبب هلاك الامم السالفة انهم كانوا لا يتناهون
 عن منكر فعلوه

❖ الفصل الثالث ❖

❖ في كون الرجل يوءأخذ بجزيرة غيره ❖

روى مسلم في صحيحه وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان ثقيفاً كانت حليفة لبني غنار في الجاهلية فاصاب المسلمون من بني غنار رجلاً ومعه ناقة له واتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بهم اخذتني واخذت ناقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخذتك بجزيرة حلفائك ثقيف وكانوا اسروا رجلين من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يري به وهو محبوب فيقول يا محمد اني لمسلم فيقول له صلى الله عليه وسلم لو قلت ذلك وانت تملك امرك لافحمت ثم قبل النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالرجلين فدلوه من ثقيف وامسك الناقة لنفسه قال الابي هذا الحديث اصل في هذا الحكم وهو اخذ الحليف بجزيرة حلفائه وان لم يجزم الا كونه حليفاً فقط وبيان ما قاله الابي ان هذه المسئلة لا تخلو من ثلاثة اوجه احدها ان يكون الغير ممن لا ياوي الى المذنب ولا يحميه ولا يتعصب له ولا يقدر ان يكفه عن الذنب فهذا الغير لا يوءأخذ بذنب ذلك المجرم كتاباً وسنة واجماعاً سواء كان ذلك الغير من قرابته ام من الابعاد وهو المشار اليه بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثانيها ان يكون ذلك الغير ممن لا ياوي اليه المذنب ولا يحميه ولا يتعصب له الا انه يقدر ان يكفه عن ذنبه ومفسدته ويقدر على الانتصاف منه فهذا تجوز موءأخذه سداً للذريعة ثالثها ان يكون ذلك الغير ممن يحمي المذنب ويتعصب له او يواسيه او ياوي اليه ويرضى بنعله فهذا يوءأخذ بجزيرته ويجديع ما اخذه ولا يختلف فيه لانه يتعصب له ولو بجاهه وحمايته والرضى بنعله صار معيناً له على ظلمه متسبباً بذلك لاتفاف اموال الناس ودمائهم

❖ الفصل الرابع ❖

❖ فيما لا يجوز بيعه للنصارى ولا يحل تمكينهم من تناوله واخذه ❖

قال مالك في المدونة لا يباع للحرابين سلاح ولا كراع ولا نحاس ولا عروض قال ابن حبيب سواء كانوا في هدنة او غيرها وهو المذهب كما في العيار

❖ الفصل الخامس ❖

❖ في معاقبة العاصي بالمال وما فيه من الخلاف وتضارب الاقوال ❖
 ملخص ما ذكره الائمة الاعلام في هذه المسئلة ان ما شرع الله فيه حداً معلوماً
 كالزنى والسرقة والحراة والتذف ونحوها لا تجوز العقوبة فيه بالمال اتفاقاً لما فيه
 من تبديل الحدود المعينة من الشارع قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
 هم الكافرون الظالمون الفاسقون اللهم الا ان تعذرت اقامتها فيعاقب بالمال ارتكاباً
 لآخف الضررين ودفعاً لاثقل المفستين ولا يسقط ان زال العذر وما فيه التاديب
 والتعزير بالاجتهاد فليل يعاقب فيه بالمال مطلقاً وبه قال الشاعبي واختاره النووي
 وابن قيم الجوزى وقيل لا يعاقب به مطلقاً وهو ما لابن رشد ومن وانقه وقيل لا
 يعاقب الا مع العذر وهو ظاهر كلام الشيوخ المتأخرين

❖ الفصل السادس ❖

❖ في حرمة ترك الامام ونواب الرعية على ما هم عليه ❖

❖ من المفاسد وارتكاب المظالم ❖

يجب على الامام ان يجري على الرعية الاحكام الشرعية ويحرم عليه ان يتركهم
 على ما يتعمدونه من ارتكاب المفاسد والمظالم وينغافل عن جرائمهم كتاباً وسنة
 واجماعاً اذ من المعلوم ضرورة ان نصب الائمة والولاة انما هو لجزء من ارتكاب
 من الرعية شيئاً مما ينهى الله ورسوله عنه وذلك فرض عين عليهم فانهم ان تركوه
 افضى الامر الى هدم الاسلام واستوجبوا الوعيد في قوله صلى الله عليه وسلم من غش
 امتي فعليه لعنة الله

❖ واما المسئلة الثانية ففيها فصلان ❖

❖ الفصل الاول ❖

❖ في حكم التخلف عن الاستنفار وما عليه من العقاب ❖

من المعلوم ان الاستنفار للجهاد يتعين بتعيين الامام فمتى استنفروا فقد عينهم
 ومتى عينهم وجب عليهم النفير وحرم عليهم التخلف فان ابوا الا التخلف فقد عموا الله
 ورسوله واستوجبوا العقوبة في الدنيا والآخرة قال تعالى الا تنفروا يعذبكم عذاباً اليماً

الفصل الثاني

فيما ينبغي ان يفعله الامام قبل ان يستنفر الناس
وفين يجب استنفاره وتدريبهم للحروب
واستعمال المكاييد وما يستعان به على
خذلان العدو وتشثيت شمله

اعلم انه ينبغي للامام ان يامر قبل النفير بالتوبة ورد المظالم الى اهلها والصدقة
وغير ذلك من انواع البر كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك ويقول
انما نقاتلون باعمالكم وان يستنفر وجوه الناس وابطالها الصابرين في البساء والضراء
الذين لا يولون الادبار وان يدرهم امور الحرب ويمرهم عليها ويعرضهم بالعمل
على حضرته المرة بعد المرة اذ ينبغي له استعمال ذلك شرعاً في كل خمسة اشهر او
سنة على الاكثر فيجمعهم بين يديه ويطالع على احوالهم وافعالم الحربية ويعدهم
بالعطايا والخصوصيات متى صبروا واطهروا الجلود في الحروب الى غير ذلك مما يزيدهم
قوة ونشاطاً كما انه ينبغي له ان يستعين على العدو باستعمال المكاييد اذ ربما تعزل
المكييدة ما لا يفعله الجيش كما روي ان المهلب بن صفره لما اعتاص عليه جيشه
في حرب الخوارج وقالوا لا طاقة لنا على مقابلة السهام المسمومة وذلك ان رجلاً
اسمه ابزى من الخوارج كان يصنع لهم سهاماً مسمومة يقاتلون المسلمون بها فكتب
كتاباً لابزى وارسله مع ساع له وامره ان يلقيه بين صفوف الخوارج ونص ما
كتبه انه وصلتنا هديتك وحسن موقعها عندنا وقد انذنا اليك مع كتابنا هذا
الف درهم فاقبضها من رسولنا ولا تقطع مواصلتنا ومهادتنا وما يصلك من عندنا اعظم
ومها طلبتنا وجدتنا حيث شئت فذهب الرسول بالكتاب ونعل ما امر به ووصل
الكتاب الى قطرب رئيس الخوارج وعجل على ابزى بالقتل في الوقت من غير ان
يتحقق خبره وقال ما اصنع بن هادي المهلب ثم قال المهلب لاصحابه لا تشغلوا الخوارج
عن المنازعة بالقتل فانهم افرقوا الآن فلا يجتمعون ابداً فكان الامر كما قال

المسألة الثالثة

اعلم ان مانع الزكاة يقاتل عليها اجماعاً والمتهم بتغييب المزكى يخلف في العين
مطلقاً وفي غيرها ان سبق له امتناع من ادائها ويخص على غير الامين وقيل مطلقاً

لنساد الناس في هذا الزمان وعدم الامانة ومحل ذلك فيما اذا ثبت له مال اما بينة
او اقرار والا فلا يكفي مجرد التهمة

المسألة الرابعة وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

يجب على الامام ان يجبر الرعية على الاستعداد لدفاع العدو ولاصلاح خلال
البلاد قال تعالى ان الله يامرکم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فالخطاب الائمة والولاة
على احد الاحتمالات باداء الامانات اي النكاليف التي كلفوا بها في الرعية من
الحكم بالعدل وتديبر امرهم بما يعود عليهم نفعه من استعداد وغيره وقال تعالى في
حق الرعية يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

الفصل الثاني

في جواز صالح العدو ودمه

الذي به فتوى العلماء انه يجوز فيما اذا كان العدو مطلوباً لان الجهاد فرض
كفاية ولا يجوز فيما اذا كان العدو طالباً لان الجهاد وقتئذ يكون فرض عين الا اذا
دعت الضرورة اليه ابقاءً على المسلمين وبلادهم فانه يجوز والضرورة لها احكام وقد يرى
الشاهد ما لا يراه الغائب

الفصل الثالث

فيما يرتزق منه الجيش ان فرغ بيت المال ووجوب المعونة ان

احتياج اليها في الحال والابدان والمال

قال في المعيار عن الامام ابن منظور الاصل انه يطالب المسلمون بغارم
غير واجبة شرعاً لكن اذا عجز بيت المال عن ارزاق الجند وما يحتاج اليه من آلة
حرب وغير ذلك من العدد فيوزع على الناس ما يحتاج اليه من ذلك ويستنبط هذا
الحكم من قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل
نجعل لك خراجاً الآية ثم قال ان هذا الامر يتوقف على شروط احدها ان يعجز بيت
المال وتتعين الحاجة ثانيها ان يصرفه الامام بالعدل فلا يجوز له ان يستأثر به

دون المسلمين ولا يننقه في سرف ولا يعطي من لا يستحق او يعطي من يستحق
 اكثر مما يستحق ثالثها ان يكون الغارم قادراً من غير ضرر ولا اجحاف واما
 من لا شيء له او له شيء قليل فلا يعزم البتة الرابع ان يتفقد امر المعونة في
 كل وقت اذ ربا جاء وقت لا يفنقر فيه الى زيادة على ما في بيت المال ثم
 قال وكذلك اذا تعينت الضرورة للمعونة بالابدان ولم يكف المال فان الناس
 يجبرون على التعاون بابدانهم بشرط القدرة وتعيين المصلحة والافتقار الى ذلك

❖ الفصل الرابع ❖

❖ في حكم من ساكن العدو الكفور ورضي بالمقام معهم ❖

❖ فيما لهم من البلاد والنفور ❖

اعلم ان الهجرة من ارض الفساد واجبة ولا فساد اعظم في الدين من
 الكفر قال ابن العربي في الاحكام ان الهجرة وهي الخروج من دار الحرب الى
 دار الاسلام قد ثقرت فريضة في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولم تنزل باقية
 الى يوم القيامة قال وكذلك الهجرة من ارض الحرام والباطل قال عليه الصلاة
 والسلام يوشك ان يكون خير مال المسلم غنيمات يتبع بها شغب الجبال ومواقع
 انقظر يفر بدينه من الفتن اخرجته البخاري ومالك في الموطا قال بعضهم ان
 قيل اذا لم يوجد بلد الا كذلك قلنا يختار المرء اقلها اثماً مثل ان يكون بلد
 فيه كفر وبلد فيها جور فبلد الجور خير له او بلد فيها عدل وحرام وبلد
 فيه جرر وحلال فبلد الجور والحلال خير له او بلد فيه معاص في حق الله
 تعالى وبلد فيه معاص في حق العباد فبلد فيه معاص في حق الله تعالى اولى
 من بلد فيه مظالم العباد الخ ما ذكره قال ولا تسقط هذه الهجرة الواجبة على
 هؤلاء الذين استولى على بلادهم العدو الكافر الا بثبوت العجز عنها بكل وجه
 بحيث لم يجد لها حيلة ولا سبيلاً كان يكون مريضاً جداً او ضعيفاً جداً واما
 القادر على الهجرة باي وجه كان فانه غير معذور بل هو داخل في وعيد
 قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا نيم كنتم قالوا كنا
 مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ما لهم
 جهنم وساءت مصيراً قال الموءاف فهذه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية مع
 الاجماع كلها كما في المعيار صريحة في وجوب الهجرة وحرمة الاقامة في بلاد

الكفار ولا تجد لذلك مخالفاً من اهل القبلة فان تعمد المسلم ترك الهجرة مع القدرة عليها فقد قال في المعيار ما نصه اختلف العلماء فيمن اسلم وبقي في دار الحرب فقال مالك دمه محقون وماله فيبيء فهو لمن اخذه وليس بمعصوم حتى يخرج به صاحبه الى دار الاسلام وقال الشافعي دمه وماله معصومان وان لم يخرج الى دار الاسلام وبقول الشافعي قال اشهب وسحنون واختاره ابن العربي وبقول مالك في المال قال ابو حنيفة وبه قال اصبع واختاره ابن رشد وهو المشهور قال وهذا الخلاف انما ورد فيمن اسلم منهم وبقي بين اظهرهم ولم يهاجر لكن المتأخرون الحقوا به في الحكم من كان مسلماً بالاصالة وبقي ساكناً معهم وسواها بينهما في الاحكام الفقهية المتعلقة باموالها واولادها ولم يروا فيها فرقا بين الفريقين الى ان قال فاجتهد المتأخرون في هذا مجرد الحاق سكت عنه الاولون فيمن كان مسلماً بالاصالة لعدم وقوعه في زمانهم بمن اسلم وبقي في دار الكفر لاستوائهما في المعنى من كل وجه وهو عدل من النظر واحتياط في الاجتهاد

❖ المسئلة الخامسة ❖

الم ان مانع المعونة بالمال والبدن باغ قطعاً لانه منع حقاً وجب عليه يجري عليه البغاة المشار اليه في قول خليل وغيره البغاة فرقة خالفت الامام لمنع حق الى قوله واستعين بهم عليهم ويظهر غاية الظهور انه يؤخذ من ما لهم ما جهز به الامام الجيوش التي قاتلهم بها لانهم يبيعهم تسببوا في اتلاف بيت المال فعليهم ضمان ذلك في المال الذي بايديهم وقد قالوا ان الغريم المتماطل ضامن لما تسبب في اتلافه على الخصم من اجرة الرسول والجيوش كله رسول للبغاة في الحقيقة ولا يشك ان من تسبب في اتلاف مال وجب عليه غرمه وهو معنى قول خليل وضمن المعاند النفس والمال ولعل هذا هو المستند في عدم رد الملوكة اليوم اموال البغاة اليهم اذ الغلب انها لا تنفي بما جهزوا به جيوشهم التي قاتلهم بها او يقال مستند ذلك سد الذريعة اذ لو ردت اليهم اموالهم لكان ذلك سبباً لبغى غيرهم فعلم ردّها اليهم فيه سد تلك الذريعة ثم قال وايضاً فان بغاة هذا الزمان غير متاولين وكل باغ غير متأول يضمن ما قتله من الجيش كما انه يضمن ما اتلفه من الاموال يؤخذ ذلك من مفهوم قول خليل ولم يضمن متأول اتلف نفسه او مالا انتهى ما لخصناه من الاجوبة المقررة في الرسالة

ثم قال مؤلفها الامام التسولي في خاتمتها هذا ما قصدنا جمعه نسأله سبحانه
وتعالى ان يمن علينا وعلى من كان السبب فيها بتوبة صادقة وان يجيرنا وجميع المسلمين
من الفتن الظاهرة والباطنة وان يتم لنا ولهم بحسن الخاتمة وان يهب لنا ولهم قرباً على
بساط الادب في مقام العبودية وان يدمر اعداءنا تدميراً لا نقوم لهم معه قائمة الى يوم
النشور وان يجعل تاليفنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به المتسبب وانقارىء ويجعله
لنا ولهم سلباً لجنات النعيم بجاه اشرف الخلق سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم
ورحم الله امرأاً رأى خلافاً فاصححه او عيباً فستره فان الانسان محل الخطا
والنسيان والله سبحانه يتكرم على الجميع بالعفو والغفران اللهم رب كل شيء واله
كل شيء وولي كل شيء وقاهر كل شيء وفاطر كل شيء والعالم بكل شيء
والحاكم على كل شيء والقادر على كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لنا ولهم
وجميع المسلمين كل شيء ولا تحاسبنا وايام بشيء ولا تسألنا وايام عن شيء انك
على ماتشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ووافق
الفراغ مما جمعناه ظهر يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول النبوي الانور سنة ثلاث
وخمسين ومائتين والف وهذا صورة السؤال وجوابه من علماء فاس واما صورة
السؤال وجوابه من علماء مصر لم تصل اليه يدي لطول العيد وفي مناسبة ذكر
الهجرة قال الشيخ الاكبر والامام الاشهر سيدي نحي الدين بن العربي في الفتوحات
المكية في الباب الموفي ستين وخمسمائة في الوصايا مانصه واعلم ان المقيم بين اظهر
الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانهم لاحظ له في الاسلام فان النبي
صلى الله عليه وسلم قد تبرأ منهم ولا يتبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال انا بريء من مسلم يقيم بين اظهر
المشركين فما اعتبر له كلمة الاسلام وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين اظهر المشركين
ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيراً
ولهذا انكرنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت القدس والاقامة فيه لكونه بيد
الكفار اذ الولاية لهم والمسلمون معهم على اسوء حال نعوذ بالله من تحكم الاهواء
فالزائرون اليوم لبيت القدس والمقيون فيه من المسلمين هم من الذين قال الله فيهم
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحبون انهم يحسنون صنعا وذلك ايام كنت في يد
الاصليبيين ثم قال وكذلك تجب الهجرة من كل خالق مذموم شرعاً قد ذمه الحق تعالى

في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر ما وقع فيه الخلاف بين الامير والمارشال من مسائل ﴾
 ﴿ معاهدة تافنا وما آل اليه الامر في ذلك ﴾

ولما نتم امر معاهدة تافنا عين الامير وكلاءه في وهران ومستغانم وكتب الى مسيو كزماي وهو ايتالياني الاصل ووكيل امريكا في الجزائر في القيام باعباء الوكالة له فيها ونص كتابه الحمد لله وحده ولا معبود سواه من عبد القادر بن محيي الدين ناصر الدين الى مسيو كزماي كارل قارئين السلام على من اتبع الهدى وبعد فاننا منذ وقع الصلح بيننا وبين دولة فرنسا ونحن نسأل عمن يكون لنا وكيلاً في الجزائر وواسطة بيننا وبينهم في دوام الالفة والمواصلة ثم بلغنا عنك انك من اعقل الناس واعلمهم بطرق السياسة واخبرنا بعض المحبين انه لا يصلح لو كالتنا في الجزائر غيرك فانشرحت صدورنا لذلك وبناء عليه كتبنا لك هذا اعلاماً بان تكون لنا وكيلاً عند الفرنسيين وتتولى قضاء المصالح اللازمة لنا فيها وتجري امورنا معهم على نظرك وتعرفنا بما هو الاصلح لنا معهم والذي يعرض لنا من المسائل والمصالح نعرفك به والذي يعرض لك من ذلك تعرفنا به ومن المعلوم عنا اننا نحب الخير والهناء والعافية والامن في سائر الوطن حرر في رجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين ولما اتصل به مكتوب الامير تلقاه بالقبول والتبجيل وعرض على المارشال تعيينه وكيلاً الامير في الجزائر فحشيت فرنسا ان يكون تعيينه وواسطة لربط علاقات ودية بين امريكا والامير فكتب المارشال الى الامير لا يخفى سموكم ان مفهوم الشرط الاخير من المعاهدة ان وكلاءكم تكون من العرب كما ان وكلاءنا نتعين من الفرنسيين وعلى هذا فلاحق لكم في تعيين مسيو كزماي وكيلاً لكم هنا وكتب مضمونه الى مسيو كزماي وكزماي عرف الامير بالقضية تفصيلاً وحيث ان الفاظ تحرير المارشال كانت قاسية اغناظ الامير وامر ان يجرر الى المارشال الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين الى حضرة المارشال والا ان وكيلنا موسيو كزماي قد بلغنا انه لا يسمح له ان يقيم بمصالحنا وقد كتبتم له تحريراً ارسل اليها نسخة منه فقرأناها وهي تعلن اليه انكم لا تقبلونه وكيلاً عنا وانه يجب ان يقيم مكانه ابن عرب فاولاً لا نقدر ان نجد ابن عرب يتم وظيفته ويرضي كلانا ويرضى في صوالح الطرفين

وان كرماني رجل حكيم وعاقل لا يتسك الا بما فيه النفع للفئتين وثانياً ليس لفرنسا حق ان تجربنا على تعيين وكيل ضد ارادتنا وميلنا لان ذلك منوط بنا ولنا ان نختار ما هو الاحسن لنا وان كنتم ترغبون ان نقيموا ابن عرب وكيلاً لكم عندنا فافعلوا فاننا لانعارضكم في ذلك فلماذا نتعرضون لنا بانتخابنا فعملكم هذا يناقض مبادئ الشرف الذي يجب ان يراعى في كل الاعمال ويظهر من هذا انكم تريدون ان تردوا الاخلال مرة اخرى في ايالي الجزائر ووهران حيث ان الافراد الذين ارادوا ان ياتوا ويستوطنوا اراضيها لم يتنعوا عن ذلك بالقوة الجبرية فقط بل انقوا في السجن كل من مجرمون ولما وكيلاً كرماني اقام الحججة على هذه الاعمال وامثالها فلم تتنازلوا ان تجاوبوه فتصرفكم هذا يشير الى الاجحاف عن الحق ويظهر انكم ترغبون ان تزرعوا الخصومات بيننا وبين دولة فرنسا فيها اننا قد انتخبنا مسيحياً من مدينتكم وانتم ترفضونه وكنا نتأمل ان تصرف حضرتكم لا يكون كتصرف من سبقكم ولا تمشوا على اثرهم وان دولة فرنسا ترسل رجالاً ليجسوا ادارة حكومة الجزائر عاملين بما يقتضيه العدل واعتقل لتمتع بانمار السلام واستناد حضرتكم في تحريككم على الشرط الاخير من المعاهدة المختص بتعيين الوكلاء متبادلاً منا ومنكم عندنا وعندكم وفهم ان تكون وكلائنا من العرب ووكلائكم من الفرنسيين فهو خلاف اصله المصادق عليه بل هذا التفسير اختراعي فان كنتم محافظين على المعاهدة فاقبلوا وكيلاً كرماني المعين بموافقة مجلس شورى الامة وان كنتم استحسنتم خرق الشروط وابطال المعاهدة فنحن مع عدم الميل الى ذلك نجيبيكم الى مرغوبكم ولا يخفى ان البغي وخيم ونيجة الشر تعود على البادى به وبالجملة اني انتخب كرماني وكيلاً عندكم في الجزائر فرجوعي عنه محال فلما اتصل هذا الجواب بالحاكم وتاكد عنده ان هذا العمل اثر في خاطر الامير اخذ في تلافي الامر وحرر الامير بالموافقة واخبره انه محافظ على بقاء المعاهدة الجارية على اسلوبها حيث لا امل في الحصول على ما هو احسن ووافق منها وهذه المراجعات التي دارت بين الامير والحاكم بواطها وما ينشأ عنها وما تشير اليه من دقائق السياسة لم تخف عن الامير ولذلك جعل يقضي حزمه وتفطنه للامور جواسيس حذافاً تخبره على الدوام بچقائق الاحوال لاسيما ابن دران الموسوي وهذه الحال هي التي اوجبت التشديد واثبات وظيفة كرماني ومن ثم شرع الامير يخاطب المارشال بالفاظ حرة شديدة في سائر ماعليه الاخلال والنزاع كسالة الحدود واشباهها ومن غريب الاتفاق انه في سنة ست وتسعين ومائتين والاب كان مدحت باشا والياً على سورية فجاءه مکتوب من كرماني

وهو مقيم في ايطاليا يقول فيه ان الدولة العثمانية عزلتني من وظيفة وكيلها في ايطاليا
 بسبب انني قمت بخدمتكم حينما كنتم في هذا الطرف كما ان دولة فرنسا لم تبتلني
 لما عيني الامير عبد القادر وكيلاً له عندها في الجزائر ثم نال له وهذا مكتوب
 الامير الذي ارسله الي في ذلك الوقت بهذا الخصوص يصلكم في طي تحريري
 هذا اليكم ومما وقع فيه الخلاف مسير جيش فرنساوي من ارزيوالي مستغانم على
 طريق البر بامر الجنرال بيجو حاكم وهران وجعل ذلك اختباراً لحال الامير معهم
 هل هو متفطن لمكائدهم ام غافل عنها فان وجده متنبهاً لما خنس والا فانه يمد
 يده الى مطلوبه والداعي الى ذلك ان المارشال نعم عليه اموراً بنيت عليها المعاهدة
 وتعقبها عليه واتبعه في ذلك كثير من رجال دولتهم فحاول ان يعالجها بمغالطة
 الامير وجعل فعله هذا مقدمة لما قصده ولما اتصل بالامير خبر الجيش غضب
 وعلم مكيدة بيجو فبعث اليه يقول ان مسير جيشكم من ارزيوالي مستغانم على
 طريق البر مخالف الاصول التي قامت عليها المعاهدة وتقرر عليها الصلح فنعلمكم
 هذا تحض تعدد على حقوقنا وان خفي عليكم الامر وادعيت انك غير متعد بنعمك
 هذا فراجع الشروط وامن النظر فيها فانك تجد انه لا حق لكم في المرور على
 طريق البر الى مستغانم وتعلم ان فهدك لمنطوق العبارة المقررة في صك المعاهدة حائد
 عن الصواب هذا ان قلت انك بنيت امرك على ما فهمته من العبارة او اولته
 فلما وقف بيجو على مكتوب الامير علم انه على غاية من الحزم في اموره فلم يسعه
 الا السكوت ولما استولوا على قسنطينة ارادوا ان يمدوا ايديهم الى المسافة الطويلة
 التي بينها وبين الجزائر وقبل ان يظهروا هذا الامر راوا ان يجعوا لذلك مقدمة
 تكون توطئة وتمهيداً له فسير المارشال قائله مع فرقة من العسكر من الجزائر
 الى قسنطينة على طريق البر ولما وصل الخبر الى الامير كتب الى المارشال
 في ذلك وشدد النكير واقام عليه الحجة فاجابه على ما ذكره المؤرخ بلمار ان
 فرانساً قد وهبتك جميع اقليم وهران وجميع اقليم تيطرى ومن الجزائر جميع ما هو
 غربي نهر الشفه ولا - ق لك في شرقيه واما اقليم قسنطينة فانه خارج عن
 الجوال ولا كلام عليه في المعاهدة لانه كان في وقت انعقادها تحت ولاية احمد
 باي فاستشاط الامير غضباً لقول المارشال ان فرنسا قد وهبتك وعظم عليه ذلك
 فاجابه اما اقليم قسنطينة فهو خارج عن محل البحث واما اقليم الجزائر فالواجب
 عليكم ان تتذكروا ما جرى بيننا عليه من المراجعات الكثيرة حين

المخابرة في انعقاد المعاهدة حيث كان مرادي ان اجعل حدودكم محصورة في ضواحي مدينة الجزائر ولما الح عليّ الجنرال بيجو في توسعة الحدود وامتدادها جعلت وادي القدرة حدًا لكم في الجهة الشرقية والى البلدة غربًا وكلمة الى عربية وضعت لانتهاه الغاية في كل شيء فكان الواجب عليكم ان لا تتجاوزوا وادي القدرة الذي جعلته لكم حدًا ونهاية لغاية ما اجتمه لكم من البلاد على ان المسافة التي بينه وبين قسنطينة لاتعلق لها بما جرى بيننا في المعاهدة مما استوليتم عليه فان ما استوليتم عليه في الشرق محصور فيما بين قسنطينة وبونه وبالجملة فتجاوزكم لحد وادي القدرة خارج عن جادة العدل بعيد عن خط الصواب لاسيما واهل تلك الناحية لم يحل في اعينهم فعلمكم بل رأه تعدياً محضاً على حقوق المسلمين وظلمًا بحقهم ودولة عظيمة شهيرة مثل دولة فرنسا لا ينبغي لها ذلك وبالجملة فتعريجكم على تاويل الالفاظ لا يليق بكم بل يجب عليكم وعلينا ان نحافظ على النصوص الصريحة ونجري في امورنا على موجبها فاجابه المارشال ان مراجعاتي لسموكم مبنية على ملاحظة كلمة فوق المذكورة في التحديد الشرقي فارجو ان تلاحظوها . اجابه الامير ان جوابي الاول وما بعده ومراجعاتي كلها مؤسسه على ملاحظة سائر ماذكرناه في التحديد كلمة وكلمة وهو الصواب المطابق للغة العرب وما فهمتموه انتم من كلمة فوق وكلمة الى غير مطابق لما وضعنا له وعندكم من علماء اللغة العربية من يحقق لكم ماذكرناه وهذه المراجعات كلها لم تجد نفعاً واستمرت المشاكل تتزايد يوماً فيوماً ومع ذلك فان الامير غير مبالي بها ولا ملتفت اليها لما اطاع عليه من ميل دولة فرنسا لدوام السلم ولما استولى الامير على مجازة والزيان وغيرها من النواحي الشرقية والجنوبية قام المارشال وتعد وبعث اليه في ذلك فاجابه انكم استوليتم على مدينة قسنطينة والخط الممتد بينها وبين مرسى بونه لاغير فان ادعيتهم ان جميع ما كان تحت ساطة احمد باي لاحق بذلك فهو نحل نظر واما ما استولينا عليه فانه بعيد عن دعواكم ولا حق لكم فيه اذ لا يعد من اعمال قسنطينة التابعة لحكومة احمد باي ولا كان في طاعنه بل كانت حكام هذه البلاد من اهلها لا تعلق لهم به ولا يد له عليهم منذ انقرضت الحكومة من الجزائر بنساء على ذلك ليس لكم في البلاد التي استولينا عليها دعوى تسمع عند اهل العدل الذين يحافظون على حقوق العباد ولا تطمح نفوسهم الى الاعتداء ثم ان هذه الاعمال التي اجراها الامير دون ان يلتفت الى احد فيها قد فتحت له باباً عظيماً لتوسيع مملكته ومدت له طريقاً متسعاً لنفوذ كلمته

وبذلك وضع يده على الاماكن الواقعة عليها النزاع وعلى البلاد الشاسعة كالزيبان
وتجانه وجبال البربر الشمالية وما اليها وسلم للفرنسيس استيلاءهم على قسنطينة ولم
يسلم لهم دعوى تابعة البلاد التي استولى هو عليها بل قال ان هذه الاقسام
خارجة عن حكومة احمد باي لكونه يعلم ان ما تغلبوا عليه لا يمكنه التعرض
اليهم فيه لعدم مساعدة الوقت له في ذلك وما كان خارجاً عن محل تغلبهم فلا
حق لهم فيه .

« ذكر خروج ابن علال خليفة الامير على مليانة لتحصيل
« الاعانة والزكاة من الاعراش »

ولما طال على الامير امد حصار عين ماضي كتب الى السيد محمد بن
علال خليفته على مليانه بان يحصل الاعانة المفروضة على الاعراش ويستوفي زكاة
خمس سنين لم يدفعوها فخرج الخليفة في فرقة من عسكره وما زال يصبح عند
قوم ويمسي عند آخرين ويحصل الاعانة منهم والزكاة وكل من تاخر عن اداء
ما عليه منهما يناجزه القتال حتى انتهى الى جبل تاشته وكان سكان هذا الجبل
لصوفاً طغاة يسرقون الاموال ويخطفون النساء ذوات البعول من اخيبتهم
ويذهبون بهن الى اماكنهم الحصينة ويتزوجون بهن وكانت الحكومة السابقة
لا تقدر على ردعهم عن ذلك مع كثرة المتشكين من افعالهم البربرية ولما
طالبهم الخليفة بالزكاة والاعانة وامرهم برد ما عندهم من المظالم لاهاليها المجتمعين
عنده لم يعتبروا امره واجابوه بانا خدام الاعراش وقد ارسلنا لهم الخبر بذلك
وطيروا الخبر الاعراش يستنفرونهم للقتال فاقام الخليفة ثلاثة ايام يراجعهم فلم
يجده ذلك تنعاً وفي اليوم الرابع ركب في خمسين فارساً واربعمائة من المشاة
فصعدوا الجبل وابتدأوهم في القتال وبعد ساعة ولوا منهزمين وتركوا العيال والاموال
فاستولوا على الجميع ونزلوا بهم الى العسكر وبعد ذلك استأمن كبارهم فامتهم
ولما حضروا عنده امرهم بدفع كفة ما عليهم من الاموال فاجابوه لذلك ثم
امرهم برد المظالم لاهاليها فادوا جميع ما غضبوه ثم امرهم بان ياتوه بالنساء اللاتي
خطفوهن فاتوه بالبعض منهم وقالوا لم يبق الا اللاتي هرب بهن رجالهن وفيهن
من ولدت منهم بطناً واثنين وثلاثة فلم يقبل منهم ثم اتفقوا ان يذعوا عنده
عشرة رجال من اعيانهم رهناً الى ان ياتوا بهن فاجابهم لذلك واطلق عابهم

وسلمهم جميع اموالهم بعد ان استتابهم واخذ عليهم العهود ان لا يعودوا لمثل ذلك وارتحل عنهم وبعد ايام قلائل ردوا اليه بقية النساء وافلت رجالهم المرهونون عنده وقد غير سيدي الوالد كثيراً من امثال هذه الانفال والعوائد فمنها ما اعتاده اهل جبل مطماطة من عدم توريث الزوجات والبنات فارسل اليهم قاضياً وعدلاً فحصلوا لمن ارشئن ومنعوه عن فعل مثل ذلك وعين لهم الفقهاء والقراء يعلمونهم امور الدين . يقرؤون اولادهم القرآن العظيم وامر بعقاب كل من ترك صلاة الجماعة لغير عذر

* ذكر توجه ناظر الخارجية ابي محمد الحاج المولود بن عراش الى باريس *

ولما راي الحاكم الفرنسي بعد اتمام معاهدة تافنا ماعليه الامير من شدة العزم والحزم والاقدام واخذ امره في النمو وتهافت من جاهر بعديانه على اداء الطاعة له اصر على الامير بارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويظهر له انه جاء لتوطيد الحب وتأكيد السلم وذكر له من فوائد هذا الامر ما جلب به موافقة الامير له عليه ثم ان الامير ارسل اخاه سيدي محمد سعيد ومعه الحاج محمد فاخه وفداً الى سلطان المغرب الاقصى واصحبهما بهدية وكتاب ذكر له فيه ان الحاكم الفرنسي طلب منه طلباً حثيثاً ارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويحكم معه طريق المواصلات واعلم بان نفسه تميل الى الخلوة والعبادة وتنفر من ثقل ما تحمليته من اعباء الامارة في زمان كثير فيه العدو وفسدت فيه الاخلاق وعرفه بما اجراه بعين ماضي واخذ زكاة نعمها عن خمس سنين ولما وصل الوفد الى فاس تلقاهم السلطان عبد الرحمن بالبرة والاحسان وانزله في اعز مكان ثم اخذ يلاطف سيدي العم ويساله عن احوال الامير فيحدثه عن افعاله بما يستغرب ويقضي على السامع بالهجب وبعد ان قضوا بنزع ايام استاذنوا ورجعوا الى الامير محويين بكتاب من السلطان ملخصه بعد الحمد لله تحل ولدنا الذي نظم به شمل الامة وجلى بنور صدقه الشدائد المدهسة حامي حمى الاسلام والمسلمين الامير المجاهد السيد الحاج عبد القادر بن يحيى الدين ايدك الله بنور توفيقه ورعايته وجعلنا جميعاً من اهل قر به وعنايته آمين وسلام الله الاتم ورضوانه الاعم يتواليان على حضرتكم ذعناً ومقاماً ويرنعان لكم عند الله مقاماً ورحمة الله وبركاته مادام الفاك وحركته وبعد فند وافا حضرتنا الوفد الذي اشخصتموه من بابكم ووجهتموه من

جنابكم صحبة اخيكم البر الرشيد السيد محمد السعيد نائباً عنكم في الزيارة لابساً من
عنوان صفاء مودتكم ابهى زي واحسن بشاره فادى الينا كتابكم الذي تفنقت عن
ازهار روض اخوتكم في الله مبانیه وتنقست عن كريم عهدكم وسليم عقدكم طيب
معانيه وافسحت عن طيب سرائركم معاليه واعربت عن حسن ظنكم خواتمه ومباريه
وافاد بطالع مسرته من خبر هناء تلك الاقطار وبلوغ المسلمين بانتظام الكلمة
الاماني والاطوار ابقاك الله الاعلام رانعاً وعن حوزته مدانعاً ولا عدمت من
الله معونة وتأييداً وهداية وتسديداً هذا وقد وافتنا الهدية التي وجهتم صحبة
الوفد الذي اشغتم مخوفة بجميل الآثار مكسوة بجلل البر والايثار جرياً على
جميل اعتقادكم وعملاً بحسن ظنكم وودادكم فقابلنا وجه نظركم بالقبول وتلقينا
حديث صلتكم بالبر الموصول كثر الله امدادكم ووفر عددكم واعدادكم وما اقتضته المصلحة
من توجيهه باشدور من قبلكم لبر فرانساً حيث طابه طاغيتكم بحث وازعاج جارياً
من الرشد على منهاج فانت والحمد لله من دينك على بئيرة ومن سياستك على
اقوم سيرة فقد مارست احوال العدل سلماً وحرماً واطاعت على بعض دسائسه شهوداً
وغيباً فامرته كله تمويه وتدليس وشانه كله خداع ونيليس فكن من مكائده على بال
ومن امر غدره على بئيرة واحتيال فظالماً اسر حسوا في ارتغاء واطهر تمنعاً في
ابتغاء وابدى تحبباً ووداداً واخمر غدرآ وعناداً وفيما نعل بالاندلس واهلها اعدل
شاهد وبرهان وليس الخبر كالعيان فقد كنوا شرطوا عليه نيفاً وسبعين شرطاً لم يوف
لهم منها بواحد ونربوا معه فيها في حديد بارد

لا يغرنك ماترى من خضوع . ان بين الضلوع داءً دويماً ذلماً اظير التودد
منها اطلع قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذرکم وقال سبحانه ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم واي خير يجب عدو الدين لجماعة المسلمين فالحازم اليقظ من
لسلمه لا يستقيم ولا يبرح عن سوء الظن به ولا يديم والله سبحانه يجزيك من معونته
على عوائده ويعيد على الكافر شؤم مكائده وما ذكرت ايدك الله من التنصي
من عهدة الامور الاجتهادية والميل الى تعاطي المسائل العلمية لتخرجك من ارتكاب
تجلى اليها سياسة الخلق وربما يخفى فيها ظهور وجه الحق فاعلم ان الله سبحانه
وحركاته وسكناته ذخراً له وبضاعة فاذا كانت النهضة لله والعزيمة لنصرة دين
الله كملت المطالب وتوفرت الرغائب وهذا هو السر في افتتاح الامام البخاري رحمه
الله في الجامع الصحيح انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى واذا اجتهد الانسان

قدر وسعه وجهه امله الله بتوفيق من عنده وهداه لسبيل رشده والائمة في
 هذا مجال فبهديهم اقتده وكيف يسوغ لك التفصي وقد رفعت بك في ذلك القطر
 راية الاسلام وانتظم امر اخاص والمعام وارغم بك انف الكفر واحزابه ورد كيده
 على اعقابه حتى صار العدو يخفض لك الجناح ويرسم اسمك على السلاح وسارت
 بحبر ذلك الركبان براً وبحراً وانا لنرجو فوق ذلك مظنراً ولولا وجودك وجدك
 لتفرقت اشياح تلك القبائل الاسلامية شذر مذر ولا افتقرت كلاب الروم امله
 وعمرت عبده العليب حزنه وسهله ولكن الله سبحانه تداركه باقامتك وسد ثغوره
 بحمايتك ولن تعدم من الله عوناً وهدداً ومن صالح المؤمنين عدة واعدداً نانه
 ان يعدم القائم بالدين وحياطة الاسلام والمسلمين النصر والاعانة والتمكين من
 القوي المعين والشاهد قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال مائة من امتي ظاهرين وما نعلت من
 اخذ زكاة نعم ناحية عين ما بي عن خمس سنين حين ظفرت بها بعد تكرار المطالبة للسيد
 محمد بن احمد التجاني بسببها فقد اذنت حقاً وطهرته وامله ولو انصف وقال - قيا
 فانت المكلف بتلك الاقطار دانيها وقاصيها واليك مرجع طائعيها وعاصيها ونرجو
 الله سبحانه ان تضاف اليها جميع بلاد اهل الشرك وتنتظم بطاعتك انتظام الجوهر
 في السلك وتند كلمتك في الحواضر والثغور وتبسم فرحاً بك الحامية وانغور
 بحول الله وقوته وقد تفرسنا في اريك عند ملاقاته الخير وعلمنا صحة فراسة
 والدك رحمه الله حين تخيره للخلافة على الزاوية ورثحه لتلك الرتبة السامية فالدر
 من معدنه والخير من امله

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق يلقيهم حيث سيراً
 ارى كل غصن نابت في ارومة ابي منبت العيدان ان يتغيراً
 ونسال الله ان يمدد بك الآثار والاعلام ويعلمك من الائمة المهتدين ويصلح
 بك وعلى يدك آمين واذا اردت توجيهه باشدور لطاغية الروم فانخره من اهل
 الدين المتين الذي يرجح جانب الاسلام على المشركين باظهار القوة وتوفر
 الاجناد واجتماع انقلوب على الجهاد فان اكثر الناس اليوم كل على مولاه الا
 لذين امنوا وعمموا الصالحات وقليل ما هم والله تعالى يشد ازرك ويديم نصرك
 آمين من المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام ابن المولى محمد ابن المولى عبد الله
 ابن المولى اسماعيل في اواخر ذي القعدة سنة اربع وخمسين ومائتين بعد الالف
 ولما قرأ الكتاب وفهم ما تضمنه معناه صمم على ارسال سفير الى ملك فرنسا

واستنخار لذلك فوقع اختياره على معتمده ناظر الامور الخارجية ابن عراش فبعثه
 واصحبه بهدية تشتمل على عدد وافر من الابقار والحمر الوحشية والنعام وانواع
 من البسط والفرش الفاخرة المتخذة من الصوف الناعم نادر الوجود فسار ابو محمد
 في اصحابه الى الجزائر ومنها ركبوا البحر الى فرنسا وعند وصوله الى باريس
 احتفل الملك بقدمه وبالغ في مواءمته واحسن السوءال عن الامير ومدح ثباته
 في الذب عن دينه ووطنه وشكر اجابته الى الصلح وقبوله لما فيه من التوصل
 الى ما يحتاج اليه في اموره وما يناله في مدته من الراحة له ولعساكره واطال
 في ذلك قال بالمار في تاريخه ان الحاكم العام لما راي تقدم الامير اخذاً في
 النمو على وجه لم يكن في الحساب ونظر ان الفاظ المعاهدة لم تنزل مبهمة بحسب
 فهمه وشاهد ما عليه الامير من الحزم وثبات الجاش عرض عليه ارسال سفير
 من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويظهر له انما جاء لتوطيد الحب وتأكيد
 السلم فهذا راي الحاكم في الظاهر واما في الباطن فمقصوده انه ربما تنتقل الامور
 التي بينه وبين الامير الى طور آخر يحمل الامير على رجوعه عن تعصبه لما
 يراه مصلحة له ووجب عليه ان يثبت فيه ويعدل بقتضاه في الامور المختلف
 فيها وعلى كلا الوجهين فقد راي الامير ان راي الحاكم حسن فاجابه الى ما رغب
 فيه واختار معتمده بن عراش لهذه السفارة فبعثه وارسل معه هدايا غريبة وذكر
 مفرداتها طبق ما ذكرناه ثم قال ولما وصل المعتمد المذكور الى الجزائر تلقاه الحاكم
 بالمبرة والاكرام ثم ذاكروه فيما يتعلق بايضاح مبهم العبارات المقررة في المعاهدة ورأى
 ان مذاكرته في ذلك قبل سفره الى باريس اونق واولى فلم يفر منه بجواب
 شاف بل سلك معه طريق المحاولة والمزاولة ووعد به بانه بعد رجوعه من باريس
 يجرى له ما يرضيه فغضب الحاكم من هذا الروغان وحمله غضبه تلى ان كتب
 لدوائمه ان اجراء امر نهائي مع معتمد الامير لا يوافق صالح فرنسا ولا اهل الجزائر
 ولما وصل المعتمد الى العاصمة نزل في دار الضيافة بكل اكرام وغب الاستراحة
 قابله وزير الخارجية وتوجها معا لمقابلة الملك فقابله الملك بكمال الاحترام ونال منه
 حسن الالتفات وساله عن احوال الامير واستعلم منه حركات عساكره واظهر له اتياحه
 الى الهدية المرسلة معه وقبوله لها وقال له اني اعد الامير عبد القادر صديقاً وحيداً
 لي واني ارجو نجاح عمله وبلوغ البلاد الجزائرية الى حالتها الرفاهية والتقدم ثم
 ان المعتمد اخذ في مذاكرة الملك فيما يتعلق بالمعاهدة والبحث في الالفاظ التي وقع

الخلاف في المعنى المراد منها فاجابه وزير الخارجية ان هذا الامر ينبغي ان
 تكون المذاكرة فيه مع المارشال فانه حاكم الجزائر وبعد ايام انقلب المعتمد راجعاً
 من باريس بهدية من الملك الى الامير وهي سيف وزوج طبنجة كل منهما مرصع
 بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وحلق الماس وكردون منظم من الياقوت والزمرد وزراني
 مخصوصة بقضبان الذهب واثواب منسوجة بالذهب وغير ذلك ولما وصل المعتمد الى
 الجزائر قابله الحاكم وعاجله بالسوءال عما وقع له في امر المعاهدة فانبره بما اجابه
 به وزير الخارجية في حضرة الملك فانشرح صدره واطمان فكره ثم استأنف
 المذاكرة معه في تلك الامور التي لم تزال شاغلة لافكاره وبعد مراجعات طويلة
 تقرر عند الحاكم انه يذيل سك المعاهدة بما يوذن بتغيير اشياء منصوص عليها
 فيه وتبديلها بما يوافق مصالح فرنسا ونص ما حرره في ذلك التذليل ان المارشال
 فالاحاكم الجزائر ومعتمد الامير عبد القادر الحاج المولود بن عراش اتفقا على
 توضيح الكلمات المبهمة في سك معاهدة تافنا التي تقرر فيها العمل على ما ياتي
 الاول ان يكون الحد في جهة الشرق من الجزائر ممتداً من تجرى نهر القدرة الى
 منبعه في جبل طيارين ومنه الى يسر فوق جسر بني هني وعليه فيكون خط
 التحديد الحالي فيما بين وطن فليس ووطن بني جعد وما بعد يسر الى البيبان
 وطريق الجزائر الى قسنطينة بحيث ان يكون برج حمزة وجميع الارض الكائنة
 في شمال وشرق الحدود المذكورة الى البحر تابعاً لدولة فرنسا وان باقي ارض بني
 جعد وونوغا جنوباً وغرباً من هذه الحدود يبقى تابعاً للامير وفي عمالة وهران
 يسوغ لدولة فرنسا ان تزرعها من ارض ارزيو الى ارض مستغانم واذا
 رات مناسباً لها ان تصلح قسماً من الطريق الكائن في شرق المقطع فلها ذلك
 بدون تعدي على ارض الامير. الثاني ان ما تعين على الامير ان يدنعه للعساكر
 الفرنسية من الخنطة والشعير في مدة ثلاثة اشهر والى الان ما دفعه يلزم ان
 يكون تقديمه منجماً على عشرين سنة بحيث انه يقدم في اول كانون الثاني من
 كل سنة منها قسطاً من كل صنف من الصنفين المذكورين وان يكون الدفع
 في مدينة وهران. الثالث ان جميع ما يحتاج اليه الامير من الادوات الحربية
 والذخائر يطالبه من الحاكم وهو يحضره ويسلمه الى وكيله في الجزائر بالثمانه
 الاصلية التي اشترى بها فعلى هذه الوجوه يكون الاجراء بدون تغيير ولا تبديل
 وباقي الشروط المذكورة في سك المعاهدة يبقى معمولاً بها ثم لما انتهى الحاكم

تذليله عرضه على المعتمد ودعاه للموافقة عليه بموجب كونه وكيلاً عن الامير
فاعتذر اليه بانه غير مرخص له في مثل ذلك ووعده بالسعي فيما يحمل الامير
على الموافقة والاجابة الى مراد دولة فرنسا منه فلم يقنع الحاكم بجوابه والح عليه
ان يكتب في هامش التذليل انه اطلع عليه واستحسنه فتوقف ابن عراش في
ذلك ثم كتب اني اطلعت على هذا الملحق واستحسنته ولست مسوءلاً عن
مصادقة اميري عليه وبعد ان حرر المعتمد ذلك رخص له الحاكم في السفر
ولا جرم ان ما حرر في هذا التذليل يستدعي الخيرة للامير فان وافق عليه
يخرج من يده قسم عظيم من البلاد التي استولى عليها ونقررت احكامه فيها وان ابى
فلا بد من خرق سياج المعاهدة ونقض الصلح قال بعض مؤرخيهم وصعوبة القضية جعلت
الفرنسيين يتلافونها باستعطاف خاطر الامير ولذلك بدا للارشال ان يبعث مع المعتمد صهره
القائد دوسال الى حضرة الامير ليذاكره في القضية مشافهة وكان الامير وقتئذ
محاصراً لحصن عين ماضي فاعتذر المعتمد بذلك واخبره ان المسافة بعيدة جداً
فاجابه الحاكم ان بعد المسافة لا يصد عن قصده فاستكان المعتمد لذلك وعلم انه لا
مناص من خروج القائد معه فسارا معاً من الجزائر قاصدين الحضرة فلما وصلوا
الى مدينة مليانة تلقاها الخليفة السيد محمد بن علال بالنجيل والاكرام ورفض ان
يعرف القائد رسماً بدون امر من الامير ثم ان المعتمد اسر الى الخليفة بالامر واطلعه
على مافي سره من كونه يخلف القائد عنده وهو يغز السير الى الامير ليخبره بالواقع
فوافق الخليفة على ذلك وتلطف المعتمد في الخروج ليلاً واسرع في السير الى
تاكدت وبوصوله طير الخبر الى الامير وهو على حصن عين ماضي اما القائد دوسال
فانه لما اتصل به خبر سفر المعتمد دونه حمله الغضب على الرجوع الى الجزائر فرجع
واخبر المارشال بما اتفق له مع المعتمد فقام لذلك وقعد وكتب الى دولته بالواقع
واخبرها بان الاحوال الراهنة تقضي ببطان المعاهدة وفي هذه المدة كان الامير
مشتغلاً فيها بامر التجيني فانتهمز الفرنسيون الفرصة وشيدوا الحصون المتينة في بونه
وكله وميله من اعمال قسنطينة في الجهة الشرقية منها ووضعوا فيها العساكر والذخائر
واكتشفوا على آثار مدينة قديمة رومانية على البحر غربي بونه وتسميها العرب سكيكدة
والبربر روزيكوا فابتنوا في حزمها مدينة سموها فيل فيل وبهذا المركز توصلوا الى
وضع يدهم على جيجل والقل وغيرها من المراسي الصغيرة فيما بينها وبين الجزائر
وبعد فراغ الامير من فتح حصن عين ماضي رجع الى تاكدت وبوصوله احضر

معمده ابن عراش ووجه على استبداده فيما كتبه على التذليل فاعنذر اليه بانه لم يفعل ذلك الا لانتهاء شره والخروج من قبضته فقبل عذره ثم اقبل على تفقد احوال الجيش ومهامته الخربية وبعث الى خلفائه في الولايات يحثهم على النظر في احوال من عندهم من العساكر وامرهم بمفاوضة الاعيان والرؤساء في امر الجهاد والاخذ في الاستعداد ودس الى وكلائه في الجزائر وهران وغيرها باستقصاء الاخبار واستطلاع الاحوال والنقب على دسائس العدو ومكائده وبعث الى اهل الثغور في التيقظ والتنبه الى غوائل العدو والتحذير من مفاجاته ولما اتصل بحاكم الجزائر ما عليه الامير من شدة الالتفات الى اموره وما هياه الله له من النصر والتمكين وثبوت القدم حركه الحسد مع ما اتفق لاصهره مع العمدة ابن عراش فبذل وسعه في نقض المعاهدة وواصل رساله الى دولته في ذلك وهي تعيره اذناً صماء ثم بعث صهره القائد دوسال مرة اخرى الى مليانه وكان معه رسالة من الحاكم في طلب الجواب على مقتضى ما في التذليل وعند وصوله الى الحضرة تلقاه الامير بالمبرة والاكرام وبعد اطلاقه على رسالة الحاكم تحير في امره وراى انه امسى بين امرين خطيرين اما الموافقة والوصول اليها صعب لبعده عن قبول الامة له واما رفضها وهو يؤدي الى نقض المعاهدة وكان ديوان الشورى وسائر الامة يميلون الى الحرب ويقدمونه على اعطاء الدنية بقبول ما في التذليل مال معهم واجابهم الى ما طلبوه واستحسنوه ثم انه دعا القائد دوسال الى الديوان وكان حشر اليه الاعيان والقواد فلما استقر به المجلس اخذ الامير يتكلم على العموم فاخبرهم بالقضية وبتحريض الحاكم على الاجابة الى مطلوبه والموافقة عليه ثم قال وهذا الرسول الذي هو بمثابة وكيل لدولة فرنسا جالس بينكم وحاضر معكم يسمع كلامي وكلامكم فانظروا ما يملو لكم واظهروا ما فيه رغبتكم فضج الجميع وقالوا لا نقبل ولا نجيب الى ما هو مذكور في التذليل ولا نرضى بالدنية في ديننا ولا بما يخل بشرفنا فالنار ولا العار فان كانت الدولة الفرنسية ترضى ان تبقى على ما انعقد اليه الصلح في تافنا فذلك والا فالحرب وبالله المستعان فاقبل الامير على القائد دوسال وقال له ها انت قد نظرت بعينيك وسمعت باذنيك وليس الخبر كالعيان فاخبر الحاكم بما رايت وسمعت والذي عندي هو ان نتكلم معه بما يقنعه ويحمله على ابقاء المعاهدة جارئة في سبيلها القديم فان ذلك احسن للطرفين واليق بالجانبيين وعاقبة الحرب كما لا يخفى وخيمة وسفك الدماء مع امكان حقنها لا يجوز في سائر الشرايع

المقررة ولا يرضى به ذو عقل سليم وعلى كل حال فنحن مسرورون بقدمكم علينا ونرجو ان يكون ما شاهدته وسمعته من نواب المملكة اكبر عذر لنا عند الحاكم ثم ان الفائد دوسال بعد ان وقف على حقائق الامور انقلب راجعاً الى الجزائر واخبر مرسله بالواقع فوجم لذلك ثم بعث الى وزير الحرب في باريس يخبره بما جرى وما شاهدته صهره من الامير ورجال دولته وما هم عليه من التحمس والرغبة في الحرب واردف الحاكم ذلك بقوله ان تغيير الحال الراهنة يوجبنا الى استعمال اشياء وهي ان تعلن الدولة الفرنسية للامير عبد القادر بانها لا تقبل الحكم الذين وضعهم في الاماكن المخلف فيها ولا تعرفهم فانها تصدر امرها بتهديد الامير ووعيده فان لم يجد ذلك نفعاً تامر بالهجوم عليه بكل القوة التي يتوصل بها العسكر الفرنسي الى هدم قوته والاستيلاء على برج حمزة وما يليه من البلاد الشرقية وانها تكتب بعد هذا كله الى الامير ان هذا العمل ليس المقصود به نقض الصلح بل هو متم له ومثبت لروابطه

فلينظر العاقل الى هذا التحرير وما هو عليه من فساد المعنى وهل مع عمل السيف صلح وهل بعد الهجوم والاستيلاء على الاراضي المذكورة معاهدة ثم ان الامير لما علم ان الحاكم ساع فيما يحل به عقدة المعاهدة كتب الى ملك فرنسا رأساً يخبره بالحال ويطلعه على سوء تصرف حاكمه في الجزائر ومخلص كتابه من المعلوم قديماً وحديثاً ان المسلمين من دابهم تحاربة عدو دينهم قياماً بما اوجبته الشريعة الاسلامية عليهم من الجهاد اما لاعلاء كلمة الله او للدفاع والذب عن الدين والبلاد فاذا عارضتهم امور سياسية او ضرورات شرعية فلهم ان ينجحوا للسلم ووضع اوزار الحرب ونحن لما رأينا الجنرال ييجو راغياً في الصلح ورأينا بلادنا تحتاج الى ما به عمرانها وفيه راحتها اجبنا الجنرال الى مطلوبه وعقدنا معه الصلح ظناً منا ان دولة فرنسا تحافظ على العهد كما اتنا كذلك فاذا بعالمكم في الجزائر بادروا الى مابه خيبة الظن وعجلوا بما يؤدي الى الضرب والطعن فكاتبناهم في ذلك فما سمعوا ولا طفتناهم في القول والنعل فما قنعوا بل جمعوا حولهم وقوتهم فيما يحملنا على الاجابة الى ما لا يجوز لنا شرعاً ان نجيب الى مثله وهو التخلي عن قسم عظيم من بلادنا والتسليم في اخواننا اهل ديننا وحيث انه غلب على الظن انكم لاترضون بوقوع ما يكرر صفونا ويقطع مواصلتنا بادرنا الى ارسال هذه الرسالة الودية لتعلموا منها ما هو واقع بيننا وبين عالمكم وثنا كدوا اننا راغبون في مسالمة فرنسا وما فاتها ودوام معاملتها

في المتجر وغيره من اسباب العمران ولا تظن الدولة الفرنسية ان رغبتنا فيما ذكرناه لضعف
اعتري قوتنا او لقصور اخذ من حدة شوكتنا فاننا بحول الله تعالى وقوته لم نزل ولا
نزال على ما تعهده عسا كرها من عسا كرنا من كونها تعطيها في ميادين الهيجاء كيلاً
بكيل ونقابلها المثل بالمثل غير اننا لما راينا ذلك لا يجدي نفعاً رغبتنا في المعاهدة طابعاً
للراحة والوصول الى ما فيه عمران البلاد كما اشرنا الى ذلك آنفاً وكتبنا الى جلالتم هذا
اعلاماً بالحال انتهى

وقد وصل هذا التحرير الى الملك الا ان العوارض الكثيرة وقئئذ منعت من رد
الجواب قال ثم بعث الامير الى الملك مكتوباً ثانياً ولم يتيسر جوابه وبعد مدة اتصل به
ان وزير الخارجية والحرب عزلا وتعين لوزارة الخارجية مسيو تيرس الشهير ولوزارة
الحرب المارشال جراردن فتوهم ان هذا التغيير يجديه نفعاً فيما هو راغب فيه فكتب الى الملك
مرة ثالثة والى الوزيرين المذكورين ومخلص كتابه الى الملك

قد كنت بعثت لجلالتم برسالتين ذكرت فيهما ما هو واقع بيننا وبين عمالكم في
الجزائر من الوحشة ورغبتنا في زوالها من لدن جلالتم بوجه العدل والانصاف كما اننا
رغبتنا ان تامروهم بالعدل عن طريق الظلم والاعتساف والى الان ما وصلني جواب عن
واحدة منهما فظهر لنا من ذلك انهما لم يصلا اليكم لان كرم الاخلاق يابى ان تكونوا بعد
اطلاعكم عليهما تغافلتم عن رد الجواب وبناءً عليه كتبت هذا علاوة على ما تقدم رجاء
ان يصل وتطاعوا عليه وانه يجوز القبول وقصارى ما اقول ان عمالكم في الجزائر اجهدوا
انفسهم فيما ينقض الصالح المنعقد بيننا وبينكم من غير موجب من جهتنا البتة وانما حملهم
على ذلك ما سألته لهم انفسهم من التعدي على حقوق عباد الله ومدد اليه الى ما ليس لهم
فيه وجه فالبلاد التي ذكرها الحاكم في تدبيره هي بلاد سبقنا نحن اليها ووضعنا ايدينا
عليها وهي في حكم الموات لا حاكم لها بقتضى الشرع وذلك منذ انقرضت الحكومة من
الجزائر واعمالها ولم تدخل قط في حوزة احمد باي حاكم قسنطينة ولا كانت بينه وبين
اهلها مواصلة سياسية فباي وجه ينازعوننا فيها ونحن احق بها واهلها من وجوه لا تنفي
على المنصف ذي القلب السليم وهب انها كانت من اعمال قسنطينة التي استوليت عليها
واخذتموها من يد احمد باي فان احمد باي كان حاكماً عليها بالنفوس ايام
دخولكم الى الجزائر وهب انه كان عاملاً عليها من قبل حكومة الجزائر فان تلك
الحكومة انقرضت وبنقضها انقرضت احكامها وحكامها فلا سلطة شرعية لاحمد باي
عليها وبقاؤه فيها انما كان على سبيل الدعوى لنفسه والناس لم يقبلوه ان يكون ولي امرهم

ولا اعبروه رئيساً عليهم مطلقاً وتغلبه كان على نفس مدينة قسنطينة وبونة ولو وجد اهل تلك النواحي من المسلمين من ياخذ بايديهم ويدفعهم عنهم لسارعوا اليه كما وقع ذلك حين توجهنا الى النواحي التي تليها ومن حملتها الاراضي التي نازعنا فيها عمالكم بغير حق وبالجملة فسلك هؤلاء العمال معنا حائد عن طرق الحق مغاير لاساليب العدل ومن العجب انهم تعدوا على نفر من عساكري وحبسوهم بدون سبب شرعي ولا داع قانوني وعلى فرض ان لهم وجهاً فيما فعلوه فكان الواجب عليهم ان يخبرونا في امرهم ونحن نجري عليهم ما نقضي به الاحكام الشرعية او القانونية على حسب ذنوبهم ثم انهم منعوا بيع الحديد والنحاس والرصاص في اسواقنا كما انهم منعوا تجارنا من شرائه في اسواقهم واهانوا رسلي اليهم واعرضوا عن رد اجوبة رسائلي التي وجهتها اليهم وجعلوا ضريبة على المكاتيب التي ترد من الداخلية الى الجزائر وغيرها من المدن التابعة لهم ومع هذا كله فانهم يكتبون الى جلالتم انني عدو فرنسا اطلب حربها واسعى في اسبابه فينبغي والحالة هذه ان تاخذوا من اعنتهم وتضربوا على ايديهم وتامروهم بالعدل عن سوء التصرف معنا فان كل مروءة مع ما شاع عنكم من مكارم الاخلاق يقضي عليكم بذلك فان قال هؤلاء العمال اننا تاخرنا عن اجراء البعض من شروط المعاهدة قلنا اننا لم نؤخر ذلك الا لكون الجنرال ييجو نقاعد عن اجراء ما تعهد به ظناً منه انني غافل عن تلك المعاهدة المحرر عليها اسمه بخط يده وما علم انني اعبر صحة مواعيد شخص هو وكيل ملك فرنسا فانظر ايها الملك فيما ذكرته لك واسمع برد الجواب والتعريف عن مقاصدك والله يوفقك الى ما فيه راحة العباد وكتب الى وزير الخارجية ما ملخصه

اني اهني فرنسا برجوعك الى الوزارة الخارجية واعلم ان الاثقال المهمة التي تقضي بصرف المهمة وتوجيه الفكر الى تحسين الاحوال بيننا وبينكم تجعلني انتظر منك ما اهني به نفسي فانك على ما بلغنا تحب الهدوء والسكون وتسعى فيما يحسن العلائق بين شعبيك وسائر الشعوب ولا يخفى ان الاحوال الجارية بيننا وبين عمالكم لا يصلحها ويحسنها الا تايد السلم المنعقد بيننا وبينكم وتوطيده وتجانبة الاعضاء بكل وجه واما استعمال الحيل مع الاغضاء عن اجراء شروط المعاهدة لاجل مطامع خارجة عن جادة الحق فلا جرم ان ذلك يفضي بنا وبكم الى ما لاخير فيه لنا ولكم وحيث ان الحق تعالى وهبك من الاخلاق الحميدة ما اكسبك الثناء الجميل من ابناء وطنك فينبغي لك ان تستعمل تلك الشيم الكريمة كذلك في افريقية وبذلك ينتشر ذكرك الحسن بين الامتين وتعطر انديتها بهدحك وكلك وتحصل لك الشهرة المطلوبة لكل عاقل ويدوم ذكرك في العالم

وبالجملة فاني انتظر منك ما يسر السامع وتبتهج به المجامع من تجديد الروابط الودادية
بيننا وبين دولتكم

وكتب الى موسيو جراردن ما ملخصه

لما بلغني ان ملك فرنسا قدك وزارة الحرب انشرح صدري لذلك لعلمي انك تميل الى
المسالمة وتسعى في اسبابها ومن يكون قادراً على نظارة الحرب فلا بد ان يكون قادراً على
تمكين الصلح وحمايته من اعتداء المعتدين هذا وان معاملة عمال الجزائر لنا وسوء تصرفهم
معنا لا بد ان يكون قد شاع وذاع وتاسف له كل عاقل وتكدر منه كل فاضل فان
هوء لاء العمال بعد ان عقدنا الصلح مع دولة فرنسا واسسناه على شروط قبلها كل منا وجرى
بها العمل قاموا يتعاطون اسباب حل ما عقدناه ونقض ما اسسناه وبنوا امرهم على الطمع
الذي يمتته كل منصف والظلم الذي يمجح كل عادل وحاولوا تغيير كثير من الشروط
وبجثوا في معاني الفاظها العربية ولا ادري هل كان ذلك منهم لجهايمم باللغة العربية ام
هو على سبيل التعمت ومن العجب انهم ارتكبوا ذلك ولم يعلموا انه حطيط في حق دولتهم
العظيمة وبالجملة فنحن نستدعي حسن التفاتك الى المطالب التي اكثرنا علينا فيها ونرجو
نفوذك القوي عند جلالة الملك يعضد مقاصدك السامية والله تعالى يوفقكم الى فعل
الخير ونقريره .

فمن تأمل في معاني هذه التجارير ظهر له منها حسن مقاصد الامير وشدة ميله الى
الصلح كما ان دولة فرنسا كانت تظهر ذلك ولكن ارادة الله اقتضت وقوع الحرب بين
الفرقيين ولما يش حاكم الجزائر من اجابة الامير الى موافقته على ما حرره في تذييله وعلم
ان ذلك دونه خراط القتاد وانتضاء السيوف من الاغداد بعث الى دولته صورة التذييل
المحقق وذكر لها ما يحتملها على اختيار الحرب وكان معارفاً عندها ان الامير لا يسلم بذلك
لكنها نظرت ان مرور جيشها في تلك الاراضي يكون فيه الشرف العظيم لفرنسا ووضع
اليده لا يعد نقضاً لدعائم الصلح واصدرت الامر الى المارشال بهذا وعند وصوله اليه اخذ
في الاستعداد وبعد استكمال تعييته ووصول الدوك دورليان ابن الملك وروساء العسكر
اليه خرج وهم في معيته من الجزائر في السابع والعشرين من رجب سنة خمس وخمسين
ومائتين والسادس من اكتوبر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة سالكين طريق البر ولما وصلوا
لمضيق البنيان قسموا جيشهم الى فرقين فرقة توجه بها ابن الملك الى قسنطينة والفرقة
الثانية استمر بها المارشال سائراً الى ان دخل الجزائر قال بعض مؤرخيهم وكان دخوله
الى الجزائر دخولاً احتفالياً وقوبل باعلا اصوات الابتهاج واستمرت الاحتفالات اربعة

ايام وعملت وليمة فاخرة على ممشي باب الواد وظن ان الجزائر قد انقلبت فكان انتصار
وهي رسمته المخيلة على لوحها وانبأت عنه الشفاه وكان اهل البلاد التي يمرون فيها
يعتقدون ان حاكم الجزائر قصد بمروره بابن الملك في بلادهم مجرد السياحة والتفرج لما
هو مقرر عندهم من امر المعاهدة بين الامير ودولة فرس. ولذلك كانوا يقدمون له جميع
التسهيلات السفرية مسرورين بحليف ودود لاميرهم ولولا هذا ما تركوه يمر في بلادهم
من غير قتال قال بعض مؤرخيهم ولو كان عبد القادر هناك بخمسةائة عسكري فقط لما
مكنهم ان يعبروا ابواب الحديد عند وصولهم اليه ولا مكنهم ان يخرجوا منه ولما مر بوسط
قبائل بني مناصر احد قوادهم وحصل اطلاق البارود بينهم اتبه الخليفة السيد احمد
ابن سالم من نومه وطير الخبر الى الامير فوجم لها ثم نهض من مليانه الى المدينة وكتب
الى المارشال ما ملخصه فيما كنا معكم في حال سلم ومعاهدة فلم نشعر الا وقد نعمتم ما
ينافي ذلك وتجاوزتم الحدود المعلومة بين بلادنا وبلادكم بغير اذني ولا تقدم مخبرة في
ذلك ولا علم ومررتم بابن الملك في عسا كركم الكثيرة في بلادنا من الجزائر الى قسنطينة
بدون وجه يسوغ لكم ذلك ويجوزه ولو اخبرتموني ان ابن الملك يريد زيارة بلادنا
كنت رافقته بنفسي او عينت احد خلفائي لمرافقته والذي يظهر ان القصد من فعلمكم
هذا اظهار التعدي على حقوقي حتى اتاثر لذلك وينجر الامر الى نقض المعاهدة والحال ان
فعلمكم هذا هو نفسه ناقض للمعاهدة مبطل لها وبناء عليه اعلن لكم انني عزمت على
استئناف الحرب وبالله المستعان فارنعوا وكلامكم من بلادنا وانذروا قومكم المقيمين فيها
والمسئولية عليكم وحدكم .

✽ ذكر ما جرى بعد هذا من اشهار الحرب والمراجعات فيه ✽

✽ وما آل اليه الامر بعد ذلك ✽

لما يئس الامير من اجابة الدولة الفرنسية الى مادعاها اليه من ترك مطامع
عالمها والبقاء على ما تقرره الصلح وراى ان العمال الفرنسية عامدون الى نقض
العهد واخترام نار الوغى اعتزم على دفاعهم والذب عن دينه ووطنه واصدر اوامره
الى خلفائه في المقاطعات بالناهب للحرب والاستعداد لها واطلعتهم على ما اظهره الفرنسيين
من نقض المعاهدة ثم اصدر اعلاناً عمومياً ليتلى في المحافل والجماع وملخصه . ليكون
في علم سائر الخلفاء والاعوات والقواد وكافة المسلمين اهل بلادنا الدائنين بطاعة الله
ورسوله ثم طاعنا وفقهم الله للقيام بفرصة الجهاد واعانهم بالقوة والامداد ان الفرنسيين

قد ظهر عدوانهم واتضح اعنداؤهم ف تجاوزوا الحدود المقررة بيننا وبينهم ومرتوا في بلادنا من الجزائر الى قسنطينة بدون اذن منا فتاهبوا اعانكم الله للحرب وهيئوا سيوفكم للطعن واضرب واستعدوا للدفاع عن دينكم ووطنكم واجمعوا امركم للذب عن موردكم وعظنكم وحيث ان ما في بيت المال من النقود لا يفي بنفقات الحرب ولوازمها فقد تعين عليكم ان تفرضوا على انفسكم ومن يليكم اعانة جهادية وسارعوا بالحضور الى المدينة فاني انتظركم فيها ووطدوا طريق الراحة والامن في سائر اعمالكم على الوجه الذي اكون به مطمئن البال واعلموا ان النجاح موقوف على اخلاص النية فوجهوا قلوبكم الى الله تعالى واطلبوا منه تايد كلمته وتشديد اركان دينه بكم والسلام عليكم . قال بالمار وغيره من مؤرخي الافرنج من اطالع على هذا الاعلان وغيره من اعلانات الامير علم ان ما ينسبه اصحاب الاهواء الامير من انه اشهر الحرب بغتة ولم يعلنه بالوجه المعتاد بين الملوك غير مصيب في دعواه ومن المعلوم عندنا ان هذه النسبة الحائدة عن طريق الصدق كانت من المارشال فالأ وحده وذلك انه لم يرد الجواب في وقته المطلوب الى الامير عبد القادر ولانبه على الفرنسيين في سهل منيحة وغيرها لياخذوا حذرهم ثم لما اصابهم بعد ذلك من الوبال ما اصابهم اشاع هذه النسبة لينتصل من عهدة ما وقع فيه وفي الحقيقة انه وصله اعلان الامير بالحرب في المكتوب السابق فتغافل عنه وترك كل شيء على حاله واما الامير فانه لما طال عليه الانتظار لرد الجواب علم ان اعراض المارشال عنه دليل على عزمه على الحرب فكتب الى خلفائه وسائر اعيان رعيته في امر الحرب وامرهم بالاستعداد لها كما تقدم وعلى ذلك فلا اعتراض على الامير مطلقاً انتهى

ولما شاع خبر الاعلان بالحرب وسارت به الزكبان وتحقق حاكم الجزائر وحاكم وهران باقتراب وقت النزال ومقارعة النصال بالنصال تحيروا في امرهم وخافوا من رجوع بغيرهم عليهم وليس عندهم اذن من دولتهم في فتح باب الحرب ثم ان حاكم الجزائر بعث ابن دران الى الامير واصحبه بكتاب منه والامير وقتئذ في المدينة ينتظر وصول الجيوش اليه وملخص كتابه على ما ذكره مؤرخوهم اني لم ازل احافظ على السلم وقد قدمت رسالة الى الدولة ومنتظر جوابها فاصبر قليلاً واني ارجو تسوية القضية بيننا بما يرضي ولا يخفي ان غوائل الحرب عاقبتها وخيمة . واثنق ان الامير كان وقت وصول ابن دران الى المدينة في مجلس الشورى فلما بلغه خبره امر باحضاره واعطى الكتاب الى الامير فقراه على اهل المجلس وامر ابن دران ان يتكلم بما عنده من الاخبار

فلما سمع اهل المجلس كلامه وفتحوا منه مرام مرسله اعلنوا له بما وقع عليه الاتفاق واجتمع عليه الرأي من اشهار الحرب ودخول ميادينه فراجعهم ابن دران وبين لهم سوء عاقبة ما اتفقوا عليه فقال له الامير وان يكن الامر كما قلت فانه اسهل عندنا من احتمال الاهانة فقال ابن دران الذي وقفت عليه من الاحوال ان الفرنسيس ليس لهم قصد في ضرركم ومرور ابن الملك في بلادكم انما كان على سبيل التنزه والتفرج فعلى هذا اقول ان عملهم على هذه الصورة لا يستدعي الغضب ولا يوجب الحرب وبعد انقضاء المجلس اتفرد الامير في قصره فاستاذن ابن دران في الدخول عليه فاذن له وقرر له ما اطلع عليه من اسرار المارشال وقواد العساكر الفرنسيس وكشف له الغطاء عن احوال الوقت ورغبه في مسالمة فرنسا وقال لا يخفى ان الحصومة لا ينتج عنها الا ضعف القوى على لا ارى الحرب يوافق احوال سموكم فقال له الامير اني اعلم هذا ولكن اذا كانت الرعايا تطلب الحرب واذاؤها اتفقت عليها فماذا اصنع لا سيما والفرنسيس عملوا ما يوجبها ومع هذا ساعدت مجلس الشورى مرة اخرى وافاوضهم في هذا الامر وفي اليوم الثاني امر باجتماع المجلس واحضار العلماء وقواد العساكر وزوؤساء القبائل وبعد ان جلس الناس على حسب مراتبهم قال لهم الامير بالامس قد بينت لكم الاحوال واعربت لكم عن حركة الجيش الفرنسيس وتعديه على الحدود ومروره في بلادنا من غير علم منا وعرفتكم غوائل الحرب ومن المعلوم ان فتح بابها سهل ولكن الدخول في ميدانها صعب وحيث انني رايت اضطراب راي بعضكم بالامس جمعتكم اليوم فانظروا في امركم واظهروا ما ترغبون فيه بعد امعان النظر واني اطلب من الله التوفيق لما فيه عز الاسلام وصلاح الامة فاطرق القوم ملأاً ثم قالوا بلسان واحد ان الموت اهور من العار وهدم اساس شرفنا فقد وافقنا الفرنسيس على ما طلبوه منا اولاً وثانياً في معاهدة الجنرال دي ميثيل ومعاهدة الجنرال بيجو وحملنا انفسنا ما لا تطيقه والان لما تجاوزوا حدوداً ارتضوا وجرى الصلح عليها فلا بد ان يكونوا قد قصدوا باعدائهم هذا ان يستولوا على بلادنا ويستعبدونا ودون ذلك بذل اموالنا وارواحنا فلا عدول عن الحرب والنصر مطلوب من الله القادر الذي لا نقاتل الا لاءلاء كلمته فلما سمع الامير كلامهم قال حيث انكم تريدون الحرب ولا محيص عنها فاعلموا اني لا اتاخر عن اعلانه مرة اخرى وهي المرة الاخيرة ومعاذ الله ان اتخلف عن الجهاد بل ساكون فيه بحوله تعالى وقوته امام صفوفكم غير ان لي حقاً عليكم وهو ان تعطوني عهداً وميثاقاً على الطاعة وبذل النصيحة وان لا تسلكوا معي ولا في سائر امور الدولة والملة

سبيل الخيانة والغدر وان لا تولوا الادبار يوم الزحف وان لا تتخلفوا عن الجهاد ولذب
 عن الدين والبلاد عند ما اطلبكم لذلك فاجابوه الى ما امر به وحلقوا له عن آخرهم
 ونص يمينهم . بالله العظيم منزل القرآن على نبيه الكريم اننا لا نخون حضرة سيدنا ومولانا
 ناصر الدين سيدنا عبد القادر بن محيي الدين ولا نسلك في طاعنه سبيل الغش والخديعة
 لا ظاهراً ولا باطناً لا سرّاً ولا جهراً واننا لانتاخر عن صفوف الجهاد بل كلنا يقاتل
 لاخر حياته واننا نبذل اموالنا وارواحنا لحماية ديننا ووطننا ابتغاء لمرضاة الله ورسوله
 وبعد ان قر القرار على اشهار الحرب صدر من المجلس الاعلان به على الطريقة
 المعتادة وصورته . بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
 الحمد لله الذي انزل في كتابه المبين وفضل الله المجاهدين على القاعدتين اجراً عظيماً
 والصلاة والسلام على نبيه القائل الجنة تحت ظلال السيوف وعلى آله واصحابه واتباعه
 الذين قاتلوا في سبيل الله الوفاً بعد الوفاً وصفواً بعد صفواً اما بعد فان الزنيسيس
 المعتدين على البلاد الاسلامية بعد ما عاهدناهم وسالمناهم نكثوا وجالوا في بلادنا وعانوا
 ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اعلم ان التهاون في مثل هذا والاغضاء عنه يزيدهم
 طغياناً واعتداء علينا فلذلك قد اجتمعنا في مجلس عال بحضور سيدنا المعظم ومولانا المنعم
 ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين نصره الله لاجل المذاكرة في هذا الامر المهم
 والخطب الملم فوقفنا الحق تعالى جل جلاله للجواب ولهدنا جادة الصواب واتفقت كدحتنا
 واتحدت آراءنا على اعلان الجهاد والقيام بواجبه على اكمل استعداد وقد بايعنا حضرة
 اميرنا على الوفاء بواجبات الجهاد الشرعية وعقدنا على الصدق في ذلك النية وحررنا هذا
 الصك ليكون شاهداً علينا فيما ذكرناه فاجيبوا ايها المؤمنون داعي الله وانقروا خفاً وثقالاً
 الى ما دعاكم اليه ومن تاخر منكم فانما اثمه على نفسه كما ان لومه فيما يحل به من العقوبة
 الاميرية عليها . ومن الله نستمد العناية وهو ولي الهداية . حرر في اليوم الحادي عشر
 من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين . والسادس عشر من كانون الاول سنة تسع
 وثلاثين وثمانمائة في الديوان الاميري العمومي المنعقد في مدينة المدية المحمية . ثم ختم على
 هذا الصك الخلفاء والعلماء وقواد الجيش ورؤساء القبائل وبعد تسجيله قدم لاعتاب
 الامير فامر بتحرير الكتاب النهائي الى المارشال حاكم الجزائر ونصه
 اما بعد فقد وصلني كتابكم صحبة الموسوي ابن دران واحاط علمنا بما فيه وقد
 كنت كتبت اليكم من مدة خمسة عشر يوماً ما فيه الكفاية والآن اعرفكم تعريفاً نهائياً
 ان سائر اهل الوطن اتفقت كلمتهم واجتمع رأيهم على استرجاع شرفهم بالحرب لانهم راوا

تجاوزكم الحدود المعينة في معاهدة تافنا مبطلاً لها ناقضاً لاساسها واما انا فقد اجهدت نفسي في تغيير آرائهم وصددم عن قصدهم فلم يجد ذلك نفعاً بل زادهم هياجاً ورجبة في اشهار الحرب وجعلوا العهدة في تاخيره علي وحدي فبناء على ذلك اعلموا انني ما خنت ولا نكثت عهدي معكم وانما ذلك كان منكم لامي فاذنوا لوكلائي عندكم في تعجيل الاوبة اليّ وباللّٰه المستعان . وبعد مسير ابن دران الى الجزائر اقبل الامير الى ما كان عليه من اعداد المهات الحربية وبث الدعاة الى الجهاد في سائر النواحي فاقبل الناس الى الثغور وسارعوا اليها وفي ايام قلائل امتلأت بهم الاغوار والنجد وجرى ترتيب الكتائب على اكل وجه وظهر من اتقياد الرعية للاوامر الاميرية وحضوعهم لها ما شاع في الاقطار وحدا به حادي القطار قال مؤرخهم ولما استقر رأي الامير على الحرب صدرت اوامره بالزحف الى البلاد التابعة لدولة فرنسا من كل جهة فهرع الناس اليها من كل فج عميق وتسابقوا نحوها من كل بلد سحيق امتثالاً لامر الامير واغتناماً لطاعته وما كان في يد الفرنسيين حينئذ من الارض لا يتجاوز الشطوط البحرية ولما انتهت المراجعات ورأى حاكم الجزائر ان تدارك الامر قد فات وقته وعلم انه لا محيد له عن الحرب جمع اعيان مجلس الجزائر واطالعهم على مكتوب الامير الذي جاء به ابن دران وواظر لهم الاسف على ما فاته من تدارك امره مع الامير الذي ظالما دعاه الى المساواة والبقاء على ما انعقد عليه الصلح في معاهدة تافنا فلم يلتفت اليه ثم جمع قواد العسكر وفاوضهم في امر الحرب وامرهم باخبار الجيوش وعرضها وتدريبها واخذ الالهبة للزحف الى البلاد الاسلامية وقال لهم ان اول ما تؤمرون به انكم تقصدون المدن الكبيرة ومتى حصل لكم الاستيلاء على مدينة منها وجب عليكم ان تقيموا فيها ثم رتب لهم طرقاً ووجوهاً لتبليغ الاخبار الحربية اليه وكذلك الامير جمع رؤساء جيوشه المدربة والمتطوعة وامرهم بالزحف الى الاماكن التي يوجد فيها عسكر فرنسا وامرهم بالهجوم على الحصون واستعمال التورية في المسير الى الجهات وعين لهم من يبلغ اخبار كل فرقة الى الاخرى ورتب بريداً مخصوصاً به بياغه اخبار سائر الفرق

* ذكر بديء الحرب *

اول سرية كانت باكورة الحرب سرية تجوط وذلك ان الامير امر قائدهم بالغزو على ما يليه من ارض العدو فسار بهم ولما تجاوز نهر الشفة الذي كان يعتبر حداً في ايام الصلح شن الغارة على قبيلة اولاد غانم الدائنين بطاعة فرنسا فغنم سائر ما يمكنه

من ماشية ومتاع وفي رجوعهم لقيهم حشد من المتنصرة نصرة لهم من اهل تلك
الجهة فناوشوهم القتال فانكسرت المتنصرة وقتل قائدهم وانقلب قائد حجوط بالغنائم الى
بلاده وقسمها في قومه وهذه الواقعة كانت مقارزة لوصول وكلاء كل فريق اليه ولما
اتصل خبرها بحاكم الجزائر امتعض لذلك وجهاز فرقة من جيشه وبعثها لقتال حجوط
فالتقوا عند نهر الشفة وانتشب القتال بين الفريقين ولحق بكل منهما اضرار تستحق
الذكر ورجع عسكر الفرنسي الى الجزائر بلا طائل وبعث الحاكم الى وزير الحرب
بالخبر وذكر له ما سيتبع هذه الواقعة من النوائب وطلب الاسعاف بالعساكر والذخائر

❖ ذكر غزوة متيجة ❖

ولما فرغ خلفاء الجهة الشرقية من استعداداتهم امرهم الامير بالغزو على متيجة وما
اليها كل منهم مما يليه وكان مسيرهم جميعاً في اليوم الرابع والعشرين من رمضان
واول يوم من ديسمبر وكنت مداشر الفرنسي التي اخنطوها مائة لذلك السهل
الممتد شرقاً وغرباً مسيرة ايام ولما قربوا من تلك البسائط شنوا الغارة عليها فاتخذوا
في ساكنيها بالقتل والاسر والسبي واكنسحوا اموالهم وحطموا زروعهم واحرقوا سائر
مداشرهم وابنيتهم واستولوا على كافة ما عندهم من ماشية واثاث وذخائر ولم ينج
من القتل في جميع جهات متيجة الا ما ندر ولم تزل جيوش المسلمين تجدد الغارة
على التوالي يوماً فيوماً الى ان انتهوا الى بساتين الجزائر وضاق الفضاء على ما استولوا
عليه من صنوف الغنائم قيل ان هذا الهجوم كان مهولاً لم يسبق له نظير لان
عساكر الامير بمجرد هجومها اذنت سائر من كان موجوداً من الفرنسيين في سهل
متيجة وغنمت كافة ما كان عندهم من سلاح وذخائر ومهيات وما يملكونه من اصناف
الحيوان ثم صدر امر الخلفاء بحرق سائر الابنية في تلك البسائط فامست رماداً تذروه
الرياح وفر الناس امامهم افواجاً الى مدينة الجزائر فكان دخولهم اليها من الامور
المزعجة فرجفت قلوب اهلها عموماً حتى المارشال فانه انقل من قصره خارج البلد
الى داخلها وتبعه من كان ساكناً في البساتين وعم الرعب سائر القلوب ثم رجع
الخلفاء بجيوشهم وما في ايديهم من الغنائم الى المديه لان الامير كان ينتظرهم فيها ثم
توجه الخلفاء الى ولاياتهم لسد ثغورهم والقيام بشؤونهم لعلهم ان العدو لا يتغافل عن
هذه الواقعة الهائلة قال المؤرخ وبعد ان وقع ما وقع في سهل متيجة ارسل المارشال
فالا يخبر دولته بهذه الغزوة الاسلامية التي اخفت العموم والحيات الجيش الفرنسي

الى التحصن باسوار مدينة الجزائر

❖ ذكر وقعة ابي بهير ووقعة بوفاريك ❖

وفي الخامس والعشرين من شوال سنة خمس وخمسين ومائتين وثاني يوم من يناير سنة اربعين وثمانمائة التقى جيش جحوط مع جيش العدو على نهر ابي بهير من مدن بني يراتن من زواوه وانتشب بينهما قتال تكافأ فيه وخرج جيش آخر من بوفاريك حصن في ضواحي الجزائر قاصداً الى البليدة فرحف اليه المسلمون والتقى الجمعان بالقرب منها واشتد القتال بينهما وبالعشي الح المسلمون على العدو وحملوا عليه حملة رجل واحد فرجع القهقري ثم جمع امره وهجم على المسلمين فانكشفوا ثم قلبوا الكرة عليه وصدقه القتال فتهقر ثم حال الليل بين الفريقين وفي اليوم الثاني خرج جيش من البليدة مدداً للعدو فتمكن بهم من دخولها .

❖ ذكر غزوة مستغانم ❖

وفي الثامن عشر من ذي القعدة والرابع والعشرين من يناير خرج خليفة معسكر غازياً على نواحي مستغانم فعات فيها وحطم زروعها واثن بالقتل والاسر ونازل مزغران واخذ بمخنقها وقطع عنها المدد من مستغانم ثم بعد مدة جاءها المدد من وهران ثقوية حاميتها ولما طال الامر افرج الخليفة عنها واعر على نواحي وهران فاستاصل عدداً كثيراً من المرتدين المقيمين في ضاحيتها واكتسح اموالهم وارهب العدو ثم انقلب راجعاً الى حاضرة ولايته وطير الخبر الى الامير بذلك وبهذه الوقائع المتتابعة امتلأت قلوب الفرنسيين رعباً وبعثوا صرختهم الى دولتهم فابجدهم بعشرين الف مقاتل وذخائر حربية وكراع للنقل وبهذا العدد تم عندهم ستون الف جندي على ما ذكره روا في تاريخه

❖ ذكر خروج حاكم الجزائر الى المدية وصدده عنها ❖

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة والثاني من فبراير سنة الف وثمانمائة واربعين خرج المارشال فالابجيش كثيف من الجزائر الى البليدة ومنها سار قاصداً المدية فاعترضه خليفة مليانه بجموعه وناشبه الحرب واشتد القتال بينهما ثم وقع الفشل في حشود البربر فانكشفوا وثبت الخليفة في الجند المنظم فكأثرهم العدو وزحزحهم عن مصافهم وكثرت القتل والجرحى في الفريقين واتصل القتال يوماً كاملاً وفي الغد اصبح المارشال راجعاً الى الجزائر .

❖ ذكر مسير فرنساوية الى مرسى شرشال ❖

وفي الحادي عشر من المحرم سنة ست وخمسين والسادس عشر من مارس سنة ثمانماية واربعين خرج المارشال فالان من الجزائر الى شرشال وهي اسكلة صغيرة على مرحلتين من الجزائر يسكنها قليل من البربر والكول اوغلان ولم يحتفل الامير بها لانها قريبة الماخذ للعدو ولما توسط المارشال الطريق اليها اعترضته القبائل القريبة منها ووقفوا حركته اياماً عديدة مع كثرة جيشه حتى انه تم بالرجوع عنها قال بعضهم خرج المارشال من الجزائر في جيش كثير العدد متوجهاً الى شرشال وبعد صعوبات وخسائر كثيرة دخلها ورتب فيها حامية كافية .

❖ ذكر وقعة موزايه ❖

وفي الثامن والعشرين من المحرم والثاني من ابريل وصلت النجدة الى الجزائر من فرنسا ووصل الدوك دومال ابن ملك فرنسا ومعه شقيقه الدوك دورليان فنشط الفرنسيون في الجزائر من عقلمهم وفرح المارشال فالانم اعتمزم على المسير الى المدينة حاضرة تطري فخرج في اثني عشر الف جندي وطار الخبر الى الامير وهو في المديه فعرض عساكره وسار الى مضيق موزايه وكان رتب الجيوش فيه كما تبها في غيره من المعامل والمضايق التي في طرق العدو الى الداخلية ولما انتهى العدو الى ثنية موزايه في التاسع من ربيع الاول والحادي عشر من ايار اعترضه الامير في العساكر الاسلامية وضرب على مضيقها المصاف واضرم على العدو نار الحرب وفي آخر النهار رجع المارشال القهقري وارند في عساكره وبات كل فربق في موضعه الذي ادركه الليل فيه وفي بكرة اليوم الثاني تجددت الحرب واشتد القتال وكان الدوك دورليان في مقدمة المارشال فكان اكثر الوبال على جيشه ثم اجتمعت صفوف العدو والتحم بعضها ببعض وحملت على المضيق حملة رجل واحد فنوسطوه وانثالت العساكر الاسلامية عليهم من كل جهة واختلطت بهم وتقاتلوا بالسيوف والحرايب وصبر العدو الى ان خرج من ذلك المعقل الشديد واتصل الحرب في هذا النهار الى الليل وفي اليوم الثالث ارتحل وسلك طريق المديه واحاط به المسلحون يناوشونه القتال ويدافعهم باطلاق المدافع عليهم وكما وصل الى مضيق او حرش من الاحراش يخرج له كين يمنع من التقدم فنارة يتقهقر ويرند اوله على آخره وتارة يقف في موضعه ويرتب جيشه في صورة قلعة يحيطها بالمدافع ويبيت او يظل على تلك الهيمة ثم يرتحل وهكذا دابة في جميع مسيره ولما قرب من المديه اشتد عليه الحال

وتكملت الجيوش والحشود الاسلامية وحملت عليه وتفاقم الامر قال بعض مؤرخيهم فكان اطلاق النار مستمراً متصلاً حتى لاح للناظرين وقتئذ كأن تلك البقعة بجر من الكبريت التهب ناراً ولما رأى الامير قرب العدو من المدينة امر باخلائها فخرج اهلبا بما خف الى الجبال القريبة منها وتخلص العدو الى المدينة فوجدها خالية نتاج النار في منازلها وكان دخوله اليها في الخامس عشر من ربيع الاول والثامن عشر من مايه وبعد ان رتب فيها حامية نثر من خمسة آلاف مقاتل اتد راجعاً ولم يزل في طريقه في قتال ودفاع الى ان وصل قرب البلدة واما حامية المدينة فانها امست يوم خروج المارشال منها محمورة لان الخليفة السيد محمد البركاني نازلها بالجيوش وقطع جميع ما تنفع به وكانت هذه الوتعة ايام الصيف فنال الحامية من شدة الحر وضيق الحصار ما لا مزيد عليه وآل الامر الى تلف الجبل منها ذكر روا في تاريخه ما ملخصه سار المارشال فالاً في اثني عشر الف مقاتل من عساكر فرنسا ومعه الدوك دومال وشقيقه الدوك دورليان اللذان حضرا من باريس ليشتروا معه في هذه المحاربة وقصدوا في مسيرهم مضيق موزيه ليتوصلوا منه الى المدينة فاتصل خبرهم بالامير عبد القادر فسد في وجودهم المضيق بالعساكر العربية ورتب كمين في اما كن كثيرة في طريقهم فكانوا كلما ساروا مرحلة صادفوا مصادمة قوية ومهاجمة لم تكن منهم على بال فتارة يضطرون للناخر الى وراء وتارة يجوجهم الامر الى التوقف عن المسير وهكذا في كل مرحلة قطعوها حتى كادوا ينفقون قوتهم بالكلية

ثم ان المارشال واولاد الملك اتوا من الرجوع على هذه الحال فصبروا على مقاساة نيران الحروب العربية وعند وصولهم الى مضيق موزيه صادفوا ما بهر عقولهم من المقاومة الشديدة وكان الامير وجيوشه على رؤوس تلال تحصنة بمتاريس طبيعية من العخر الصلب ولما اخذت عساكر فرنسا تمر في المضيق انقضت عليها جيوش الامير والتحموا بها واتصل هذا بهذا وصاروا الى المقارعة والمصارعة فتخلص الدوك دورليان من المضيق بفرقة بعد ان فقد اكثرها وهان الامر على من وراءه من الجيوش الفرنسية ثم رجع المارشال واولاد الملك بجنودهم بعد ان تركوا لحماية المدينة خمسة الاف عسكري مع ما يلزمهم من الاقوات والمهمات وصادفوا في طريقهم احوالاً يقشع الجلد عند ذكرها لا سيما في مرورهم في وادي الزيتون وشعراء تلك الجبال الصعبة المسالك وفي اثناء طريقهم اقاموا اياماً لراحة الجند مما قاسوه من المشاق الهائلة التي لا يمكن لمؤرخ ان يصفها ولو تقريباً وفي مدة اقامتهم في ذلك الموضع اعتزموا على المسير الى مليانه

وقتل الدوك دورليان ابن الملك في احدى هذه المعارك فاشاع الفرنساويون انه وقع من العربية فبات وقد بلغني ان تلك المعركة مصورة تجسمة في ساحة وسط مدينة الجزائر

❖ ذكر مسير الفرنساوية الى مليانة ❖

وبعد وقائع موزايه والمديد توجه الامير الى مليانه لما كان يتوقعه من تصد العدو اليها ولما اتصل به خبر مسيرهم في طريقها امر اهلها بالجلال عنها كما نعل في المديه فخرج الناس بما تيسر حمله من اثاثهم وامتعتهم وتركوها خالية ثم ان الامير واخليفة السيد محمد بن علال جمعوا جيوشهم مع العسكر النظامي والتقوا بالعدو في طريقه واذقوه حرارة الحرب ومرارة القتال فلم يصدده ذلك عن قصده ولما قرب منها حمل عليه المسلمون حملة ما سبق له مثلها منهم واتصل ذلك نهائياً كاملاً وفي الغد اصبح سائراً والمسلمون يلاحون عليه في القتال ولم يصددهم عنه نتابع الكلال المرسله عليهم كما ان العدو لم يصدده للاحهم عليه وسد الاودية والمضايق في وجهه حتى وصل الى بساينها فجموا عليه واختلطوا به وثار الغبار واظلم الجو حتى لا يكاد يتميز العدو من الصديق واظهر المسلمون من الشجاعة والاقدام ما اذهل عقول الفرنسيس وغيرهم عن انفسهم حتى كان بعضهم يضرب بعضاً وهم لا يشعرون ولما كانت القدر الالهي مساعداً لهم اقتحموا هذه الشدائد وتخلصوا الى المدينة فدخلوها في التاسع من ربيع الثاني والحادي عشر من يونيه وبعد ان اقاموا فيها اياماً رتبوا فيها حامية كالمديه ورجعوا الى الجزائر واكتفتهم الجيوش الاسلاميه واذاقوهم نكال الحرب واشتد بهم الامر قال موءرخهم وتركوا جرحاهم وهبائهم في يد عدوهم وما وصلوا الى البليدة الا وهم على آخر رمق ولا استطاعوا ان يسيروا منها الى الجزائر الا بعد ان جاءهم المدد منها واما تلك الالوف التي خرجوا بها فقد اتى التلغ عليها الاشرزمة قايلة تخلعوا بها الى البليدة ورايت في تاريخ فاليلوت الفرنساوي كتب ييجوان المارشال فالالا في اثناء هذه الحروب كتب الى قبائل تلك النواحي يدعوهم لطاعة الدولة الفرنساوية ولم يتعرض لنص المكتوب وانما ذكر الجواب ولمنخصه من عباد الله القادر المومنين به وبرسوله مبيد الكفرة بسيفه الباتر الذين يماربون اعداء الله لاءلاء كلمته وتعظيم اسمه القاهر الخاضعين لاوامر الله واوامر مولانا ناصر الدين سيدنا عبد القادر بن محيي الدين ابده الله آمين الى حاكم مدينة الجزائر السلام على من اتبع الهدى اما بعد فقد وصلنا كتابكم المشتمل

على دعوتنا الى طاعتكم والنداء اليها فاخذ بنا العجب في كل طريق ومذهب وهل في الدنيا ذو عقل سليم يتصور هذا في فكره فضلاً عن كونه يتلفظ به او يكتبه وكيف ترك ديننا الذي هو الدين انقيم والصراط المستقيم وتبع دينكم الذي يجب علينا في شريعتنا ان نقاتلكم حتى نردكم عنه الى ديننا اما علمتم ان ديننا مبطل لسائر الاديان وشريعنا ناسخة لكافة الشرائع ولو انصف علماءكم لاقروا بهذا لانه مقرر في سائر الكتب الالهية كالتوراة والانجيل واكن حب الدنيا مع خوفهم على مناصبهم عندكم غطى على قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه واظهروا لكم ما يناسب اغراضكم من التعلق بزينة الدنيا وزخارفها وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم اعلموا اننا بحوله تعالى وقوته لانزال نحاربكم وندافعكم عن ديننا واطنانا الى ان نقفوا على سوء عاقبة ما ارتكبتموه من عظيم الذنب واي ذنب اعظم من تعديكم على بلادنا اولاً ثم سعيكم في تغيير ديننا ثانياً اما علمتم ان سائر الاديان والنواميس الازلية تامر بالعدل وتنهى عن الظلم والتعدي على الحقوق كما هو منصوص عليه في الانجيل الذي انزله الله على نبيه ورسوله سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو كنتم على دينه كما تدعون ما قطعتم البحر الينا لتاخذوا بلادنا وتغيروا ديننا فما نسبتكم من دين الله ورسوله الا كنسبة الثرى من الثريا وبالجملة فنحن لا نترك ديننا ولا نخلى عن طاعة مولانا واميرنا وسيدنا عبد القادر ابن محيي الدين والله تعالى يقضي بيننا وبينكم بما شاء فان الارض ارضه والملك ملكه ونحن عبيده ينعل فينا وفيكم ما يشاء ويحكم ما يريد حرر في سابع عشر ربيع الاول سنة ست وخمسين ومائتين والف من الاعيان والاكابر والاغوات والقوادى ولايتي تيطرى ومليانه ثم قال وكتب طم مرة اخرى وجعل مدار ما كتبه على امر الاسرى الذين هم في قبضته من العرب ومخص جوابهم

الى حاكم الجزائر السلام على من اتبع الصراط المستقيم والدين القويم قد وصلنا مكتوبك وفهمنا ما اشتمل عليه من كونك جعلت الدعوة الى الخضوع لدولتكم مبنية على اطلاق الاسرى منا عندهم وقصدت بذلك ان فكهم موقوف على طاعتنا لكم فاعلموا ان عندنا اسرى منكم وعندكم اسرى منا فان شئتم افدا فلا باس وان ايتم ذلك فان الامة الاسلامية لله الحمد كثيرة العدد وافرة المدد والاسرى منهم لا يزيدون في عددهم ولا ينقصون في عددهم واما اجراء الوجه الذي ذكرتموه فان دونه خبط القتاد وسوق الاجناد بل لا تقبل ان نسمعه وكيف خطر هذا في افكاركم ام كيف تخيلتم اننا نخضع لكم وندخل في طاعتكم لاجل خلاص اشخاص عددهم من

الحسين الى المائة مع دعواكم قوة الفطنة والذكاء وجودة الرأي وان اغتررتم باحوال
 القبائل في نواحي قسنطينه من كونهم لبوا دعوتكم واسرعوا الى الدخول في طاعتكم
 فما ذلك الا لضعف دينهم ومرض قلوبهم بداء النفاق واستيلاء الجهل على كبيرهم وصغيرهم
 اما نحن لمسنا مثلهم ولا تروا منا بجوله تعالى وقوته الا ما يخرج من افواه البنائق
 وتفعله السيوف عند التحام الصفوف لاسيما وقد انفق الآن سائر اهل الوطن على
 تايد كلمة الاسلام والذب عنها على الدولام الا اذا شاء الله خلاف ذلك فلا راد
 لقضائه وقولكم انكم ابتنيتم في جهة بني صالح قلاعاً نحصنها اردتم بها ايقاع الرعب
 في قلوبنا فهذا لا يؤثر فينا ولا يوهن عزمانا وقد سبقتم لمثل هذا في المديه ومليانه
 وشمتموهما بالعساكر والذخائر ولم نهتم بشيء من ذلك بل رأينا من سوء التدبير
 وقبيح النظر كانكم اردتم باءلك المساكين سجنهم او قصدم نفهم او جعلتمهم
 وليمة للموت ولذلك اننا نرى كل يوم يترى منهم عدد وافر على مائدتها ونرى افواجا
 يفرون الينا صارخين برباطنتهم بما معناه الجوع فرحمهم جرياً على عادتنا
 من الشفقة على امثالهم ومن بقي منهم في داخل المدينتين فهو محصور مقهور هكذا
 يكون نصيب عساكركم منكم ومع ذلك فانكم تحذعون ضعفاء العقول منا بالاماني
 الكاذبة واما وعيدكم لنا وشهيدكم بالاستيلاء على بلاد موزايه وبني صالح فاننا
 لا نعيه اذناً سامعة واهل تلك البلاد اينما توجهوا يتيسر لهم امر معاشهم فان
 ارض المسلمين واسعة شاسعة الاطراف وفيها المكفاية لهم ولغيرهم وعلى كل حال
 فلا شرف لكم في التغلب على عباد الله وانما الشرف والنحر في عمران بلادكم التي
 نشاتم فيها خلفاً عن سلف وفي اقامة قسطاس العدل واستعمال مكارم الاخلاق
 واما افعال كهذه فلا شرف فيها وقولكم اخبرونا عن احوال المغرب فلا خبر عندنا
 الا الحث على الاستعداد للجهاد فيكم والتواصي بالصبر على قتالكم ولا نعلم من انفسنا
 الا اننا نؤمن بالله تعالى وبرسوله الينا وان لنا اميراً مسلماً شريفاً من ذرية رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عالماً عادلاً واننا لاننعل الا ما امرنا به على وفق ديننا
 وشريعنا واننا لانغتر بمواعيدكم ولا بكلام الذين خالفوا الاوامر الالهية من ابناء
 ملتنا ليعيشوا عندكم في راحة حسبنا وعدتموه وما ذكرتموه من قوة الدولة الفرنساوية
 فانا لا نعرفه وانما المعلوم عندنا والمحقق لدينا هو عظيم قوة الله القادر سبحانه وتعالى

* ذكر احوال فرنساوية بعد الحروب السابقة *

كان المارشال فاللا يظن انه متى استولى على مدينتي مليانه والمدية تنقاد له القبائل وتمتد له الطاعة في تلك النواحي فبدا له من الله ما لم يحنسب ولم يحصل على طائل فيما كان يتمناه من الفخر وتخليد الذكر عند دولته وآل امره الى العزل والنويخ على سوء سيرته وقبيح سياسته وما ارتكبه من تطويح عساكرها في مهاوي الهلاك فيما بين مدينتي مليانه والمدية والجزائر وما لحقتها في تلك الاودية الوعرة والجبال الصعبة المسالك من الشدائد التي كادت تاتي على آخرها وقد ظهر لي ان اذكر هنا ما ذكره فالايوت كاتب المارشال يججو في تاريخه نقلاً عن بعض القواد الذين حضروا ذلك وعانيوه بل ذاقوا مرارته وتكبدها مشقته واقروا به ولم تحملمهم العداوة على كتانه ولا دعتمهم الحمية الى موافقة حاكمهم في كذبه وبهتانه فقال ما ملخصه اجتمعت في الجزائر ببعض قواد جنودنا فرنساوية فانهبرني بجميع ما شاهدته وحضره في بلاد العرب فقال اني في مدة الشهر الاول من اقامتي في بلاد الجزائر شاهدت سوء حال الفرنسيين وعانيت الشدائد التي كانت تحدث يومياً ورايت ارتباك الحاكم العام في تدبير سياسته التي بلغ فيها الى مركز صعب لان امره كان يقضي عليه في كل وقت ان يبعث نجيدات وذخائر ومهمات حربية متتابعة الى العساكر التي وضعها في المدية ومليانه وهذا لا تصل يده الى ذلك في كل وقت لان الجيش الذي عنده في الجزائر لا يقوم بذلك والذخائر والمهمات التي اعدها لما هو بصدده نفدت واحضار مثلها من فرنسا متعذر من وجوه اعظمها انه لا يريد كشف الغطاء للدولة عن اموره كلها خوفاً من توجيه العتاب اليه على سوء تصرفه فلذلك رايناه في حيرة دائمة وارتباك متصل ثم الجاه الحال الى اخلاء كثير من الحصون التي كان جمع ايدي العسكر على تشييدها ومن جعلتها حصن فودوك المهم والحرس الذين كانوا فيه رايتهم على اسوء حال سود الوجوه من حرارة الشمس نخفاء الاجسام من ضنك المعيشة وشدة الامراض ولقد رايت من فضل منهم عن الموت عند ما صدر لهم الامر بمبارحة ذلك الحصن فرحوا كثيراً ثم ان الحاكم راجع رايه وعين فيه حامية من العرب الخاضعين له ولما كانت دواب النقل غير كافية اضطر الحاكم الى اخذ دواب اهل الجزائر ومن دخل في الطاعة من اهل ضاحيتها واستعملها في النقل فصعب ذلك على الناس وتعطلت اشغالهم كما ان الجيش لحقه الضجر الشديد من ثنابح الاسفار وبذلك تكدر مورد راحة

العموم وصار الجيش يجاهر قواده بالعصيان وعدم الانقياد لاوامرهم فقام الحاكم لذلك
 وقعد وتدارك الامر في تسكين روع الاهالي وتطبيب قلوب الجيش ولا طائل تحت
 ذلك لان الكثير منه قد مات بالامراض المختلفة التي علفت باجسامهم وفشت
 بين صفوفهم وفعلت بهم ما فعلته سيوف العرب ورضاصها حتى ان حامية مليانه
 لم يبق منها سوى اثني عشر عسكرياً ثم ازمع الحاكم على المسير بنفسه لتبليغ الذخيرة
 الى المدينة فخرج في فرقين من الجيش وكنت احد القواد فيهما واخرج معه عدداً
 كثيراً من الدواب وعجلات النقل مشحونة بالذخائر والمهمات وخروجه كان في
 صورة غير منتظمة لسامة العسكر وسائقي العجلات والدواب وذلك لكثرة ما تكبدوه
 من المشاق المتوالية فكنت اراهم مظهرين الغضب والحلق على الحاكم ومن كان
 على رأيه من القواد وكانوا لا يتحاشون الفاظ السب والشتم بلغاتهم المختلفة ثم وصلنا
 في مساء ذلك اليوم الى الدويرة وهي قرية صغيرة على مرحلة من الجزائر
 فيها فندق فدخلته فاذا هو مظلم وسبخ ضيق المساحة وفي صباح اليوم
 الثاني اتحمنا وبعد ان قطعنا مسافة قليلة وصلنا الى قرية بوفاريك ثم سرنا الى
 البلدة فوصلناها عند الزواول وهي بلدة جميلة المناظر خصبة المزارع وموقعها في
 انتهاء سهل متيج عند الاطلس ماؤها عذب رائق وحولها حدائق الليمون بانواعه
 ومن شدة تعلق اهليها به يغرسونه داخل البيوت فكانت روائح الزهر عند دخولنا اليها
 عابقة في ارجاء المدينة وضواحيها وقد سمعت ممن لهم خبزة باحوال تلك البلاد ان
 هذه البلدة اتى عليها الخراب مرات عديدة لتوالي الزلازل عليها وكان من جملة القواد
 في عسكر البلدة الجنرال شانكرني والجنرال دوفيفير وقد رأيت العسكر الموجود فيها
 على غاية الانتظام الا ان الرعب مع اخذ الحذر في كل آن اثر في اجسامهم نحولة وفي
 وجوههم سفرة وفي اليوم الثاني ليوم وصولنا جهز الحاكم ثلاث فرق من حرسها وضمهم
 الى فرقته التي خرج بها من الجزائر فسرنا معه قاصدين المدينة ولما وصلنا جبال تجوط
 وجدنا جموع العرب في الطريق فاثالوا علينا من كل جهة وناوشونا القتال فكنا في
 مسيرنا على حال الدفاع ولم نتمكن من اطلاق المدافع عليهم لضيق المسالك وكثرة
 الاحراش ولما انتهى مسيرنا الى اول مضيق وجدنا فيه حامية من عسكرنا معهم مدنعان
 صغيران فنزلنا عندهم ثم ان الحاكم امر الجنرال شانكرني ان يتقدم امامه بفرقته
 الى مضيق موزايه ليستكشف له الاحوال هناك فسار قبلنا وصرنا خلفه وسار
 الجنرال دوفيفير بفرقته في طريق اخرى غير طريقنا وكانت جيوشنا تسير في تلك

الاودية الوعرة وحشود العرب عن اليمين وعن الشمال يرسلون علينا رصاصهم المتوالي
 مثل البرد المسترسل ومن العادة ان المدافع تدحر العدو وتفرج كرب العسكر ولضيق
 الطريق لم يتمكن الموكون بها من اطلاقها بل لم يتمكن الواحد منا ان يخطو قبل ان
 يخطو الذي امامه فناهيك بطريق حرج يكتنفها من الجانبين حائط عال طبعي من
 النخر وبعد بضع ساعات وصل اول العسكر الى المضيق الاعظم وهو مضيق موزايه
 الشبير وكان وصولهم اليه في حالة تحزنة من شدة ما لحقهم من التعب وهناك اجتمعنا
 بالجنرال شانكرني واما الجنرال دوفينير فانه قد سلك طريقاً اخرى وكانت طريقه
 اصعب من طريقنا ولم يتخلص منها الا بعد ان هلك اكثر فرقته لان العرب احاطت
 به جموعهم وانصبت عليه انصاب النخر من اعلى الجبل الى قعر الوادي وضايقته
 حتى كاد عسكره ان ياتي السلاح ويطلب الامان ثم صبر ودافع واخذ
 القتل من كل جانب ولولا ان العرب لحقهم التعب من تلك الاوعار التي تكبدوا
 سلوكها لجاء اعلى اخره وبسبب فتورهم عنه انتهر الجنرال الفرصة في التخلص من ذلك
 المضيق المحيى بعد ان فقد من ضباطه اربعة وخمسون ضابطاً ولم اقف على عدد ما فقد
 من العسكر واما نحن فند امرنا الحاكم بالعبور في المضيق الاعظم كيفما كان الحال
 فاجتمع القواد ورتبوا الجيش صفوفاً فلم يتمكن لهم ذلك وجعلوه على صفيين متلاصقين
 كتف هذا عند كتف هذا اذ لا يسع الممر اكثر من ذلك واشتعلت نار الحرب
 بيننا وبين العرب وكان الحاكم العام انفر في بطانته على كتيب عال على فم المضيق
 ليعاين منه مرور الجيش فكنت ارى الرصاص ينزل عليه وعلينا كالمطر وجرح من
 اصحابه ثلاثة وكنت ارى العرب كالاسد الضارية يقتحمون علينا تارة بالسيوف
 والحرب وتارة ينقون بالنخر القريب منا ويرموننا بالرصاص وبهذا كانت اصابتهم لجيشنا
 اكثر من اصابته لهم ثم خرجنا من ذلك المضيق الى سهل الزيتون فبتنا فيه تلك الليلة
 على آخر نفس من شدة ما لحقنا من الوبال ونالنا من عظيم الاهوال وفي غد ذلك النهار
 ارتحنا على طريق المدينة والعرب لم تفارقنا طرفة عين بل تسير حوالينا على حسب سيرنا
 ولم تفتر عن مناوشتنا مع الصراخ والشتم ولم تزل على ذلك الى ان اتينا الى ساحة المدينة
 فخرج القائد كفيناك منها ملاقياً لنا فلما راه الحاكم عجل اليه وعانقه وساله عن حال
 الحرس فاخذ يصف له ما هم عليه وما قاسته الحامية من الضنك الشديد وما نالها من
 الامراض التي افنت اكثرها وذكر له ان المدينة لم يبق من عمارتها سوى المساجد
 المحكمة البنيان وانه اضطر الى ان يتخذها ماوى للمرضى وانه من شدة البرد عدم وجود

الخطب اخذنا اخشاب سقوف البيوت الفاضلة عن الحريق لسد عوز العسكر في التدفئة والطبخ وبالاختصار كانت تلك الاخبار محزنة مكدره جداً فاقمنا تلك الليلة للاستراحة وفي الغد دخلنا البلد وقدم لنا الحرس بقولاً خضراء زرعوها في خرابات البلد مع جملة وافرة من البيض والدجاج الذي اتخذوه لانفسهم وقاموا بتربيته وهذه البلدة موقعها جميل فهي مبنية على تل كبير ينحني قليلاً لجهة الجنوب وفيها آثار قلعة قديمة يقال انها من ابنية الرومانيين ومن حيث ان جموع العرب لا تترك شيئاً ينتفع به الفرنسيون في هذه المدينة ولا تتخلى عن حصارها ساعة واحدة كان من الواجب دوام ارسال الذخائر اليها وهذا لا يتأتى الا بعد اتعاب ومشقات شتى لان المقدار من الذخائر الذي يجب ان تبعث لهذا الحرس في كل مرة لا يمكن ان يكون اقل من الف وخمسمائة حمل ولا بد ان يتكرر ارسال هذا العدد اكثر من عشرين مرة في كل سنة والمسافة من الجزائر الى المدينة لا تنقص عن خمسة عشر يوماً ولا يمكن السير في طريقها الى مدة الصيف ومع ذلك فان الاخطار متوالية فان لم تكن من الامطار والثلج فمن فرسان العرب وبياء على ما ذكرناه فلا بد ان يترك الحرس مراكزه ويرجع الى الجزائر والا فانه يبقى فيها اسيراً يتربق الفرج من الله تعالى ومن المعلوم ان سائر اعمال الجيش الفرنسي في هذه المدة انحصرت في الاستيلاء على مدينتي مليانة والمدينة والغاية المقصودة من وضع الحرس فيهما هي اتخاذها مركزين عظيمين يتمكن الجيش فيهما من محاربة العرب في جميع الجهات الداخلية ولا يخفى ان الوصول الى نتيجة هذه الآراء يتوقف على استعمال حزم شديد وساعد من حديد ثم ان الحاكم بعد ان اقام في المدينة اربعة ايام امر بالاستعداد للرجوع الى الجزائر وسار على طريقه وما سرنا مقدار غزوة حتى ظهر لنا نحو الف فارس من العرب شاكين السلاح فاخذوا يطلقون بواريدهم علينا وبعد ان عبرنا اودية عميقة كانت في طريقنا هجمت جيوشنا عليهم ففرقتهم وبلغنا انه جرح منهم عدد كثير كما وقع ذلك في جيشنا ثم لم يلبثوا ان عادوا الينا وما زالوا محيطين بنا عن بعد يناوشونا القتال الى ان وصلنا غابة الزيتون فبننا فيها تلك الليلة وبات العرب في مواضعهم بالقرب منا وفي الغد انكشف الظلام عن مقدار الف وخمسمائة فارس وفرقتين من العسكر المنظم فاضمت اليهم الجموع السابقة وجعلوا مسيرهم على الجبهة في طرف الجبل وبوجود هذه الجيوش الكثيرة التي كان الامير عبد القادر قائدها توقف جيشنا عن المسير ولما نظر بعض المهندسين الذين كانوا معنا مسير الامير وترتيب جيشه قال ان هذا السير يعد

من مكائد الحرب التي كان الامير يستعملها فطالما نجح بهذا الاستعمال الذي قضى
بتكبد الفرنسيين والحقهم خسائر جسيمة ثم ان الامير لما رأى جيوشه قد قربت من
عسا كرنا بوجه لا يهتدى اليه الا من هب في امور الحرب ومكائدها امرهم بالحملة عليه
فحملت الفرقة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الحشود على التتابع واشتد القتال واحمرت
الحدق واتصل ذلك عدة ساعات ثم انفصل كل فريق عن الآخر وانكشف الجو وتبين ان
العرب لحقها ضرر جسيم ولكنه ليس باكثر مما لحق بجيشنا وجرح الجنرال شانكرني في
كتفه ولم يثبت لمقاومة جيشنا من تلك الفرق والجموع الا الفرقة النظامية التي كانت
تحت قيادة الفارس العربي الشهير بالشجاعة وهو محمد البركاني خليفة الامير في مقادعة
تيطري ثم خمدت نيران الحرب واخذ جيشنا في المسير وفي اليوم الثاني عاد الامير الى
نحار بننا ولولا ان المطر الغزير المتتابع حال بيننا وبينه لآل الامر الى خسارة عظيمة
وربما كانت تأتي على آخر جيشنا لشدة ما لحقه في هذه المراحل المتوالية من تعب السير
ومقاومة الخصم ونقص عدده بالموت في تلك الحروب الهائلة مع عدم تمكننا من الاقامة
والراحة لاننا تورطنا في جبال شاهقة واودية وعرة لانعرفها واهلها اعداء لنا والمدد ما يؤس
منه ثم بعد مشقة زائدة تمكننا من عبور المذابق وسلكنا في طريق سهل الى متيجة
واتصل سيرنا الى الجزائر فدخلنا على هيئة برثى لما واما الامير عبد القادر فانه لما
هو عليه من شدة الحزم وقوة العزم لا يخطر في افكاره ان يقر للعدو بالانقدم او يجعل
له طريقاً لذلك بل كان مستضعفاً له مستغفراً لامرته عاكفاً على اتناذ او امره متيقظاً
لشانه وبعد ان اخذنا الراحة في الجزائر امر الحاكم العام بترميم سورها
واصلاح خلاله .

﴿ ذكر عزل المارشال فالان عن الجزائر وتولية الجنرال بيجو في مكانه ﴾

لما اتصل بالدولة الفرنسية ما اجراه المارشال فالان في داخلية الجزائر من
الحروب واطاعت على ما عابه الامير من الاستعداد بمقاومة جيوشها ورات ان تلك
الحروب قد افنت عساكرها وذخائرها من غير طائل عرلت المارشال فالان عن الجزائر
فذهب الى فرنسا منكسر القلب محملاً على كهل اللرم والغيب قال بعضهم لما كان
المارشال فالان منخلقاً باخلاق لا تناسب احوال البلاد العربية وراته فرنسا انه في
سائر حروبه لم ينجح نجاحاً تقرر به عينها بل آل امره الى فناء عساكرها ومهاتها
عزلته وولت مكانه الجنرال بيجو المشهور في السابع من ذي القعدة واول يناير

١٣١

سنة ثمانمائة واحدى واربعين وامرت بتجهيز ثمانية وثمانين الف جندي علاوة على ما هو موجود وقتئذ في الجزائر من العساكر لقتال الامير عبد القادر وهذا ما عدا المتطوعة من بعض الدول لانه كان يوجد بين اسرى الفرنسية متطوعة من المانيا واسبانيا وخلافهم وارسلت من المهيات والذخائر ما لا ياتي عليه حصر ولما وصل الجنرال بيجو الى الجزائر واتصل خبره بالامير بعث اليه بمكتوب ملخصه

الى الجنرال بيجو وسائر قواد العسكر الفرنسي في الجزائر السلام على من اتبع الهدى واجنب الردى اما بعد فقد بلغني انكم جئتم من فرنسا الى الجزائر لقتالنا بما ينوف عن ثمانين الف جندي زيادة على عساكركم السابقة فيها فاعلموا اني بعونه تعالى وقوته لا اخشى كثرتكم ولا اعنبر قوتكم لعلمي انكم لا تضروني بشيء الا ان يضرني الله به ولا يلحقني منكم الا ما قدره الله علي وقضاه واني منذ اقامني الله في هذا الامر وجعلني ضداً لكم ما قاتلكم بعسكر يكون عدده ثلثا من عساكركم التي تكافونني بها ومدة ملكي كما لا يخفى ثمان سنين ومدة ملككم يتعدى مئاة من السنين وعساكركم كثيرة والاتك الحربية قوية ومع هذا البون العظيم الذي بيني وبينكم فاني اعرض عليكم اموراً فاخاروا واحدة منها وهي اما ان تعطوني ما احتاجه من ادوات الحرب بالشراء ثم انظم عسكراً يكون نصف عساكركم الذي تحاربونني به وحينئذ نتحارب واما ان تبقوا في مواضعكم التي تغلبتم عليها وابقوا في بلادي التي تحت حكمي ثم لا يقرب احدنا من الاخر مدة اثنتي عشر سنة فيبلغ عمر ملكي عشرين سنة وحينئذ اقاتلكم فان غلبتكم فلا عار عليكم اذ يقال غلبكم رجل له قوة عشرين سنة وان غلبتم انتم فتكونوا قد غلبتم رجلاً له قوة فيحصل لكم الفخر عند الملوك واما اليوم فانتصاري عليكم يعد فنتيجة لكم عند الدول وانتصاركم علي لا يعد فخراً حيث انكم غلبتم رجلاً عمر ملكه ثمان سنين ولا قوة عنده يقابلكم بها ومن الامور التي اقترحها عليكم انكم تبعثون من قبلكم من يعد عسكراً ثم اخرجوا من عندكم في مقابلة كل واحد رجلين من عساكركم واعطيكم العهد اني لا ازيد عسكراً واحداً على ما تعدون وحينئذ الغالب يملك الوطن ومنها ان يخرج المارشال للبراز ويخرج له واحد من خلفائي فان غلب صاحبكم فلا انازعكم في طريقكم من الجزائر الى قسنطينة ومن اراد من المسلمين اهل تلك النواحي البقاء تحت حكمكم فلا نتمرض له وان اراد الخروج منها ويلحق ببلادي فانتم لا نتعرضوا له ومنها ان ابن الملك يارزني فان غلبته فانكم ترجعون بعساكركم الى بلادكم وتتركون سائر المدن التي في يدكم الان بما فيها من الذخائر والمهيات وان غلبني فانكم تستريحون مني ويبقى لكم الوطن من غير منازع فان اخترتم واحدة من هذه

الامور فلا بد ان تحضروا فواصل الدول ليشهدوا عليكم بقبولكم ذلك واما نحن فلا نخالف
كلمتنا وان استضعفتمونا ولم تبالوا بما قلناه اعتراداً على قوتكم فنحن قوتنا بالله انقادر على
كل شيء هو وولينا وناصرنا . ولما اتصل هذا المكتوب بالجنرال ييجو قرأه على قواد
العسكر واعيان تجلس الجزائر فوجوه له ثم اثنق رأيهم على الاعراض عن رد الجواب

* ذكر سوالات وجهها الامير الى قاضي فاس *

ولما رأى الامير ان بعض القبائل في الساحل القريبة بلادهم من المدن
التابعة للعدو مالوا الى طاعنه والدخول تحت ظله وحمايته ارسل اليهم من العلماء
والاشرف من يعظم ويحذرهم من همت الله تعالى وغنبيه فلم يجد ذلك نهجاً فيهم
ثم مددم واعددم وامرهم بالخروج من مواضعهم والحق باخوانهم المسلمين في الداخلية
فلم يقبلوا وتمادوا على ما هم عليه فاعتزم حينئذ على غزوهم والفتك بهم ثم توقف في
شانهم واستشار النقباء في امرهم وبعث الى قاضي فاس في ذلك لينظر ما عنده
فيه وزاد اسئلة اخرى عن اشياء مفرقة عرضت له ونص ما كتبه اليه . الحمد
لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده من خدام المجاهدين والعلماء
عبد القادر بن محيي الدين الى الشيخ الامام علم الاعلام السيد عبد الهادي العلوي الحسيني
قاضي القضاة بفاس المحمدية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فما حكم الله في
الذين دخلوا في طاعة العدو الكفر بما تيارهم وتولوه ونصروه يقاتلون المسلمين
بعه وياخذون مرتبه كافراد جنوده ومن ظبرت شجاعته في قتالهم للمسلمين يعولون
له علامة في صدره يسمونها لتور عليها صورة ملكهم هل هم مرتدون ام لا وان
قتلتم برديتهم فهل يستتابون ام لا وما حكم نسائهم هل هن كرجائهم ام لا وان
قتلتم ابنن مثلهم فهل يحكم باستتابتهن او يقتلن او يسترققن كما نقل عن ابن الملاجشون
ام لا وما حكم ذرارهم هل لنا سبيهم ام لا وهل ما حكمه ابن بطال من
الاجماع على ان المرتد لا تسبي ذريته منقوض بما نقل عن ابن وهب وعن جمهور
الشافعية ان المرتد كالكافر الاصلي ام لا وهل يسوغ لنا العمل بما ينقل عن اصحاب مالك
رضي الله عنه من الاقدمين كابن وهب وامثاله في دبقته في هذه النوازل وامثالها مما لم
يشهره المتأخرون ام لا وما حكم الخوارج الاباضية المعروفين في مغربنا بيني مزاب وهم
على ما لا يخفاكم من عدم صلاة الجماعة والجمعة مع المسلمين فهل قول ابن العربي بكفرهم
صحيح يعدل به ام لا . وهل ما ذكره شراح ابن الحاجب من ان الباغي لا يرد عليه

ما له يسوغ لنا العمل به في هذه الازمنة الفاسد انهلها ام لا . وهل ما نقله بعضهم عن ابن رشد من صحة دفع الزكاة لكل ما فيه مصلحة للمسلمين صحيح يعمل به ام لا . وهل ما تقرر من ان العدو اذا نزل بقوم وعجروا عن دفعه ينتقل الوجوب والخطاب الى من يليهم عام في جماعة المسلمين او هو خاص بالسلاطين من حيث انهم حاكمون على الرعايا وهل وجوب الدفاع والاعانة خاص بالابدان او هو عام في الابدان والاموال حتى ان من عجز عن الدفاع بنفسه مع قدرته على الاعانة بما له وترك ذلك يكون عاصياً وهل هذا العصيان يكون قادحاً في العدة ام لا . وهل تجازاة ومكافاة المصطفى صلى الله عليه وسلم للشعراء والمهديين كانت من بيت مال المسلمين او من خمس الخمس وان كانت من بيت المال فهل لولاة المسلمين هذا بعد ذلك ام لا . وهل لهؤلاء السلطين قبول الهدية ام لا . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز وهل يردونها جملة او يضعونها في بيت المال وهل قول ما لك لا ينبغي الامير ولا لعامل الصدقة اذا خرج لبعض عمله ان ينزل عندهم او يا كل من طعمهم خاص بعمل الشعوب والبطون ام عام حتى في ولاية الاقاليم ولفظ لا ينبغي هل هو على الحرمة او الكراهة اجيبوا ادام الله وجودكم جواباً يشفي المرض ويأتي على الغرض محيطاً بالتفاصيل والجمل مبيناً لنا ما يكون به العمل مع ملاحظتكم زماننا ووطننا والسلام مكرر ومعاد عليكم وتلى اهل تجاسم الشريف ولا تنسوننا من صالح دعائكم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين .

❖ ذكر الاجوبة ❖

الحمد لله وحده الى نية افاضل المجاهدين الامير السيد عبد القادر بن يحيى الدين لازلت منصور الراية على الكفرة المعتدين مظفراً بالفتح والتكين وسلام الله يتوالى على عليّ مقامكم المتين هذا واني احمد الله لكم على ما به خصكم في هذا القطر المغربي من صرف الهمة الى اعلاء كلمة الله والنبي ثم المرغوب من كمال فضلكم ان تسهدونا من صالح دعائكم ولكم منا مثله ومن الله يرزقنا جميعنا فضله وجواب ما اشرت اليه في كتابك من المسائل ان اللاتئين بالنصارى المقاتلين معهم قال فيهم البرزلي في القضاء من نوازل ما نصه ان المعتد ابن عباد استغاث بالكفار في حرب المرابطين فنصرهم الله عليه وهرب ثم نزل على حكم يوسف ابن تاشفين امير ضهاجه فاستفتى فيها النقباء فانفتى اكثرهم انها ردة وقاضيه مع

بعضهم لم يرها ردة ولم يبيح دمه فامضى الامير ذلك ولم يبيح دمه واخذه اسيراً ونقله
الى اغيات الى ان مات فيها ونقله الزياتي في نوازله بواسطة الكتاني ويؤيده ما في
ابن جزى على قوله تعالى ومن يتولم منكم فانه منهم ونصه من كان يعتقد معتقدهم
فانه منهم من كل وجه ومن خالفهم في الاعتقاد واحبهم فهو منهم في المقت عند
الله تعالى واستحقاقه العقوبة وقد قال الغزالي في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة
الذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد اليه سبيل فان استباحة المصلين المقربين
بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك التكفير اهون من الخطأ في دم مسلم ولا سيما اذا
كان فيه تاييف ورد عما هم عليه فهو متعين فعلى القول بعدم ردتهم لا اشكال في
عدم سبي نسائهم وذراريهم وعلى القول بردتهم فكذلك قال خليل وان ارتد جماعة
وحاربوا فكا لمرتدين قال شارحه ابن عبد الصادق سار فيهم عمر سيرة المرتدين برد
النساء والصبيان الى عشائهم كذرية من ارتد فلهم حكم الاسلام وعلى هذا جماعة
العلاء والسلف الا القليل منهم مضى على رأي ابي بكر بانهم كالتناقضين للعهد قتل الكبار
وسبي النساء والصغار وجرت في اموالهم المقاسم وذهب ربيعة وابو القاسم وابن الماجشون
الى نعل عمر واقنصر عليه المصنف لانه قول الجماعة واما حكم الاباضية فالصحيح
عدم كفرهم كما عند ابن رشد في البيان وقال في الفتح عن ابن حزم اهداء الخوارج
والبناة واقربهم الى قول اهل الحق الاباضية وذكر الخلاف فيهم غير واحد وتقدم
ان التكفير صعب والميل الى عدمه اهن وقد ترجم البخاري بترجمته لقتل الخوارج
وباخري لتركه اشارة الى الخلاف كما قاله في الفتح واما البغاة فلا يؤخذ من ما لم
غير اللاح قطعاً كما قيد به شرح خليل قوله واستعين بما لهم عليهم ثم رد واما السلاح
ففيه يحمل المتن ومقابل ما في المتن في غاية الضعف لا يعمل به وقد قال ابن
عرفة ان العمل بالراجح هو الواجب ولا يند الحكم بما سواه ونحوه للعقباني والسنوسي
واما الزكاة فلا تصرف في غير المصاريف الثمانية التي قص الله عنها انما الصدقات
للفقراء الآية قال خليل ومصرفها فقير ومسكين الى قوله لاسور ولا مركب
وما نسبه الجنان وغيره لحفيد ابن رشد من اعطائها للماء ولو اغنياء وكذا
سائر المصالح لا يجوز العمل به كما للشيخ الثاودي وغيره ممن حشاه من المتأخرين
واما ان عجز من حل بهم العدو عن دفعه فيتعين على كل من يقربهم اميراً كان
او غيره الاقرب فالاقرب ان يدافعه قال خليل وتعين بنجاً العدو وان على امرأة
وعلى من يقربهم ان عجزوا او خوطب بنفسه وماله قال تعالى جاهدوا باموالكم

وانفسكم في سبيل الله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واما مكافات النبي صلى الله عليه وسلم للشعراء والمهديين فمن جملة مكارمه وهي من الفيء والخمس تؤدي في تفسير ابن جزري لقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية مانصه الخمس الى اجتهاد الامام ياخذ منه كفايته وفيه ايضاً ما نصه ما يؤخذ من الكفار منه ما يحدس ومنه ما يكون جميعه للامام ياخذ منه حاجته ويصرف سائره في مصالح المسلمين وهو الفيء الذي لم يوجف عليه واما الزكاة فلا يكف ارباب الاموال بغيرها واما الولاية فجميع ما زاد بايديهم على ما يعرف لهم من قبل فمن ولاهم ان يضيفه الى بيت المال ويصرفه في مصارفها واما هدايا من تحت حكم السلطان له فلا يجوز له قبولها لانها رشوة قال خليل في القرض وعدم هديته الى قوله وذو اباه واقاضي وهو مضمون قول الباقي ونصه اذا كان المهدي تجري عليه احكام المهدي اليه فقال سخون واشهب لا تقبل هديته مسلماً كان او كافراً ووجه ذلك ان هديته ريبة اذ ربما تكون لدفع مظامة يجب دفعها او ترك حق لا يحل تركه ويؤيده ما اشتم اليه من قول عمر بن عبد العزيز كما في البخاري في كتاب الهبة وقضيه ابن الانبية المكررة في البخاري لما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم فجاء به بال كثير وجعل يقول عند محاسبته هذا لكم وهذا أهدي اليّ فغضب صلى الله عليه وسلم وعاتبه وقال هلا قعد في بيت ابيه وامه فينظر ما يهدي له تدل على انها ترد الى بيت المال ان قبل كما لابن بطال انتهى كتبه اجهل عباد الله راداً العلم لمولاه عبد الهادي بن عبد الله الحسيني ونقه الله في اول يوم من المحرم فاتح عام ستة وخمسين ومائتين والف

✽ ذكر ما تكلم به الجنرال بيجو في المجلس الحربي في مدينة الجزائر ✽

لما شاع ان الامير استفز سائر اهل مملكته من حدود المغرب الاقصى الى حدود تونس الى الجهاد وامر باخذ كمال الامة والاستعداد لمحاربة العدو ومدانته عن البلاد واتصل ذلك بجامم الجزائر بيجو امتنع له لاسيما وقد رأى ان اهل الجزائر استولى على قلوبهم الرعب وخامرها الاضطراب فعقد مجلساً حريباً ونكلم فيه بما نقله عنه بالمار المؤرخ وهو قوله اني ايها القواد والرؤساء الانجاد قد كنت اظن ان للامير عبد القادر جنوداً نظامية كافية لما خيرة بنون الحرب واساليبه واقنداراً على مقاومة الجيوش الفرنسية والان تحقق عندي ان الامر على خلاف ذلك وكنت اظن ان العرب ذوو

ضخامة وجسامة فتبين لي الآن انهم ليسوا كذلك غير اني لا انكر قوة باسهم وشدة شوكتهم وصلابتهم في الجلال ومقاومة الاضداد لكن هذا ما داموا في اوطانهم وما دامت املاكهم في ايديهم التي عليها مدار معاشهم فلاح لي من الراي الذي نتوصل به الى تفريق كلمتهم واخضاعهم للطاعة انما اكرنا نتصدى اولاً الاستيلاء على بساطهم التي فيها اتجماع مشيتهم التي يترزقون منها فان حصل هذا فلا شك في الفوز والتجاح ثم نزع الحاميات الكافية والمسلحات الوافية في الاماكن الصعبة في الطرق التي نمر فيها لنتمكن من اتباع آثار الفارين منهم المتوغلين في الداخلية ونضع جنوداً وافرة في الحدود لتنعهم من الدخول الى الممالك المجاورة لبلاد الجزائر فاذا ضاق عليهم المجال واشتدت عليهم من كل جهة الفتن والاهوال فلا محالة انهم يلوذون بطاعتنا ومما يسر علينا الوصول الى هذا ان اكثر روءساء عساكرنا تعلموا اللغة العربية وصاروا ماهرين فيها عارفين بعوائد العرب واحوالهم او نستعمل هذا فنعين قسماً من الجند للمحافظة على الاماكن المهمة في سائر الجهات وقسماً آخر يقيم في التخوم لمنع الوارد والصادر عن البلاد كما ينفع من فرار اهلها الى الخارج عنها وباقي الجند نعدده للجهوم والحرب واعلموا ان استعمال المحاربة بالوع النظامي لا يجدينا نفعاً لان الخصم لا يعرف ذلك وإنما تقابل العرب بما يقابلوننا به والمقصود الا هم هو ان جيوشنا تجعل همتها في استعمال ما تتلاشى به قوة الامير وترزعع اركان دولته هذا ما ظهر لي من الراي فانظروا ماذا ترون انتم فاجابوه ان ترتيب الحاميات في المراكز الصعبة لا نراه صواباً اذ ربما يوتعننا ذلك فيما هو ادنى وامر من تركنا اياها وذلك لاننا نخشى ان يهوجنا الحال الى تعيين قسم كبير من جيوشنا لحمايتها او لتخليصها من يد العرب ويبقى في ايدينا من الجيوش ما لا يفي بالمطلوب عند شوب نار الحروب فالاولى الاضرب عن هذا الان فاستحسن بيجو رأيه ثم اتنقت كلمتهم على ان ينهضوا بيجيوشهم الجرارة الى المدن وبعد الاستيلاء عليها ينظرون فيما يلزم من المحافظة عليها ولما انتشر هذا الخبر حدث في المعسكر قلق وامتلات قلوب الجنود رعباً لجهلهم بما يؤل اليه امرهم في داخلية البلاد وخافوا ان يقع بهم نظير ما وقع بين تقدمهم من اخوانهم فيستولي عليهم التلغف كما استولى عليهم مدة عشر سنين قال فالبيوت في تاريخه كنت ذات يوم مع الحاكم بيجو في محل عال فقلت له ايها المارشال انظر الى هذا المنظر البييج فاجابني انه منظر جميل لاهل الجرانات اما لامثالنا فلا ثم قال لي انظر الى تلك الحيطان السود الشمالية من البلد فلربما يكون هناك سجن العساكر الفرنسية ومن الممكن ان يقاد الحاكم

يعني تنسه ذليلاً في بلاد سجوط وعندها كبة واحدة تكفي في قتله لم تعلم يا فاليوت ان حاكم الجزائر يحنج الى سياسة قوية لان الامير عبد القادر خصم صديد وقرم عنيد لا يخشى بطش الجيوش الفرنسية ولا ينظرها بعين الاعتبار ثم ان فاليوت استطرد ذكر حكاية عن بعض الجنود في الجزائر نقل قد وقفت على رسالة لبعض افراد الجند الفرنسي ارساليها الى والديه واخواته في فرنسا عندما شاع اتفاق المجلس الحربي على الحرب ونص الرسالة من مدينة الجزائر في الخامس والعشرين من شهر اذار سنة احدى واربعين وثمانمئة الى والدي واخواتي اخبركم ان حياتي قد صارت في خطر وذلك اننا في هذا الوقت متوجهون من مدينة الجزائر الى المدينة ومليانة ومن دون شك اننا نصادف في طريقنا اخطاراً ومهالك ولا ادري هل ارجع سالمًا ام ذلك آخر العهد بالحياة الدنيا ولا يخفى ان الموت اقرب من السلامة ولكن يلزمن الصبر وحيث ان احتمال الموت عندي اقرب فاعلموا انه يوجد عندي انفا وخمسمائة فرنك فاريد ان تعطوا عمي منها مائتين يستعين بها على عوزه وان لا تتركوا اولادي بدون البسة حسنة وما بقي من الدراهم فالوالدة تفعل بها ما تشاء واني اخبركم ان العرب فرسان مشهورون بالشجاعة والاقدام وحالنا معهم في الحرب ان رصاصهم يصب علينا كالمطر واما نحن فلا نقابلهم الا بالكل ليعبدوا عنا وان وقع في ايديهم جندي منا فانهم يعرضون عليه الاسلام فان قبل واجاب تركوه والا قتلوه وعندما نسير من نحل الى آخر نأخذ ازوادنا معنا لانه لا يوجد في طرفنا فنادق ولا خانات وفراشنا وغطائنا ليس الا الكبوط لا غير فهذه حالنا في بلاد العرب وعلى كل حال فانا اودعكم وعيناي غريقتان في الدموع قال بالمار لما اعتزم ييجو على الحرب اتخذ البغال والجمال لحمل الاثقال والذخائر والمدافع عوضاً عن العجلات وعرض العساكر فوجدها قد اكسبها تمرينها في المدة السابقة نشاطاً فحيث قوي عزمه واشتد حزمه وقال رءوا كذلك العرب قد تدرّبوا على الحرب وتمرنوا فزاد بذلك نشاطهم الغريزي المفطورون عليه

* ذكر م.ير الجنرال بيجو الى مليانة وهزيمته في رجوعه منها *

وفي الخامس من ربيع الاول سنة سبع وخمسين وفي الثامن والعشرين من ابريل سنة احدى واربعين نهض الجنرال بيجو من الجزائر في جيش كثيف الى مليانة ثم انقلب راجعاً الى الجزائر على طريقه وكان الامير اعد فرقة من عساكره النظامية

قرب البلد واكن له فرقة اخرى في الغابة قريبة من الفرقة الاولى فلما خرج العدو من البلد بادرت به
 الفرقة الاولى بالقنال ولما حمل عليها استجرت له وارخت العنان امامه فلحقها لى ان وصل الى
 الغابة ففرج السكين واشتد القتال وبيناهم كذلك اقبل الامير بباقي الجيوش الاسلامية وهجم
 على العدو من ورائه واخذت العساكر بالعساكر وحى الوطيس فانهم يبعثون بجيوشه
 ورجعوا الى مليانه تاركين القنلي والجرحى والذخائر التي كانت معهم في ايدي المسلمين
 قال رؤوا وهذه اول وقعة وقعت بالمارشال بيجو في ولايته على الجزائر وراسته على العساكر
 الفرنسية ولاول تفويضه في امر الحرب مع الامير عبد القادر ثم قال ولما هجم الامير
 بالقسم الكبير من جيشه الذي كان معه على المارشال انبهر عقله ولم يسعه الا الفرار
 فساقته جيوش العرب والفرق النظامية قهراً عليه الى مليانه تاركاً قتلاه وما معه
 من الاثقال وهذه الوقعة نكلت العساكر الفرنسية اشد النكل واوقعتهم في
 ورطة الوبال وكنت خسائرهم جسيمة ونوائهم عظيمة انتهى ثم ان بيجو رجع الى الجزائر
 وقسم جيوشه على الثغور المهمة فعد للجنرال بركوباي دبل على الجهة الشرقية والجنرال
 بارتسي على ما يلي الجزائر وتوجه بالقسم الاكبر الى مستغانم ومعه الدوك دومال
 واخوه الدوك ديمور وضم الى جيشه جيش وهران وبعد اقامته اياماً في مستغانم نهض منها
 على طريق مجاهر قاصداً قلعة تاكدت فامر الامير اهلبا بالجلاء عنها وحمل ما
 خف من الذخيرة الحربية والمؤن التي كانت فيها واتصل سير العدو مع اتصال القتال
 الى ان وصلها واستولى على سائر ما بقي فيها من السلاح والآت المعامل ثم توجه
 منها الى العاصمة معسكر وكان اهلبا خرجوا منها الى ضواحيها فاستولى عليها واقام
 فيها حرساً ثم رجع الى مستغانم وكان الامير صمدله في الجيوش عند مضيق عقبة
 خده ومضيق فرقوق فلما وصل بيجو الى اول مضيق منها انشال عليه المسلدون
 من كل جهة واحاطوا به من كل ناحية وانقذت نار الحرب بين التريقين واتصلت
 من شروق الشمس الى مغيبها وكثر القتلى والجرحى من الجانبين وجرى في ذلك
 النهار ما يعجز عن وصفه القلم واللسان قال رؤوا لما وصلت العساكر الفرنسية الى مضيق
 عقبة خده وجدت فرسان العرب وحمايتها ينتظرونهم فيه وانتشب القتال بين
 التريقين واستمر الرمي بالرصاص والضرب بالسيوف والحراب ياخذ كل منهم حظه
 من النفوس من طلوع الشمس الى غروبها وكانت خسائر الطرفين جسيمة فنقد
 العرب الكثيرين من رساء عسكرهم واغواته كما ان بيجو فقد من العساكر الفرنسية
 وقوادها عدداً كثيراً وعندما اذن الظلام باغماذ سلاح الطرفين اخذ العرب ينفقون

قنلاهم وجرحاهم واما يبجو فانه انتهز الفرصة وتسلسل بجيوشه تحت ستر الظلام على حين غفلة من العرب الى ان تخلص من المضايق كلها وجدَّ في المسير الى ان لحق بمسغانم على اسوء حال وبالجملة ان هذه الوقعة من الوقائع المشهورة التي استمر ذكرها في تحافل فرنسا ومجامعها

✽ ذكر ما كتبه الامير عبد القادر الى المارشال يبجو ✽

قال اسكندر بالمار بعد وقعة عقبة خدَّه كتب الامير عبد القادر الى المارشال يبجو ما نصه . الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن يحيى الدين الى المارشال يبجو . اما بعد فان كانت دولة فرنسا ليس عندها من الارض ما يكفي رعاياها وارسلتكم لتغصبوا اراضيها وتبدلوا في ذلك نفوسكم واموالكم فنحن نتخلي لها عما هو في ايديها الآن من السواحل ونبقى معها في حال جيران يننفع بعضهم من بعض وان ابت الا ان تستولى على جميع وطننا فنحن نبذل وسعنا في مدافعتها وحماية ارضنا منها الى ان يقضي الله بيننا وبينها بما شاء فان البلاد بلادها والعبيد عبيده ولا يخفى عليكم ايها الحاكم ان مهاجرتكم على بلادنا كما انها سبب لاتلاف الكثير من جنودكم وذخائركم فكذلك نحن وهذا شيء لا يرضى به عاقل فضلاً عن فاضل ودواتكم تدعى انها اول دولة في العالم تحب الانصاف وتستعمله وتحافظ على ميزان العدل وتحكم به ففعلها هذا يكذب دعواها ويبطل مدعاها وانتم وغيركم من رجالها نراكم دائماً تساعدونها على الاعنءاء والاغتصاب وتبدلون انفسكم في ذلك ابتغاء مرضاتها ولو كان عندكم ادنى نظر سديد ما وافقتموها على اتلاف جنودها في الحرب ومواسم الامراض المختلفة التي لا تذر ولا تبقي فياهل ترى باي شيء تعوضون ما تخسره بلادكم من الرجال والاموال والكراع فان كان يرضيها منكم ان تحملوا لها ما تقدرون على حمله من حجارة مدينة معسكر او من تراب الاراضي التي اغنصتموها فافعلوا واني اراك ايها الحاكم تبذل جهدك في تعطيل مواسمنا لتقل الحبوب عندنا ظناً منكم ان ذلك اقوى سبب خضوع اهل البلاد اليكم والحال ان هذا ليس بشيء عندهم فان هممهم ليست متعلقة بلذائذ الاطعمة والاشربة مثلكم بل يكفيهم ما يسدون به رمقهم ويقيم اودهم كيفما كان على انه يوجد عندهم من صنوف الحبوب المحفوظة في الابار المعدة لها ما يكفيهم سبع سنين آتية وما تاخذونه انتم من ذلك فهو جزء من جملة اجزاء ولا اراكم في هذا الامر الا كمن ملأ قدحه من

البحر معتقداً انه ينقصه وبالجملة فحن لا نترك قتالكم ما دمتم في طغيانكم تعمهون
 وفي سبيل اعنائكم تمشون والحروب قد تربينا عليها وتغدينا بلبانها فحن اهلبا
 من المهدي الى الحد وحروبنا كما علمت لا نرجع فيها الى قانون يحصرها بل نحن
 فيها مخيرون مطلقون نصرها كيف شئنا واما انتم فقد بذلتم اموالكم وافنيتم
 قوة شبابكم في تعلم طرقها القولية وعند اشتباك الصفوف تعاجلكم عن مراجعتها الرماح
 والسيوف ومما علم من كتب التواريخ القديمة ان العرب يستهجون في معامع القتال
 كما يتهيج العروس ليلة عرسه فلا يخطر في بالكم انهم يضجرون منها او يتركونها
 من ذات انفسهم ما دامت الاقدار الالهية مساعدة لهم فان حكمت عليهم بغير ذلك
 فمن المعلوم ان الارض لله من بعدهم يورثها من يشاء من عباده فلا معقب لحكمه
 ولا راد لقضائه والسلام على من اتبع الهدى وانتي سبيل الردي حرر في عاشر
 جمادى الاولى سنة سبع وخمسين ومائتين وفي آخر يونيه سنة احدى واربعين وثمانمائة

﴿ ذكر مسير المارشال بيجو الى ولاية معسكر ﴾

بعد رجوع بيجو من وقعة عقبة خذته الى مستغانم اخذ اهلبته وخرج بيجوشه الى
 شمال ولاية معسكر وكانت قبائل اولاد خليف وصبح وامثالهم دانوا بطاعته عند ما مر
 في بلادهم الى تاكدت ثم توجه الى الجهة الجنوبية وانتهى في مسيره الى بلد سعيده
 وهذه البلدة اختطها الامير واسكن فيها مهاجري مستغانم ووهران ولما قاربها خرج
 اهلبا الى النواحي فوجدها خالية فخر بها ولاذ اهل تلك الجهات القريبة منها كاولاد
 ابراهيم والحاسنة والجعافرة بالطاعة وعدل الامير عن قتاله وسار غازياً على قبائلي الدوائر
 والزمالة في ساحة وهران فصحبهم واكتسح اموالهم واتحن فيهم بالقتل والاسر ولما اتصل
 الخبر ببيجو امتعض لذلك وارتحل راجعاً من الجهة الجنوبية الى مستغانم ثم الى وهران
 وفي هذه الايام ارسل حضرة الاسقف دويش الى خليفة مليانه السيد محمد بن علال
 يستاذنه في الحضور عنده ليتوسط له في الاجتماع بالامير فاجابه الخليفة ان الامير في
 نواحي الصحراء على مسافة ايام متعددة منا فان كنت تكفي بملاقاتي نيابة عن الامير
 فانا مستعد لقبول زيارتك فاجاب الاسقف الى ذلك وحضر عند الخليفة فاحتفل لملاقاته
 وبعد ان عزم على الرجوع الى الجزائر قدم اليه الخليفة فرسين من جواد خيله هدية على
 عادة امراء العرب مع ضيوفهم المعتبرين قدراً وشهرة وكان عنده من اسرى الفرنسيين نحو
 الخمسمائة اسير فاحضرهم بين يدي الاسقف بسلاحهم والبستهم ثم قال له حيث انه لم

يتيسر اجتماعكم بسيدنا الامير وكنت انا من جملة اتباعه وخدمه فعلى حسب استطاعتي
اجريت بعض ما يجب اجراؤه مع امثالكم وهو لاء الاسرى من عساكركم بسلاحها
وامتعنتها قد سمحنا باطلاقها تكريماً لكم فخذوها معكم ولو ساعد القدر واجتمعتم بسيدنا الامير
لكنتم شاهدتم من اكرامه ما تستقلون له اعمال الملوك العظام ففرح الاسقف بذلك فرحاً
لا يعبر عنه قلم ولا لسان وانقلب بالاسرى الى الجزائر وكان يوم دخوله اليها بهم يوماً
مشهوداً فانظر الى هذه المعاملة الحسنة والمعاملة التي قابلها بها ييجو كعادته فانه بعد رجوعه
من غزوة بلد سعيده الى وهران كتب الى رؤساء القبائل عدة رسائل يدعوهم الى طاعته
ويتهددهم ان ابوا ذلك عليه وهذا نص جواب اولئك الرؤساء عن احداها من كافة
الحشم الشراقة والغرابية ومن اليهم كني شقران وبني غدو الى النصراني ييجو السلام على
من اتبع الهدى وثبت عليه قد وصلنا تحريك وعلمنا ما فيه من كونك تدعوننا الى الطاعة
وتخبرنا انك عازم على ان تجعل بلادنا سعيدة مباركة واي سعادة احب اليها من سعادة
الجهاد وحماية البلاد وثباتنا امام اعدائنا ولو بدون تحاربة ولا طعان فان الله تعالى جعل
لنا ثواباً عظيماً اذا نحن اذقناهم مرارة الوبال ونكناهم شديد النكال وكبدناهم انواع
المشقات والجاناهم الى التفريق والشتات واذا لم نتدكن من ذلك كله فمن بعضه فان لم
يتيسر لنا فيكفي الثبات في وجوههم وعلى قدر التعب يحصل الاجر وكونك تعدنا كعادتك
مع غيرنا بالفخر والمجد اذا نحن اطعناك والى مطلوبك اجبتناك فهذا لا نسعه ولا نلتفت
اليه بل نعهه ضرباً من المحال والذين اطاعوك من اهل وطننا فانهم عندنا قوم لا دين لهم
ولا خلاق لهم بل لا يعرفون من الاسلام الا اسمه فلا نغتر بكلامهم فانما قادم اليك
الطمع فيما عندك فباعوا لك دينهم بالذهب والفضة واما نحن فلا نبيع ديننا وانما نبيع انفسنا
الى الله تعالى الذي يشترها منا بالجنة ومن الواجب عليك ان تنظر الى عظمة سيدنا الامير
كما نظرنا نحن فانه يقا تلکم ويكبدكم المشاق العظيمة من غير كبير مدد ولا ذخائر
مؤتلة ولا خزائن قائمة وافرة واما انتم فلا مزية لكم لان دولتكم قديمة من الف سنة فجمعت
الاموال الطائلة ودربت الجيوش الجرارة على الحروب فان هي غلبت الان فان اميرنا حديث
العهد بالملك ورعيته قد انهكتها الحروب الاهلية والاجنبية من مدة متطاولة فاي مزية
لدولتكم في تغلبها عليها والظاهر انك ايها الحاكم مسرور بكونك اخرجتنا من اوطاننا واحرق
اغلالنا وارسلت لدولتك تبتهج بذلك ولو كنت من اهل النظر ما ظهر هذا منك نعم
لو جئتنا بجيوش تعادل جيوشنا عدداً واستعداداً وفعلت بنا ما فعلت كان يحق لك ان
تبتهج بعملك وتنتخر به ولكن حيث انك جلبت اليها جيوشاً يزيد عددهم على عدد

نفوسنا وكراعينا وشجرنا وسجرتنا فلا حق لك في سرورك لان من غلب كثرة لا مزية له ولا فخر وانما المزية لمن غلب من يكافئه عدداً واعدداً او يكون اكثر منه ونحن لله الحمد مع قلة عدونا فقد وقفنا في صدوركم واذقناكم نكال الحرب ومرارة الجلال والضرب مدة احد عشر عاماً من حين استيلائكم على مدينة الجزائر الى يومنا هذا ولا تزال بجولة تعالى وقوته على ذلك الى ان تغلب او تغلب ويهلك كبيرنا وصغيرنا وعلى كل حال فلا تنعب تنسك فانك لا تحصل على طائل من الفخر لتذكر به عند ملوك الارض كما هو في بالك لان ذلك انما يصح لك لو غلبت دولة قديمة عظيمة مؤهلة من كل شيء واما دولة قليلة العدد والعدد فلا مزية لمن غلبها ومما يتعجب منه كل العجب ان دولتك تفخر بالاستيلاء على الجزائر وهل عاقل في العالم يفخر بالظلم والاعتداء حاشا وكلا انما الفخر في تركهما وعدم التخلق بهما وجميع ما اتلفتموه من محصولاتنا في هذه السنة لا يضرننا لوجود غيره عندنا من مستغلاتنا المدخرة من سنين عديدة فان نفدت فالطرق جلب ما نفتتت به من المغرب او المشرق مفتوحة وكما ان مراكبكم البحرية ترد عليكم مشحونة بالمؤن والذخائر فكذلك نحن عندنا الجمال تحمل الينا ما نحتاج اليه من القاصية ومن الواجب عليك ان تنظر فيما دخل في يدك من الذخائر والمؤن في هذه المدة وما خرج منها فان وجدتها ناقصة فبادر الى ارسال ما يسد نقصها من حجر معسكر وتراب غريس الى دولتك وبذلك تجعلك محبوباً لديها كبيراً في عينها ولو احصيت ايها الحاكم قنلاك واسراك ثم قابلناهم بمن قتل منا واسر لظهر لك خسرانك وتحقق عندك نقصانك والمكافاة في الحرب وان كانت لا تقضي بالمزبة لاحد الطرفين فانها تقضي لنا به نظراً لكثرتكم وقتلتنا وكبر دولتكم وصغر دولتنا هذا جوابنا فاعلمه فاننا فصلناه تفصيلاً مفراطاً في الاسباب والاكثر رجاء ان تفهم حرر في العشرين من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين والحادى عشر من حزيران سنة احدى واربعين

ونص جواب الرسالة الاخرى المؤرخة في التاسع والعشرين من ربيع الثاني والعشرين من حزيران من الحشم وغيرهم من القبائل المتمسكين بدينهم الاسلامي الوثيق العرى الى النصراني ييجو قد وصلنا مكتوبك الذي تركته في موضع نزولك من بساتين بني يخلف واطلعنا عليه فوجدناك تطلب منا نص ما طلبته سابقاً غير مرة فتعجبنا من الحاحك واكثرناك علينا في الطلب مع اننا بذلنا وسعنا في اقتناعك فلم تسمع ووقفناك على ما انطوت عليه بواطننا من التمسك بديننا وطاعتنا لاميرونا فلم تفهم ولو فهمت لعدلت عن الحاحك وتتابع طلبك وعلى كل حال فهذا آخر جواب ياتيك من طرفنا فليكن

مكتوبك المذكور آخر مكتوب ترسله الينا وكيف نترك ديننا الذي هو اشرف الاديان
وتخلى عن اميرنا الذي هو عندنا اعظم امير واشرف من يطاع هذا مما لا يقول به
عاقل ولا يُعلق به افكاره آمل والذي حملك على الاحاح هو تصديقك لاولئك
المنتصرة الذين يسارعون الى الدخول في طاعتك ولو كانوا مما يعتد بهم في الديانة
ما جحدوا نعمة الله عليهم بالاسلام واطاعوك ودخلوا تحت رايتك وانت عدو دينهم
ودنياهم والذي اخذ بنواصيرهم وقادهم الى ذلك انما هو حب المال الذي يسرتم لم طريق
الطمع فيه ولم تعلموا انهم كما ازاغهم الشيطان وتركوا دينهم ورفضوا طاعة اميرهم كذلك
يتركون دينكم وطاعتكم لان من كان بهذا السبيل لا يوثق به وانت لغرورك بهم وثقت
بجلمهم واتبعت اشارتهم واراءهم وبالجملة فنحن في وطن واسع الاطراف ممتد القاصية
لانزال تنتقل فيه غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً وانتم تتبعون آثارنا فلا تدركون
شاونا وغاية ما هنالك ان عسا كركم نثني جوعاً ومرضاً وذخائركم تنفذ وكل ذلك
من غير ظائل فالاولى لكم ان تعمروا بلادكم التي نشاتم فيها ونشأ آباؤكم من اجيال
متطاولة واما بلادنا فليس لكم في الاسنيلاء عليها نتيجة وهب انكم استوليتم عليها
واقمتم فيها ثلاثمائة سنة مثل من ملكها قبلكم فانكم لا بد ان تخرجوا منها كما خرجوا
وتمسوا كأمس الذهب والذهب هكذا واهب ناهب والظاهر انه يخطر في فكري انك
اذا استوليت على وطننا ان فرنسا تجعلك ملكاً تدين بطاعتك هيئات انما انت
عسكري تعيش عسكرياً وتموت عسكرياً ولم تستند شيئاً فانك لن تحرق الارض
وان تبلغ الجبال طولاً والذين استهوك وغررك من العرب بطاعتهم لا يعبا بهم اذا
حضروا ولا يسئل عنهم اذا غابوا فاقولهم ومواعيدهم انما هي كسراب بقية يحسبه
الظمئان مثلكم ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وغاية امره ان الذي يؤملونه منكم
لا يصلون اليه وانما يموتون كفاراً تحت رايتكم نسال الله العافية والحماية من ذلك
ومن العجب انكم تعلمون اننا وان كنا خاضعين لاميرنا فاننا ما طلبنا الصلح معكم
الا قهراً وامتثالاً لامره فكيف الان نميل اليكم ونرغب في طاعتكم ثم لا يخفي ان
بلادنا تمتد غرباً الى حدود المغرب الاقصى وشرقاً الى حدود افريقية وشمالاً وجنوباً
من البحر الى القفر وجميعها مع اتساع اقطارها في غاية الامن بالنسبة الينا فلا تغفروا انه
يلحقنا ضرر منكم او يرهبننا وضع عسكريكم في معسكر ومليانه والمدية فان الضرر والخسارة
وامثالها في الحقيقة لا تعود الا على اولئك الجنود الذين لا نراهم لا اسرى في بلادنا اذ لا ياتيهم
ما يقتاتون به الا بشاق واتعاب يتلف فيها من اخوانهم عدد كثير ومن الذخائر اكثر

والمخلص ما نقول اننا واياكم عبيد الله تعالى والارض ارضه والبلاد بلاده وهو الذي
 وطن فيها اباؤنا فان ابقانا فيها فله الفضل والطول وان اخرجنا منها وجعلها في ملككم
 وقبضة تصرفكم فهو تخار في فعله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . ثم ان يجو بعد رجوعه
 من غريس الى مستغانم تنقد الجنود التي كانت قبله في الجزائر والتي حضرت معه وبعده
 فوجد التلف قد اتى على اكثرها فكتب الى دولته بذلك واستمدتها فامدته بالعسكر
 والذخيرة واقام اربعة اشهر ياخذ في الاستعداد ويتاهب لتجديد الحروب وكان في هذه
 الفترة يكتب القبائل والعشائر يدعوهم الى الطاعة ويعدمهم ويمنيهم تارة ويتهددهم
 ويوعدهم اخرى ويبالغ في الطرفين ولما استكمل اهتبه عقد مجلساً حريياً في وهران جلب
 اليه قواد الجيوش الفرنسية من الجزائر وغيرها وفاوضهم في تعيين مدينة من المدن
 الداخلية يجعلها مركزاً للعساكر وتخزيناً للذخائر فوقع اختيارهم على مدينة معسكر فخرج
 بسائر الجيوش اليها واتخذها مركزاً وبهذه الوساطة تيسر له الحمل على القبائل وادخالهم
 تحت السلطة الفرنسية لان اهل الوطن لما رأوا ما نزل بهم من الجائحة التي لا
 دواء لها ولا سبيل لزيالها تحيروا في امرهم وسئموا من الفراز في الفياقي والقفار وملك
 ماشيتهم وفنى كراعهم وعلما ان الامير لا قدرة عنده على حمايتهم والذب عن الوطن
 من سائر جهاته لا سيما وقد تهافت قبائل البربر الذين ليس عندهم من الدين الاسلامي
 الا النطق باسمه على اداء طاعتهم للفرنسيس واكبوا على التقاط ما نثره لهم من الذهب
 والفضة ونالوا من احسانهم ما لم يكن لهم في حساب ولم يعلموا ان السم في ذلك الدسم فبدلوا
 نفوسهم في نصرة عدوهم واعلاء كلمته واعانوه على المسلمين المستسكين بدينهم وطاعة اميرهم
 وكثروا عدده ودلوه على عورات المسلمين وارشدوه الى الطرق التي يتوصل بها
 للاستيلاء على الوطن وصاروا يكتبون الناس في الجهات ويرغبونهم في اللحاق بهم
 والدخول في زميرتهم سبحانه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه

﴿ ذكر مسير المارشال ويجو الى تلمسان ﴾

وفي الخامس عشر من ذي الحجة سنة سبع وخمسين والتاسع والعشرين من يناير
 سنة اثنتين واربعين خرج ويجو من معسكر بجيش كثيف الى تلمسان فطار الخبر الى
 الامير فامر باخلائها ونقل سائر المهيمات الحربية منها فارتحل الناس ونقلت المهيمات منها
 الا ما عسر حمله كالآلات ومعمل المدافع وشبهها ودخلها العدو اخبرني من يوثق به ان
 بعض اهالي تلمسان الذين بارحوها رجعوا اليها من الطريق ودخلوها ليلاً وقدموا

طاعتهم الى الجنرال واخبروه ان جيوش الامير قد ستمت الحرب ولانت قوتها
 وكان في عزمه ان يتركها ولما سمع ذلك عقد النية على الاقامة فيها والاستيلاء
 الدائم عليها وشرع في تحصينها خشية ان يسترجعها الامير منه واقام بها حكومة
 وسلم ادارتها للجنرال بادو من مشاهير قوادهم ثم ارتحل الامير من ضواحي تلمسان
 الى ندرومه وفيها اجتمعت عليه قبائل تراره ووطاصة ومن اليهم من قبائل الساحل
 في تلك الاطراف فاغزى خليفته السيد مصطفى بن التهامي على الدوائر والزمالة في
 ساحة وهران فاشحن فيهم وغنم غنائم كثيرة ثم سار الى مضيق الجيرة من بلاد الغرابة
 ومنها انتقل الى سيك واما الامير فانه استمر في نواحي تلمسان ينتظر الفرص الموافقة
 لحرب الجنرال ولما اتصل خبر الخليفة بنائب يبجو في معسكر ارسل سرية من جنده
 لتباغت الخليفة في موضعه من سيك فواصلت سيرها الى ان رأت مضارب العسكر ليلاً
 فتوقف قائدها عن الهجوم وبعد ان اخذ عسكره الراحة عدل عن الخيام ومر في طريق
 اخرى في حالة هدوء وسكون حتى لا يحس به العسكر الاسلامي وكان الحرس فطنوا
 بهم ولكن ظنوا انهم من اخوانهم المسلمين جاءوا نجدة لهم فلم يتعرضوا لهم بشيء ثم اقتنوا
 اثرهم ولما طلع الفجر وعرفوا انهم من العدو حملوا عليهم وطيروا الخبر الى الخليفة فركب
 في سائر الجيش ولحقوا بالعدو وعظم الامر واشتعلت نار الحرب واتصل ذلك من طلوع
 الفجر الى وقت الظهيرة فانهمز العدو واستولى المسلمون على سائر مدافعه وذخائره واثقاله
 ثم رجع الكرة عليهم فازاحهم عن موقفهم واسترد ما اخذوه منه وصمد العسكر النظامي
 الاسلامي وحافظوا على موقفهم ثم حملوا على العدو حملة رجل واحد واختلطوا به هرباً
 بالسيوف وطمعاً بالحراب واستمر ذلك الى الغروب ومن الغد اصبح العسكر الفرنسي
 سائراً الى وهران والمسلمون اخذ بهم النعب والاعياء ماخذهم فلم يلحقوه ثم انتقل الخليفة
 بعسكره النظامي ومن بقي معه من الجيوش المتطوعة الى الجبل المطل على سيك ولما استولى
 يبجو على تلمسان رجع الى الجهة الشرقية على طريق الخط الناصل بين بلاد الصحراء
 وبلاد التل فوصل الى قلعة سبدو وبعدها عن تلمسان نحو المرحلة وجرت بينه وبين
 قبائل تلك النواحي حروب كان الظفر فيها له ثم لازوا بطاعته ومنها توجه الى قلعة
 سعيدة على مرحلتين من معسكر وقد كان خربها قبل تقدم الجعافرة والحسانة واولاد
 ابراهيم واولاد خالد ومن اليهم مقاليد الطاعة اليه فافاض فيهم العطاء جلباً لغيرهم
 ومنها سار الى القبطنة فاحرقها وهي بلدة عائلتنا اخطبها جدنا السيد مصطفى بن
 المختار سنة ست ومائتين والى جهة الشمال من معسكر تبعد عنها برحلة قال

القبطان دي مونرون في تاريخه وكانت تلك البلدة مبنية بوسط وادي يناع بالازهار
 تندش منه الابعار وكان لا يظن انه يوجد في اقصى افريقية ابنية تحكمة البناء
 كابنتها وفي هذه الايام خرج جيش من مدينة الجزائر قاصداً قبيلة بني مناد في
 نواحي شرشال فوقع بهم ولما رات قبائل تلك الجهة ما حل بجيرانهم لاذوا بالطاعة
 قال مؤرخهم روا ولما توجه المارشال ييجو الى نواحي شلف ضرب خيامه على
 اطراف الجبال ملجأ القبائل التي كانت لم تزل تعسكر كاس راحتته وتناوشه
 الحرب وباداء طاعتهم له حمل الامن في سهول متيجه الى مدينة الجزائر نوعاً ما
 وصارت المواصلة بين المدينة ومليانة وشرشال قليلة الخطر في بعض الاوقات انتهى
 واما الامير فانه سار بجنوده الى الجهات الصحراوية وسائر القبائل التي كانت قدمت
 طاعتها للعدو لاذت بطاعة الامير واعتذرت بالعجز وارتكاب اخف الضررين
 فعفا عنهم وانتظموها في سلك جنوده وضرب معسكره في معبر الاطلس وهو من
 المعقل القديمة ومنه كان يغزو على العدو ومن دان بطاعته من العرب والبربر
 يتابع شن الغارات عليهم وينقيهم النكل ويحلب اليهم الويل والوبال ويبث السرايا
 والبعوث الى الجهات فانخازت المنصرة الى ضواحي المدن وختت البلاد من اهلبها
 وانحصرت العارة في الصحراء للمسلمين والسواحل وما قاربها للعدو قال بالمار ان
 الامير رأى ان من الواجب عليه ديانة ان يؤدب القبائل التي خرجت عن طاعته
 وانضمت تحت راية عدوه وقصد بذلك قمع علائق الفساد وحنظ الشعائر الدينية
 والمحاماة عن الوطن فصار يتابع الغزو والغارات عليهم ولكن ذلك لم يجد الامير
 نفعاً لان الناس توجهت قلوبهم لطاعة عدوه طالباً للراحة من مشقات الانتقال من
 موضع الى آخر وغزا بني عامر والغسل وتلك النواحي فصدوه واظهروا عداوته والمارشال
 بجو وان كانت انتصاراته متتابعة فانه لم يثق بذلك لما هو معلوم من احوال العرب
 والبربر قديماً وعلاوة على ذلك فان فرسان الحشم الشراقة والغرابة المشهورين
 بالشجاعة واقحام الشدائد لم يميلوا الى طاعته بل لم يفارقوا سيدهم واميرهم الذي بايعوه
 على الموت وارتحلوا باهليهم واولادهم معه وخيموا حيث خيم باهله واولاده وجنوده
 بعبير الاطلس ولذا ترى ان المارشال كان دائماً يخشى الوقوع في محذورات لا خلاص له منها
 ولم تهدأ افكاره من اضطرابها ولا سيما انه رأى القبائل بعد ان بذلت طاعتها
 اليه راجعت طاعة سيدها لما رآته وهرعت الى اعتابه تطالب العفو وتعتذر بعجزها
 عن دفاع العدو الكثير الجنود فهذا النعل وامثاله ادى المارشال الى الحكم بان

للنقل

٧

جمع ما يراه من العرب من اظهار الطاعة والقتال معه، انما هو من قبيل الامور
 الخيالية التي لا اساس لثبوتها فعمد في معسكر مجلساً حريباً وقال لهم ان الامير
 كما ترون قد نزل بجيوشه في جبال وانشريس قرب التل وسائر بلاد شلف ونهر
 مينه الجنوبية رجعت الى قبضة يده وجميع من يحاذيها من قبائل العرب والبربر
 لم تخرج عن طاعته فالاولى اننا نجمع جيوشنا ونخرج بها دفعة واحدة من الجزائر
 ومسنگام ووهران كل الى ما يليه الى الداخلية فاجابه اهل المجلس ان فصل الشتاء
 قد اقبل فلا نتمكن من مطلوبنا فقال اذا يلزمكم ان ترتبوا الفرق الان وبعد مضي
 الشتاء نجري ما يقع عليه اتفانكم فاجابوه الى ذلك وقر قرارهم على ان سائر الجنود
 تنقسم الى ثلاثة اقسام قسم يكون تحت نظر المارشال ويجو ويكون مركزه في
 نواحي شلف والثاني تحت قيادة الجنرال شانكرني ويكون مركزه البليده والثالث
 تحت قيادة الجنرال لامورسير ويكون مركزه معسكر وفي اواخر الشتاء خرج كل
 قسم الى موقفه المعين له واخذ كل من القواد الثلاث يشن الغارات المتتابعة على
 ما يليه من القبائل فما نجح واحد منهم في عمله لان سائر الشعوب والقبائل تركوا
 اوطانهم وارتحلوا الى الصحراء كل الى ما يليه منها فاتبعتهم الجيوش الفرنسية فلم
 تدرك لهم اثرًا واستولى التعب والنصب عليهم والدبر والنقب على دوابهم ونفذت
 ذخائرهم ورجعوا الى مراكزهم من غير طائل واما الامير فانه كان كلما توجهت
 فرقة فرنساوية على جهة يخالفها الى جهة اخرى فيصيب من المنتصرة ولا تصيب
 الفرقة من المسلمين شيئاً وتوغل الجنرال لامورسير في الجنوب وشن الغارات على
 البسائط والجبال في نواحيها فخالفه الامير الى جهة معسكر فاكسح مافي قرية البرج
 من الامتعة والاموال واستاق ماشيتها ثم اضرمها ناراً وسار على وجهه الى الجهة
 الشرقية فمر بجيوشه ليلاً على معسكر يجو في شلف وشن الغارة على قبائل تلك
 النواحي فغنم واثنى في القتل والاسر والسبي وتوجه الى الجنوب فنجس الزنساويون
 من امره وسرعة سيره وبلوغه ما قعده من الخوارج في ايام قلائل متواليه وفي
 اثناء هذه الحوادث حدث بين دولتي فرانس والانكليز نزاع في قضية تعلق بمدينة
 ارتاويه احدى مدن الاوقيانوس فحسبها الامير فرصة يجب اغتنامها فارسل الى دولة
 الانكليز معتمداً من طرفه ليفاوضها في امره ويتمس منها ان تشغل عنه وجه
 الفرنسيين حتى يتمكن من مدافعهم عن الوطن فاحس الفرنسيين بذلك وتلافوا
 امرهم مع الانكليز ثم ان الامير كتب الى الدولة العثمانية يستنجد بها ويخبرها بما وصل

اليه حال الوطن الذي هو جزء من ممالكها فلم ترد له جواباً وكتب الى صاحب
مراكش يستدعيه للمشاركة في دفاع العدو لاتصال المغربين الاقصى والاوسط وقال
ان اصحبت بلاد المغرب الاوسط في يد دولة فرانس فكيف تامن على بلادك وما
الذي ينعمها منها فنغافل عن الجواب وانتهت ايام سنة ثمان وخمسين ومائتين واثنين
واربعين وثمانمائة على ما ذكرناه من الوقائع المتتابعة ثم ان الامير لما راي ان العدو
قد استولى على المدن وانقلاع ظهر له ان يتخذ عاصمة كبيرة رحالة مؤلفة من خيام
كثيرة ومضارب اثيرة فباشتر في ترتيبها وفي اقرب مدة ظهرت للوجود على احسن
الاساليب واجمل الترتيب وسمى ما يخصه منها الزمالة وما يخص الاعيان والعامّة
بالدائرة وما يخص الجند بالحلقة واتخذ فيها جملة مضارب لمعامل السلاح واخرى
لوضع المهيات الحربية ومثلها للذخائر واعد فسطاطاً واسعاً لاجتماع المجلس العام واخر
اتخذه مسجداً ورتب مضارب للباعة واهل السوق تضرب بعيدة عن الزمالة
والدائرة وما يتعلق بهما فكانت تجبي اليها الذخائر وسائر ما يلزم الانسان ونقصه
بالتجارة في صنوف البضائع وما تدعو الضرورة اليه من الحرف والصنائع وبالجملة فقد
كنت الزمالة والدائرة ومتعلقتهما على اتم ما يكون من الانتظام والالئام المدني وكان
لما منظر جميل ترى منازلها من بعيد كأنها مدينة حافلة ذات قصور مشيدة وابنية
جليلة وكانت تعد مركزاً حريباً ومقرّاً مدنياً تشمل على مائتي الف نفس وكان الامير
يبيت من هذه المدينة الرحالة غوازيه وبعوثه وفيها يستعد للحرب وكانت الجيوش
الفرنساوية نتقيها وتحذر منها ولم تزل تزداد كية واتسقا وارتباطاً حتى صارت هجاء
عظيماً وحصناً اميناً وقد عين لحراستها وحماية حوزتها اربعة قبائل من العرب وفرقة
كثيرة العدد من العسكر انطاني فمن اداع على هذه المدينة الرحالة وترتيبها عرف ما
كان عليه الامير من الآراء المصيبة والتدابير العجيبة التي انقرد بها في وقته ولم يسمع
فيما مضى بملاك اتخذ عاصمة ملأت النجود والاغوار تتردد بين الحول والاتحال والاقامة
والانتقال وحيث ان الفاعل المخنار في فعله قضى بان مصير كل شيء الى الزوال وانه لا
وسيلة لبقائه ولا احتيال فلا عتاب ولا ملامة ولا تحسر ولا ندامة ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده

﴿ ذكر ما كتبه الامير جواباً عن سؤال قدمه اليه ﴾

« بعض الاعيان من خواصه »

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكفي مزيده وصلي الله على سيدنا محمد وآله ومن تبعه وجرى على منواله اللهم اني اعوذ بك من معضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ونصرع اليك يا مقلب القلوب ان تثبت قلوبنا على ديننا المحبوب اما بعد يا اخي فاني رأيتك متعطشاً الى سماع ما لائمنا من الكلام في هوء لاء الذين ركنوا للعدو فأحببت ان اذكر لك ما روي عنهم في ذلك ولولا اني رأيت شدة تعطشك وأوامك ما ذكرت لك شيئاً مما هنالك اذ ربما تنفي في نصيحة اولئك الجهلة باقي ايامك من غير ظائل ويكون تعبك في علاجهم كتعب من رام اصلاح الفاسد او حياة الهالك وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

واعلم ان الراكن الى الكفار الداخل تحت ذمة اهل البوار احد رجلين اما رجل كذب الله في ضمانه لرزقه نعوذ بالله من كفره وحمقه وقال ان هاجرت مت جوعاً وازداد بذلك هلوماً واعتقد ان وطنه هو رازقه لا ان الذي يرزقه هو موجدته وخالقه ولما خطر هذا في قلوب جماعة من المؤمنيين في زمانه صلى الله عليه وسلم بعد ان نزل قوله تعالى امرأ بالهجرة يا عبادي ان ارضي واسعة فاي اي فاعبدون انزل الله قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم قال المنسرون في هذه الآية تحريض على الهجرة لان بعض المؤمنيين فكر في الجوع والفقر اللذين يلحقانه في الهجرة وقل غربة في دار لا مال فيه ولا عقار ولا من يطعم الجار فضرب الله لهم المثل بحال الدواب التي لا تسعى في تحصيل قوت ولا تدخره واما رجل متكالب على الدنيا اصمه واعماه حبها يريد الظفر بها سواء كان ذلك بالاسلام او بالكفر وكلا هذين الرجلين لا يرجى صلاحهما ولا يوء مل نجاحهما ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يرد الله ان يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي لهم في الآخرة عذاب عظيم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ان الله لا يهدي من يضل وهذه الفتن جرت بها سنة الله التي قد خلت في عباده وحكمته الجارية في ارضه وبلادها ليتبين الصادق من المدعي ومن تحلى بحماية ليست له فضخنة شواهد الاثمان الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني

ان الله تعالى يخبر عباده ويمتحنهم حتى يتبين للناس الذي لم يتخذ ولياً ولا نصيراً
من دون الله ورسوله والمؤمنين من الذي يتخذ نعوذ بالله من المهالك ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولعل هذا هو الزمان
الذي اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تاتي في آخر الزمان قن يصبغ الرجل
مؤمناً ويمسي كافراً الا من اجاره الله بالعلم وفي رواية بعلمه ولقد ظهر في اهل هذا
الزمان مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لدختموه قالوا اليهود والنصارى يا رسول الله قال فمن رواه
البخاري في صحيحه لان اهل هذا الوقت كانوا يطلبون الجهاد ويتمنون مجيء
النصارى فلما ظهر الجهاد نكصوا على اعقابهم فهم في هذا كبنى اسرائيل اذ قالوا
لنبي لهم ابث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا نقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخترنا الى اجل قريب ثم بعد هذا ارادوا من سلطانهم ان يجاهد
وحده ويتكفل بردع العدو ويعرفه حده فهم في هذا كبنى اسرائيل ايضاً اذ قالوا
لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ثم بعد هذا صاروا
ردم للكفار ومعينين لهم بالانفس والاموال على من بقي مستمسكاً بعروة الاسلام
واعظم هؤلاء ذنباً واشدم هلاكاً وابعدهم نجاة واكثرهم في الامر سقوطاً رجلاً
احدهما رجل عرف الحق وعاند وهو اول من تسعر به النار اذ هو عالم لم ينعه
الله بعلمه وجحد الحق مع معرفته به انه حق وهذا اصل من اصول الكفر الستة ومنه
كفر الموجودين في زمانه صلى الله عليه وسلم المشاهدين لمعجزاته قال تعالى فيهم انهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهذا اعظم الضلال والداء العضال
اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فبعد الختم لا ترجى
زيادة ولا نقصان في الشيء المخنوم عليه والاخر رجل قرأ بعض ابواب الفقه فعلم
بعض احكام الصلاة والنكاح والبيوع فظن انه وصل الى غاية استحق ان يسمى
بها عالماً فصار يقول في دين الله ما ليس له به علم ويفتري على الله الكذب
ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويستدل
بآيات واحاديث وكلام الائمة وهم مع هذا لا يحسن النطق والتلفظ ببيانها فكيف

له الغوص على معانيها فالحمار احسن حالاً من هذا اذ جهل الحمار بسيط وجهل هذا مركب

قال حمار الحكيم توما لو انصف الدهر كنت اركب
لان جزلي جهل بسيط وصاحبي جهله مركب

والجهل المركب اصل من اصول الكفر السنة فجميع هذا الصنف مع تبج ما هم عليه من الدخول تحت ذمة الكفر استحلوا ما حرم الله من ذلك والمستحل لما حرم الله كافر وخرقوا الاجماع فان الاجماع منعقد على وجوب الهجرة وخالف الاجماع كافر وجعلوا ماورد في القرآن والسنة من ذكر الهجرة ومدحها والامر بها عبثاً ومنسوخاً وذلك باب مليهم واقوالهم الكاذبة كيف والقرآن مملوء بذكر الهجرة ومدحها وذم تاركها وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تنقطع الهجرة حتى يغلق باب التوبة ولا يغلق باب التوبة حتى تطاع الشمس من مغربها وقال عليه الصلاة والسلام انا بريء من كل مسلم مقيم بين اظهر الكافرين رواه اصحاب الصحيح ما عدا البخاري وقال آخر وهو ممن بلغ رتبة الاجتهاد الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة في اخبار مصر القاهرة لما ساق هذا الحديث ما تبرأ منهم صلى الله عليه وسلم الا لكفرهم وفي الصحيح من جامعهم او ساكنهم فهو منهم قالوا لم يارسول الله قال الا نترابا نارها وقال مالك رضى الله عنه تجب الهجرة من ارض الظلم والعدوان فكيف يبلد يكفر فيه بالرحمن وتعبد من دونه الاوثان وقال تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قال ابو السعود في الآية دليل على انه لا عذر في ترك الهجرة الا عدم اتساع الارض وقد وسعها الله ولو كان هناك عذر يقبل في ترك الهجرة ما كان في الآية تبكيت لتاركها اذ ربما يعنذرون بعذر آخر فلما ذكر الله اتساع الارض دل على انه لا عذر غيره وقال الوائشريسي في كتابه المعيار الواجب الفرار من دار غلب عليه الشرك والخسران الى دار الامن والايمان ولذلك قوبلوا بالجواب عند الاعتذار لم تكن ارض الله واسعة فلا عذر للمستطيع بوجه وان كان بشقة في العدل او الحيلة او اكتساب الرزق في ضيق المعيشة الا المستضعف رأساً الذي لا يمد حيلة ولا يهتدي سبيلاً وعجز المسلم عن حمل اهل بيته وولده لا يبيح له التحلف عن الهجرة بل يهاجر بنفسه وقد هاجر صلى الله عليه وسلم لما تعذر عليه اخراج اهلته معه ومالحوها به الا بعد حين وكذا ان خاف ان هاجر يسلب ماله فان منارقة الوطن او سلب المال

ليس بعذر في ترك الهجرة نص على ذلك صاحب المعيار وقد ذكر اهل الاحوال ان الضرورات التي تجب المحافظة عليها خمسة الدين والنفس والعقل والنسب والمال فكل واحد من هذه يجب حفظه ما لم يعارضه حفظ ما قبله فالمال هو آخر المراتب والدين اولها فهو مقدم على غيره وكذا تجب الهجرة على المرأة اذ لم يهاجر زوجها وقد هاجر كثير من المسلمات الى الحبشة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهما بعد هجرته صلى الله عليه وسلم وفيهن انزل الله تعالى قوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية ولم يعذر الله تعالى في المنام تحت ذمة الكافر الا الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً كلالعمي الذي لا يجد قائداً والزمن الذي لا يجد حاملاً مع نيتهم انهما متى وجدا ذلك هاجرا فان تركا النية وماتا ماتا على غير سبيل المؤمنين نص على ذلك غير واحد والكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تحذر من مخالطة الكفار وموالاتهم وموادتهم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله ومن ينعله منكم فقد ضل سواء السبيل وقال انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون وقال بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً الى قوله فان العزة لله جميعاً فبين الله تعالى مراده في المنافقين في الآية بقوله الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين فالذي يتخذ الكافر ولياً منافق الى غير ذلك من الآيات والاحاديث القاطعة الصريحة الصحيحة التي لا تحتمل تاويلاً وقد ذكر صاحب المعيار في باب الجهاد ان هراء المقيمين تحت ذمة النصارى لا تصح لهم صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد بوجه من الوجوه فانظره فانه قد طال عهدي به ومما ذكره ان الزكاة شرطها ان تدفع الزكاة يعني سلطان المسلمين فاذا دنعها للنصارى لينتقوا بها على المسلمين كانت المصيبة اشد ومنها ان شهر رمضان في الغالب لا يثبت البرؤية عدلين ابتداء وانتهاء والعدالة انما تثبت عند الامام وقاضيه وحيث انه لا امام ولا قاضي فيكون رمضان مشكوك الاول والاخر الى غير ذلك من الوجوه ولا تجوز شهادة المقيمين تحت ذمة النصارى الا من له عذر مقبول شرعاً ولا تنفذ احكام قضائهم قال بعض العلماء هم اشد من اهل الاهواء وقد ردت شهادتهم واحكامهم قال ابن عرفة شرط قبول خطاب القاضي صحة ولاية ممن تصح توليته بوجه الشرع احترازاً من اهل الدجن كقضاة مسلي بالنسيه ومرسيه وقوصره من الاندلس ومرادهم بالدجن المسامون الداخلون

تحت ذمة النصارى واهل الجزائر يسمونهم المنافقين وسئل المازري عن احكام تاتي من
 صقلية من عند قاضيها فاجاب القادح في هذا وجهان الاول من جهة القاضي من حيث
 العدالة فلا يباح له المقام في دار الحرب في قيد اهل الكفر والثاني من جهة الولاية اذ
 القاضي مولى من قبل اهل الكفر ومن كان هذا حاله فلا يعتبر حكمه في الشرع وتمد
 بلغني عن هؤلاء الرؤساء الجهال الذين افتوا بغير علم فضلوا واضلوا المعنيين بقوله صلى
 الله عليه وسلم وعلى آله ياتي على الناس زمان عالمهم اتن من جيفة حمار انهم يتدلون
 بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره ولا
 حجة لهم فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم قاله لسائل ساله عن الهجرة من مكة الى المدينة
 بعد الفتح فاجابه بان الهجرة التي كنت واجبة من مكة الى المدينة قد انقطعت بالفتح
 ونسخت كما نسخت حرمة رجوع المهاجر الى وطنه اذا عاد دار اسلام واما وجوب
 الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام فهو باق الى طلوع الشمس من مغربها قال ابن
 العربي الهجرة اقسام منها الهجرة من الخرف الى الدين والنفس كهجرة النبي صلى الله عليه
 وسلم وهجرة اصحابه المكين فانها كانت عليهم فريضة ولا يجزى ايمان بدونها ومنها الهجرة
 الى النبي صلى الله عليه وسلم في داره التي استقر فيها نقد بايع صلى الله عليه وسلم من بعده
 على الهجرة كما بايع اخريين على الاسلام وهاتان التجرتان انقطعتا بفتح مكة واما الهجرة
 من ارض الكفر فهي باقية الى يوم القيامة وكذا الهجرة من ارض الباطل والحرام والهجرة
 من ارض التتنة وروى اشهب عن مالك لا يقيم احد في موضع يعدل فيه بغير الحق
 وقال البرزالي في بعض اجوبته الاجماع على وجوب الهجرة ان وجد المسلم اليها سبيلا
 وكذا يستدلون بقوله تعالى الا ان تنقوا منهم تقاة وهذه الآية منسوخة روى البخاري في
 صحيحه من كتاب التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لا ثقاة اليوم لا تساع
 البلاد الاسلامية وكذا يستدلون بقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان والآية
 انما وردت فيمن يظفر به الكافر من غير اختيار كلاسير فاذا حملوه على معصية او نطق
 بكفر يسر غله ذلك لخوف القتل والصبرا اجل ما كونه متمكنا من الفرار ويبقى تحت حكمهم
 فلم يقل به مسلم وكذا يستدلون بما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى قال اجعاني
 على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه قال في الآية دليل على جواز التولية على يد
 الكافر ولا حجة لهم في هذا فان البيضاوي قال بعد هذا اذا علم انه لا سبيل الى اقامة
 الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وهذا الشرط معدوم اليوم وقد قال غير واحد ان
 الملك كان اسلم قبل ذلك على انه انما يكون ما ذكره البيضاوي على تقدير صحته فيمن كان

تحت أسرهم فانه يجوز له ان يطلب منهم ذلك في التولية اذ بعض الشر أهون من بعض
ويوسف عليه السلام جده الخليل عليه السلام وهو اول من سن الهجرة قال الله تعالى
حاكياً عنه وقال اني مهاجر الى ربي ومعه سارا فدخل قرية فيها جبار من الجبابرة
الحديث بطوله وكذلك يستدلون بما نقل عن النووي والرافعي ان المسلم اذا كانت له
عشيرة تحميه او له جاه لا تجب عليه الهجرة ولكن تستحب في حقه نقل ذلك ابن النحاس
في مشارع الاشواق الى مصارع العشاق وهذا ايضاً لا دليل فيه لان كلام النووي
والرافعي فيمن كان كافراً في دار الحرب ثم اسلم وكان لا يخاف الفتنة في دينه لحماية
عشيرته وتوفر عصابته او جاهه بحيث لو اراد الكفار ذلك لا يقدرين فياً من لذلك من
الفتنة وقد وقع من هذا النمط كثير في الصدر الاول كما ذكر ذلك اهل السير
والاخباريون اما من كان مسلماً في دار الاسلام ودخل عليه الكفار بالقهر والغلبة
فلا يتصور ان تكون له عشيرة تحميه او جاه يامن بهما من الفتنة في دينه مهما ارادها
الكفار منه وهل يوجد واحد من هذه الشعوب والقبائل الداخلة تحت ذمة الكفار من
له عشيرة تحميه من الكفار اذا ارادوا اجراء حكم من الاحكام عليه او يامن الفتنة
بواحد من هذين الوجهين اللذين ذكرهما الرافي والنووي اللهم الا ان يكون احمق ضعيف
العقل والايمان فيا منهم ويثق بعهودهم ومواثيقهم وان الشارع الحكيم لا يقبل شهادتهم
وافوالهم بالاضافة اليها وكان هذا الاحمق لم يصل اليه خبر الاندلس خصوصاً اهل قرطبة
فانهم تعاقدوا مع الكافر لما غلبهم على نيم وستين شرطاً اشترطوها عليه فلم يجلب الحول
عليها حتى نقضوها عروة عروة واخر الامر صار الكافر ياتي الى المسلم يقول له ان جدك
او جد ابيك واباك او جدك كان كافرًا فارجع الى الكفر الذي كان عليه جدك واترك
دين الاسلام الى غير ذلك فالنصارى لا يوفون بعهد الا اذا كانت كلمة الاسلام هي
العليا وشوكنه قائمة كيف والله تعالى يقول لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
اتطاعوا وقال كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة والال القرابة واولئك
هم المعتدون اي المتجاوزون اي لا يقفون عند شرط ولا عهد ومن شنيع حمق هو لاء
وضعف عقولهم ومرض ايمانهم انهم يسمون طاعتهم للكافر مهادنة وهل يسوغ لمن له
ادنى عقل وتميز ان يتلفظ بهذا كيف واحكام الكافر وشرائعه وتصرفاته جارية على
شريفهم ووضعهم ويؤدون اليه المغارم ويحملون اثقاله اذا اراد الغزو على المسلمين
ويقاتلونهم معه في جملة عساكره وجيوشه هذا والله الهذيان الذي لا يعقل على ان
المهادنة خاصة بالامام او نائبه فلا يعقدها سواهما قال خليل والامام المهادنة يعني لا لغيره

فقدم الخبر مع جره باللام وكلاهما يفيد الحصر والاختصاص واعلم ان هذه المصيبة التي هي ظهور الكفار على المسلمين حتى دخلوا تحت ذمتهم لم تكن في القرن الاول ولا في الثاني ولا في الثالث ولا في الرابع وانما حدثت في الخامس وبعده ولذا لم يوجد فيها قول ولا نص لواحد من الائمة رضى الله عنهم ولما حدثت ووقع السوء ال عنها قاسها ساداتنا اهل النظر والاجتهاد المذهبي على مسألة من اسلم ولم يهاجر قال ابن رشد وهو قياس صحيح وقد اختلف الائمة فيمن اسلم ولم يهاجر واقام تحت ذمة الكفار من غير ان تحصل منه اعانة لهم لا بالنفس ولا بالمال اما ان اعانهم بماله طوعاً او كرهاً بان اخذوه منه مغرمًا او بايعهم او شاراهم ولو في اقل شيء فقال القاضي ابن الحاج التجيني الاندلسي من القواعد ان الاعانة بالمال تبيح المال والاعانة بالنفس تبيح النفس وقال الامام المغيلي في كتاب له سماه مصابيح الفلاح ان هوء لاء المؤمنين يعني الذين طلبوا الامان من الكفار وامنواهم واقاموا تحت ذمتهم ودانوا بطاعتهم توء خذ اموالهم ويقتلون ولو كانوا يقرؤون القرآن وقال ابن القاسم واصبغ في مال المسلم المقيم في دار الحرب انه مباح وانه لا يبد اعاجبه وانما اليد للكافر وقد حرره في هذه المسئلة الامام ابن عباد شارح الحكم في جواب له ونصه حال المنتصرة على حسب فرقتهم فان منهم من يلجأ لحصون العدو ليدافع بها عن نفسه ومنهم من يكون معيناً له بنفسه وماله بمعنى انهم يقاتلون مع العدو ويدافعون عنه ويغيرون على المسلمين فهوء لاء اشد ضرراً على المسلمين وحكمهم حكم اهل دار الحرب في قتلهم وسلب مالهم واما اولادهم فلا يقتلون ولا يكونون فياً وانما ابيح قتل البايعين لكونهم رداء للعدو الحربي معينين لهم بانفسهم وحكم الردء اذا لم يقاتل مع العدو حكم المقاتل فاحرى اذا قاتل قال بعض المحققين من علماء تونس في جواب عن اهل حصن كانوا رداء للكافرين المحاربين ما نصه وقول هرقل لو كنت ارجو ان اخلص اليه لتجشمت لقيه يعني دون خلع من ملكه وهذا التجشم هو الهجرة وكانت فرضاً على كل مسلم قبل فتح مكة فان قيل ان النجاشي لم يهاجر قبل فتح مكة وهو مؤمن فكيف سقط عنه فرض الهجرة قلنا انه هو في مملكة اغنى عن الله ورسوله وعن جماعة المسلمين منه لو هاجر بنفسه فرداً لان اول غذائه انه حبس الحبشة كلهم عن مقاتلة النبي صلى الله عليه وسلم مع طوائف الكفار هذا مع انه كان ملجأ لمن اودى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردء الجماعة المسلمين وحكم الردء في جميع الاحوال حكم من كان رداً له وكذلك ردء اللصوص والمحاربين عند مالك والكوفيين يقتل بقنايمه ويجب عليه ما يجب عليهم وان كانوا لم يحضروا النعل ومثله في المساواة تملب عثمان وطلحة وسعد بن زيد رضى الله عنهم

عن بدر وضرب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بسهامهم من غنيمة بدر قالوا واجرنا
 يا رسول الله قال واجركم انتهى فانظر قوله وحكم الردء الى آخر كلامه ففيه الكفاية
 في تبين ما يجب العمل به ومنه تعلم ان من يدخل تحت جوارهم وامانهم من
 غير اعانة لهم بنفسه ولا بآله وانه لم يكن لهم عيناً ولا رداءً دونهم لا يباح قتله
 وانما هو عاص لا يباح ما عصبه الاسلام من دمه وماله وانما يباح سلب مال
 من يكون معيناً للعدو به على قتال المسلمين ومقاومتهم ومناهضتهم وقد افتى العلماء
 باباحة اخذ مال قوم كانوا بقرب حصن العدو وهم قادرون على منازلته بذلك المال
 ولم يفعلوا فجزوا للقيام بالحق المتعين ان ياخذ الامام القدر الزائد على كفايتهم
 ويصرفه في منازلة ذلك الحصن لا سيما اذا علم انهم ينعونه ويعينونه به مثل هؤلاء
 الذين تتكلم في امرهم وانما لم يباح قتل اولادهم ولا سبي نساءهم فاعلم تعلق الائم
 بهم لصغر الاولاد وضعف النساء واصالة اسلامهم بخلاف الحربى اذا اسلم واقام
 بدار الحرب حتى اخذ فولده وماله فيء مطلقاً ولا يقاس المسلم بالاصالة عليه خلافاً
 لابن الحجاج هذا هو التحقيق في هذه المسئلة ومنهم من جأ للمسلمين وصار يقاتل
 العدو معهم وهو مع ذلك يعين العدو خفية ويعلمه باحوال المسلمين ويطلعهم على
 عوراتهم وكذلك ان اطلعهم على كتب يكتبونها فان حكم هؤلاء حكم الزنادقة
 ان اطع عليهم قتلوا والا فامرهم الى الله انتهى كلام ابن عباد وقال القاضي ابن
 الحجاج الارجح سبي ذراري هؤلاء ليعيشوا في دار الاسلام آمنين من الفتنة في
 الدين يعني لا ليأكلوا واما الذين يستجيشون بالكفار ويطلبون منهم الغزو على
 المسلمين فهم يرتدون قال البرزلي في نوازله احفظ ان امير المسلمين يوسف بن
 تاشفين استفتى علماء العدو في العتد بن عباد فاتنقت فتياهم على ان مجرد
 الاستجاشة على المسلمين بالكفار ردة مقصودهم بذلك ولو لم يحصل المطلوب والمعتمد
 ابن عباد هذا كان من ملوك الاندلس واستجاش بالطاغية على يوسف المذكور
 ونصر الله المسلمين فظفر به يوسف وقال بعض شراح رسالة ابن ابي زيد القيرواني الفرار
 من دار الاسلام الى دار الحرب ردة وقال الخطاب في باب الردة ادخال السرور
 على الكفار ردة ولا يخفى على كل مميذ ما يدخل على الكافر من السرور عند دخول
 من يدخل تحت ذمته قال الاجهري في حاشيته على المختصر جعل البرنيطة على
 الرأس ردة وهوؤلاء المنعقدون بالتمارى الداخلون تحت ذمتهم يجهون نصر الكفار
 على المسلمين الذين يغيرون عليهم ويفرحون بذلك كاهم رجالاً ونساءً وهذه ردة

نسأل الله السلامة والمرأة اذا ارتدت قال كثير من الفقهاء تقتل كالرجل وقال
 اسهب تسترق ولا تقتل نقله الثمساني في حاشيته على الشفا لعياض قال انقاضي
 ابو بكر ابن العربي ومنشأ الخلاف في ذلك ان قتل الكافر هل هو لكفره او لحراسته
 فاما من قال لكفره قال تقتل المرأة واما من قال لحراسته قال لا تقتل لانها لا تحارب
 واذا تاب احد من ارتد والعياذ بالله فالمشهور ان ماله يرد عليه ونقل ابن عرفة
 في مختصره عن ابن شعبان انه لا يرد عليه بل يبقى فيئا كما كان في حال ارتداده
 كما افتي به بعض العلماء ففي سبي نساءهم وذراريهم خلاف فالذي ذهب اليه كثير
 من الفقهاء انه لاسبي في نساءهم وذراريهم والذي ذهب اليه خليل حيث قال وان
 ارتد جماعة وحاربوا فكالزندق يعني يقتل ولا تسبي امراته ولاولده وقال ابن وهب
 من المالكية وجمهور الشافعية المرتد يسبي كالكافر الاصلي وهو حكم ابي بكر الصديق
 رضى الله عنه في اهل الردة فانه حكم بسبيهم واعطى علياً بن ابي طالب رضى
 الله عنه ام محمد ابن الحنفية وكانت سبيت يوم حرب اهلها بني حنيفة وقتل مسيلة
 الكذاب ووطئها على رضى الله عنه بملك اليمين قال ابن حجر في شرح الاربعين
 قول ابن بطال الاجماع على ان المرتد لا يسبي منقوض بما ذهب اليه ابن وهب
 من المالكية وبما ذهب اليه جمهور الشافعية وخالف عمر بن الخطاب ابا بكر رضى
 الله عنهما فانه اطلق سراح المرتدين بعد موت ابي بكر رضى الله عنه وقد كانوا
 في اسره وقال بعض العلماء كما نقله الشيخ سالم لاخلاف بين ابي بكر وعمر رضى
 الله عنهما في سبي المرتدين اذ الامام تخير بين الاسترقاق والمنز فابو بكر رضى
 الله عنه اخنار استرقاقهم وعمر رضى الله عنه من عليهم ولا تناقض في ذلك واذا
 قتل الغزاة نساء هولاء المنتصرة الذين تحت ذمة النصارى وصبيانهم فلا حرج على
 قاتلهم ولا اثم وقد عقد البخاري لذلك باباً في صحيحه قال باب اهل دار الحرب
 يسبون وفيهم النساء والصبيان ثم ساق الحديث على انه صلى الله عليه وسلم سئل
 عن ذلك فقال هم منهم وذكر في آخر الباب لاحمى الا لله ولسوله انتهى المقصود
 بحمد الله وحسن عونه من جواب سؤال المحبين قطعاً لشبه المرتدين ونحن في
 النغر مرابطون ولا كتب عندنا ولا مواد وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين
 ومائتين والف من هجرة حائز النغر والشرف صلى الله عليه وسلم وعندما تغلب العدو
 على الجهة الغربية من الوطن هاجر اخوان الامير الى المغرب الاقصى وبقي الامير
 باهله وجيوشه في الجهة الشرقية لمداغة العدو ولما طالت المدة كتب الامير الى

اخوانه يتشوق اليهم وذكرهم باسمائهم فقال

يا ربيع القلب يا نعم السند	يا سواد العين يا روح الجسد
راح قلبي لا بالك وولد	كنت لي قرة عين وبها
مذ نأيتم لا ارى فيها احد	فرمى الدهر بعيني اسهماً
لا ورب البيت في هزل وجد	ايروق الطرف شيء بعدكم
ودموعي فائضات من كمد	مذ ترحلتم اذبتن مهجتي
ما اراه فانياً حتى الابد	قد فنى صبري ولم يفن الجوى
ووهى العظم ولم يبق الجلد	وانزوى ما كان رطباً يانعاً
ما يسر القلب في اخذ ورد	مذ تواريتن توارى فرحي
من مجاز مرسل عندي يعد	فحياتي بعدكم مذ غبتم
يعلم الحال سوى الفرد الصمد	طالب ايلي يا احبائي ولا
يا سعيد هل خيال لي يرد	كم اناذي حين يبدو صبه
مصطفى هل من دواء للكمد	فترد الروح للجسم ويا
ما لحكم الله في الخلق مرد	شافني حب حسين شافني
باقتراب يحبي ميتاً لم يعد	هل يجود الدهر من بعد النوى
عاد انساني وروحي للجسد	فاذا لي تم ما املته
انتم ذخري وكنزي والسند	يا ذوي القربي قريباً من اب
سلفوا لي اهل سعي لا يرد	لي كونوا مثل ما كان الاولى
واذا ما ادبرت فارضوا بود	فاذا ما اقبلت فلتبدلوا
طيب يترى الى غير امد	وعليكم من سلام صيب
كل حب لي هو الصنو الاود	يشمل الاحباب اني قد ثووا

❖ ذكر دخول الامير الى ارض منبجة الغربية ❖

« وانتصاره على القبائل المنتصرة هناك »

وفي المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين الموافق سنة اثنين واربعين وثمانمائة توجه الامير وخليفته السيد محمد بن علال والسيد محمد البركاني في ثلاثة الاف من العسكر المنظم وعدد كثير من المتطوعة واحتل بوادي شلف ثم تجاز جبال مليانه الى ارض منبجة وبث البعوث في جهاتها وشن الغارات على نواحيها وحصلت بين المسلمين والمنتصرة

وقائع عظيمة ثم لاذوا بالطاعة فقبلها الامير منهم وعفا عنهم ورد اليهم ما غنمه المسلمون منهم واستولى الخوف والرعب على العدو وطار الخبر الى الجنرال شانكر في الجزائر فخرج في جيوشه الى سهل متيجة الشرقي ومن هناك توجه الى ثنية الحد وواد الزيتون وقوى حاميتها بالجند والذخيرة وكان الامير لاول دخوله اراضي متيجة الغربية اضرم سائر الابنية الفرنسية نارا وقتل من الفرنسيين عدداً كثيراً وسي نساءهم وذراريهم فامتعض لذلك الفرنسيون وسرى الخوف في قلوب المنتصرة فحاملهم على التوبة والندم واظهر الكثير منهم خضوعهم الى الامير ونصحوا له واجتهدوا في اصلاح ما كانوا افسدوه طالبا لرضاه وعفوه عنهم قل رؤوا في تاريخه ان الامير عبد القادر كان لا يميل من التعب ولا ياكل من الحرب ومشقاتها وكان يشاهد انتصارات فرانسوا ولا يشاهد نفسه مغلوباً لها وبعظيم حكمته وكمل فطنته استمال قلوب الكثير من القبائل رغبة ورهبة فانضموا اليه وصاروا في جيوشه وقال شرشل لما رأى الفرنسيون ما اجراه الامير في نواحي شرشال من ارض منيجة مما كان سبباً في رجوع القبائل الى طاعته وشاهدوا انقياد الناس اليه وبذل نفوسهم دونه في اقرب مدة بادروا بارسال بذر الذهب والفضة رشوة لأكبر القبائل كي يستميلوا بذلك قلوبهم ويردوهم الى ما كانوا عليه من الانقياد اليهم وتارة يتهددونهم فلم يجدهم ذلك نفعاً ولم يخف لهم احد بل عكفوا على طاعة اميرهم وحافظوا على اموالهم واطمانهم ولم تزل غزوات الامير متتابعة وفرسانه الى قهر الاعداء متسابقة الى اول ايار ثم رجع بقوته الى الجهة الغربية

✽ ذكر ما اجراه الجنرال ويجو لمنع دخول الامير الى نواحي الجزائر ✽

ولما اتصل بالحاكم ويجو ما اجراه الامير في بلاد متيجة وتحقق وقائعه فيها مع المنتصرة وما امعن فيه من قتل الفرنسيين وسي نساءهم وذراريهم وحرقت تحلاتهم في تلك الجهات خرج من الجزائر بجديد الجيوش التي كانت فيها الى وادي شلف وقسم العساكر ثلاثة اقسام قسم عقد عليه لابن الملك الدوك دومال والثاني عقد عليه للجنرال لامور سير والثالث ابقاه تحت نظره وامر ابن الملك ولامور سير بالسير الى الامير اينما كان ثم توجه بمن معه من العسكر الى بلاد متيجة الغربية واجرى مع القبائل ما حملهم على رجوعهم الى طاعته ولما رأى ان العساكر الموجودة في مديانة والمدية من المدن البرية وفي شرشال ومستغانم من المدن البحرية غير كافية لحماية قبائل الجنوب من بطش الامير انشأ مدينة بين نهر مينة ونهر شلف سمها الدوك دررليان وكانت قديمة الاصل تسمى

الاصنام ثم شخنها بالعساكر والذخائر ووضع حامية في مدينة تاهرت في حدود التل وحامية في مرفاتنس بين شرشال ومستغانم واما الجنرال لامورسير فانه سار بمساكره الى مدينة تاكدمت وجرى بينه وبين الامير وقائع وحروب تشيب لها الاطفال وكان الامير قبل ذلك في دائرته فاخبره بعض الجواسيس ان لامورسير قد سار قاصداً الى الدائرة فركب الامير لحينه ولقيه في تاكدمت ولامورسير لم يزل في نواحي معسكر حين بلغ الامير سيره الى الدائرة فاقام في نواحي السرسو في نحو الف وخمسمائة فارس ليس معهم زاد فكانوا يقتاتون بالبلوط ويعلفون خيلهم من اوراق الشجر والاغرب ان تلك المدة من ايام رمضان والناس على صيام واغرب منه ان بعض رؤساء العسكر جاءه مستبشراً وقدم اليه خاروفاً وجده بعض انفار العسكر ضالاً عن اهله فقال له خذ للعسكر يقتاتون به وآثرهم على نفسه مع انهم في الاضطرار سواء فقد تاسى بنبي الله داود عليه السلام حين ورد على بيت لحم وكان ظمأناً فقدموا اليه ماءً فقال اليس هذا دم الذين خاطروا بانفسهم في سبيل الله ولم يشرب منه ومائل الاسكندر حين قل الماء على جيشه واتى بقليل منه فامتنع من شربه وقال كيف اشرب الماء واصحابي اضر بهم الظمأ

✽ ذكر واقعة طاكين ✽

منذ اتخذ الامير الزمالة ودائرتها عاصمة رحالة ياوي اليها الراح والغادي ويومها الصادر والوارد اخذ الترنساويون يدبرون في نكبتها وينظرون في وجهه مضرباً ولما ساءدهم الوقت توجه الجنرال لامورسير بن معه الى معسكر ومنها الى تاكدمت فلقية الامير ووقعت بينهما وقائع تكافئوا فيها وتوجه الدوك دومال ابن الملك بن معه الى النواحي الشرقية ونظره الى الزمالة لانهم علموا ان قوة الامير المالية قد جعلها فيها فصارت مطمح انظارهم ومنتجع افكارهم فحاضوا لذلك بجر الاهوال واستعملوا الوسائل والوسائط حتى استمالوا قلوب بعض القبائل المنتصرة بالاموال الجسيمة والهدايا العظيمة وكان من جملة من تعهد لهم بترصدها ودلائتهم على موضعها المنتصر عمر العيادي فجعل يتبع مراحل الزمالة من موضع الى موضع حتى احملت في كوجيله من نواحي الجنوب الشرقي من تاهرت فطير الخبر الى ابن الملك وكان اقرب ما يكون اليه فانتهمز ابن الملك الفرصة لان الامير وقتئذ مقابل للجنرال لامورسير في نواحي السرسو فسار من بوغار في النين من المشاة وخمسمائة فارس من جنود فرنسا وخمسمائة من القبائل المنتصرة ووصل

سيره ليلاً ونهاراً الى ان احتل بكوجيلة فوجد الزمالة انتقلت الى القرب منها بمرحلة
ونزلت في الموضع المعروف بطاكين وفي نهار السادس عشر من ربيع الثاني سنة
تسع وخمسين ومائتين والخامس عشر من ايار سنة ثلاث واربعين وثمانمائة صحبها
فاكتسبها واستنف ما فيها ولم يكن وقتئذ من حاميتها سوى خمسمائة جندي من
ضعفاء العسكر وقد اغتروا بالمكيدة العظيمة التي اجراها ابن الملك باشارة عمر العيادي
المرتد وهي الباس فرسانهم لباس الخيالة المسلمين فلما اطعموا على الزمالة من بعيد
ظن الناس انهم طلائع الامير فاستبشروا وخرجوا الى لقاءهم بالتلهيل والتكبير فما قربوا منهم
حتى اظهرت جيوش العدو بشايتهم المعروفة فحينئذ فطن الناس للمكيدة وحاولوا ان
يتداركوا امرهم فقاتلهم ما املوه ودافعوا ساعة زمانية ثم تكاثرت عليهم جيوش العدو
وانشردت على منازل الزمالة ودائرتها يقتلون وينهبون وينعلون النعائل الشذعة التي
ينعلها العدو بعدوه اذا هو غابه وملك قياده ولم يجد من يدافعه عنه وتفرق الناس
شذر مذر في الشعاب وشعب الجبال وبالجملة فانها كانت من اعظم الوقائع التي لا تؤدي
المباراة تفصيلاً ولا يدرك اللسان تحصيلها قال بعض المؤرخين ولذلك رسمها بعض
مصوري فرانسا وقد نظرت صورتها في سراي فرساي ثم ان العدو استولى على اشياء
نقيسة واموال جسيمة احنوت على صنوف وانواع من الجواهر التي يكل عن وصفها
اللسان وخزائن كاية وآلات حربية ومكتبة الامير قيمتها خمسة آلاف ليرة والمحة
نجومرة وحلي تجوهر كان ملك فرنسا اهداه اليه ولوفور الاموال وكثرتها اقسمت
عساكر العدو الذهب والفضة بالبرانيط واسر من المسلمين ثلاثة آلاف نفس كان فيهم
عمال الخليفة السيد محمد بن علال وكاتبه السيد محمد الخروبي والسيد قدور بن الرويله
هذا ما كان من امر الزمالة ودائرتها واما ما كان من امر الامير فانه مازل مقيماً في
احراش السرسو حتى اخبره من فر من اهل الزمالة بما جرى عليها فاثرفيه ذلك الخبر
والحق به التأسف والكدر وفكر في تلك النقليات الغريبة وصرف الناس واعتزل
وبانصلا والدعاء اشتغل وشاع الامر بين جيوشه فما منهم الا من تاوه وتيسر وتنى ان
يكون في تلك الواقعة حاضرًا ليشفي عليل فواءه ويظني اواره ثم ان قواد العسكر اجتمعوا
الى الامير وهم بادنون حائرون لان عيالهم واموالهم استولى عليها العدو فخرج عليهم من
خيمته فازدحموا عليه وحدقت ابارهم اليه ولم يستطع احد منهم ان يبداه بكلام او
يصح بمرام ثم اتسهم وابتسم في وجوههم وقوى قلوبهم ولسان حاله ينشد
وما نبالي اذا ارواحنا سلت بما فقدناه من مال ومن نسب

فلما لم مكتسب والجاه مرتجع اذا النفوس وقاها الله من عذاب
 وبعد ان هدأت قلوبهم وسكن اضطرابهم قال لهم سبحان الله كل شيء كنا نجبه
 وتعلقت افكارنا به كان يعوق حركاتنا ويقف في صدورنا عن الوصول الى مطلوبنا والآن
 صرنا احراراً متجردين لا شغل لنا الا مقارعة الاعداء ومصارعتهم ثم التفت الى بعض
 الاعيان وكانت شدة الحزن اخذت منه مأخذها وقال له على اي شيء تحزن ما فقدناه
 من الرجال فنحن نعلم انهم شهداء وهم الآن في الفردوس الاعلى واما الاموال فسيخلفها
 علينا الكريم الوهاب على ان هذا الخبر لم يباغنا الا بعد وقوعه بثلاثة ايام وقد فات تداركه
 ولو كنا حاضرين لحاربنا عن نساءنا واولادنا واموالنا ودافعنا الاعداء عنهم وأرينا
 الفرنسيين ما لم يكن في حسابهم وامضينا عليهم يوماً سهوياً ولكن لا منر من القدر وحكم
 الله لا بد من نفوذه وهذا الامر الذي وقع بنا مدخول عليه منتظر الوقوع منذ دخل
 العدو بلادنا ثم كتب الى خلفائه يخبرهم بما وقع وقال لهم حيث ان الله تعالى انتد امره
 في الزمالة ينبغي لنا ان لا نجبن بل نكون من الآن فصاعداً اشد ما كنا عليه من قوة
 القلوب وكثرة الاستعداد للحرب ثم اخذ في النظر فيما تنصلح به اموره ويرد قوة جيوشه
 فصار يشن الغارات ويقرع الكنائب وينزل بمن خانه من قبائل العرب والبربر انواع
 البلاء والمصائب بعد ان ضم اليه خليفته السيد محمد بن علال بن معه من الجند وقد
 انزل على الفرنسيين في هذه المدة ما فيه عبرة للدعبرين واحل بهم من الويل ما تركهم
 في حيرة ثم جمعوا جيوشهم واكملوا استعدادهم وتهيؤوا لتجديد الحروب

﴿ ذكر مهلك مصطفى اغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة الدوائر ﴾

لما حل بالزمالة ما حل اجتمع فلأها بالقرب من موضع الواقعة وتلاحق بها من كان
 اخذه الفرار الى الجهات فاتصل خبرها بالجنرال لامورسير وهو في نواحي تاكدت
 فجهز فرقة من جيشه وجعل امرها انظر المنتصر مصطفى اغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة
 الدوائر فسار الى الزمالة فلما بلغ الخبر الى اهله ارتحلوا وساروا على سمتهم الى جهة الصحراء
 فلحق ابن اسماعيل بموءخرها وانتشب الحرب بينه وبين المسلمين واما كانت جبرته اكثر
 واقوى انهزم المسلمون بين ايدي الاعداء فالتحنوا فيهم قتلاً واسراً ورجعوا فلقبهم جيش
 الامير ووقع القتال بينهم والتهبت نيران الحرب فانهمزم الاعداء ولولا الادبار فلحقهم
 المسلمون يقتلون ويأسرون ويسلبون وكان فيمن قتل وشفا المسلمون منه انفسهم الرئيس
 ابن اسماعيل وكان قتله سبباً في الهزيمة ووقف عليه بعض المجاهدين فوجده يحتبط في دمه

فاجهز عليه وقطع راسه واستمر العدو على هزيمته الى ان ابعده المفتر واما المسلمون فانهم رجعوا الى الامير بالاسارى والغنائم واعظمها واحبها اليه والى كل مسلم رأس مصطفى بن اسماعيل قائد الفتنة وموقد نارها وعين الفرنساوية ولسانهم ويدهم ولما وضع الراس بين يدي الامير نظر اليه واستعاذ بالله تعالى من غضبه وعقوبته وعندما وصل الخبر الى الفرنسيين عظم عليهم الامر واشتد حزنهم وكدرهم على نقد اعز اصداقائهم عليهم واكبر حلفائهم وانصارهم واشد اعوانهم على المسلمين

❖ ذكر واقعة الجعافرة ❖

وكان الامير قد بلغه ما اوقعه ابن اسماعيل بالزمانة قبل مهاكته فلما رجعت اليه جيوشه ارتحل قاصداً الزمانة وهي في بلاد الاحرار في الجنوب فاقام فيها اياماً لتأنيس اهله واولاده ثم ارتحل بها الى الجهة الغربية وانزلها في اطراف بلاد الحسانة واختر من جنده خمسمائة فارس وستمائة من العسكر المنظم المشاة وشرذمة من المتطوعة وسار قاصداً نواحي معسكر فطار الخبر الى الامير لاي جري في معسكر فجمع جيوشه وزحف بها اليه وفي طريقه لقيه الجنرال بيدو والامير الاري تاميور ومعهم الفرق التي كانت في تلسان في الجهة الغربية ولحقت بهم الفرق التي كانت في نطنية ووهران واخبرهم بما عزم عليه من ملاقات الامير ونحارته فاجابوه الى ذلك وساروا نحوه الى ان ادركوه وهو في قلة من الجيش وقلة من الذخيرة فلم يجد بداً عن ملاقاتهم فاجتمع الفريقان واشتعلت نار الحرب فدافعهم الامير بمن معه ثم كاثروه واحاطوا به وباشر القال بنفسه وابلى فيه بلائاً حسناً حتى ان ثيابه صارت مثل الغرابل من كثرة وقع الرصاص عليه وقتل فرسه ووقع بين الصفوف فشد عليه مائة جندي من الجنود الفرنسية كانوا من قبل هربوا اليه من معسكرهم مع ضباطهم وحسن اسلامهم ولا زالوا يدافعون عن الامير الى ان استشهدوا عن آخرهم وانتقل الامير الى فرس آخر ولم يزل الامر يتفاقم الى ان استولى العدو على المعسكر ونجا الامير في لمة من خيله وحال الليل بينه وبين باقي جنده فظنوا انه قتل ولحقوا بالدائرة واشاع المرجفون انه استشهد فركبت شقيقته السيدة خديجة واستقبلت العسكر واخذت تسليمهم عن مصيبتهم وتقوي قلوبهم وتشجعهم وقالت لهم ان فقد شقيقي وذهب فان مدافعتكم عن الدين والوطن باق ذكرها الى اخر الامس وهو لاء اهله واولاده في كنف الله ثم كنتم فحافظوا عليهم الى ان يظهر الله ما في غيبه ثم قدمت لهم ضيافة وبيننا الناس غارقون في بحر التأسف والتحسر اذ وردت البشائر بقدم

الامير عليهم فانقلب الحزن سروراً قال بعض المؤرخين من الفرنسيين وكان من جملة ما
عثر عليه الجيش الفرنسي في المعركة سرج الامير علي جواده المقتول مع مهبازه

ط ❖ ذكر واقعة الخليفة السيد محمد بن علال ❖

وبعد رجوع العدو الى معسكر بلغه ان الزمالة نزلت في بلاد الحساسنة من
الجهة الغربية وقاربت التل وكان الخليفة السيد محمد بن علال فيها فخرج تاميور
من معسكر قاصداً اليها فاجفلت الي بلاد الجعافرة والنقى الخليفة وتاميور بالقرب
منها واشتد الحرب بينهما واتصل اياماً عديدة وفي اليوم الاخير منها استشهد الخليفة
واختل مصافه وتمكن العدو من الاستيلاء على المعسكر وقتل من المسلمين في ذلك اليوم
اربعمائة نفس واسر ثلاثمائة وستون وكان الخليفة السيد محمد بن علال من الشجاعة
والسياسة بمكان لا يدرك احد شأوه فيه وله وقائع وحروب مع الفرنسيين في
نواحي مليانة ومتيجة وشرشال تشهد له بذلك وناهيك برجل جمع الله له بين
الجهاد والشهادة كما جمع له بين النسب والحسب ولما اتصل خبره بالامير جاء الي الزمالة
وولي السيد قدور بن علال في مكان عمه الشهيد واصلح خلل المعسكر ونظر في
احوال الزمالة ثم امرها بالانتقال الى حدود المغرب الاقصى من الجهة الجنوبية
فارتحل بها الموكون بشانها واقام بين مع من الجنود يتنقل في المحلات ويواصل
الغارة على المنتصرة وينتجز الفرص التي تمكنه من قهر العدو وثناء النفس منه
قل بعض مؤرخهم مفصلاً ما جملناه ولما بلغ الامير خبر خليفته السيد محمد بن علال
صعب عليه وكبر لديه وولي ابن اخيه خليفة في موضعه وهو السيد قدور بن
علال ثم اخذ في التدبير لامره الخطير حيث ان اصحابه قد تبدد امرهم واكثر
القبائل ارتدوا وصاروا له اعداء وبارزوه بالقتال واظهروا له صنوف العسف والاعتداء
وغدت بلاده الواسعة الاطراف قريبة الماخذ لاعدائه ولا طاقة له على الدفاع عنها
ومع هذا كله فانه كان على عزمه المعروف وحزمه المعلوم لم يلحقه ضعف فيهما ولا
نقصه شيء من دواعيها لا يبالي بالمصائب ولا ينزع من الشدائد والنوائب فجمع
نحو الخمسة آلاف مقاتل واقبل يغزو بهم على القبائل والعرب المنتصرة ويديقهم شديد
النكال ويسطو على جيوش فرنسا فيوقع بهم البلاء المبين وكان يباشر القتال بنفسه
ويخوض بحر المعامع والشدائد حتى قمع باذي عزمه كل معاند فقويت همة عسكره
لذلك وخاضوا معه لظى الحروب والمهالك

ذكر واقعة سيدي يوسف

بعد انتقال الزمالة الى نواحي تخوم المغرب الاقصى عسكر الامير في الخط الفارق بين التل والصحراء في الثامن والعشرين من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين والثاني والعشرين من ايلول سنة ثلاث واربعين وثمانمائة ثم جرد من جيشه خمسمائة فارس ومثلها من العسكر النظامي وتقدم الى التل فاحس به بعض جواسيس لامورسير فبادر بالمسير اليه في جيوشه من غير ان يشعر به الامير حتى نزل بالقرب منه بنحو ستة فراسخ فجعل الامير العميون عليه وفي احدى الليالي نام الحرس وكان العدو سار على مهله ينسل كالسارق فما انصدع الفجر حتى وصل الى معسكر الامير وكان الامير من عادته انه ينام في الصباح ثم ينام بقصد الراحة من تعب قيام الليل فبينما هو نائم اذ سمع صراخ جيشه الفرنسيين الفرنسيين فقام وامر العسكر بالمدافعة وحاول ان يركب فرسه فلم يسعه الحال ولم يمكنه من ذلك تفانم الامر واشتباك العسكر بالعسكر وبعد ساعة انكشف العدو وتمكن الامير من الركوب وصالت فرسانه صولة الاسود وهجموا على العدو فهزموه اقبح هزيمة وغنموا منه ثمناً عظيمة ورجع العدو الى معسكر ثم ارتحل الامير وقصد بجيوشه ارض بني عامر فوجد عندهم فرقة من عساكر الفرنسيين حرساً لهم فصدوا له ثم تقدم اليهم وصادهم بمن معه من الفرسان والمشاة وكان في مقدمة العدو القائد بالحميدي الزايري فهجم على الامير فاخذ الامير البارودة من تابه واقبل عليه بقوة ورماه بالرصاص فاصابه في صدره فوقع وبقيت رجله معلقة في الركاب وفرسه يجره فاخذ الامير بزمامه حتى لحقه الاتباع الاتباع فسلمه اليهم وكان هذا الرجل من صنائع الامير ولاء قيادة قبيلة اولاد الزاير ثم خان ودان بطاعة الفرنسيين وقاد قبيلته اليهم فلما رأى بنو عمه واخوته ما حل بقائدهم فشلوا واقتتل مضافهم وانهمزوا فانهمز لهمزيتهم عسكر الفرنسيين الذي كان معهم وغنم الامير غنيمة عظيمة ورجع بها الى الزمالة وكانت في بلاد حمياز الغرابة تجول في انحاءها ثم اجمع امره على ان يدخل بها ارض المغرب الاقصى فسيرها امامه وبقي بعدها ردياً لها فاعترضه الجنرال لامورسير بجيوشه ووقع بينهما حروب اخذ السيف فيها حظه واشتد الامر حتى صار النساء يشجعن الرجال ويحرضن الابطال على القتال واظهر الامير وجنده من الشجاعة في ذلك اليوم والبسالة ما يعجز القلم عن وصفه واللسان عن ذكره وسقط في يد لامورسير ورجع خائباً

مقهوراً وما زال الامير حارساً للزمالة محافظاً عليها حتى ادخلها الى جبال بني زكري
ثم بلاد تكفنايت قرب وجده في الجنوب الغربي ثم توغل بها الى عيون ملوك
ثم الى عين زوره قرب الاطلس الاكبر الممتد على سواحل البحر المتوسط والذي
حمل الامير على دخول بلاد المغرب الاقصى امران احدهما انه طمع في اهل البلاد
ان يقوموا معه في امر الجهاد وينجدوه بالطريف والتلاد لما كان يبلغه عنهم من
القيام بامور الدين واتباع السنة والجماعة الثاني اطمئنان من كان يميل اليه من اهل
وطنه لوجوده في امن وحرز من العدو وربما يكون ذلك وسيلة لهم في الهجرة
اليه لما يعلمه من بغضهم للفرنسيس وتوهم منهم وليامن على الزمالة حتى اذا اراد الغزو
الى ارض العدو فانه يتركها في حرز حزين ولما استقرت الزمالة في عين زوره
كتب الامير الى عبد الرحمن سلطان المغرب الاقصى يخبره بما جرى عليه من
الامور ويطلب له بطلب المعونة والتجدة فكان من جملة جواب السلطان عبد الرحمن
الى الامير في كتابه . وانا نتمنى الحضور بانفسنا في غمار المسلمين ومباشرة القتال
بايدينا بين صفوف المجاهدين ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة وكف البغاة جهاد
بل افضل من جهاد النصارى حسبنا نص على ذلك امامنا مالك رحمه الله ولو
كمل قتالهم وانتظم على الاستقامة حالهم لسرنا وايام لنصرة الدين وقع الكثرة المعتدين
وبذلك ينال الموفق غاية امله ونية المرء خير من عمله والسلام حرر في الخامس
عشر من ربيع الاول سنة ستين ومائتين والف

قال شرشال الانكليزي لما حصل للامير الامن على الزمالة اخذ يجرى الناس على
الجهاد ويدعوهم الى قتال اعدائه ويحمل على القبائل المنتصرة ويهجم على الفرنسيين
فيماثوا قلوبهم رعباً ثم بداله فرحف على القبائل الخارجة عن طاعة سلطان المغرب
الاقصى منذ زمان طويل فاخضعها وكتب اليه يخبره بما اجراه ونيته في ذلك استنهاض
هيمته في اعانه على الجهاد فلم يرد له جواباً فعلم الامير ان هذه الوسائل لا تجديه
نفعاً فجمع ما عنده من الجنيد وعين منهم حامية للزمالة وسار بالباقي الى الصحراء
فاقام في ارجائها يتنقل شهوراً عديدة فلما نظر الفرنسي قلة حركات الامير وانقطاع
غزواته اعتقدوا ان شغلهم قد تم وان تردد الامير في الصحراء البعيدة عن الوطن
دليل على ضعفه فهنا المارشال ييجو نفسه وكتب لدولته يقرر بعد الوقائع الاخيرة
ان الجزائر قد غلبت وخضعت لاسيا وقد عدم الامير جنده من مشاة وفرسان
وقتل خليفته الشهير المرعب فبناء على هذا اقول ببسارة ان الحروب الخيفة قد تناهت

ومن المحال ان يقتحم الامير امراً ذا اهمية او يقيم شزيمة قليلة من الفرسان حرباً قوية حيث ان غبار خيله امسى كغبار شاة ضعيفة انتهى ثم بعد هذه المدة جرت تحاربة عظيمة ومقتلة جسيمة بين السيد محمد بن السيد عقبة خليفة الامير في بسكرة وبين الجنرال بلراكو الذي كان تقلد قيادة الجيوش الفرنسية في عمالة قسنطينة واتصلت الحروب والوقائع اذائلة بينهم اياماً وليالي بدون فتور وبعد ذلك توجه الجنرال بيوشه الى كولو في حدود تونس فاستولى عليها

❖ ذكر ما كتبه الخليفة السيد احمد بن سالم من جبال جرجرة ❖

« الى الامير وما اجابه به »

الحمد لله وحده بعد الثناء والدعاء واداء واجب الاعظام والايام فاننا معاشر عبديكم متعظشون الى مكاتيبكم ومن المعلوم ان ما تسطره يدكم الشريفة يحبي النفوس منا والآمال وقد اشاع المرجنون ما لا تقدر على ذكره ودخل الشك على الناس في وجودكم الشريف واشاعوا ان والدكم تصدر المكاتبات والتحارير اللازمة باسمكم الكريم وقد بلغني ان الفرنسيين عازمون على الزحف الى بلادنا وليس عندي ثقة اكيدة بطاعة القبائل وانقيادهم الى كتابتي وان كان تاخركم عنا لظن ان الخليفة السيد محمد البركاني يساعدي وينجدي فهو مع ما هو عليه من معادمة العدو بعيد ان يساعدي ويقوم بناصري كما انني لا قدرة عندي على مظاهرتي وعلي كل حال فانا اسالكم بالله تعالى ان تردوا لي الجواب عن هذا المكتوب بخط يدكم الشريفة . فاجابه الامير بنظرة اني ادلمعت على مكتوبكم نخبراً بان خبر موتي قد امتد في الشرق فاعلم ان الموت لا مفر منه ولا نحييد عنه اذ هو من قضاء الله الذي لا يرث ولا يبدل واني احمد الله اذ لم تأت ساعتي بعد ولم يزل عندي من القوة والاعتدال ما الرمل به مهاجمة اعداء ديننا فكان في راحة ساكن البال صبوراً ومتي استقر الامر لنا هنا نتوجه الى نواحيكم انتهى . وفي هذه الايام انتهز الجنرال ييجو الفرصة لتتدبير اعماله في الشرق فجهز الدوك دومال ابن الملك في جيوش كثيرة وسيره الى نواحي بسكرة فالتقى مع الخليفة السيد محمد بن عقبة وجرت بينهما حروب عنيفة متوالية انتصر فيها العدو واستولى على بسكرة ثم باثبه ووضع فيها حامية وذخائر ثم سار الى نواحي قسنطينة وكان احمد باي صمد له في جموع من العرب من نواحي الزيبان وناوشه الحرب ثم انكسر ورجع الى محل اقامته من الصحراء ولما تولى الخطب على المسلمين حارت العقول ووقفت الافكار ويئس كل من ملاقات

صاحبه في الحياة الدنيا حتى ان السيد قدور بن علاء كان في الجهة الغربية مع
الامير فكتب الى السيد احمد بن سالم وهو في محله من جبال زاواه شرقاً ان الخطوب
المت بنا والمصائب انشبت اظفارها فينا فلذلك انقطع اولي من اجتماع الشمل في الدنيا الا
ان شاء الله والحق تعالى يظهر العجائب والحوارق . فاجابه ايها الاخ ان الشدائد لا
تدوم والليالي حبالى لا يدري ما تلد واني اسأل الله تعالى ان ينصر امامنا ويؤء مننا
في اوطاننا ويرد علينا ما اخذ منا واعطاه لعدونا فكن ايها الاخ دائماً في كل حال
ماتجاً الى الله تعالى ولا تياس فاني موقن باجتماعنا نحن الثلاثة مع ما نحن عليه الآن
من مقاساة كثرة الاعداء وشدة الحروب . فاجابه ان ما ذكرته على حسب ما نشاهده
من ضعف الحال وقلة المال والرجال غير مامول ان يكون . ثم ان الامير اخذ يتابع
غزواته على البلاد ويسم اهلها بالخسف والدمار وفي اثناء ذلك حضر وفد من الخليفة
ابن سالم الى الامير من الشرق فاكرم وفادتهم واطلعهم على سائر احواله وعند رجوعهم
الى اوطانهم سير معهم مكتوباً الى الخليفة هذا نصه . اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله
تعالى وشكره في الشدة وكن صبوراً على المصائب فالصبر مفتاح الفرج وكن جسوراً
واجمع عساكرك وعندهم برايك السيد وتحمل منهم هفواتهم ودبر امورهم حسبما يجب
فان هذه الاحوال لا تدوم واني لارجو ان اكون عندكم ومن هناك تظهر لنا الجادة التي
نتبعها ونسلك عليها وكتب الى جيوشه في تلك الجهات يتشوق اليهم ويمدحهم بقوله

يا ايها الريح الجنوب تحدي	مني تحية مغرم وتجملي
واقتر السلام اهيل ودي وانثري	من طيب ما حملت ريح قرنفل
حلي خيام بني الكرام وخبري	اني ابيت بجرقة وتبابل
جفني لقد الف السهاد ليينكم	فلذا غدا طيب المنام بمعزل
كم ليلة قد بتها متحسراً	كمبيت ارمدي في شقا وتمسلي
سهران ذو حزن تطاول ايله	فمتى ارى ليلى بولي ينجلي
ماذا يضر احبتي لو ارسلوا	طيف المنام يزورني بتمثل
كل الذي القاه في جنب الهوى	سهل سوى بين الحبيب الافضل
أد الامانة يا جنوب وغايتي	في جمع شملي يانسيم الشمال
واهدي الى من بالرياض حديثهم	اذكي واحلى من عبير قرنفل
تهدي الى طرائف وظرائف	ولطائف بتعطر وتعسل
حاولت نفسي الصبر عنهم قيل لي	ه ذا محال ويك عنه تحول

كيف التصبر عنهم وهم هم
 ايجل ريب الدهر ما عقدوا وكم
 نفيهم نفسي ونفدي ارضهم
 افدي اناسا ليس يدعى غيرهم
 يكفيهم شرفا ونفرا باقيا
 قد خصهم واختصهم واختارهم
 هم بالمديح احق لكن ربما
 ان غيرهم بالمال شح وما سخي
 الباذلون نفوسهم ونفيسهم
 كم يضحك الرحمن من فعلاتهم
 الصادقون الصابرون لدى الوغى
 ان غيرهم نال اللذائذ مسرفا
 والذ شيء عندهم لحم العدا
 النازلون بكل ضحك ضيق
 لا يعرف الشكوى صغير منهم
 ما منهم الا شجاع قارع
 كم نافسوا كم سارعوا كم سابقوا
 كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا
 كم صابروا كم كابروا كم غادروا
 كم جاهدوا كم طاردوا وتجدوا
 كم قاتلوا كم طاولوا كم ماحلوا
 كم ثبتوا كم بتوا كم شتوا
 كم ادلجوا كم ازعجوا كم اسرجوا
 كم شردوا كم بددوا وتعودوا
 يوم الوغى يرم المسرة عندهم
 فدماؤهم وسيوفهم مسفوحة
 لا يجزون لهالك بل عندهم
 ما الموت بالبيض الرقاق نقيصة

ارباب عهدي بالعقود الكمل
 حلت عقود بالمناسخ المتخيل
 ازكى المنازل يالها من منزل
 حاشا العصابة والطراز الاذل
 حمل اللواء الهاشمي الاطول
 رب الانام لذا بغير تعمدل
 ضاعت حقوق بالعدا والعدل
 جادوا يبذل النفس دون تعلق
 في حب مالكننا العظيم الاجمل
 يوم الكريمة نعم فعل الكمل
 الحاملون لكل ما لم يحمدل
 هم يبتغون قراع كتب الجحفل
 ودماؤهم كزلال غذب المنهل
 رغما على الاعدا بغير تهول
 ابدأ ولا البلوى اذا ما يبطلي
 او بارع في كل شيء مجمل
 من سابق لفضائل وتفضل
 اقوى العدا بكثرة وتمول
 اقوى اعادتهم كعصف موكل
 للسائبات بصارم وتقول
 من جيش كفر شبه موج يعتل
 شمل الكوافر باقتحام الجحفل
 بتسارع للموت لا يتهلل
 تشتت كل كشيبة بالسيقل
 عند الصباح له مشوا بتهلل
 ممسوحة بثياب كل مجندل
 موت الشهادة غبطة المتمول
 والنقص عندهم بموت الهمل

يا رب انك في الجهاد اقمتم
يا رب يا رب البرايا زدهم
وافتح لهم مولاي فتحاً بيناً
يا رب يا مولاي وابقيهم قذى
وتجاوزن مولاي عن هفواتهم
يا رب واشملهم بعفو دائم
يا رب لا تترك وضعي فيهم
متوسلاً مولاي في ذا كله
وجهت وجهي في الامور جميعها
صلى عليه الله ما سح الحيا

فيكل خير عنهم فتفضل
صبراً ونصراً دائماً بكمم
واغفر وسامح يا الهي وعجل
في عين من هو كافر بالمرسل
والغف بهم في كل امر منزل
كن راضياً عنهم رضا المتفضل
يا رب واشملهم بخير تشمل
متشنعاً بشفيح كل مكمل
بمحمد غيث النداء المسترسل
والآل ما سيف سطا في الجحفل

ولما نظر ييجو اعمال الامير وتوالي غزواته على الوطن علم بانهم ان تغافلوا
عنه وبقي مستمراً على ما هو عليه لا بد ان ترجع اليه قوته الاصلية فجمع اعوانه
وامل مجلسه وقال لهم قد تعين علينا ان ننظر الى احوال الامير عبد القادر
وما هو بصدده الان فانه اقلق اهل البلاد بتتابع غزواته عليهم من سائر الجهات
ولا يخفى ما انطوت عليه قلوب المغاربة المراكشيين من المحبة والتشيع له حتى انهم
يبدون ان يكونوا تحت طاعته وادارته لما راوه من اتباعه الشريعة الاسلامية وشاهدوه
من حسن سياسته معهم التي تركت قوافلهم تسافر من فاس ومراكش الى الاقطار
الجنوبية والشرقية في غاية الامن والسكون بعد ان كنت قل ان تسلم والذي
زادهم رغبة في طاعته ما كانوا يسمعون عنه من حسن سيرته مع رعاياه فانه كان
لا يقرر عليهم ضريبة ولا يجعل عليهم خراجاً وانما كان ياخذ من اموالهم ما امرت
به شريعتهم الاسلامية فاجابه اهل المجلس لابد من الاستئذان من الدولة فكتب
الى دولته فبعثت الى سلطان مراكش عبد الرحمن بن هشام وعرفته بما يلزم اجراءه
في هذا الشأن فاجابها ان بلاد الريف قد خرجت من يدي ودخلت في طاعة
الامير عبد القادر فلا يمكنني اجراء شيء من مطالبكم فكان هذا هو الداعي الاكبر
لفتح باب الخلاف بين سلطان مراكش ودولة فرنسا وجهز ييجو جيشاً كثيفاً لنظر
الجنرال لامورسير والجنرال بيدو وامرهما بالنزول في تخوم مملكة مراكش في محل
يعرف بقام السيدة مغنية في شمال تلسان وهذه السيدة كانت من العابدات دفنت
هناك وكان مقامها معظماً عند اهل تلك النواحي فعمدت جيوش فرنسا الى هدم

مقامها وابنداله فوصل الخبر الى حاكم وجده من قبل سلطان مراکش وشاع في المغرب الاقصى فحصل من ذلك المييجان ووقع سلطانهم بين امرين خطيرين اما الخوض في تيار الحروب واما انتقاض الرعايا عليه لما حمل لهم من الاضطراب لاهانة ذلك المقام المحترم فبعث الى عامله على وجده تلي بن الكناوي ان يخاطب الفرنسيس في هذا الامر ويشير عليهم بالارتحال من مقام السيدة مغنية فلما بلغهم رسول العامل استهزاءوا به وازدروه ولما وصلت جيوش المغرب الاقصى وجموعه الى وجده زحف بهم ابن الكناوي الى المعسكر الفرنسيس والتقى الجمعان واضطربت نار الحرب بينهما فكانت الدبرة فيها على ابن الكناوي وجموعه فانهمزوا هزيمة تفرقوا منها شذر مذر واستولت عساكر الفرنسيس على جميع اثارهم وذخائرهم وهذه اول واقعة وقعت بين سلطان مراکش وفرنسا

❖ ذكر خروج بيجو من الجزائر الى جبال زواوة ❖

لما بعث الجنرال بيجو لامورسير ويبدو الى الجهة الغربية في الجيوش استكمل تعبته وخرج الى جبال زواوة فلقبه الخليفة السيد احمد بن سالم في جموع المسلمين بارض فليسة وجرت بينهما حروب شديدة ووقائع متتابعة احتاج فيها بيجو الى النجدة فانجده دولته بالجنند والذخائر وقوي على المسلمين وكسره واحرق اربعين قرية ثم دان ابن زامون احد رؤساء القبائل بطاعة الفرنسيس فلما رأى الخليفة ذلك ترفع بيجوشه الى جبال اخرى ورجع بيجو الى الجزائر

❖ ذكر مسير بيجو الى الجهة الغربية وما جرى بينه وبين ❖

❖ حاكم وجدة ابن الكناوي ❖

بعد ان رجع بيجو من بلاد زواوة الى الجزائر توجه في المراكب الى وهران ثم سار الى مقام السيدة مغنية ولاول وصوله اليه دعا حاكم وجده للمخاطبة في اتفاق الكلمة فاجابه الى ذلك مع عدم اركان كل منهما الى الآخر ولما تقاربا تقدم ابن الكناوي في لمة من خيله نحو الجيش الفرنسيس في صورة سلمية فامر الجنرال بيجو الجنرال يبدو بمقابلته فلقبه في شزيمة من خيائه وبينما هما يتحادثان اذ هجمت فرقة من جيش ابن الكناوي على جناح الجيش الفرنسيس وابتداء وهم بالقتال خوفاً من ان يؤول امر المخاطبة الى الصلح وعند ذلك وقع بين الفريقين حرب شديدة كانت الدبرة فيها على جيوش ابن الكناوي فانهمزوا الى وجده . قال

بعض مؤرخي الافرنج وقد اندهل ييجو من تلك الاعمال الدالة على الخيانة وعزم
 على الاستيلاء على مدينة وجدة فكتب الى ابن الكناوي يستوضحه السبب الباعث
 على ما وقع فاجابه يعتذر اليه ويعترف بذنب جيشه ويتنصل من عهدة ما وقع
 فكتب اليه ييجو ان جل المقصود الالم هو امر الامير عبد القادر وتحديد
 الحدود التي كانت بينكم وبين حكومة الاتراك الجزائرية وايس مقصودنا ما يخص
 بكم من البلاد واننا نلح عليكم ان لا تقبلوا اقامة عبد القادر في بلادكم وان
 لا تساعدوه علينا فان قبولكم لاقامته في ارضكم نعهده حرباً لنا وعداوة لا صداقة وبالجملة
 فالذي تريده دولة فرنسا منكم ان تخرجوا عبد القادر من بلادكم الى الجنوب الغربي
 هذا اذا لم تقدروا على ان تشتتوا شمل جيوشه وتريد منكم ايضاً ان لا تقبلوا
 من ينتقل الي بلادكم من رعاياها فان اجبتم الى هذه الامور فنحن نرتبط معكم
 ونجري الصداقة بين امتين مختلفتين وبها نحافظ على شرف السلطان عبد الرحمن
 وان انتم لم تفعلوا ذلك فنحن اعداء لكم ولا بد ان تردوا الجواب سريعاً . قال
 المؤرخ فلم تجد هذه المغامرة تنعماً ولذلك هجم ييجو على وجدة فدخلها بعد ان فر
 اهلها وتفرقوا في الجهات قال شرشل ثم ان دولة فرنسا لم تكتف بهذا حتى ارسلت
 مراكبها الحربية الى طنجة فاطاقت عليها نار مدافعها وهدمت قلاعها ونشأ عن
 ذلك هيجان في فاس عاصمة سلطان مراكش وفي الوقت جيز السلطان ابنه ولي
 عهده محمداً في عشرين الف من الجند فارسل اليه الامير عبد القادر يحذره من
 مقارعة الفرنسيس وحرهم فلم يقنعه ذلك اعتدداً على كثرة جيوشه واستمر سائراً
 الى وادي ايسلي بالقرب من وجدة فزحفت العساكر الفرنسية الى معسكر ابن
 السلطان في محله من ايسلي واشتبك الفريقان على النهر واشتعلت نيران الحرب وفي
 آخر النهار انكسر ابن السلطان وجيوشه ومنحوا اكتافهم للعدو فعمل فيهم السيف
 اعماله واستولى الفرنسيس على سائر المعسكر بما فيه من اموال وذخائر وموئن وكراع
 وعلى اثني عشر مدناً وخيمة ابن السلطان وشمسيتها واب المغاربة بها شنعاء الى آخر
 الدهر وهذه آخر وقائعهم مع الفرنسيس ولم ينتصروا في واحدة منها ومن غريب
 الاذواق ان في هذا النهار اطلق البرنس دييجو نوفيل الاميرال مدافعه على الصويرة
 وخرب اسوارها فكانت الغلبة على جيوش المغاربة براً وبحراً في يوم واحد قال
 بعض المؤرخين وبهذه الواقعة تلقب ييجو دوك دي ايسلي ثم قال وانشط لذلك
 شان سلطان المغرب الاقصى واجمع على المصالحة فالتسها من القائد العام فاجابه

الى ذلك على هذه الشروط (الاول) سرعة ارتحال العساكر المراكشية من
 وجدة وما اليها في الحدود (الثاني) اجراء القصاص على الذين تعدوا الحدود
 الفرنسية (الثالث) اخراج الامير عبد النادر من البلاد وان بقي فيها فلا يحصل
 له اسعاف من حكومة مراكش (الرابع) ان يصير تعيين حدود فاصلة بين حكومة
 فرنسا وحكومة مراكش فقبل سلطان مراكش هذه الشروط ونقرر الصلح ولما شاع
 هذا الامر في نواحي المغرب الاقصى وسارت الركبان بما وقع لجيوشهم وجموعهم
 مع الفرنسيين كبر عندهم ذلك ونسبوا المعرة فيه الى سلطانهم وقواد الجيوش
 وكثير القيل والقال واتفق اكثر القبائل على الانتقاض على السلطان واعطاء
 الطاعة الى الامير لما كانوا يسمعون عنه من الاقدام والشجاعة والقيام بامور الجهاد على
 ما ينبغي من اعظم الملوك فكاتبوه في ذلك فلم يقبله منهم وقال اني دخلت بلاد السلطان
 لا لاكون ضده او لناخذ منه ملكه فهذا مما لا يقول به عاقل قال بعضهم ومن هنا
 يتبين ان الامير كان مقصوده فيما يعاينه من قتال الفرنسيين مقصوداً على الذب عن
 الدين والوطن لا مجرد الملك ولو كان كذلك لقبيل من رعايا سلطان المغرب ما ندبوه
 اليه ولظفر به في اقرب وقت من غير كلفة وقال آخر ما كان الامير في جميع
 ما تكبده من المشاق ومعاناة الحروب الاحبا في نصره الدين واثقاظ وطنه من يد الاعداء
 ولا بذل نفسه وماله وحوله وقوته ولا صبر على تلك الالهوال التي يعجز عنها اكبر
 سلطان في العالم الا لاءاء كلمة الله واثقاظ وطنه فتحمل لذلك من الامور التي تقضم
 الظهور وتذكك الجبال وباع نفسه في رضى الله تعالى وحب وطنه بيع سماح قال شرشل
 الانكليزي قد آل امر بعض من كان الامير يوءمل مساعدتهم الى ان صاروا اكبر
 الاعداء له وعضدوا اعداءه ونصروهم عليه وثاربوه معهم واعانوه في ذلك بالمال والرجال
 فكيف يقبل بعد هذا قول القائلين او يجيب دعوة الداعين ولما احس سلطان المغرب
 بما وقع من رعاياه من الاضطراب والتذمر منه ومن رجال دولته كتب الى الامير
 يخبر ما عنده ويسبر نيته فيما طلب اليه ويستميله اليه واكد عليه في زيارته في فاس
 ظناً منه انه ينخدع له او هو ممن يجهل مكره وغشه فاجابه ان الجيش منعه من الاجابة
 الى ما طلبه منه واقبل على بعث الغزوات والسرايا على الوطن ووصلت جيوشه الى بالعباس
 من بلاد بني عامر فاهتز المغرب الاوسط باهله واشرابت نفوس المرتدين الى التوبة من
 الردة وارجاع الطاعة والخضوع للامير واسبق الناس في هذا بنو عامر واتبعهم مجاوروهم
 واظهروا للفرنسيين العداوة فاضطربت حكام الجزائر ووهران لهذا الامر وبدلوا وسعهم في

منع الناس من الخروج من بلادهم وجعلوا عليهم العيون فارتحل الكثير من بني عامر ولحقوا بدائرة الامير في وادي ملوية فيما وراء جبل بني يزنا سن غرباً قال المؤرخ روا واقام الامير يتابع الغزوات على بلاد الجزائر من اول الشتاء الى اواخر فصل الربيع وتوغلت بعوثه وغوازيه الى تيارت وتناكدت وتلك النواحي فاضطرب الحكام الفرنساويون لذلك وكتبوا سلطان مراکش في هذا الامر فارسل الى الامير يامره بالخروج من الحدود ولما وصل اليه الرسول بذلك وتحقق ان الامير لا نية له الا في الجهاد وتاديب رعاياه الذين تركوه واتبعوا دولة فرنسا وافق الامير على قصده واخبره بماله في قلوب اهل المغرب الاقصى من الميل والمحبة وحسن الاعتقاد ثم ان الامير ارسل رسله تترى على القبائل يدعوهم الى القيام بوظيفة الجهاد المفروضة عليهم فاجابه الى ذلك خلق كثير واظهروا الخروج عن طاعة الفرنسيين ونادوا بطاعة سلطانهم تملصاً مما لحقهم منهم من المظالم والتكاليف الشاقة وبينما الناس على ذلك اذ ظهر محمد بن عبد الله المعروف بابي معزه في نواحي شلف داعياً الى نفسه مدعياً انه محمد بن عبد الله المهدي المنتظر وطفق يدعو الناس الى الجهاد ويحثهم عليه نحو سنة ودخل الناس في طاعته لامور شعوزية كان يظهرها لهم ووقع بينه وبين الفرنسيين عدة حروب انتصر فيها فايد له ذلك دعواه ثم انهم رجعوا الكرة عليه وشتتوا شمله وفرقوا جموعه وفر ناجياً بنفسه الى نواحي الصحراء قال بعض المؤرخين ومن اين لمثل هذا الرجل المدعي ان يجوز بعضاً من الصفات التي امتاز بها الامير عبد القادر من حسن الادارة وعلو الهمة وقوة الفروسية والنشاط في الحروب والحزم والعزم في ادراك الامور لاسيما في الوقائع الشديدة الطويلة المدا التي كادت تضعف بها قوة اعظم امة على وجه الارض في هذا العصر

ذكر وقعة الغزوات

وفي الحادي عشر من شوال سنة ثلاث وستين ومائتين والحادي والعشرين من سبتمبر سنة سبع واربعين وثمانمائة سار الامير من الدائرة وكانت بوادي تافنا قاصداً الى الغزوات وهي مرسي صغير في الحدود وارسل في مقدمته بعض رؤساء جيشه فلم بهم احد المرتدين واخبر القائمقام الفرنسي دي مونتانيال فجمع جيوشه وقدم امامه طليعة ثم خرج بعساكره وسار الى الامير فالتقى الحرس بطليعة العدو فوقعوا بها ثم زحفت الجيوش الاسلامية والفرنساوية والتقى الفريقان عند تل قرب الغزوات واشتد القتال بينهما والتحمت الجيوش الاسلامية بجيوش العدو وخالطوهم فتركوهم

حصيداً واذاقوهم كاس الدمار والبوار ولم يفلت منهم سوى ثمانين جندياً التجأوا الى مزار كان قريباً منهم واغلقوا بابه عليهم فاتبعهم المسلمون واحاطوا بهم وقتلوا منهم نحو السبعين والباقيون سلموا انفسهم فقادوهم اسرى وفي هذه الواقعة اصيب الامير برصاصة مسحت طرفاً من اذنه اليمنى ولما احس بها نزل وصلى ركعتين شكرًا لله تعالى على ما لحقه في سبيل الله وهذا اول جرح اصابه في الجهاد قال لي رضي الله عنه ان الذين كانوا معي ايام الجهاد يظنون اني كنت حاملاً حجباً للخط من رصاص العدو لما يرون من تأثيره في برنسي وعدم وصوله الى جسدي مع اني لم استعمل ذلك قط وانما كنت احفظ نفسي بالتعاون الواردة في السنة فقط قال تعالى فالله خير حافظاً وقال لي ايضاً ان العسكر الفرنسي اذا انكسر يحصل له تلاشي ويخزل نظامه وترتيبه ولا يلتفت لاوامر قواده لا سيما الخيالة فانهم اذا فروا لا يردون الكرة ابداً

ذكر وقعة تموشنت

وبعد فراغ الامير من وقعة الغزوات توجه بجيوشه الى بلاد بني عامر فالتقى بفرقة من الجيش الفرنسي معها محبات حربية قاصدة بها تلسان فلما تراءت لها الجيوش الاسلامية رفعت علامة التسليم فتقدم اليهم الامير في لمة من خيله فاستأمنوا له والقوا اليه سلاحهم بدون قتال وكانت تلك الفرقة يزيد عددها على ستمائة جندي وكانت المهمات الحربية كثيرة وافرة فانتشرت هذه الاخبار في سائر الاقطار الغربية وخذقت لها قلوب الفرنسيين والمرتدين وكذب الامير الى خلفائه في الجهات الشرقية بخبرهم بما اسنى الله له من الفتح والنصر ويعدم بالمسير الى نواحيهم وهذا نص ما كتبه الى بعض خلفائه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده من ناصر الدين عبدالقادر ابن محيي الدين الى خليفتنا حفظه الله ومكن سيوفه من رقاب عداه اما بعد فاني احمد الله على نصرة الدين اقوم وشريعة نبيه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة واتم التاليم واخبركم بما احببنا الله به من انصر المبين في جامع الغزوات وما ذاقته الجيوش الفرنسية من الوبال والبليات فاننا قد حصدناهم في هذه الواقعة حصداً واذقناهم كاس الزنا والردا ولم ينبج منهم احد والذي نامركم به ونوء كد عليكم فيه ان تجمعوا جيوشكم وتنفقوا امورهم وتندفعوا على العدو في نواحيكم وانهاكم عن

تخريب الديار فان ذلك مما يوهذي املها ويكون سبباً في تاخرهم عن الطاعة ثم ابشركم
بعد ان فرغنا من قضية الغزوات دخلنا بلاد بني عامر فالتقينا بنحو الستائة جندي
من جنود الفرنسيس معهم مهمات حربية ولاول ما رأونا رفعوا اشارة التسليم وتقدم
قوادهم الينا في طلب الامان فامناهم وسلموا لنا سلاحهم وجميع ما كان معهم واستولينا
على الكل من غير قتال فكانت هذه النصره نافله على الانتصار العظيم في الغزوات
نساله تعالى ان يمدنا بتأييده ويصلح العباد والبلاد والسلام عليكم وعلى من حواه
ناديكم ورحمة الله وبركاته ولما بلغ الفرنسيون هذه الاخبار تكدر عيشهم واحسوا
برجوع الكرة عليهم وعلما انهم صاروا في خطر عظيم حيث انهم فقدوا ثمره خمس سنين
في بضع ساعات واجتمع مجلسهم في الجزائر فاتفقوا على ان يرفعوا هذه الاخبار وما آلت
اليه الحال الى دولتهم فخرروا وطلبوا النجدة والامدادات والحواء عليها في ارجاع
المارشال ييجو الى الجزائر في اسرع وقت ولما اتصل ذلك بدولتهم هالها الامر وعظم
عندها فعزلت المارشال فالان من الجزائر وعينت مكانه المارشال ييجو وامرته بسرعة
السفر وجيزت معه مائة الف من العساكر وما يلزمها من الذخائر والمهمات كذا
نقل شرشل الانكليزي في تاريخه واما الامير فانه جمع جيوشه ودخل الى الساحل
وجعل يتنقل فيه يمينا وشمالا والقبائل تراجع الطاعة وتلوذ بها وتقدم اذارها فيقبل
ويغنمو ويصفح ثم بلغ الخبر الجنرال لامورسير وهو في الجزائر فركب البحر في جيش كثيف
الى وهران وتوجه الى تلسان فاجتمع بكافنيك وخرجوا الى الحدود المراكشيه يطلبون
الدائرة لياخذوا منها الثار وكان رئيس حامية الدائرة بلغه خبرها فارتحل بالدائرة
الى الاطلس في الجهة الشماليه من الريف ثم عدل كافنيك الى جهة الصحراء فاغار
على اولاد سيدي يحيي فحصل على عشيرة منهم وكانوا لما راوا الجيش دخلوا في
غار قريب منهم يعرف بغار العقبة البيضاء وكانو نحو الخمسمائة نفس بين رجال
ونساء واطفال فجمع جيش الفرنسيس الحطب والتبن على فم الغار واضرموه نارا
فدخل الدخان الى داخل الغار فاخنق به كل من كان داخله وحسب الجنرال
انه أخذ الثار بهذا القصاص المشين بالانسانية والمشرع بنقد الشقة والرحمة والحية
واستمر الامير في جهات معسكر يجول فيها بجيوشه والقبائل تتوارد عليه لائذة
بطاعته ولما رأى حاكم معسكر ان جميع القبائل التي كانت قدمت لم الطاعة
قد تركتهم ودخلت في يد الامير اهتز لذلك وجمع ما عنده من العسكر وخرج
يطلب الامير فلقيه وجرت بينهما حروب شديدة واستمرت اياما كثيرة ثم انكسر

حاكم معسكر ورجع اليها بخسارة جسيمة وأمتت العساكر الفرنساوية محصورة من جميع الجهات واضطرب الوطن باهله واشتد الهيجان في نواحيه وأدمت الامير على الغارات وبعث البعث والغوازي فلا يخلو يوم من هجوم عساكره على الجهات قال بعض مؤرخي الافرنج قد اضطربت القبائل والفرنساويون لسرعة الامير وتعاقب ظهوره وخفائه وحضوره وغيبته مع الايام لانه جعل دابه سرعة الحضور في سائر المقاطعات واهاجة روح الحصار في كل المحلات فشهبا حضوره السريع جعل الفرنساويين في حالة اضطراب وخيبة ظن وبذلك ثارت المنازعات واشتدت الحركات حتى ان الامير في اليوم الواحد يظهر في غدوته في مكان وفي عشيته وروحه يظهر في آخر بعيد المسافة عن الاول حتى انهم سموه ابا ليلة و ابا نهار ومن حركاته انه سار في ستة آلاف من الفرسان الى تاكدت ومنها الى وادي شلف فبلغه ان اولاد شعيب وهم قبيلة عظيمة كثيرة البطون والعشائر عازمة على الاتحاد مع الفرنسيين فعدل في طريقه عن التوجه الى وجهته التي كان قاصدا اليها وسار اليهم ثم هجم عليهم وكانوا في خمسة آلاف فارس فاخذهم اخذ عزيز مقتدر والقي القبض على رؤسائهم ومشايخهم واخذ جميع اموالهم ومواشيهم وغنم ما عندهم من الاثاث والامتعة

ذكر ابي معزة الشائر وما آل اليه امره *

اصله من اولاد خويدم في جهة وادي شلف ادعى انه المهدي المنتظر وسبب هذه الدعوى الكاذبة انه جاء الى قبيلة سنجاس فوجدهم مغاضبين لرئيسهم فزين لهم ما اضروه من قتله وقوى بصائرهم وقال لهم ان هذا كافر بالله تعالى وهو الذي ادخل الفرنسيين الى بلادكم وقادكم الى طاعتهم فاستحسنوا ما دلم عليه وبيتوا رئيسهم وقتلوه ثم جمع كلدتهم وغزى بهم فرقة من جيوش الفرنسيين كانت تخيمة في وادي الفضة قريبة من وادي شلف فانصر عليها وغنم ما عندها من الذخائر وأثنى فيها قتلا واسرا ثم اخبرهم انه المهدي المنتظر وان سلاح العدو ورسا صه لا يعمل فيه ولا في جموعه ودعاهم الى بذل الطاعة له فاطاعوه ثم ان الفرنسيين تجددوا له وكسروه وفر بنفسه هاربا وما زال يجول في تلك الجبال ينقل فيها من جبل الى جبل ويدعو الناس اليه فلا يجيبه الا الاوغاد منهم الى ان غدرت قبيلة صبيح سانجي قائد الفرقة الحامية بتلك الجهة فقتلوه وقتلوا اصحابه معه فانتبهز

ابو معزة الفرصة وأوى اليهم وقرر في عقولهم انه يقوم بامرهم ويحمي حوزتهم من عدوهم
فهاجت العشائر والقبائل ونادى مناديتهم بالجهاد فارسل حاكم الجزائر القومندار موريلون
في جيش كثير الى قبيلة صبيح لينتقم منها وياخذ بثار الحاكم واصحابه فزحفوا اليه مع
ابي معزة فلما التقى الجمعان وانتشب القتال انهزموا وفر رئيسهم ابو معزة فلم يلو على احد
وسكن الجبال الى ان لحق بالامير مع اهله واولاده

﴿ ذكر اعمال الجنرال بيجو بعد رجوعه الى الجزائر في ﴾

﴿ المرة الاخيرة وما آل اليه الامر ﴾

وبعد ان وصل بيجو الى الجزائر وتلاحقت به العساكر من فرنسا وعددها مائة
الف جندي جمع مجلسه الحربي للمفاوضة فيما هم بصدده فقر الترار على اظهار الشدة
والحزم وان هذه الجنود مع ما كان موجوداً في الجزائر وملحقاتها من العسكر تنقسم الى
اربعة اقسام وتزحف دفعة واحدة على الداخلية كل قسم مما يليه وتعين لامورسير
على القسم الاول ويبدو على الثاني ويوسف المنتصر العنابي على الثالث وانقسم الرابع
يرأسه بيجو بنفسه ثم خرجوا جميعاً وفي ذلك الوقت كان الامير في جنوبي ايبالة وهران
فقصده لامورسير وطير الخبر الى بيجو ويوسف يخبرهم به لانهم تواعدوا على ان
يجتمعوا عليه ويحولوا بينه وبين الصحراء قال بعض مؤرخيهم ولشدة عزمه وقوة
حزمه وسرعة حركاته كان يوجد في المكان المعين ثم يفقد منه في اقرب وقت فلذا تركهم
يجولون عدة اسابيع في نواحي شلف بدون طائل ثم بعد عناء وشدة اجتمع به بيجو
ويوسف بجيوشهما في ابي الشطوط من بلاد اولاد شريف فوقع بينه وبينهما قتال شديد
على وادي رهيو فقصدت فرقة من العدو الى مركزه فالجأته الى الوادي فشد على فرسه
فارتقى به الى العدو الاخرى وكانت المسافة بين العدوتين في تجرى النهر نحو الثلاثين
ذراعاً هاشمياً ولم يلحقه انزعاج ولا لحق الفرس ضرر فاعدها الناس من اعظم خرق
العوائد وفي آخر القتال انتصر على العدو مع كثرتهم وغنم منه نحو الخمسين فرساً ثم
سار الى فليمة وبيجو يتاثره ثم ارتد عنه لياسه من اللحاق به فلقيه يوسف في كوجيله
في جيبته وكان الامير في نحو النفي فارس فاستجر له ليريه انه انكسر امامه ثم رد الكرة
عليه ففرق شمل تلك الجيوش الكثيرة وبدد كتابها وتحيز يوسف في ناحية من محل
المعركة فقصده الامير ليمارزه فهرب وكان اليوم شديد المطر والرياح فلم يتمكن منه
ولولا ذلك لآخذه اسيراً او اصماه بسيفه واعدمه الحياة ونعم الخارس الاجل وفي تلك

الليلة سار الامير من محل المعمعة غازياً على قبيلة صدامة في وادي العبد غير ملتفت الى
 يدجو ولا الى لامورسير مع قريهما من بلاد صدامة ثم غزى قبيلة الاحرار فاكتسح
 من لحقه منها ثم توجه الى الجهة الشرقية فلادت كافة قبائلها بطاعته ولم يزل يتنقل الى
 ان وصل الى جبال زاوة واحتل بجبل جرجرة وفيها التقى بخليفته السيد احمد بن سالم
 وفي اثناء مسيره الى تلك النواحي بلغه قرب العدو منه فخشي منه ان يتعرض له في طريقه
 فاغز السير وقطع مسافة اربعة مراحل في ليلة واحدة وكان كلما وصل الى قوم ركبوا
 معه الى قوم آخرين الى ان وصل الى جرجرة ولذلك سمي بابي ايلة وبعد ان اخذ الراحة
 في تلك الجهة غزا بني هيدورة من القبائل الذين دانوا بطاعة الفرنسيس ومنازلهم بشرقى
 المدينة ثم اجتمعت عليه قبائل زاوة وكانوا مستعدين للجهاد تحت رايته فانخب منهم
 نحو الخمسة آلاف فارس وغزا بهم نحو متيحة فاكتسح الاموال وفعل في تلك
 النواحي النعائل وهرب الفرنساويون امامه الى مدينة الجزائر واستمر على فعله الى ان
 وصل قرب المدينة كل ذلك وجيوش الفرنسيس تطالبه في ايلة وهران وايلة مليانة
 وبينما هم كذلك بلغتهم اخباره وفنكته في بلاد متيحة وانحاء الجزائر فنعجبوا من امره
 وارتاعوا من بطشه وبعد ان بلغ مراده من غزاته تلك وامتلأت ايدي جيوشه بالغنائم
 رجع الى جرجرة ومنها ارتحل الى الجهة الشمالية ونزل بارض فليسة من قبائل زاوة
 بالقرب من دلس وتبعد عن مدينة الجزائر بمرحلة وصار يشن الغارات المتتابعة على
 سهول متيحة وقد مضى له اكثر من سنة بعيداً عن اهله فكتبت متشوقاً اليه متعطشاً
 للقاءه فاجابني بقوله .

بني لئن دعاك الشوق يوماً وحننت للقا منا القلوب
 ورمت بان تنال منا ووصلا يصح بعيده القاب الكئيب
 فاني منك اولى باشتياق وناربي في الفؤاد لها لبيب
 وان اخفي اشتياقي في فؤادي فان الشوق يكنمه الاريب

✽ وقال يفتخر بنفسه وبجيشه ✽

٥٥ لنا في كل مكرمة نجال ومن فوق السماك لنا رجال
 ركبتنا للمكارم كل هول وخضنا البحرأ ولها زجال
 اذا عنها تواني الغير عجزاً فنحن الراحلون لها عجال
 سوانا ليس بالمقصود لما ينادي المستغيث الا تعالوا

وافظ الناس ليس له مسمى
لنا الفخر العميم بكل عصر
رفعنا ثوبنا عن كل لوءم
ولوندرى بهاء المزن يزري
ذرى ذا المجد حقا قد تعالى
فلا جزع ولا هلع مشين
ونحلم ان جننا السفهاء حقا
ورثنا سوؤددا للعرب يبقى
فبالجد القديم علت قريش
وكان لنا دوام الدهر ذكر
ومنا لم يزل في كل عصر
لقد شادوا الموءسس من قديم
لهم هم سمت فوق اثرياً
لهم لسن العلوم لها احتجاج
سلوا عنا الفرانس تحبرنكم
فكم لي فيهمو من يوم حرب

ومما وجدته مقيداً بخط السيد قدور بن رويله كتب الامير قال ولما بلغ سيدي
وسندي ومولاي الامير عبد القادر ابن سيدنا نجي الدين نصره الله اني وصلت المدينة
المنورة كاتبني وهناني بهذه الايات

اخى نلت الذي قد كنت تطالبه
وساعدتك الليالي لا شقيت قدم
قد طاب في طيبة الغرا مقامكم
يا هل ترى مثلاً فرتم افوز وهل
وفزت دهني بما ترجو وترغبه
قريير عين بوصل لست تسلبه
جواز محبوبنا من كنت ترقبه
تعلو سعودي على نحسي فنقلبه

ثم انه نصره الله ذكر لي ابيات ابن المبارك المروزي للفضيل بن عياض كني بهما
نصره الله عن امره لي بالقدوم الى حضرته العلية وكان حفظه الله جرح في بعض معازيه
برصاصة اصابت طرف اذنه فلطف الباري والحمد لله على سلامته وهي .

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
من كان يخضب خده بدموعه
لعلمت انك في العبادة تلعب
فنجورنا بدمائنا تنخضب

او كان يتعب خيله في باطل نخيولنا يوم الصبيحة تعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنايك والغبار الاطيب

فاجبته

بابي وامي افتديك من الردى وباحمد وباخته أتقرب
واحسرتي واضيعتي واخيبتني ان لم اكن بفدائكم اتلقب
وحياتكم فلانني بفراقكم لعل لظي وجمارها اتقلب
هل من قطا يوماً يعير جناحه صباً غدا بفراقكم يتعذب
حتى اراني في حماكم واهباً رحي فداكم في رضاكم ارغب

❖ ذكر واقعة نهر يسر وما آل اليه امر الامير ورجوعه الى دائرته ❖

ولما اتصل انتصار الامير في تلك الانحاء واشربت نفوس اهل الوطن اليه غص
به حاكم الجزائر فجهز اليه الجنرال جانفيل بعسكر جرار وكان الامير معسكراً على شاطئ
نهر يسر من العدو الذي فزع العدو في محله دلي حين غفلة فركب الامير فرسه
ودافع بمن حضره من العسكر واشتد القتال بين الفريقين واختلفوا هرباً بالسيوف
ووخزاً بالرماح ولا زال الامير يقاتل حتى وقع فرسه من تحته وركب فرساً آخر ثم
رجع القهقري بمن بقي من جيوشه وقصد جهة نهر سباو قال بعضهم وبهذه الواقعة
انتهمز ييجو الفرصة فوالى مسيره الى جرجرة واجتمع فيها بالجنرال جانفيل ثم زحفوا
الى بلاد فيلدة فاستولوا عليها ونهجي الامير مع جيوشه من مصادمتهم مرة اخري ثم
سارت الجيوش الفرنسية الى نواحي الجنوب وتفرقوا في كل جهة واخذت القبائل
يلوذون بالطاعة والانقياد اليهم ورجع الذين كانوا هاجروا من بلادهم منهم اليها ثم
ان الامير لما رأى اضطراب الاحوال مع كثرة جيش العدو وعجز المسلمين عن المدافعة
والمهاجرة اعتزم على التوجه الى نواحي الصحراء مراقباً سنوح الفرص ولا زال
في طريقه يشن الغارات ويبيت البعوث والغوازي يميناً وشمالاً على مستعمرات الفرنسيين
الى ان اجتمع عنده من الغنائم ما لم يدخل تحت حساب فعمد بالجميع الى جبل العمور
طالباً بلاد اولاد نائل وقدم اثقاله وعساكره وتاخر في نحو السبعين فارساً يستطلع
اخبار العدو فطار الخبر الى الجنرال يوسف العنابي المنتصر فسار بجيشه بطوي الليل
والنهار حتى ادركه فالتفت الامير الى العدو بمن معه وصدقوه القتال واستمرت
نار الحرب تضطرم نحو اربع ساعات واستشهد من المسلمين نحو الاربعين فارساً

ولم يبق مع الامير الا نحو الثلاثين فجمعهم ورد الكرة على العدو فتطايروا امامه
 ثم اخنفي بمن بقي معه في بعض الاودية القريبة من موضع القتال فطلبهم العدو
 فلم يجد لهم اثرًا قال شرشل فحجب الفرنسيون من بسالته وشجاعته وسرعة اخنفاؤه
 حيث انهم طلبوه فلم يجدوه فكانه طار في الهواء او خرق الارض هو ومن معه
 ثم قال وقد اوردت هذه القصة في باريس بين الاعيان في المحافل السياسية
 في معرض التعجب والحيرة فشهد الجنرال يوسف للامير بالفضل على كل من
 عرفت بسالته وحماسته من رجال الامم والذي اذهل العقول تواريه السريع
 عن اعين الجميع بعد ان كان بينهم قال الجنرال ولقد رأيت من ثبات الامير وشدة
 هجومه ما يحير الافكار ولما رأى الامير كثرة الجيوش الفرنسية وانتشارها في سائر
 نواحي البلاد ورأى القبائل الذين كانوا يمدونه بالذخيرة وسائر ما يلزم له ولجيوشه
 تركوا طاعته ولحقوا بالفرنسيين علم ان الوقت غير مساعد على الوصول الى اجتماع
 الكلمة عليه والعدول عن طاعة عدوه الى طاعته سار بجيشه مغرباً على طريق الصحراء
 فنزل على اولاد السيد الشيخ ابن الدين البكري في بلدتهم المعروفة بالايض
 فتلقوه بالتعظيم والاحترام واكرموا نزله ثم تقدم اليه كبيرهم وقال ايها الامير المعظم
 اما نسألك بالله تعالى ان لا تعرضنا للحرب والبلاء مع عدو ديننا ودياننا باقامتك
 عندنا في بلادنا فان الفرنسيين لا يخفي عنادهم وظلمهم ولولا انهم اشد الخلق عتواً
 وظلماً واعتداءً ما تسلطوا علينا واين بلادنا من بلادهم فهم في بر ونحن في بر آخر ومع ذلك
 فانهم اعندوا علينا وقصدوا ان يملكوا بلادنا ورقابنا فلما سمع الامير كلامهم رق لهم
 واشفق عليهم وارتحل عنهم مغرباً الى دائرته وكانت على نهر ملوية فيما وراء جبل
 بني يزناسن ولاول وصوله اخبره بقتل الاسارى الفرنسيين المستولي عليهم في
 واقعة الغزوات وتموشنت فاسف لذلك وتكدر ووبخ خليفته على الدائرة السيد الحاج
 مصطفى بن التهامي فاعتذر عن ذلك باعذار كثيرة اشدها دسائس السيد محمد
 البوحيمدي وذلك ان الامير قبل واقعة الغزوات قد جعل امر الدائرة وما يتعلق
 بها الى خليفته البوحيمدي فلما وقعت واقعة الغزوات واعتزم على السير لحمل القبائل
 على الرجوع الى طاعته سلم الاسرى الى صهره وخليفته السيد مصطفى وعهد اليه
 بامر الدائرة والنيابة عنه وفوضه تفويضاً مطلقاً باجراء ما يعود نفعه على الدائرة
 وان يمنع من اراد الخروج منها لان البعض وخصوصاً بني عامر اضمروا على الخروج
 منها والدخول الى مراکش لما نالهم من المشقة والتعب وامره ان يبلغ البوحيمدي

ان يلحقه بنجدة الى جنوب اقليم الجزائر ولما بلغ البوحميدي ظن ذلك من عدم ثقة الامير به فاخذ يهيج بني عامر على العود الى اوطانهم او الحقوق بسطان المغرب الاقصى ويمنعهم من تقديم الطاعة لابن التهامي فحنق التهامي سيما من عدم توجهه بالنجدة للامير وامر بان الذي لا يريد ان يتوجه للنجدة يعطى فرسه الى من قنلت دابته في الحرب فحصل من ذلك قلق عظيم في قبيلة بني عامر لان العرب تعز خيولها اكثر من معزة نفوسها فاخذوا في الخروج من الدائرة الى بلاد مراکش فخرج في ليلتين مقدار مائتي خيمة والتجئوا الى القبائل المجاورة للدائرة وتبعهم الناس فاقتكر السيد مصطفى لعمل واسطة تخوفهم من الخروج فلم ير بحسب فكره احسن من ذبح اسرى فرنساوية الذين سلمهم الامير له واوصاه بحسن معاملتهم وظن ان ذلك الامر يرضى العرب عن الخروج من الدائرة خيفة من فرنساويين حيث انهم ارتكبوا امراً فظيماً في حقهم فمنعه الخوف من غضب الامير وعنايه له لما هو محقق عنده من شدة اعنائه باصر الاسرى وبذل الاكرام وحسن المعاملة لهم وصار يقدم رجلاً ويؤخر اخرى حتى ورد عليه الخبر بزحف جيوش السلطان عبد الرحمن لاتقاذهم من يده فازداد حيرة لوقوعه بين امرين خطرين اما سفك الدماء بين المسلمين لاجلهم واما ان يسلمهم لهم اختياراً ويصعب عليه الاعتذار عند مواجهة الامر ثم قوى عزمه على ما كان مصرّاً عليه وقتلهم وكانوا مائة وسبعة وثمانين اسيراً وابقى احد عشر رئيساً وكانت هذه النعلة الشنيعة افظع شيء وقع من هذا الخليفة في جميع تلك الحوادث والمواقع والحق يقال ان هذا الفعل خارج عن العدل ولولا ما اشتهر به الامير من حسن المعاملة للاسرى لظن الناس ان له دخلاً في هذا الامر ولذا قال بعض مؤرخي الافرنج ان حسن المعاملة المألوفة من الامير رفعت هذا الظن لانه كان ينزل اسراه منزلة الضيوف ويأمرهم بانشر الطعام واحسن الملبوس وكان مرتب كل واحد من خمس ريات الى عشرين على حسب مراتبهم وقد افرد شرشل الانكليزي الفصل السادس عشر من تاريخه بذكر ما كان يعامل به الامير الاسرى الواقعيين في يده من المعاملة الحسنة والرحمة والشفقة وايد ذلك بحكايات صدرت من الامير في حقهم تستحق ان تكتب على طروس المواقع بباء الذهب وملخص ما ذكره ان الاعنائة الموجود عند الامير عبد القادر لاسراه الزائد عن الحد لم يكن له مثال في اخبار الحرب ولذا يجب على كافة المسيحيين ان يخرشوا عند قدميه نظراً لما ابداه من الرحمة والشفقة وحسن المعاملة لان الاسارى الذين يقعون في ايدي العرب المتوحشين كانوا معرضين للتهديدات البربرية ولعدم فهم لفظة اسير عند القبائل المتوحشة كانوا لا

يقون على كل من قبض عليه في ساحة الحرب وكان جل مرامهم تكثير عدد الرؤوس
 من الاعداء افتخاراً بحملها على جوانب الخيول وطمعاً بما ينال على كل رأس من الجائزة
 حتى صار ذلك الفعل طبيعة لهم لا يمكنهم تركها فكيف وقد اضطرت نيران غيظهم
 مما ألم بهم من الفرنسيين بيد ان مرحمة الامير وشفقته وبديع الحكمة والسياسة التي
 ابداهها يجعله لكل من اتى باسير سالمًا ضعفي ما كان ياخذ على الرأس او ثلاثة اضعافه
 وكل من اتى براس اسير يجازى بالجلد على رؤس الاشهاد واصدر الاوامر اللازمة بهذا
 الشأن في سائر مملكته وهذه المعاملة الحسنة واخراجهما سرت في سائر خلفائه وعماله واثرت
 في العرب والبربر تأثيراً غريباً فغلبت مرحمتهم الانسانية على شدتهم البربرية غير انه لم
 يفتق احد ما كان لوالدته من كمال الحلم والمرحمة ولطف المعاملة والشفقة على اسرى النساء
 فقد اعنت بهن اعنائاً انساهن ما هن فيه وجعلت خيمتهن ملاصقة لخيمتها وعينت
 اثنتين من امائها خفراً عليهن وفي كل صباح ترسل اليهن القهوة والنشاي والسكر والزبد
 واللحم وكافة ما تدعوهن اليه حاجتهن ومن شدة حرص الامير على الاعنائ بشانهن
 كتب الى اسقف الجزائر ان يرسل اليهم كاهناً ليسلمهم ويخفف مصائب الاسر عليهم
 ويكتب لهم ما يريدون ان يكتبوه لعيالهم ويكون ذلك الكاهن اميناً على نفسه وضيافاً
 مكرماً عنده ثم قال وان كان قلب الامير قاسياً عند لقاء الخطر لكنه يلين ويذوب شفقة
 عند مشاهدة حزن الاسرى وكان اشد كراهة عنده ان يرى الاسرى من النساء ويضطرب
 عند تصوره وقوعهن فرائس الحرب وقد جاء اليه احد اعوانه باربعة من النساء اسرى
 فحوّل وجهه وقال له مثبكماً الاسد يقنص الحيوانات القوية ويقع ابن آوى على الضعيفة
 واطلق مرة اربعة وتسعين اسيراً بلا فدية ولا عوض وارسل معهم خفراً يوصلهم الى
 رفقائهم فقال احد قوادهم ينبغي لنا اخفاء هذا الامر وكنتم عن العسكر لانهم ان علموا به
 لا يتاقى لنا ان نحارب عبد القادر بالترتيب المناسب ولم يكتبف بتحسين حالة الاسرى
 فقط بل كان يود المبادلة وقد طلب ذلك مراراً عديدة من الفرنسيين واصراً عليه فلم
 يجده نفعاً ومما يوء كد عدم اطلاعه على ما وقع بهم ما ذكره رؤوا الفرنسيون في تاريخه
 من ان الضباط الباقين منهم ارسلوا الى اهليهم في فرنسا كتباً يبرؤونه بها ونص كتبهم
 ان معاملة الامير للاسارى لم تنزل معاملة حسنة بل عديمة النظير وان اكرامه لهم لا يقاس
 عليه لعزته وجميع ما جرى على رفقائنا لم يكن باذنه ولا بعلمه بل لا يخاطر في البال ان
 يصدر مثل هذا الامر منه لانه يخشى مقابلة الفرنسيين له بالمثل فيذبحون الاسرى من
 المسلمين الذين عندهم وهذا لا شك انه يهيج القبائل التي لما اسرى وعلى فرض انه امر به

صهره لما كان تأخر في انفاذ الامر تلك المدة الطويلة ولو قيل انه استشاره فيه بعد وصوله الى الدائرة فالوقت لا يقتضي ان يحصل على جواب في تلك المدة لان الدائرة كانت اذ ذاك في ملوية والامير في بلاد زاوة وبينهما مسافة ستائة وثمانين كيلومتراً نعم ان الامير تغافل عن اظهار التهمة وتوجيه المسؤولية على الرؤساء الذين فعلوا تلك الفعلة الشنيعة وهم السيد مصطفى ومن وافقه ليبري ساحتهم خوفاً عليهم من وقوع الخطر على احدهم ان وقع في يد الفرنسيين كما هو مقتضى طباعه الكريمة انتهى وبالجملة فان شرف نفس الامير وكرم اخلاقه مع ما عهد منه فيما مضى من المعاملة الاسرى يحققان عدم صدور ذلك منه حتى ان المارشال ويجو قبل هذه الواقعة ارسل نيشان افتخار لبعض الاسارى الذين عند الامير اسمه اسكوفيه فالاول وصوله الى سموه امر باحضار اسكوفيه عنده وامر بعض اعيان العسكر ان يقلده النيشان بيده ثم احسن الى الاسير المذكور بما ملا قلبه سروراً وكتب اسقف الجزائر يسأله اطلاق اسير من اقاربه وقال في كتابه ليس لي مال افديه به بل اقبالك بالدعاء والثناء والراحون يرحمهم الله فاجابه الامير الى مطلوبه واطلق له اسيره وكتب اليه حيث انك زعمت انك مشفق على اسيرك فكان ينبغي لك ان تعم باشفاقك سائر الاسرى فتطلب اطلاقهم وقال فاليوت في تاريخه ان الامير كان في صورة عدو كريم الاخلاق فان كل من كان اسيراً في قبضة يده من الفرنسيين قد اثنى عليه الثناء الجميل وكان يامر باعفائهم من الخدمة يوم الاحد ملاحظاً في ذلك اعتبار الديانة المسيحية مع ان الفرنسيين لم يلاحظوا اعتبار يوم الاحد بل هو عندهم كسائر الايام فاذا كانت هذه احواله في مبدأ امره فكيف يكون على خلافها في منتهى امره انتهى . ثم ان الامير بدا له ان يفادي بالاسرى الباقين ولما لم يحصل على طائل اطلاقهم وكتب الى ملك فرنسا ما نصه

الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين الى جلالة ملك فرنسا لويس فيليب احسن الله مقاصده في كل ما يؤهل الى سعاداته وجعله من الذين يتبعون سواء السبيل والمعرض لجلالتيك انني كنت مستعداً لقبول شروط الصلح وطالما تعاطيت اسباب تقريره وسعيت وراءها فلم يجد ذلك نوعاً لشدة ما انطوت عليه بواطن عمال الجزائر من الفساد والعناد وتشبهتهم بما يلقبه اليهم المنافقون من العرب والبربر الذين تورطوا في مهوى غيهم الداعي الى مكر الله تعالى بهم وغضبه عليهم وقد كتبت اليكم عدة مكاتيب فلم ياتني جواب منكم فقويت البواعث الردية في الجزائر على استمرار الحرب الى الآن وفي اثناء الوقائع بيننا وبين عساكركم

كان يقع في ايدينا اسرى كثيرة منكم فنفاذي بها اسرانا الذين في ايديكم وفي
السنة الماضية كتبت لنوابكم بمبادلة الاسرى فلم يردوا لي جواباً فراجعتهم مراراً
فما افادت المراجعة شيئاً بل سجنوا رسلي واهانوهم وهذا اعظم دليل عند العرب بين
المتحاربين على نقض العهد من فاعله حيث ان الرسل شأنها ان تعاد الى مرسلها
بلا اهانة ولا ايداء وبعد ذلك شاع ان الفرنسيين عازمون على انقاذ اسراهم
جبراً من ايدي العرب ثم فشا بين الناس ان سلطان مراکش عازم على انقاذهم
من يد خليفتنا رغماً عنه فكان هذا مع سوء سلوك نوابكم سبباً لما وقع بالاسرى
من غير اذن منا ولا علم لنا والآن قد اطلقنا عشرة ضباط مع الرئيس كورلى
دي كوفري وهم يعلمون بما اجريناه من الوسائل والتدابير الحسنة لاجل الوصول الى الندية
بما عندكم من اسرى المسلمين ويعلمون حسن معاملتنا لاسائر الاسرى الذين يقعون
في ايدينا ويعرفون ان عدم رد جواب نوابكم عن مكاتبتنا في هذا الامر هو الذي
عارض حسن المقاصد فيما بيننا وبينكم ووجب ما اوجب مما كان من غير اختيار
ولا قصد انتهى . وبعد ان اطلق الضباط المذكورين ارسل معهم حرساً يوصلونهم
الى مليليه وهي مرفأً لاسبانيا فوصلوا على احسن الاحوال وبعد وصولهم كتب
كل واحد منهم بخطه بصورة الحال ونص ما كتبوه . حينما كتبنا اسرى عند الامير
عبد القادر كنا نعامل احسن معاملة وكانت جرايتنا اليومية الخبز الخالص واللحم الجيد
والسمن والسكر والقهوة وما اثبه ذلك ولم يحصل لنا ادنى اهانة من سائر الوجوه
وعند ما كان الامير في الصحراء حرر خليفته البوحميدي الى المارشال في الجزائر
في امر الندا فلم يرد له جواباً وعند ما اخذ العرب يقنلون رفقائنا من غير علم
الامير سألنا عن السبب فاخبرونا انه قد عزم المراكشيون على اخذهم جبراً وبعد
هذا كله انعم الامير علينا باطلاق سراحنا وارسلنا الى مليليه وكان هذا منه احساناً
من غير عوض حرر في السادس من تشرين اول سنة ست وسبعين وثمانمائة والف
كاتبه . توما . باربوت . هابوس رئيس الفرقة الثامنة من معسكر اورليان . مينا كرينا .
ماريسن . كورلى دي كوفري رئيس فرقة الفرسان . واطلاق هولاء الضباط لم
تجنفل به فرنسا ولم تلتفت اليه وتمادت على غيها وغرائها لسلطان مراکش على الامير
فارتاع السلطان عبد الرحمن وبعث الى الامير يامر به بالخروج من الحدود ويذكر
له انه لا سبيل الى خلاصك الا باحد امرين اما ان تسلم نفسك الينا واما ان تخرج
من الحدود فان ابيت ان تجري احدهما طوعاً فنحن نجريه كرهاً ثم دس الى القبائل

القرية من الدائرة في التضييق عليها وقطع الميرة عنها والتجافي عن مواصلتها
 بكل ما يعود بالنفع عليها فوجم الامير لهذا الامر وكتب الى السلطان مانصه [اما
 بعد فاني كاتبكم اولاً والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعديتها على من
 تبغني وسوء معاملتهم لهم لانهم كلهم اولاد دين واحد وشريعة واحدة فلم ياتني جواب
 عن ذلك ولم يحصل لهم ردع من طرفكم ومع هذا كله انا صابر وتحمل لما يجرونه
 كراهة سفك دماء المسلمين مدة ستة اشهر طمعاً في رجوعهم عن البغي والطغيان
 الى العدل والاحسان مع قدرتي عليهم في كل آن فان لم تردعهم الآن عن افعالهم
 وترجعهم عن قبيح تصرفاتهم التزم المحاماة عن حقوقي والمحافظة على شرف اتباعي
 ولذا بادرت باخباركم والسلام عليكم ثم جمع اعيان جيشه ودائرته واطلعههم على حقيقة
 الحال فعملوا ان الرجل قد ضل رشده في التجلي عمن ينصره ويحمي حوزته وانه وافق
 العدو على اذلال المجاهدين في سبيل الله والغرض من شانهم ثم قالوا الامير اننا قد
 بايعناك على السمع والطاعة والجهاد الى الموت ونحن مستعدون للوفاء بالعهد من
 اتباعك والكون معك في سائر احوالك ثم اتبقت كلمتهم على الاقامة في مواضعهم
 والدفاع عن حوزتهم . وكتب الامير الى علماء مصر يسئلتهم في ذلك ونصه . الحمد
 لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وارض
 اللهم عن الصحابة اجمعين وعن الائمة الراشدين من خديم المجاهدين والعلماء والصالحين
 عبد القادر بن محيي الدين الى ساداتنا العلماء الابرار الافاضل الاخيار رضى الله عنكم
 وارضاكم وجعل الجنة منازلكم ومثواكم جوابكم عما فعله بنا سلطان المغرب من المنكرات
 الشرعية التي لا نتوقع من مطلق الناس فضلاً عن اعيانهم فامنعوا نظركم فيها شافياً
 واجيبونا جواباً كافياً خالياً عن الخلاف ليخلو قلب سامعه عن الاعساف وذلك
 انه لما استولى عدو الله الفرنسي على الجزائر وختل الايالة عن الامير وانقطعت
 السبل وعطلت الاسباب وطالت شوكة الكافر اجتمع ذوو الرأي وتفاوضوا على ان
 يقدموا رجلاً من ساداتهم يؤمن السبل ويكف المظالم ويجمع المسلمين للجهاد لئلا يبقى
 الكافر في راحة فتمتد يده فاخناروا رجلاً منهم وقدموه لذلك فنقدم وعمل جهده
 فيما قدموه له فتامنت السبل بحمد الله وتيسرت الاسباب بعونه وجاهد في سبيله
 وذلك من لدن سنة الستة والاربعين الى سنة ثلاث وستين هذه ولن نزال كذلك
 ان شاء الله فاذا بسطان المغرب فعل بنا الافعال التي تقوي حزب الكافر على
 الاسلام وتضعفنا واضر بنا الضرر الكثير ولم يلتفت الى قول رسول الله صلى الله

عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا الى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن
 لاخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً ولا الى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمنون
 متكفأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم الى غير ذلك من
 الاحاديث الشريفة فإل ما فعل بنا اننا لما كنا حاصرنا الكافر في جميع ثغوره
 نحواً من ثلاث سنين وقطعنا عليه السبل ومادة البر من الحب والحيوان وغيرها
 تضييقاً عليه وتضعيفاً له خصوصاً من جهة الحيوان لان قانون عسكره انهم اذا لم
 ياكلوا اللحم يومين او ثلاثة يفرون عن طاغيتهم ولا يقاتلون ولا يلامون حتى بلغت
 قيمة الثور عندهم مائة ريال دوروفاذا بالسلطان المذكور امدهم وهم في الضيق الشديد
 بالوف من البقر وغيرها الثاني انه غضب من عاملنا الفاً وخمسمائة بندقية انكليزية
 الثالث انه غضب من وكياننا اربعائة كسوة جوخ اعدناها للمجاهدين الرابع ان
 بعض المحبين في الله ورسوله من رعيته قطع قطعة من ماله الخاص به ليعين
 به المجاهدين فاذا بالسلطان المذكور زجره ونزعها منه وقال انا احق بها والحال
 انه لم يجاهد الخامس ان بعض القبائل من رعيته عزموا على اعانتنا بانفسهم
 في سبيل الله فمنعهم من ذلك واعاننا آخر من رعيته بسيوف في سبيل
 الله فحبسه الى الآن زجراً له وردعاً لغيره السادس انه لما وقعت لهذا السلطان
 مقاتلة مع الفرنسيس اياماً قلائل ثم تصالحا واشترط عليه الفرنسيس ان لا يتم
 الصلح بينهما الا اذا حل امر هذه العصابة المحدية للمجاهدين ويقبض رئيسهم
 فاما ان يجسه طول عمره واما ان يقتله واما ان يمكنه من يد الفرنسيس او يجليه من
 الارض فاجابه السلطان الى ذلك كله ثم امرني بترك الجهاد فابيت لانه ليس
 له علي ولاية ولا انا من رعيته ثم قطع عن المجاهدين الكيال حتى هام جوعاً
 من لم يجد صبراً واسقط من المجاهدين ركناً ثم اخذ يسعى في قبضي فحفظني الله
 منه ولو ظفربي لقتاني او لنعل بي ما اشترطه عليه الفرنسيس ثم امر بعض القبائل
 من رعيته ان يقتلونا وياخذوا اموالنا وكنه اسنحل ذلك فابوا جزاهم الله خيراً
 فاذا تصورتم ايها السادات هذه الافعال التي تنتظر منها الاكباد وتتناثر عند سماعها
 العباد فهل يحرم عليه ذلك ويضمن ما غضب ويقتل بنا ان قتلتنا حسبما نص عليه المعيار
 في اول باب الجهاد **وزيدته** انه اذا نزل الكافر بساحة المسلمين وقال لهم ان
 لم تعطوني فلاناً او ماله او يقتل استاصلتكم فانه لا يسعهم ذلك ولا يعطوه شيئاً
 مما طلب ولو خافوا استيصاله فان اعطى ماله ضمنه الأمر به ونقل ذلك عن نصوص

المالكية والشافعية وكما نص على ذلك ايضاً الشيخ مياره في شرح لامية الزقاق في آخر باب
 الامامة الكبرى ونصه قال ابن رشد اذا امر الامام بعض اعرانه بقتل رجل ظلماً ففعل فلا
 خلاف انها يقتلان معا نقله المراق عند قول خليل في باب الجنائيات كمكره ومكره فان فعل
 المأمور ذلك خوفاً على نفسه فانه لا يعذر بذلك قال ابن رشد ايضاً الاكراه على الافعال
 ان كان يتعلق به حق لمخلوق كالقتل والغصب فلا خلاف ان الاكراه غير نافع
 نقله ايضاً عند قوله في الطلاق لا قتل مسلم وقطعه ونقله الخطاب في هذا المحل
 الثاني ونصه في آخر معين الحكم ومن هدد بقتل او غيره على ان يقتل رجلاً او
 يقطع يده او ياخذ ماله او يزني بامرأة او يبيع متاع رجل فلا يسعه ذلك
 وان علم انه ان عصى وقع به ذلك فان فعل فعله القود ويغرم ما اتلف ويحد ان
 زنى ويضرب ان ضرب ويأثم اهـ وهل الهادنة التي اوقعها فاسدة ومنقوضة لان
 الجهاد تعين عليه قبل ان يفجأ العدو بسبب قربنا منه وعجزنا عن الجهاد ولان
 منعتها عائدة على الكفار ووبالها على الاسلام كما هو مشاهد حسبما نص على
 ذلك في المعيار ايضاً في باب الجهاد في الجواب عن سؤال التلمساني وحاصله ان
 الخليفة اوقع الصلح مع انصارى والمسلمون لا يرون الا الجهاد فاجابه بما حاصله
 ان مهادنته منقوضة وفعله مردود ونقل على ذلك نصوصاً وهل يحمل بيع البقر لهم
 في وقت حصرهم المسلمين على حرمة بيع الخيل لهم والشعير وآلة الحرب ام لا
 وعلى انه لم تسعه مخالفة الفرنسيس فيما شرطه عليه من قتلنا وتفريق جماعتنا وما
 ينشاء عنه من ترك الجهاد بالكلية واقتحم الامر وشق العصا وجانا بالجيش ليقتلنا
 وياخذ اموالنا ويفرق جمعنا فهل يجوز لنا ان نقاتله بمقتضى ما نقله الشيخ مياره
 ايضاً في شرحه المذكور في الباب ونصه انظر اذا خلا الوقت من الامير واجمع
 الناس رايهم على بعض كبراء الوقت ليهدي سبلهم ويرد قلوبهم عن ضعيفهم .
 فقام بذلك قدر جهده وطاقه . والظاهر ان القيام عليه لا يجوز . والمعارض
 له يريد شق عصى الاسلام وتفريق جماعته ففي صحيح مسلم رضي الله عنه عن
 زيادة بن علاقة قال سميت عرشي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول انها ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهو جميع
 فاقتلوه كائناً من كان وبسنده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .
 من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد تفريق جماعتكم فاقتلوه اهـ ام لا يجوز
 لنا ذلك ونترك الجهاد ليس الا جوابكم تؤجرون وتحمدون وعليكم السلام في البدأ

والختام والحمد لله رب العالمين

فاجابه العلامة الحجة الشيخ محمد عليش مفتي المالكية بالديار المصرية بقوله . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله المهتدين . نعم يحرم على السلطان الماركوز اصلح الله احواله جميع ذلك الذي ذكرتم حرمة معلومة من الدين بالضرورة لا يشك فيها من في قلبه مثقال ذرة من الايمان . وما كان يخطر ببالنا ان يصدر من مولانا السلطان عبد الرحمن وفقه الله تعالى مثل هذه الامور مع مثلكم فاننا لله وانا اليه راجعون وما قدر الله سبحانه وتعالى لا بد ان يكون خصوصاً وانتم جسر بينه وبين عدوه وان كنا في اطمئنان على اقيامه من استيلاء عدو الله عليه بما في الاحاديث الصحيحة من بقاء اهله على الحق حتى تقوم القيامة . منها ما وجد بخط الشيخ المقرئ ونصه من خط الفقيه المحدث العالم ابي القاسم العبدوسي حفظه الله تعالى ما نصه وجدت في ظهر تقييد الشيخ ابي الحسن الصغير على المدونة بخط من يقتدى به . قال ذكر صاحب كتاب نقط العروس عن ابي مطرف . قال حدثنا محمد بن الموز . عن ابن القاسم . عن مالك بن انس . عن ابن شهاب . عن سعيد بن المسيب . عن ابي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ستكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس . اقرب اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة . اهلها قائمون على الحق . لا يضرهم من - النهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة . اه وكذا ضمانه لما غضب ضروري لا يشك فيه مسلم . وكذا استحقاقه القصاص منه بقتله موءمناً عمداً عدواناً مباشرة او باكرهه غيره عليه معلوم من الدين بالضرورة والنصوص التي ذكرتم صحيحة صريحة لا تقبل التاويل والمهادنة التي اوقعها فاسدة منقوضة . وما نسبت للمعيار هو كذلك فيه وبيع البقر وسائر الحيوان والطعام والعروض وكل ما يتنفعون به في النازلة المذكورة حرام قطعاً اجمالاً ضرورة لا يشك فيه مسلم سواء في حال حصر المسلمين اياهم وفي حال عدمه اذ قتالهم فرض عين على كل من فيه قدرة عليه ولو من النساء والصبان من اهل تلك البلاد ومن قرب منهم كاهل عمل السلطان المذكور وفقه الله تعالى فكيف يتخيل مسلم ان معاملتهم بما يتنفعون به ويتقون به على البقاء في ارض الاسلام جائزة مع ذلك قال الخطاب واما بيع الطعام يعني للحربيين فقال ابن يونس عن ابن حبيب يجوز في الهدنة واما في غير الهدنة فلا قاله ابن الماجشون اه وظاهره ان هذا فيما يذهبون به لبلادهم واما ما يستعينون به على البقاء في ارض الاسلام وقتال اهله اولى بالمع وان اقتحم الامر وشق العصا واتاكم بجيشه وجب عليكم قتاله وجوباً عينياً اذ هو حينئذ

كالعدو والبغاة المتغلبين الفاجئين الفاصدين الانفس والحريم لعدوانه وتجاربه على ما
 اجمع المسلمون على تحريمه وهو انفسكم وحرمةكم واموالكم ومنعكم مما هو متعين عليكم
 لاجتماع من جهاد الكفار الفاجئين انكم والمقتول منكم في قتله كالمقتول في قتال
 الكفار ليس بينه وبين الجنة الا طلوع الروح فمحموا على قتاله واعدوا له ما استطعتم
 من قوة نصركم الله تعالى عليه وعلى اعداء الدين وبارك فيكم وفي كل من اعانكم من
 المسلمين وخذل كل من عاداكم وخذلكم كائناً من كان وجعل كيده في نحره ونص
 ما في المعيار وسئل بعض نقباء تلمسان جوابكم سيدي عما عمت به البلوى في بلادنا
 وعظم من اجله الخطب واتسعت فيه المقالات وذلك ان الخليفة اصلى الله حاله صالح
 هو لاء النصارى الذين اخذوا سواحلنا الى اجل معلوم والمسلمون يرون ان جهادهم من
 اعظم القربات فصاروا يغيرون على اطراف بلادهم فيقتلون ويضيقون بهم هل ذلك طاعة
 او معصية والفرض ان الخليفة لا يوافق على ذلك ويعاقب عليه اجيبونا ارشدتم
 ووفقتم .

فاجاب الحمد لله الذي ايد الدين المحمدي بالجهاد . ووعده الساعي فيه بالوصول الى
 اسنى المراد . والشهيد بالحياة المحفوفة بالرزق والحسن في برزخ الموت والامداد . فما من
 هيت الا يتنى العود الى الدنيا الا الشهيد . لما يرى من فضل الشهادة . من ذي العرش
 المجيد . فيطلبها ليزداد له من الكرامة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
 قلب بشر بعد المعاد فاعظم به من وصف لا تحصى فضائله اذ قدمت على نوافل الخير
 العلي نوافله عند اهل الاجتهاد وصلى الله على سيدنا محمد النبي المبعوث لجميع الخلائق
 المبعوث بجميع الخلائق القامع بلسانه وسيفه وبرهانه اهل الباطل والعداوة وعلى آله
 واصحابه الذين وازروه على اظهار الخزي عنه من الاضداد فجلبوا ببركته لامته المصالح
 وبذلوا لهم النصائح ودفعوا العناد صلاة وسلاما نال ببركتهما من الخيرات والبركات ما
 يخرج عن المعتاد

اما بعد ايها الاخ الكريم محنده الجميل معتقده . فان جواب سوءالك يتوقف
 على تقرير مقدمة بتقريرها يتبين ما يتضح به المسئول عنه فنقول الصالح الواقع بين
 امام المسلمين واعداء الدين علي ضربين الاول حيث يكون الجهاد فرض
 كفاية والثاني حيث يكون فرض عين اما الاول فحيث يكون المسلمون طالبين
 على الكافرين الحريين فالصالح لمصلحة يراها الامام بحسب اجتهاده جائز عند المالكين
 ونقل ابن عبد البر عن سحنون انه قال لا يبعد في المدة ونقل ابن شاس عن ابي

عمران انه استحب ان لا تكون المدة اكثر من اربعة اشهر الا مع العجز واما الضرب
 الثاني فهما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح كما لو كان العدو طالباً على
 المسلمين وقد يفتجأ موضعهم وهو ضعف عدد المسلمين فاقل لاشدة وعدة على المشهور عند المحققين
 فيتعين علي من نزل بهم ومن قاربهم دفعهم في الحين ونقل اللخمي عن الداودي فرضية الجهاد
 على من يلي العدو ويسقط عن بعد عنه وقرره المازري بانه يبان لتعلق فرض الكفاية
 لمن حضر محل تعلقه قادراً عليه دون من بعد عنه لعسره فان عصى الحاضر تعلق
 بمن يليه وحاصل كلام المازري ان فرض الكفاية الذي هو حكم الجهاد قد يعرض
 له ما يوجب على الاعيان في بعض الاحيان وفي تلقين القاضي عبد الوهاب قد
 يتعين في بعض الاوقات على من يفتجأهم العدو وفي نوازل ابن ابي زيد عن سخون
 ان نزل امر يحنج فيه الى الجميع كن عليهم فرضاً ولو سبي المشركون النساء والذرية
 والاموال وجب استنقاذهم على من قوى عليه ما لم يخافوا على انفسهم او على اهليهم بروية
 سفن او خبر عنها فكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه لابطال فرض
 العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ وفي العتبية سئل مالك اوجب على المسلمين
 فداء من اسر منهم قال نعم ليس واجباً عليهم ان يقاتلوا حتى يستنقذوهم قال بلى قال فكيف
 لا يقدونهم باموالهم وفي مثل هذا اعني حيث يتعين الجهاد حكى القاضي ابن رشد
 الاتفاق على انه اقوى من الذهاب الى حجة الفريضة لان الجهاد ان تعين كان على النور
 والحج قد قيل فيه انه على التراخي ولما تقررت هذه المقدمة بما فيها من النصوص
 الائمة تعين بها ان الجهاد فرض عين في مسألة السؤال فيمتنع فيه الصلح على كل حال
 لا سيما ان طالت مدته فقد عادت على العدو اهلكه الله مصلحته وعلى المسلمين منسده
 وان تخيلت فيه مصلحة فهي للعدو اعظم من وجوه مكملة فانه يتحصن في تلك المدة ويكثر
 من آلات الحرب والعدة فيتعذر على المسلمين الاستنقاذ ويصعب عليهم تحصيل المراد
 بعد تيسره لو ساعد التوفيق ولكن المولى جل جلاله المسئول في هدايته الى سواء الطريق
 فما وقع من الصلح هو مفسدة على الاسلام فلا يكون له في نفس الامر ابرام فالصلح
 المذكور يجب نقضه لانه بمقتضى الشرع غير مبرم فحكمه غير لازم عند كل من
 حقق اصول الشريعة قال في التلقين ولا يجز ترك الجهاد لهدنة الامن عذر لا يقال
 الصلح المسئول عنه داخل في المستثنى من كلام القاضي عبد الوهاب والصلح من المسلمين
 لا يكون في الغالب الا من عذر على انه حكم اجتهادي من امام فلا سبيل الى نقضه لانا
 نقول وقع ذلك عقب الداهية الدهيا وهي انتهاز العدو دمره الله الفرصة في بلاد المغرب

مع توفر الاسلام والعدد والعدو ليس له فيها مدد والمسلمون لا يقصرون عن ضعف
 العدو فضلا عن ان يكون عدوهم ضعفهم فاما ان يكون الصلح لخوف استئصال الكافرين
 بقية المسلمين واما للخوف من المحاربين والاول باطل لمخالفته الفرض والثاني كذلك
 ايضا لان الخوف من المحارب بالفرض لا يتأتى مع امكان انقسام العدو واتصال المسلمين
 بحصول المدد فالواجب القتال وان كان العدو ذا جلد ومعه كثرة العدد فلا يدخل
 الصلح في المستثنى من كلام القاضي عبد الوهاب وحكم الجهاد ينقض اذا تبين فيه الخطأ
 كما نقل عن سخنون وطول المدة في الصلح المذكور خطأ فيه فينتقض الصلح وذلك ايضا
 لان الصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين وترك الجهاد المتعين ممتنع فالصلح المذكور ممتنع
 وكل ممتنع غير لازم والجهاد في الموضوع المذكور لم يزل متعيينا من زمن الوخزة الى الان
 وعن ابن القاسم ان طمع قوم في فرصة في عدو قريتهم وخشوا ان اعلموا الامام بمنعهم فواسع
 خروجهم واحب الي ان يستاذنوه قال ابن حبيب سمعت اهل العلم يقولون ان نهى الامام
 عن القتال لمصلحة حرمت مخالفته الا ان يرحمهم العدو وقال ابن رشد طاعة الامام لازمة
 وان كان غير عدل ما لم يامر بعصية ومن العصية النهي عن الجهاد المتعين على ما
 تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم . ومما ينبغي ان يذيل به ما وقع من جواب السوءال بيان
 حقيقة الصلح لغة وشرعا وبيان الممتنع منه والجزاء بال او بغير مال وهو المعبر عنه في
 كتب الفقه بالمهادنة قال الجوهرى هادنه صالحه والاسم الهدنة واما حقيقته في العرف
 الفقهي فهو عبارة عن توافق امام المسلمين والحريين على ترك القتال بينهم مدة لا
 يكونون فيها تحت حكم الاسلام فقولنا الامام يخرج من سواه من المسلمين فاذا حصل
 منه فلا يتم ولو كان امير السرية وبقية الرسم يخرج الامان والاستئمان وذكر المدة غير
 مقيدة فيه اشارة الى انها موكولة الى اجتهاد الامام ما لم تطل وينهم ذلك من تنكيرها فانها
 للنوعية واما حكمه فالجوار ان اقتضته مصلحة للمسلمين والمنع ان تضمن مفسدة عليهم
 قال ابن حبيب عن ابن الماجشون ان رجى الامام فتح حصون لم ينبغ له صلح
 اهله على مال وان على اياس منه فلا باس بصلحهم على غير شيء كصلح الحديبية
 وان لم يتضمن مصلحة ولا مفسدة فهو مكروه لما فيه من توهيم الجهاد فان نزل مضي
 ما لم تبين فيه مفسدة بعد عقده فينتقض قال الشيخ ابن ابي زيد عن سخنون
 ولو هادنهم الامام على مال ثم بان له انهم غروا بالمسلمين لم ينبذه حتى يرد ما اخذ
 منهم وكذلك ان بان ذلك لمن بعده ولا يجبس من المال بقدر ما مضى من الاجل
 قال سخنون ولس الامام نقض الصلح لغير بيان خطأ فيه ولو رد ما اخذ الا برضا

من عاقده ونقل الشيخ ابن ابي زيد عن ابن المؤاز انه قال كره علماءنا المهادنة على ان يعطينا اهل الحرب مالا كل عام قال محمد وانما هادن النبي صلى الله عليه وسلم اهل مكة لقلّة المسلمين حينئذ هذا ما يتعلق بالصالح على مال ياخذه الامام او بغير مال واما لو وقع بمال يعطيه المسلمون لهم فقال المازري لا يهادن العدو باعطائه مالا لانه عكس مصلحة اخذ الجزية منه الا لضرورة التخلص منه لخوف استيلائه على المسلمين وقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم لما احاطت القبائل بالمدينة سعد بن سعد بن معاذ وسعد بن عباد في ان يبذل المسلمون ثلث الثمار لما خاف ان يكون الانصار ملت القتال فقلا ان كان هذا من الله سمعنا واطعنا وان كان رأياً فما اكوا منها في الجاهلية تمرة الا بشراء فكيف وقد اعزنا الله تعالى بالاسلام فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عزمهم على القتال ترك ذلك فيوء خذ من هذه القضية جواز اعطاء المال على الوجه الموصوف للضرورة اذ لو لم يخير لم يشاور فيه الرسول عليه الصلاة والسلام لكنه قد شاور فيه فهو جائز وبيان الملازمة هو ان المشاورة في دفع المال ملزومة لهم بدفعه على تقدير الموافقة على اعطائه ولا يهم الرسول صلى الله عليه وسلم بممتنع واما بيان المقدمة الاستثنائية فيما ذكره اهل السير والله جل جلاله الموفق بنضله لا رب سواه

❖ ذكر نكبة ابي معزة ووقوعه في قبضة الفرنسيين اسيراً ❖

تقدم انه ظهر في نواحي شلف وادعى بانّه المهدي المنتظر ثم انكشف عوارده وتلاشى امره ولحق بالامير والنخوط في سلك قواده واقام معه في الدائرة مدة وفي سنة ثلاث وستين ومائتين وسبع واربعين وثمانمائة انفصل عنه في لمة من اصحابه ولحق بقبائل الصحراء ثم اظهر دعوته في قبيلة فليته فقام بهار رئيسهم ابن جلول واستفحل امره في تلك الجهة وبلغ حاكم الجزائر خبره فجهز لقتاله الجيوش تحت نظر الجنرال مونيخ والجنرال هريليون وجزت بينهم وبينه في نواحي مينة حروب انكسر فيها ابو معزة ولحق باولاد نائل فشن مونيخ الغارة عليهم واكتسح اموالهم واستلحم منهم جموعاً كثيرة ثم انضم هريليون الى مونيخ وساقوا جيوشهم الى ابي معزة فادركوه في نواحي تاهرت وشتنوا شمله ولما ضاقت به الارض واحس بالعجز من نفسه استامن الى القومندار سنتارنو فلم يجبه واخذه اسيراً الى الجزائر ثم اشخصه المارشال بجو الى باريز فاقام بها مدة وفرّ هارباً الى مرسى برست فالقى عليه القبض وسجن في قلعة هام وفي ايام الامبراطور لويس نابليون الثالث اطلق سبيله ولم يزل يتجول في بلاد فرنسا الى ان جرت الحرب بين الدولة العلية والروسيا

المشهوره بحرب القريم سافر الى الاستانة ودخل في سلك الجيوش العثمانية المتطوعة و بعد انعقاد الصلح خرج من الاستانة ولحق بالعراق واقام ببغداد مدة ثم انتقل الى باطوم وفي سنة خمس وتسعين ومائتين جاء الى دمشق واقام عند الامير شهوراً ثم توجه الى بيروت ومنها الى طرابلس الغرب ودخل افريقية ودعا الناس الى الجهاد ثم رجع الى باطوم من غير طائل .

✽ ذكر تسليم الخليفة السيد احمد بن سالم الى الفرنسيين ✽

لما طال الامر على الخليفة السيد احمد بن سالم وعجز عن مدافعة العدو ويئس من الانتصار عليه استأمن الى الحاكم الفرنسي في صور الغزلان وطلب منه تخليه سبيله الى اشرق فامنه ووعده باجابة دولته الى ما طابه منه وفي الثاني عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وستين ومائتين والتاسع والعشرين من شهر فبراير سنة سبع واربعين حضر في لمة من ذويه الى صور الغزلان معانئاً بئاعنه وتسليمه فتلقه الحاكم بما يليق بقامه من الاكرام لما عهد عنه واشتهر به من شدة البأس وقوة الجأش وحسن السياسة وطار الخبر الى الجزائر فاستعظم اهلها هذا الامر اكثر من امر ابي معزة ثم هاجر الى دمشق الشام وتوفي بها سنة ثلاث وسبعين ومائتين وبتسليم هذا الخليفة ضعف امر المسلمين في الجهة الشرقية وتلاشى عزمهم واشربت نفوس رؤساء القبائل الى الدخول في طاعة الفرنسيين وتقدمهم في ذلك قاسم بن قاسي الزواوي واقتدى به جم غفير من الرؤساء وانتهز المارشال بيجو الفرصة فخرج في الجيوش الى الجبال البربرية ووقع باملها ثم سار في الجهات الجنوبية ووصل الى صطيف والزيبان وبسكرة ونواحي الجفنة واولاد نائل وجبل العمور ووقعت في تلك النواحي حروب جسيمة كانت النصره فيها لجيوشه وتمهدت له الطاعة في سائر الاعمال الشرقية ثم كتب الى القبائل الغربية ما ملخصه من المارشال بيجو والى مملكة الجزائر وسائر اعمالها الى كافة بني يزناسن واهل انكاد والاحلاف والمهاية والمطالسه وبني بويحيى والقلمية وكافة اعراش نواحي الغربية بين الجزائر والايالة الغربية اعلموا اني اتكلم معكم بكلام يدل على الخير والمحبة البالغة ولولا المحبة لم اذكره وكنت افعل ما رتمه فانصتوا لمقالتنا وتاملوها لانها نصيحة وارشاد وهي ان لكم مدة اربع سنين وانتم جادون في فعل الشر معنا ونحن نسامحكم حتى كثر العيب ووقع منكم ما وقع كما هو محقق لديكم وبعد الوقائع كلها المهنا الله للسداد والرشاد

وكان اول الشروط التي وقعت بيننا ان لا يبقى الامير عبد القادر بين ايالتكم
 وايالتنا وان لا تقبلوه في ارضكم فلما ضاق عليه المجال في ارضنا فرّ منا وجر ذيله ببلادكم
 فقبتموه واكرمتموه وبجتموه وكان فعلكم هذا سبب الفساد الذي وقع بيننا وبين
 المعظم الارفع محبنا وصديق دولتنا صاحب السياسة والرياسة مولاي عبد الرحمن
 ابن هشام اعزه الله فاتهبوا من غفلتكم وفرقوا بين ضرمكم ونفعكم واعلموا بان الامير
 عبد القادر كالحية الرقطاء لمسها لين وهي قاتلة سما وقد ذكر بعض الاوائل ان
 رجلاً وجد لثعة في سياق الموت من الم البر فاشفق لحالها وادخلها بين ثوبه ولحمه
 فلما افاقت وتحركت لسعته فمات وصار هذا مثلاً يضرب لمشكم ونحن جعلنا الحدود
 وسويناها ووضعناها بيننا وبينكم وبينها ولم نتم اربعة اشهر حتى افسدتم الامر
 وصار الامير عبد القادر يسير بجيولكم ورجالكم اعانة له واعراش بلادنا فرت اليكم
 وتحزموا معه وقد وصل لنواحيننا وغزا ولم يحصل على مراده ولما وقع ذلك عزمنا على
 الدخول لايالتكم بجيوشنا ولم يبق الا التحرك فاذا بصديقنا المعظم الارفع مولاي
 عبد الرحمن كتب لسعادة سلطاننا راي فرسنا وبعث له البشور يقول له تربص
 ولا تعجل حتى ننظر امر هؤلاء الرعية ونكفهم عن فسادهم وربما ينصتوا بعد النهي
 وقد مضى ستة اشهر ونحن نراقب ما يصدر من الخير لكم ولنا فاذا به نسمع جمعة
 ولا نرى طمناً والآن انا طردنا الامير عبد القادر وافسدنا امره ودخنا ارض
 الفلات وقرب منكم وصار البوحميدي يمد يده بخيل ورجال منكم ومن غيركم وهو
 يحكم بوسطكم ويصول عليكم مع امساكه الزكاة والعشور والمطالب المخزنية ولم
 تكفوه عن ذلك او تجنبوا عنه وتبرؤا منه ومن حملنا وعدم عجلتنا بقى عسكرنا
 كانه في السجن منتظر لامرنا وهذا هو العجب وقد امتلأ القلب وفاض النكيال وكل
 شيء له نهاية وكال وان هذا والله لم يقع بين الاجناس اصلاً في الماضي والمستقبل
 وصبرنا لم يكن عند ملك ابد لاننا مراقبون امر هذا الثغر وقد اردنا ابسامه واطلعنا
 على جميع احواله وفهمنا مراد اناسه ونظن احد اميرين اولهما ان السلطان مولاي
 عبد الرحمن امركم بالكف عن الفساد وخالفتم امره فليس لنا كلام مع السلطان المذكور
 ولكن ندخل بلادكم بالجند الموفور واما ان يكون امركم بهذا خفية منا فهو العدو
 حيث قبل عدونا وحاشاه من ذلك ولا سيما ان الملوك اذا عاهدوا انجزوا واعلموا ان
 هذا ليس خوفاً منكم انما هو الواقع وفعلكم هذا يوافق الشريعة وربما لم يوافق جميع
 الاديان لخروجكم عن طاعة اميركم وهو دليل شركم بلا فائدة فاشروا بجزابكم نطلب

من الله تعالى ان ينيهمكم من غفلتكم ويعرفكم بطاعة اميركم ونطردوا الامير عبد القادر واتباءه وننسى كل ما فات ويتبدل الغضب بلرضى والجوار اوصى عليه الرسول وفي هذا كفاية والسلام في الرابع من جمادى الاولى سنة ثلاث وستين ومائتين . فمن نظر كتاب المارشال ييجو المرسل لهذه القبائل وتأمله ثم قابله مع الكتاب المرسل اليهم من السلطان عبد الرحمن الاتي ذكره وتأمل تأمل المنصف فعل كل من دولتي فرانسه ومراكش وما اجرته ضد حركات الامير علم بداهة ما كان بينهما من المخادنة والمواطئة سرًا وعلنًا على ابطال حق الحق واطفاء نور الصدق وعند الله تجتمع الخصوم . ثم رجع ييجو الى الجزائر وامر حاكم وهران بالخروج في العسكر الى الصحراء الغربية فجال في جهاتها ووقع بقبائل حميان واولاد السيد الشيخ ابن الدين في تخوم لجهة الجنوب وصارت السلطة الفرنسية متمكنة في النواحي الغربية والشرقية من حدود مراكش الى تخوم تونس

❖ ذكر استعفاء المارشال ييجو من ولاية الجزائر وسفره الى فرنسا ❖

قد تقدم انه كان جنرالاً وقائداً للعساكر الفرنسية في وهران وهو الذي ابرم معاهدة تافنا مع الامير ولم يحسن الادارة بتلك المرة بيد انه تدرب مذ درس في مدرسة الامير الحربية احسن الادارة في المرة الثانية واطهر من الاقدام والشجاعة وتحمل من الخطوب ما لم يكن في حساب وكان في سن الشيخوخة فسماه الامير الاسد الهرم قال بعض مؤرخيهم ولذلك منحه دولته قوة لم تمنحها لاسلافه لا سيما انها اعتبرت عبد القادر بعد الحوادث الاخيرة رجلاً عظيماً في كل امر فامرت بتلاحق ارسال النجديات العسكرية والذخائر الحربية ولما تم الامر المقصود للمارشال ييجو في بلاد الجزائر وتمهدت فيها الطاعة لدولته قدم استعفاؤه طلباً لراحة نفسه مما لحقه من اتعاب الحروب ومعاناة الخطوب مدة تزيد على ست سنين متوالية لم يسكن فيها روعه ولم يهدأ في سائر اوقاتها فكره فاجابته الى مطلوبه فترك الجزائر وسافر في الحادي والعشرين من جمادى الثاني سنة ثلاث وستين ومائتين والرابع من مائة سنة سبع واربعين وثمانمائة واقام الجنرال بار وكيلا فيها ثم ابدل بالجنرال بيدو وفي الخامس والعشرين من شوال والخامس تشرين اول جاءها الدوك دومال بن الملك حاكماً عاماً فضبط امورها واقام الجنرال لامورسير على ولايته في وهران وعين الجنرال بيدو حاكماً على قسنطينة والجنرال كافينناك على الجزائر ثم خرج ينفقد الحاميات والمسالح وخلال له الجو فلم يتعرض له احد ولله الامر من

قبل ومن بعد .

﴿ ذكر وقعة تافرسيت من بلاد الريف الغربي ﴾

قد تقدم ان عبد الرحمن سلطان المغرب الاقصى تعرض للامير باقامته في تخوم مملكته وطلب منه الخروج منها فتعافل الامير ولم يلتفت اليه فاغناظ لذلك وارسل الى الشيخ بزيان يامر به باستعمال الوسائل النعالة في اخراج الامير ودائرته من ايلة مراکش وكتب الى مشايخ بني يزناسن واهل انكاد ان يكونوا معه يداً واحدة في اخراجه منها وصورة ما كتبه اليهم

﴿ الحمد لله وحده ﴾

خدانا بني يزناسن واهل انكاد وفقكم الله وارشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا ان الامير عبد القادر نهض في قومه ومن انضاف اليه من اخوانكم الذي استنفرهم وخدمهم بتمويهه وابطاله حتى نزل بجماع الغروات على من بها من النصارى وعسهم ووقع فيهم وقتل جلهم ولم ينج منهم الا من فر بنفسه وما مراده الا اثاره الفساد وجلب الشر والفتنة للمسلمين كما جلبها لايالة الجزائر وغيرها حتى اوقعهم في الكفر والعياذ بالله وانقادوا بسببه لاستيلاء الكفار واسلموا انفسهم لاحكامهم وعاد عليهم شوئم فملء بالدين الذي لا يرضاه مسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد خدعكم باظهار الدين واحوال الصالحين وما في ضميره الا الفساد وايقاد الفتنة بين العباد ومن يتبعه على ذلك الا هو من الاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ونحن لا نكره الجهاد بشروطه ونكره ما يعود بالضرر والغلبة لجانب الاسلام ولكن هذا المشوئم اراد نقض ما اسسناه من الصلح الشرعي وايقاد الفتنة بعد اطفائها سعيًا في هضم جانب عزكم واساد دينكم ودنياكم وتكدير خاطرنا عليكم وانتم لا تشعرون فما نحن امرنا خائنا الا نجد الشيخ بزيان بالقيام على ساق الجد في اخراجه ودائرته من ايلتنا السعيدة طوعاً او كرهاً وحسم مادة فتنتهم وضلالهم فكونوا معه يداً واحدة وشدوا عضده على ذلك حتى يقضي الغرض ان شاء الله تعالى وكفوا اخوانكم عن متابعتة ونهوضهم عن مقاطعتة فان من قاطعه ونبتذ متابعتة فقد احاط نفسه ودينه ومن تبعه وشد عضده وكثر سواده فقد تعرض لسخط الله ورسوله وسخطنا لا ينجح له زرع ولا ضرع وقد اعذر من انذر اللهم اشهد وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وما عقدناه من الصلح مع العدو الكافر اسسناه على قواعد الشرع العزيز وبنيناها واقدينا

فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح كفار قريش صلح الحديبية حين صدوه
 عن البيت الحرام مع تدافع الصحابة وقوة عزمهم وقهر عدوهم ولم يكن ذلك غلبة وانما هو
 تشريع ولو شاء عليه الصلاة والسلام لامران ينكب عليهم الاخشبين حتى قال سيدنا
 عمر لرسول الله انعطى الدية في ديننا السنا على الحق وهم على الباطل فقال بلى فقال ابو بكر
 الله ورسوله اعلم وقد صالحهم على ان من فر اليه يرده اليهم ففر اليه ابو هريرة ليلة
 فرده اليهم وفاء بعهد وامضاء لعقده وكان هذا الصلح هو الفتح بعينه فحين برسول الله
 اقتدينا وبشريعته اهتدينا ونظرنا للمسلمين بما لم يضيقوا به رفقا بهم ليشتموا وتمتعوا في سعة
 وعافية ونحن على سنة الجهاد وعقده عارفون ما اعد الله لاهله من اجره فكيف يأتي هذا
 البداع يعلم احوال الجهاد واحكامه ونحن اعرف به منه وما ورد فيه وما اعد الله لاهله ولو
 رأينا الخير للمسلمين في غير الصلح ما ارتكبناه فلا يفيدهم الا ذلك فاسئلوا اهل العلم وما
 ورد في صحيح البخاري ومسلم في فضل الجهاد واحكامه والصلح واقسامه ليعلم حال عبدالقادر
 وجهله بالسنة وغيرها وان من تبعه فقد باء بالضلال والردى وحاد عن شريعة
 المهدي في الثالث من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ومائتين والف من المولى
 عبد الرحمن ابن المولى هشام . فضايق الامير لذلك ذرعاً ولم يجد بداً عن ان يحصي حوزته
 ويدوخ النواحي التي هو مقيم فيها فانذر واعذر واوعد وحذر ثم بطش باهل الفساد
 ومهد ما قرب منه من البلاد ومد يده الى اقامة الاحكام الشرعية فيهم واخذهم
 بالرهبة وبالغ في ذلك حتى لاذوا بالطاعة وتذرعوا بالخضوع فرال بذلك عن المهاجرين
 ما اهمهم وغمهم وادركوا من رخاء العيش وبعد الصيت ما حرك من سلطان مراکش
 السواك ووقعه في الخوف على ملكه ثم بلغه ان اهل فاس قاعدة مملكته وغيرهم من
 اهل القاصية بعثوا الى الامير يدعونه الى الاستيلاء على بلادهم واخذهم بنصرته فازداد
 غضباً وجهز قائده الشهير بالاحمر في عسكر كثيف لقتال الامير واخراجه من البلاد
 وكان في تلك المدة وصل الى حضرة الامير مولاي عبد الرحمن بن سليمان سلطان
 المغرب الاقصى السابق ليكون في جملة فلما بلغ الامير خبر القائد الاحمر استعد
 للدفاع عن حماه وكان وقتئذ نخيماً بين ارض بني توزين ومطالسه من قبائل الريف
 ولم يزل القائد الاحمر يطوي المراحل الى ان خيم بتافرسيت على مسافة مرحلة من
 الدائرة ثم بعث بعض لروءساء في شزيمة من الجيش يستكشف احوال الدائرة
 . يستطلع اخبارها ولما تراءى الرئيس لها ركب بعض فرسانها اليه فلما رأى الخيل
 قد اقبلت عليه امتلاً قلبه رعباً ورجعوا الى معسكرهم لا يلوي احد من على الآخر

وقبض على عدة خيالة منهم ثم ان الامير بعث الى القائد يدعوه الى المسالمة ويعتذر اليه بالعجز عن الخروج بضعف المهاجرين الى الصحراء لبعده المسافة ويظهر له سلامة صدره ويؤكد له انه لا يخطر في باله ما بلغ السلطان عنه ~~وانه~~ ^{وانه} ولا يريد الا العافية واقامة المهاجرين تحت انظار السلطان فلم يجده ذلك نفعاً وابتى القائد الا الخروج او اقتال فحينئذ اخذ الامير حذره منه واستعد للمدافعة عن الاهل والاولاد ثم بداله في مراجعة القائد ثانية فبعث اليه يقسم بالله تعالى انه ما اضمر للسلطان شراً قط ولا سعى في افساد القلوب عليه ثم حذره من قتال المسلمين المهاجرين في ارض لا تنالها الاحكام منذ احقاب فابي الا باجراء ما جاء لاجله وامر بتنفيذه فلما راي الامير انه لا محيد له عن المدافعة والنصوص الشرعية موافقة له بادر الى الاخذ بالاحتياط ثم اختار من فرسانه مائتي فارس وسار بهم غازياً على العدو وهو في تافرسيت فصبحه واستولى على معسكره بما فيه وهجم بعض رؤساء جيشه على القائد فقتله واحتز رأسه وجيء بجريمه واولاده الى الدائرة وبعد مدة عين الامير لهم حرساً وارسله معهم فواصلهم الى فاس وقد قدر ما كان في المعسكر من المتاع والخيام والكراع والمهمات الحربية بالوف من الليرات وكان من جملة تلك الامتعة البسة فاخرة جاء بها القائد ليفرقها في رؤساء القبائل اذا اعانوه على الامير وقاموا بصرتهم فنقط في يده وخاب امله واهتز المغرب الاقصى لهذه الواقعة وخطأ الشعب سلطانه ونقموا عليه حيث بعث جيوشه لقتال المسلمين المهاجرين الذي التجأوا الى بلاده طالبين حمايته لهم من عدوه وعدوهم

❖ ذكر واقعة بني عامر في نواحي فاس ❖

لما ترك المهاجرون من بني عامر الدائرة ووقع بينهم وبين ابن التهامي خليفة الامير عليها بدسائس الخليفة السيد محمد البوحدي وارتحلوا الى فاس مغاضبين فاکرم سلطان المغرب نزلهم وقطعهم ارضاً تشتمل على محرت عظيم وبسائط خصبة فاستوطنوها ولما رجع الامير من الجهة الشرقية الى الدائرة اشربت نفوسهم الى الرجوع واقاموا ينتظرون سئو الفرس فلما تمكن الاير في ارض الريف وثبتت قدمه فيها اعتزموا على الرحلة الى سيدهم وولي نعمتهم وكتبوا اليه ان يراقبهم في بلاد مكناسه فاجابهم الى ذلك وارتحل بدائرته الى كرت قريياً من جبل كلعيه ثم سار في نخبة من فرسانه الى بلاد مكناسه وكان بنو عامر ارتحلوا مشرقين ففطن بهم جيرانهم من اهل الوطن فظيروا الخبر الى سلطانهم فسير

في اثرهم جيشاً كثيفاً من الشرارده عليهم القائد ابراهيم بن احمد الاكل ونا نزل
بساحتهم ارسلاوا الى ريدسه يقولون نحن قوم خرجنا من دائرة اميرنا لامر افضى ذلك
والآن اردنا الرجوع الى اخواننا واهلينا فلا سبيل لكم الى منعنا شرعاً ولا قانوناً فما كان
جوابه الا انه اغار عليهم فدافعوه يوماً كاملاً ثم كاترهم الجيش وحشود اهل الوطن
واحاطوا بهم احاطة السوار بالساعد فاعنصموا بربوة وجعلوا يقاتلون عن حريمهم وكانوا
رماة لا تسقط لهم رصاصة في الارض فكلموا توجهت اليهم طائفة من الجيش استاصلوها
بالرصاص وكانوا يجمعون موتاهم فينصبونهم اشباراً ينترسون به ويقاتلون من خلفه ولما
اعى الجيش امرهم حملوا عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم في معتصمهم وجدالوهم بالسيوف
وطاعنوهم بالرمح والتوافل وانقطع البارود فكانوا يقتلون بناتهم ونساءهم بايديهم فراراً
من السبي والعار ثم جعلوا يقتلون انفسهم حين تحققوا انهم في قبضة الاسر ومن بقي منهم
من النساء والاولاد اخذهم المرأكشيون وباعوهم في اسواقهم بالبخس ثمن وباوا بها شنعاء
الى آخر الدهر لانهم استحلوا دماء قوم مؤمنين مؤمنين باذلين انفسهم واموالهم في
سبيل الله لاعلاء كلمة الدين لم يدخلوا بلاد هذا السلطان حتى اذن لهم وامنهم واجارهم
فليت شعري بماذا استحل دماءهم على ان الشارع حرم قتل المؤمن من الحربين فكيف
به اذا كان من المؤمنين اما سمع قوله عليه الصلاة والسلام كل المسلم على المسلم حرام
ماله وعرضه ودمه حسب المرء من الشرك ان يحقر اخاه المسلم اما بلغه ما روى ابن المبارك
عن حمزة بن عبيد ما يحل لمؤمن ان يشند على اخيه بنظرة تؤذيه وغاية ما اقول « لقد
تعدى » وعند الله تجتمع الخصوم ولما اتصل الخبر بالامير وهو يخيمه في بلاد مكناسه
رجع الى الدائرة ووجد قبيلة كعبه اغاروا على كراع الدائرة فاخذوا منه عدداً وافراً
فاسرها بنفسه وبعد ان اقام للراحة اياماً ارتحل بدائرته ونزل على قبيلة كعبية وبعث
اليهم يرد ما اختطفوه من الدائرة فابوا ذلك واصروا على بغيتهم واعندائهم فحينئذ سار اليهم
في جموعه فاتخن فيهم بالقتل والاسر واذاقهم شديد النكال ورجع الى دائرته وكان
اكثر الاسرى من اعيانهم فنعيدوا برد جميع ما اخذته قبيلتهم من الدائرة وبعد الوفاء
بذلك اطلق سراحهم واشتهرت هذه الواقعة فكانت من اعظم الوسائل لردع الذعار والغوغاء
من القبائل الغربية من منازل الدائرة وبعد مدة انتقل الامير الى زاو وهو موضع مطل
على سهل تريفه فجاء محمد بن عبد الرحمن رئيس قبيلة الاحلاف وفارضة في بعث احد
خلفائه الى حضرة سلطان مراکش ليعتذر اليه ويسنعطف قلبه فاجابه الى ذلك وعين
لهذه السفارة خليفته البوحميدي فسار معه الرئيس المذكور الى فاس فلم يحتفل به

السلطان ثم التي القبض عليه وبعد ايام قلائل اتلفه بسم اكرهه ناظر الحبس على شربه
فمزق اعضاءه ولما اتصل الخبر بالامير علم ما في نية صاحب المغرب من جهته قال بعضهم وبما
فعله سلطان المغرب بالخليفة البوحيمدي يؤس الامير من مواصلته واعانته على عدوه وتبين
له انه امسى وحيداً لا نصير له غريباً لا وطن له ومع ذلك فانه لم يلحقه جزع ولم ينله
ضجر ولم يكن عنده وقتئذٍ من الجيش سوى التي مشاة والف ومائتي فارس وهم من
الابطال الذين شاركوه في اقتحام الشدائد وصبروا معه على مقاساة الخطوب والمكاره
ولازموه في جميع مدته التي اظهر فيها من الشجاعة والاقدام ما بهر الافكار وخلد له الذكر
الجليل مدى الدهر والاعصار وهم الذين عملوا باشاراته وفازوا في خاتمة امره
بصالح دعواته .

❖ ذكر آخر الوقائع في المغرب وما آل اليه امر الامير بعدها ❖

لما استحسنت العداوة بين الامير وصاحب المغرب وقوى ما عنده من الاحن
والنغائين وبلغه ما لحق الامير من الضعف وقلة العدد والعدد جهز ولديه محمداً
وهو ولي عهده واحمد في خمسين الف مقاتل وسيرهم اليه في الثاني من المحرم سنة
اربع وستين ومائتين والعاشر من دسدر سنة سبع واربعين وثمانمائة نرلاً بجيشها
في قاعة سلوان على مسافة ثلاث ساعات من الدائرة فرأى الامير ان يبادرهم
بالحجوم وياخذهم بالرهبه قبل ان يزحفوا اليه فجمع جيشه وشد عزائمهم واخبرهم بما
عزم عليه من مهاجمة العدو فنشطوا لذلك وبايعوه على الثبات معه الى الموت و اشار
بكيده يستعينون بها على ارباب العدو فاحضر جملين وشد على كل منهما حزميتين من
الحلفاء بعد ان لاشوها بالقطران والزفت وامر ان يكون ايقاد النار في الحزميتين
مقارناً للحمل على العدو في ليلة الرابع والثاني عشر من الشهرين المذكورين سار
الامير بجيشه قاصداً سلوان ولما قرب منها رتب جيشه للهجوم وامر بتقدم الجملين
امام الجيش ثم اضمرت النار في الحزميتين فنفر الجملان وذهبا بجوسان خلال خيام
العدو وحمل الجيش بعدها حملة رجل واحد فما راع القوم الا مشاعل النار تجول
بين الخيام وامطار الرصاص تنزل عليهم من حيث لا يحنسبون فلم يسعهم الا الفرار
وترك الخيام بما فيها من الامتعة والمهمات واستمر الامير وجيشه على هجومهم من غير
ان يلتفت احد منهم الى الغنيمة حتى انتهوا الى سرادق اولاد السلطان فوجدوا
العسكر قد احاطوا به واتخذوا الظهر والاثقال وقاية لهم من الرصاص واشتد القتال

على السرادق من نصف الليل الاخير الى ان لاح الفجر فحينئذ تاخر الامير بجنده
ونزل غير بعيد من منازل العدو وبعد ان صلى الصبح ركب راجعاً الى الدائرة
بعد اتخن فيهم وفرق جمعهم وفعل بهم الفعائل حتى انه لم يبق مع ولي العهد
واخيه الا حاميتها وقد استولى اقتل على اكثرها وفي وقت الظهر تراءى للامير
جيش اكثرهم من اهل الوطن مغيرين في اثره يطلبونه فعطف عليهم في نحو المائتي
فارس فكسرهم مع كثرتهم وشدت شملهم ولا زالوا منهزمين لا يلوي احد منهم على
احد الى ان دخلوا معسكرهم ثم انقلب راجعاً الى الدائرة وارتحل بها من زاو مع نهر
ملوية ونزل بالقرب من مصبه في البحر واقام العدو في سلوان الى ان تراجع من جموعه
من فر الى الجبال القريبة منه واما الذين ابعدها المراء فاستمروا على فرارهم الى مواطنهم
وارسل في جبل كعية وكيدانه ومن قاربهم من قبائل البربر وعرب تريفه حاشرين
فانتالوا اليه افواجاً افواجاً معتذرين اليه في تخلفهم عنه حتى وقع بجموعه ما وقع من قوم
غرباء لا ناصر لهم وبعد ان استكمل تعبته ارتحل من سلوان ونزل بزايو فاتصل الخبر
بالامير فاجاز بدائرته النهر ونزل بالعدوة الشرقية منه ثم جاء العدو فنزل في منازلها
الاولى في العدو الغربية فامر الامير ان ترتفع الدائرة الى ناحية عجرود وعين العسكر
المشاة لمحافظةها وبقي فبين معه من الفرسان ووقع المصاف على النهر وكان شائلاً وليس
في تلك الجهة الا مجاز واحد فلما هجم العدو غرق منهم خلق كثير بخيلهم والذين
اصطفوا على ضفته الغربية اشتد القتال بينهم وبين الامير كل من ناحيته واضطرت
نار الحرب وكثرت القتلى والجرحى من الجانبين واستمر القتال على النهر ساعات ثم تقدمت
حشود البربر من اهل الوطن الى المجاز فجازوا منه واتبعهم العدو واخذت الجيوش
وخاض بعضهم في بعض والتحموا وكثر القتل قعصاً بالرماح وطعناً بالسيوف وكان
القائد الشهير محمد بن يحيى قد استشهد في تلك المعركة بعد ان ابلى بلاءً حسناً فاخذ
مصافه واصيب فرس الامير فوق من تحته وركب غيره وتكاثر العدو فترشح الامير
عن النهر وصار القتال في السهل مناوشة ثم اصيب فرس الامير الثاني فنزل عنه
وركب ثالثاً فاصيب ايضاً وركب رابعاً ولما تولى النهار اقبلت جموع بني يزناسن
وغيرهم من الوطنيين نجدة لولدي السلطان فحمل الامير عليهم حملة صيرتهم فرقاً
وملأت قلوبهم رعباً وما زال يوالي الكر عليهم الى ان ردهم الى النهر ثم انصرف
وقد ايقن بانتشار سلكه وذهاب ملكه فاحقه العدو في الكتاب العديدة من
الميمنة فانكشف جنده لقلته ونفاد ما بيدهم من البارود واخذ الامير باعقابهم

يدافع عنهم فكان رداً لهم الى ان انتهوا الى عجرود ثم مال العدو الى الدائرة فدافعه العسكر المشاة بقوة وثبات الى ان اجازت الاثقال والحريم والاولاد وادي عجرود وقد قتل من العسكر في تلك العشية نحو المائة واسر مثلها واستمر الامير سائراً باهله وخاصته تلك الليلة مانعاً لحوزته دافعاً للذل بعزته الى ان بلغ جبل بني خالد من بني يزناسن ودخلت الدائرة وفيها بعض اخوته واقاربه في ارض الفرنسيس وبهذا انتهت خاتمة المحن وانطفت نار الحروب والفتن

هذا الذي سبق القضاء به والدهر في الانسان ذودول

ما قرّ في ايدي قوابله حتى اذيق الصاب بالعسل

وكان الجنرال لا مورسير حاكم ولاية وهران لما بلغه سوق صاحب المغرب جموعه على الامير سنار من وهران في نحو الخمسين الف جندي الى الحدود الغربية ليراقب اعمال المراكشية ويمنع الامير من التخطي الى الصحراء فحيم في عطيه من ارض مسيرده على مسافة بضع ساعات من وادي عجرود واقام هناك الى ان انتهى الامر بين الامير والمراكشية ولما اتصل به خبر دخول الدائرة في ارضهم بعث من قواد جيشه من ينظر في امرها ونصب العيون على الامير وفرق الجيوش فيما بين بني يزناسن ومعسكره وربط عليه الطرق حتى لا يتخطى تلك البلاد الى الصحراء وكان المطر سحاه متصلاً بالليل والنهار وعميت عنه اخبار الامير فاضطرب لذلك واربتك في امره وخشي ان يفوته ما خرج لاجله واما الامير فانه لما وصل الى بني خالد نزل على استاذهم الشيخ مختار بودشيش في بلده تفجيرت وكان قبل ذلك من اصدقاء الامير فظن فيه انه يقوم بشأنه فاذا به رأى منه ما انكره وبلغه عن قومه ما اندره وحذره وتبين له انهم داخلون في الجملة المنخرفة والذئبة المتطاعة الى الغالب جرت عادة الله في ارضه بذلك فلم يسعه حينئذ الا النظر في امره وانتهاز الفرصة في خلاصه من مكائد العدو ومكره فجمع خاصته وذويه وقال يا قوم ان الاحوال كما ترون والاخبار على ما تسمعون فما الرأي وما الحيلة فقالوا الراي لسيدنا فالذي يراه نحن معه فيه فقال لا ارى الا التسليم لقضاء الله تعالى والمرضى به واقعد اجهدت نفسي في الذب عن الدين والبلاد . وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر منها والباد . وذلك من حين اهتز غصن شبابي . وانتزع عن شباة الهندي ذلي واقمت على ذلك ما ينيف على سبع عشرة سنة اقتحم المهالك . واملاً بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك . استحقق العدو على كثيره واستسهل استصعابه . وتوغل غير خائف اودينه

وشعابه . وأرتب له في طريقه الرصائد . وأنصب له فيها المكائد والمصائد . تارة
انقض عليه اتقضاض الجارح . واخرى انصب اليه انصباب الطير الى المسارح . وكثيراً
ما كنت اينته فافنيه . واصبحه فابرد غليلي منه واشفيه . ولا زلت في ايامي كلها
ارى المنية ولا الدنية واشمر عن اقوى ساعد وبنان . واقضي حق الجهاد بالمهند
والسنان . الى ان فقدت المعاضد والمساعد . وفي الطارف من اموالي والتالد .
ودبت الي من بني ديني الافاعي . واشتملت علي منهم المساعي . والآن بلغ السيل
الربى . والحزام الضنين . فسبحان من لا يكيد كائد . ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد

ان يسلب القوم العدا ملكي وتسلمي الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
اجلي تاخر لم يكن يهواه ذلى والخضوع
ما سرت قط الى القتا ل وكان من اهلي الرجوع
شيم الاولى انا منهم والاصل تتبعه الفروع

فاستكان القوم لهذا الخطاب وتذكروا ايام الله فيهم وانما يتذكر اولو الالباب ثم اخذوا
يتداولون الراي بينهم الى ان قر القرار على ان يكون التسليم الى الفرنسيس ثم ان
الامير عاجله الحال ان يكتب كتاباً في ذلك الى الجنرال لامورسير رئيس الجيوش
الفرنساوية فبعث رسولاً من حاشيته ليخبر الجنرال باللسان ولما وصل الرسول الى
مناصب كيس وجد الدائري الشهير بابن خوبه بالمرصاد فاطلعه على الامر وسار معه
في لمة من خيله الى المعسكر الفرنسي فبلغ الرسول الرسالة الشفاهية الى الجنرال
فاهتز لذلك سروراً وبادر بيمث سيفه الى الامير مع ورقة ختمها بختمه على بياض
ليشترط الامير ما اراد وارسلهم صحبة ابن خوبه وفي الوقت نفسه كتب الى
ملكه اني بهذه الدقيقة ممتطياً جوادتي للذهاب لدائرة عبد القادر ولا يوجد عندي
فرصة لابعث اليكم بنسخة التحرير الذي اخذته منه اوجوابي له ويكفي ان اقرر
باني قد اتفقت معه بانه هو وعائلته يذهبان الى عكا او الاسكندرية وهذان لمحلان
هو الذي عينهما في شروطه وصادقت عليهما واني ملتزم بان اقوم بما اشترطه وقد
عملت ذلك بكامل الاعتقاد من ان جلالتم والحكومة تصادقون عليه ما دام
عبد القادر اعتمد على قولي وخطي وبعث البريد الى الدوك دومال ابن الملك حاكم الجزائر
فارتاح لذلك وركب من حينه بارجة وجاء الى مرسى جامع الغزوات ولاول وصوله اليها
بعث الى الجنرال يخبره انه قد وافقه على قبول ما اشترطه الامير وامره ان يزيده في ذلك

تأكيداً ويعطيه ميثاقاً غليظاً يطمئن به قلبه والامير وان كان في حالة يأس الا انه
 لقوة جاشه وصبره لم يظهر اليأس والجزع واظهر غاية التربص والتأني ولذلك ترددت
 الرسل بينه وبين الجنرال في ربط الميثاق واحكام العهد ثلاثة ايام بلياليها وبعد ان تم
 الامر بينهما على شروط منها ان يحملوه مع جميع عائلته الى عكا او الاسكندرية وان
 لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر وان الذي يبقى منهم في الوطن
 يكون آمناً على نفسه وماله ثم سار الامير باهله وخاصته واتباعه من تفجيرات قاصداً المرسى
 حيث ان ابن الملك والجنرال لامورسير والجنرال كافنيك ينتظر ونه فيها وعند ما وصل في
 طريقه الى مقام المرابط سيدي ابراهيم وهو الموضع الذي كان الامير انتصر فيه على
 جنود فرنسا ووقع بهم الوقعة الشهيرة منذ سنتين قبل ذلك وجد الكولونيل مونتبان في
 خمسمائة فارس ينتظره فواجه الامير بكل اعتبار واحترام وبعد ان نزل الامير وصلى
 في المقام ركعات ركب وسار في ذلك الموكب الى ان قرب من مرسى الغزوات فاستقبله
 ابن الملك وفي معيته الجنرال لامورسير وغيره من القواد والاعيان في الابهة والاحترام
 وبعد ان استقر بهم المجلس قال الامير لابن الملك هذه الساعة التي قدر الله تعالى ان
 يكون فيها ما نحن فيه الان وقد اخذت على الجنرال لامورسير عهداً وميثاقاً فلا اخشى
 ان ينقضه ابن ملك فرنسا وعظيماً فاجابه الدوك ابن الملك بما يوافق قول الجنرال وبثبت
 عهده ثم قام الامير وقدم له سيفه وقال له اني احسب هذا شرفاً قدم لفرنسا وغراً عظيماً
 حصل لها وفي غد تلك الليلة توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنسية المقبلة من مخيمها الى
 جامع الغزوات وعند رجوعه تلقاه الامير على جواده الادمم وبعد ان نزل عنه اهداه اليه
 مع طبائجنه وساعته فقبلهم ثم اجتمعا اجتماعاً مخصوصاً جدد فيه ابن الملك العهد للامير
 وزاده وثوقاً واهدى للامير ايضاً طبائجنه وساعته ثم سأله عمّن يرافقه في غربته الى المشرق
 فسمى له اهله واولاده وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي والسيد قدور ابن علال وغيرها
 من حشمه واتباعه في مائتي نفس قال بعض مؤرخيهم ان مما يجب الحيرة ويستحق
 التعجب ان عسكر الامير عبد القادر كاد ان يصل عدده الى الفين من الخيالة وعشرة
 آلاف من المشاة وقد قاوم به جيشاً عظيماً من جيوش اكبر دولة من دول اوروبا يبلغ
 عدده مائة الف وستة الاف ما بين فارس وراجل مدة ست عشرة سنة واعجب من ذلك
 انهم كانوا يدخلون في معسكرنا ويقاتلوننا من وراءنا ومن ميمتنا وميسرتنا ويهربون في
 الوقت الذي نتصور به القبض عليهم باليد والعجب كل العجب انهم كانوا يتعبون
 عسكرنا بتجاوزاتهم الدائمة ويظهرون بالامنية التامة غير مباينين بما كان ولا مهتمين بما

سيكون فليت شعري بماذا يجاب من سأل عن الفرق بيننا وبينهم ومن الذي يستحق المدح
 منا ومنهم أه قال الاديب صاحب الجامعة بعد ذكر ترجمة الامير في مشاهير المتقدمين
 والمتأخرين فلا يسع المؤرخ الشرقي غير الوقوف بازاء عظمتهم متفكراً وباسباب سقوطها
 معتبراً لان الصراع بينه وبين الجنود الفرنسية كان بين مبدئين لا بين قوتين
 حرييتين احدهما استقلال الممالك الشرقية والثاني اطماع اوروبا الاستعمارية غير ان قوة
 الطمع زعزعت استقلال الشرق واستشعرا هله انهم مطحونون برحاه فازداد بأسهم ولو
 قوى المبدأ الاول لقوى رجاءهم وزاد بأسهم وليت شعري ما يقول المؤرخ الغربي بعد
 امعان النظر في دولة احكم اساسها منذ الف واربعائة سنة فقد استولت على مستعمرات امير
 عمر دولته سنة بعد ان قهر رجالها وابدأ ابطالها واشغلها خمسة عشر عاماً الى ان اراد
 الله انفاذ ما قدره وقضاه عاضداً اقرانه وساعداً عليه جيرانه فاستسلم لقضاء مولاه وسلم
 اليها نفسه برضاه على شروط موقع عليها من الجانبين وهذا هو سبب انهدام ملكه فليت
 شعري من يمدح ومن الذي يطعن فيه ويقدم وينبغي لكل شرقي وقف بقبر هذا
 الامير ان يخضع لعظمته ويرغ وجهه في تربته ويعلم ان هذا الاسد الريال محط رحال
 الآمال والانضال

سقى الرحمن قبراً حل فيه امير بالمفاخر لا يضاها
 همام قد حمى الاوطان مما دهاها واقنذى باييه طاها
 به قرّت عيون الشرق نفراً واهل الغرب ما بلغت مناها
 ولكن الاله قضاء ماض وكيف ترد اشياء قضاها

وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية وهي الجزء الاول ويليها الجزء الثاني في
 سيرته العلمية والله ولي التوفيق



فهرست

❖ الجزء الاول من تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر ❖

❖ واخبار الجزائر ❖

	صفحة
خطبة الكتاب	٣
المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب	٧
ذكر حدود بلاد الجزائر ومساحتها وما اشتهر فيها من المدن والجبال والانهار وصنوف نباتها وثمارها وصناعات اهلها وما يوجد فيها من الحيوانات والمعادن	٩
ذكر ابتداء عمران المغرب وحوادث دول الاشراف والعرب والبربر فيه	١٩
ذكر البربر وشعائرهم	٢١
ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر	٢٢
ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى	٢٩
ذكر بني الاغلب امراء تونس	٣٣
ذكر دولة الادارسة بالاندلس	٣٤
ذكر دولة العبيديين وهم الفاظميون	٣٦
ذكر دولة المرابطين	٤٠
ذكر دولة الموحدين	٤٣
ذكر دولة بني مرّين	٤٧
ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرّين	٥٠
ذكر دولة السعديين	٥١
ذكر امارة الشبانان من عرب المعقل	٥٥
ذكر دولة السجلماسيين	٥٦
ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد	٥٦

	صفحة
ذكر دولة الخفصيين امراء تونس	٥٩
» الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية	٦٠
» فتح مدينة وهران	٧٣
» غير ذلك واخبار محمد بن الشريف الثائر على ولاية وهران	٧٥
» اخبار ابن الاحرش وغير ذلك	٧٧
» قيام السيد محمد التيجيني	٨٠
» ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال	٨١
» تسلط الفرنسيس على مدينة الجزائر	٨١
» المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنسيس بورمون وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والفس هجرية والخامس من يولييه سنة ثلاثين وثمانمائة والفس ميلادية	٨٤
» اخبار الفرنسيس بعد استيلائهم على الجزائر	٨٥
» خروج الماريشال بورمون الى البليدة ورجوعه مهزوماً وما جرى بعد ذلك من الحوادث	٨٦
» حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيس على مدينة الجزائر	٩٠
» واقعة خندق النطاح الاولى وفيها مقصورة الامير	٩٢
» واقعة خندق النطاح الثانية	٩٤
» واقعة برج راس العبن	٩٥
» البيعة الاولى لسيدي الوالد	٩٦
» البيعة الثانية العامة	١٠١
» تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك	١٠٣
» خروج الامير لتمهيد البلاد وما جرى بعد ذلك من الحوادث	١٠٤
» غزوة فليته وما اتصل بها من الحوادث	١٠٤
» استيلاء الفرنسيس على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم وغير ذلك من الحوادث	١٠٨
» رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخابرة مع الامير واظهار رغبته في السلم	١١٣
» ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية	١١٤

صفحة	
١٢٠	ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به
١٢٥	« القوانين وهي اربعة وعشرون قانوناً
١٣٠	الخاتمة في انواع الجزاء
١٣٣	رسم احد خيالة جيش الامير
١٣٤	رسم احد عساكر الامير
١٣٥	صفة هيئة المعسكر وترتيبه في السفر
١٣٦	صفة رحيل المعسكر ونزوله
١٣٦	ذكر خروج الامير لتمهيد البلاد
١٥٠	« انتقاض المعاهدة
١٥١	« وقعة المقطع وهزيمة الجنرال تريزيل وعزله وغير ذلك من الحوادث
١٥٤	رسم الامير وحملته على الفرنسيين
١٦٠	ذكر مسير المارشال كلوزيل وولي العهد من الجزائر الى وهران واستيلائهما
	على عاصمة الامير وخروجهما منها
١٦٢	« خروج بوشناق التركي الى الحضرة ورجوعه الى مستغانم
١٦٣	« واقعة واصل في نواحي تلمسان
١٦٤	« مقتل الخليفة ابن فريجة وولاية السيد مصطفى بن التهامي على الحضرة
١٦٤	« خروج كلوزيل من وهران الى تلمسان وما آل اليه امره في تلك النواحي
١٦٦	« ولاية الجنرال بيجو على وهران وخروجه الى تلمسان
١٦٧	« حصار الامير تلمسان
١٦٨	« مسير كلوزيل الى قسنطينة وهزيمته ثم عزله عن الجزائر وحقه بفرنسا
١٦٩	« البعوث الى الثغور
١٧٠	« انعقاد الهدنة
١٧١	« ولاية الجنرال دو مرمون على الجزائر والجنرال بيجو على وهران
١٧١	« انعقاد الصلح وما جرى في شأنه من المخايرات والمحاورات
١٨٠	رسم اجتماع الامير مع الجنرال بيجو
١٨٤	رسم مدينة تلمسان
١٨٥	ذكر ظهور محمد بن عبد الله البغدادي في جنوب ولاية تيطرى وقيام محمد

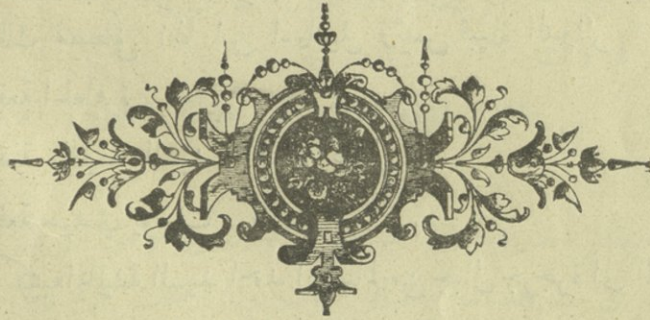
ل
٤
٥

ابن عوده المخناري بدعوته

- ١٨٦ ذكر خروج الامير الى الجهة الشرقية وهزيمة محمد البغدادي ومصير امره
- ١٨٩ رسم المدينة
- ١٩٢ غزوة وادي الزيتون
- ١٩٣ ذكر خروج الجنرال دومريمون الى قسنطينة ومقتله واستيلاء عساكره عليها
- ١٩٥ « استيلاء الامير على بلاد الزيبان وخطيف وما اليهما من البلاد الجنوبية والشرقية
- ١٩٦ « خروج التيجني في حصن عين ماضي من بلاد الاغواط ومسير الامير اليه
- ١٩٩ « المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العلية وترتيب الاحكام وشؤونها
- ٢٠٣ « احتفال الامير للمولد النبوي والعيدين
- ٢٠٤ « ما شاهده الامير من الحصون وما انتهى اليه عدد العسكر النظامي مشاة وركباناً
- ٢٠٦ « توجيه السيد ابن عبدالله سقاط وفداً الى سلطان المغرب الاقصى وما ارسله معه من الاسئلة الى علمائها وما اجاب به شيخ الاسلام الامام التسولي
- ٢١٧ « ما وقع فيه الخلاف بين الامير والمارشال من مسائل معاهدة تافنا وما آل اليه الامر في ذلك
- ٢٢١ « خروج ابن علال خليفة الامير على مليانة لتحصيل الاعانة والزكاة من الاعراش
- ٢٢٢ « توجه ناظر الخارجية ابي محمد الحاج المولود بن عراش الى باريس
- ٢٣٣ « ما جرى بعد هذا من اشهار الحرب والمراجعات فيه وما آل اليه الامر بعد ذلك
- ٢٣٧ « بدىء الحرب
- ٢٣٨ « غزوة متيجة
- ٢٣٩ « وقعة ابي بهير ووقعة بوفاريك
- ٢٣٩ « غزوة مستغانم
- ٢٣٩ « خروج حاكم الجزائر الى المدينة وصدّه عنها
- ٢٤٠ « مسير فرنساوية الى مرمى شرشال

صفحة	
٢٤٠	ذكر وقعة موزاية
٢٤٢	ذكر مسير فرنساوية الى مليانة
٢٤٥	ذكر احوال فرنساوية بعد الحروب السابقة
٢٤٩	ذكر عزل المارشال فالالا عن الجزائر وتولية الجنرال بيجو في مكانه
٢٥١	ذكر سوالات وجهها الامير الى قاضي فاس
٢٥٢	ذكر الاجوبة
٢٥٤	ذكر ما تكلم به الجنرال بيجو في المجلس الحربي في مدينة الجزائر
٢٥٦	ذكر مسير الجنرال بيجو الى مليانة وهزيمته في رجوعه منها
٢٥٨	» ما كتبه الامير عبد القادر الى المارشال بيجو
٢٥٩	» مسير المارشال بيجو الى ولاية معسكر
٢٦٣	» مسير المارشال بيجو الى تلمسان
٢٦٨	» ما كتبه الامير جواباً عن سؤال قدمه اليه بعض الاعيان من خواصه
٢٧٧	» دخول الامير الى ارض متيجة الغربية وانتصاره على القبائل المنتصرة هناك
٢٧٨	» ما اجراه الجنرال بيجو لمنع دخول الامير الى نواحي الجزائر
٢٧٩	» واقعة طاكين
٢٨١	» مهلك مصطفى آغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة الدوائر
٢٨٢	» واقعة الجعافرة
٢٨٣	» واقعة الخليفة السيد محمد ابن علال
٢٨٤	» واقعة سيدي يوسف
٢٨٦	» ما كتبه الخليفة السيد احمد ابن سالم من جبال جرجرة الى الامير وما اجابه به
٢٩٠	» خروج بيجو من الجزائر الى جبال زاووة
٢٩٠	» مسير بيجو الى الجهة الغربية وما جرى بينه وبين حاكم وجدة ابن الكناري
٢٩٣	» واقعة الغزوات
٢٩٤	» واقعة تموشنت
٢٩٦	» ابي معزة التائر وما آل اليه امره
٢٩٧	» اعمال الجنرال بيجو بعد رجوعه الى الجزائر في المرة الاخيرة وما آل اليه الامر
٣٠٠	» واقعة نهر يسر وما آل اليه امر الامير ورجوعه الى دائرته

- ٣٠٦ ما كتبه الامير الى علماء مصر من الاسئلة
 ٣٠٩ جواب الشيخ عيش عن الاسئلة
 ٣١٣ ذكر نكبة ابي معزة ووقوعه في قبضة الفرنسيين اسيراً
 ٣١٤ تسليم الخليفة السيد احمد ابن سالم الى الفرنسيين
 ٣١٦ استعفاء المارشال بيجمون ولاية الجزائر وسفره الى فرنسا
 ٣١٧ واقعة تافرسيت من بلاد الريف الغربي
 ٣١٩ واقعة بني عامر في نواحي فاس
 ٣٢١ ذكر اخر الوقائع في المغرب وما آل اليه امر الامير بعدها



❖ بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب ❖

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
القلمية	العلمية	١٢	٠٧
القطعة	القطعة	١٧	٠٨
وبسيطه	وبسيطة	٠١	١٠
للمملكيتين	للملكتين	١١	١٠
اشيدت	شيدت	٠٢	١٢
الجدار	الجداو	٠٦	١٣
النواحي	النواي	١٣	١٤
محلها	محلهم	١٦	١٥
النخيل لكثرتة فيها	النخيل فيها	١٠	١٦
بناهما	بناها	١١	١٦
تنيره	تنيرد	٢٠	١٦
آدوغ	اودغ	٢٧	١٦
التل	التمتل	١٠	١٧
كالمه	كلمه	١٢	١٧
الذرو	الزرو	٢٥	١٧
ونقل	ونقل	٠٥	٢٣
صقلية	صقلبه	١٥	٢٣
سوس	السوس	٠٤	٢٤
البيشار	البشار	٢٧	٢٤
املغار	ملغار	٠١	٢٥
ومن	ومنء	١٢	٢٦
اليغرني	اليغرني	٢٧	٢٧
المصامد	المعامد	٠٣	٣١
في خطته	في خطة	٢٢	٣١

صواب	خطا	سطر	صحيفة
العبيد بين	العبيد بين	٢٥	٣٢
يغص	يغض	٢١	٣٣
ابن	من	٠٥	٣٤
مجدل	مخذل	١١	٣٥
لمتونه	لمتونة	١٠	٤٠
غزاته	غزواته	١٨	٤٢
المعروف	لمعروف	١٩	٥٠
تاودنت	تاورتت	١٣	٥١
تيلمست	تبلمست	١٦	٥١
بسلا	بسلى	٠٧	٥٥
السمالى	السمارالى	٠٧	٥٥
واخلافهم	واخلافهم	١٣	٥٦
من عرب	عن عرب	١٤	٥٦
حروب	وحروب	١٧	٥٦
وارتحلوا	واتحلوا	١٩	٥٧
وبشره	ويسر	٠٨	٥٨
الهنثاني	الهنثاني	١٥	٥٩
تيسوادى	ينسوادى	٠٨	٦٢
نازعا	نازعا	٠٧	٦٣
قسطنطينه	قسطنطينيه	١٣	٦٧
النجون	النجون	٠٧	٧٢
جرت	حرب	٠٤	٧٤
محمد	محمود	١٥	٧٤
وجعه	وجعة	٠٣	٧٥
البرلقتال	البرنقال	٠٧	٧٦
في معيته	في معيشه	٢٤	٧٧
مزرالك	مرزالك	١٣	٨٦

صواب	خطا	سطر	صحيفة
الجزائر	الجائر	٢٠	٨٦
في القيطنة	في القيطينة	٢٦	٩١
ثمان	مراراً	٢٢	٩٢
عراها على النوى	دعاها الى النوى	٢٦	٩٢
غيب	غياهب	٢٧	٩٢
فتمن	فانا	٠٩	٩٣
ونحن	وانا	١٦	٩٣
لهم	لها	١٧	٩٣
ثمان	مراراً	١٩	٩٣
قد شوى	يشتوي	٢٤	٩٣
القيطنة	القيطينة	١٥	٩٤
اتكالي	الاتكالي	١٧	١٠١
حيص ويص	حيص وييص	١٦	١٠٢
وجاعة	وجعة	٢٤	١٠٢
عيشهم	عيشهم	٠١	١٠٥
رتب	تب	١٦	١٠٥
راسلوه	ارسلوه	٠٨	١٠٩
من مسركين	في مسركين	١٨	١٠٩
فيئتهم	فئتهم	١٨	١٠٩
في الحرب احلى لا ذاتنا	في الحرب لا ذاتنا	٢٣	١١١
ادراك	درك	٢١	١١٣
المولود	الميلود	٠٦	١١٥
خلون	خلين	١٠	١١٥
بارجاع	بترجع	٢٢	١١٥
ان يسافر	يسافر	١١	١١٦
نصره الله	نصرالله	٠٩	١٢١
والسراويل	والسروال	١	١٢٢

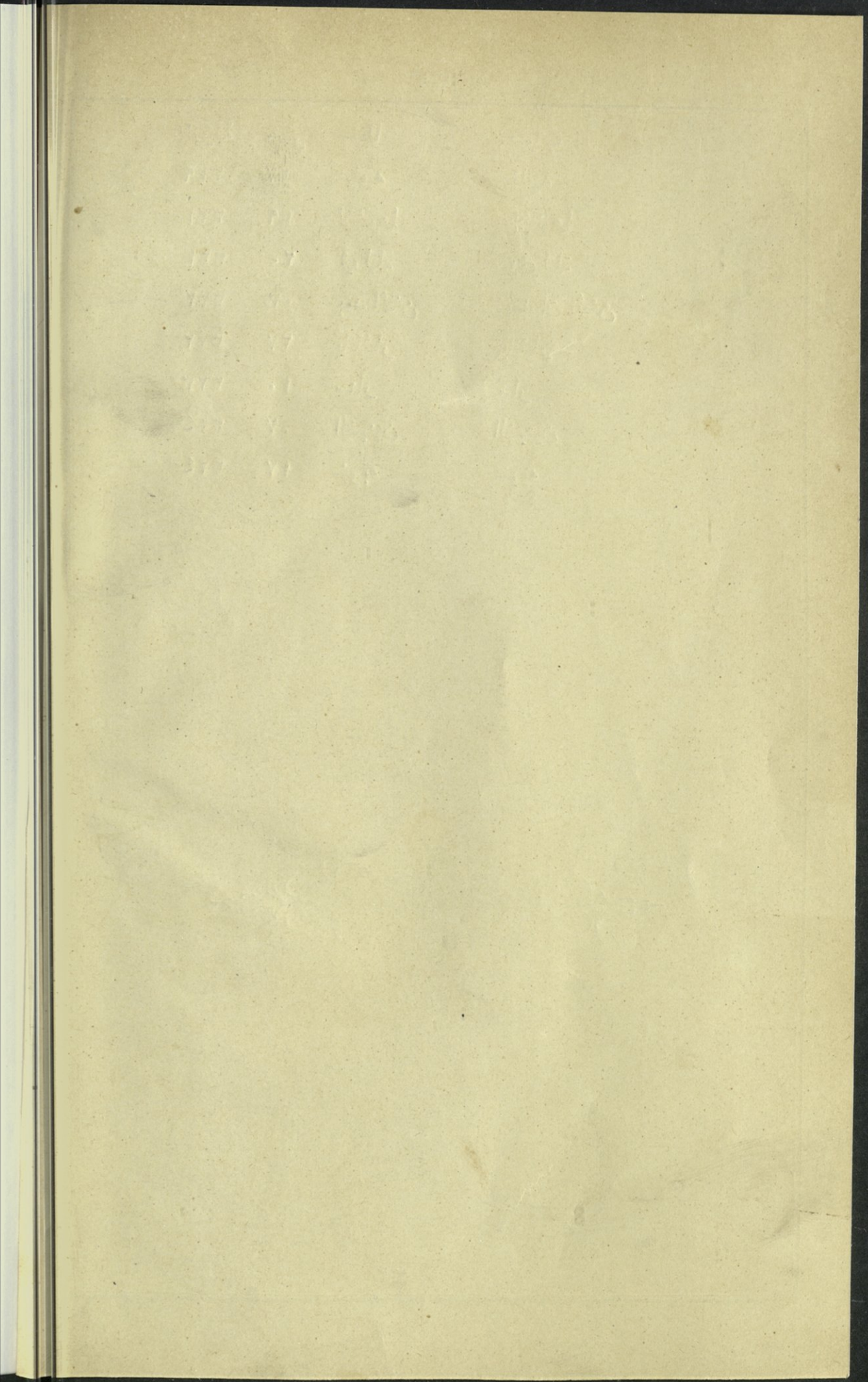
صواب	خطا	سطر	صفحة
وسراويله	وسرواله	٢	١٢٢
وعين	وعن	٢٥	١٢٢
محفظة	محل	١١	١٢٤
احنيج	احنج	٢٥	١٢٤
احدها	حداها	٩	١٣٥
عراش	عراس	٧	١٤٣
يحييه	ويحييه	١٦	١٤٣
الاقليم	الاقاليم	١٢	١٤٤
اجزائه	اجزؤه	٢٦	١٤٤
اعلم	علم	٧	١٤٥
عرب	العرب	٩	١٤٦
الى معسكر	ال معسكر	١	١٤٧
المورخ المذكور	بعضهم	١٢	١٤٨
المعسكري	العسكري	١٠	١٥٥
الى الآخر تجاره	الى الآخره تجار	١٣	١٥٥
الحدود	المحدده	١٥	١٥٥
الامير	الامر	٥	١٦١
الهورى	اوارى	٥	١٦٢
بنج	ينجج	١٠	١٦٣
ردءا	رداء	١٥	١٦٣
مفلولاً	مفلولاً	٧	١٦٥
ذكر ان القائد	ذكر القائد	١٤	١٦٧
في قلعتها كان	في قلعتها انه	١٥	١٦٧
احمد	محمد	١٩	١٦٧
واستفوا	واشفوا	٢٧	١٦٩
احترامي	حترامي	١٨	١٧٢
شفاهاً	اشفاهاً	٢٣	١٧٢

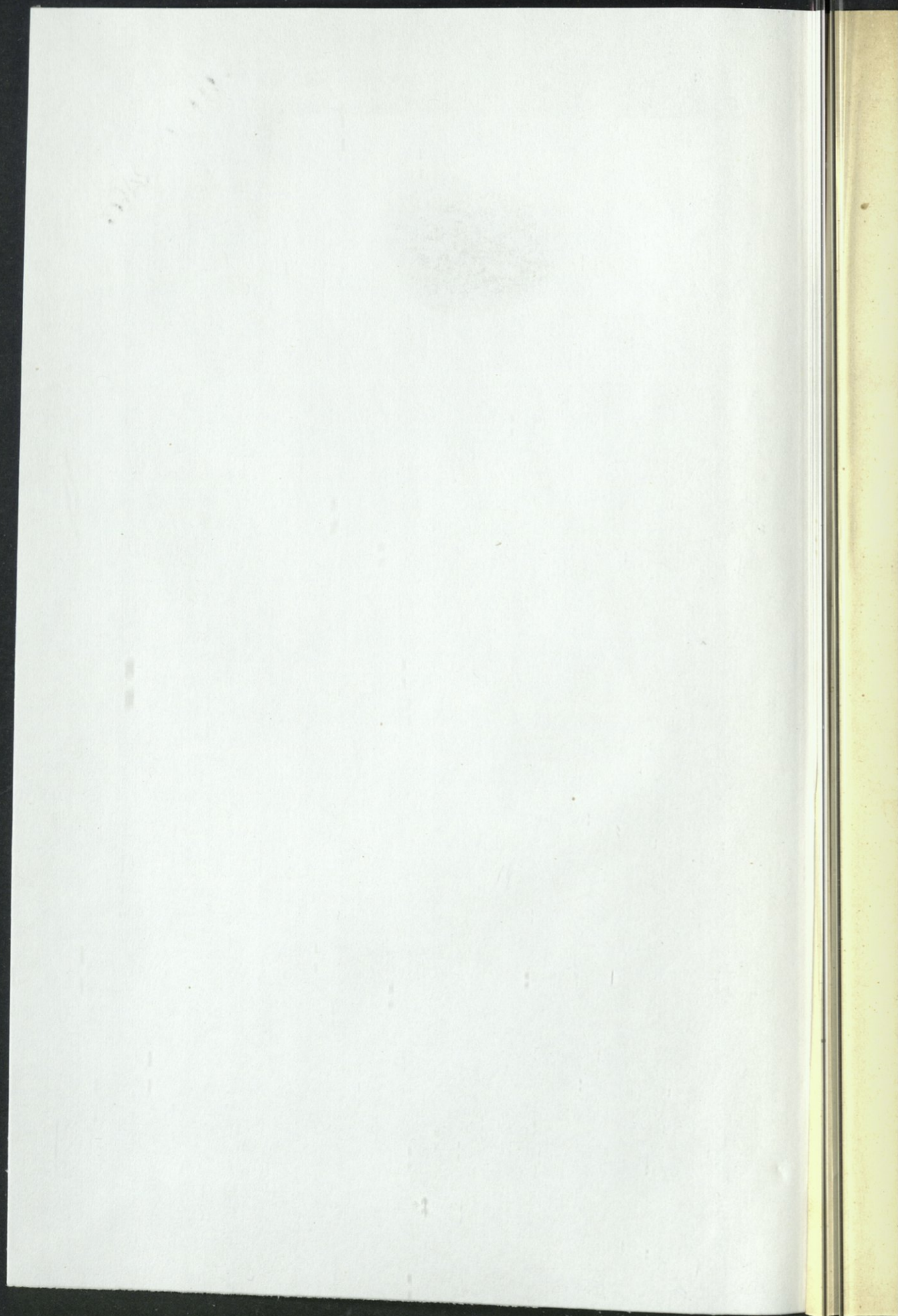
صواب	خطا	سطر	صحيفة
قلعتها	قلعتها	٢٠	١٧٤
التي بها	التي بهما	٢١	١٧٤
فيها	فيهما	٢١	١٧٤
ويعود الشارد	ويغود الشادر	٢٠	١٧٥
النية	المنية	١١	١٧٦
المقاصد	امقاصد	١١	١٧٦
مسلم	مسا	١٦	١٧٦
حمادي	حماده	٢٧	١٧٦
الحضر في تلمسان	حضرة تلمسان	٠١	١٧٧
التوسيع لحدود	توسيع معين لحدود	٠٢	١٧٧
حصل الاتفاق على	وعليه حررت	٠٤	١٧٧
متسربلين	يتسربلين	٠٤	١٧٩
يسيره	مسيره	٠٥	١٧٩
خطر	خاطر	٠٣	١٨١
كافنيك	كافيناك	١٦	١٨٢
سيدنا الامير	سيدنا	١٢	١٨٣
سلطان المغرب	السلطان	٠٣	١٨٦
الموصوفة	المواصفة	١٠	١٩٢
واقبل	واقبل	١٢	١٩٣
مع الوف	من الوف	٠٢	١٩٥
والذواوده	والزواوده	١٨	١٩٥
رابعه	اربعه	٢٤	١٩٩
الهاويه	الهاديه	٠٩	٢٠١
وعين السيد	والسيد	١٥	٢٠١
والسيد ابن عبدالله	والسيد عبدالله	٢٧	٢٠٢
الخرنوبي	الخرنوبي	٠١	٢٠٣
ست عشرة	سته عشر	٢٣	٢٠٥

صواب	خطا	سطر	صحيفة
ظهر	اظهر	٠١	٢٠٦
بن ابي صفرة	بن صفرة	١٤	٢١٢
منصور	منظور	١٩	٢١٣
يحتسبون	يحبون	٢٦	٢١٦
دينكم	مدينتكم	١٠	٢١٨
الجدال	الجوال	٢٦	٢١٩
مطامطه	مطامطه	٠٤	٢٢٢
محمد بن فاخه	محمد فاخه	١٤	٢٢٢
شاره	بشاره	٠٢	٢٢٣
طاغيتهم	طاغيتكم	١٢	٢٢٣
العدو	العدل	١٣	٢٢٣
مخوصه	مخوصه	٠٥	٢٢٦
واراؤها	واذاؤها	١١	٢٣٥
واقندار	واقندارا	٢٦	٢٥٤
قمن	فمن	٠٧	٢٦٩
رداً	ردم	١٧	٢٦٩
يستدلون	يتدلون	٠٦	٢٧٢
البرزلى	البرازلى	١٧	٢٧٢
اما	ما	٢٣	٢٧٢
خادم السيد	ابن السيد	٠٣	٢٨٦
وانحاز	وتحبز	٢٥	٢٩٧
المواز	الموز	١٢	٣٠٩
البرد	البر	٠٧	٣١٥
لا يوافق	يوافق	٢٧	٣١٥
بوز ياده	بزياده	٠٥	٣١٧
عبد القادر الحشمى	الامير عبدالقادر	١٠	٣١٧
احدم	احدم	٢٨	٣١٨

صواب	خطا	سطر	صحيفة
قلعيه	كلعيه	٢٧	٣١٩
لا توها	لا شوها	١٩	٣٢١
وفي ليلة	في ليله	٢٠	٣٢١
بعد ان اتخن	بعد اتخن	٠٣	٣٢٢
بانتشار	بانتشار	٢٧	٣٢٢
سار	سنار	١٠	٣٢٣
الضبتين	الضنين	٠٧	٣٢٤
خويه	خويه	١٧	٣٢٤







AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00512598

